"السياسة هي ثاني أقدم مهنة في التاريخ، وتُشبِه الأولى إلى حدٍّ كبير"
رونالد ريجان

يوسف بناش

أغبياء في السياسة

مذكرات سياسي ساخر

ترجمة: د. خالد البلتاجي



يوسف بنـاش

أغبياء في السياسة

(مذكــرات سيــاسي ســاخر)

ترجمة

خــالد البلتــاجي



خالد البلتاجي/ مترجم مصري وأستاذ اللغويات والترجمة بكلية الألسن جامعة عين شمس بالقاهرة. حاصل على دكتوراه في علوم اللغة التشيكية من جامعة تشالز ببراغ؛ ترجم العديد من الأعمال الأدبية والدراسات المتخصصة في علم المصريات والسياسة والاجتماع من اللغتين التشيكية والسلوفاكية، منها رواية "الخلود" للأديب التشيكي العالمي ميلان كونديرا. والبتاجي عضو اتحاد الكتاب المصري ونادي القلم الدولي.

أغبياء في السياسة

الطبعة الأولى مايو 2015

رقم الإيـــــداع: 2015/10432

الترقيم الدولي: 978-977-5154-46-0

الناشر
محمد البعلي

إخراج فني
علاء النويهي



دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات
5 ش المسجد الأقصى - من ش المنشية - الجيزة - ج م ع.

أغبياء في السياسة

(مذكـــرات سيــــاسي ســـاخر)

المحتويات

17 لماذا هذا الكتاب؟
21 أغبياء في السياسة
25 الفصل الأول: السيـاسة
31 السياسة والجنس
33 الأغراض النبيلة
35 الصراع على السلطة
37 الحفاظ على السلطة
39 السياسة والمال
41 السياسة ومستوى معيشة المواطنين
43 السياسة ومستوى معيشة رجل السياسة
45 السياسة الكبيرة والصغيرة
47 سياسة دون المستوى
49 السياسة العالمية
53 الطريق إلى السياسة
59 ممثلات في السياسة
61 من البروتوكول إلى الأيديولوجية
63 الكنيسة في السياسة
69 الحلول الوسط في السياسة
71 الحراس الشخصيون في السياسة
73 حتى ينحيه الموت
75 الفصل الثاني: الأحزاب السياسية
77 حزب العاهرات الشعبي
81 نشأة الحزب السياسي الكبير
83 نشأة الحزب الصغير
87 الحزب غير الشرعي
89 رئيس الحزب
93 الطريق إلى مقعد الرئاسة

97 حزب تحت قيادة قصيرة الأجل
99 حزب تحت قيادة طويلة الأجل
101 تمويل الحزب
103 أعضاء الأحزاب، كيف يكونون؟
107 برنامج الحزب
109 المؤتمر العام للحزب
113 التنقل بين الأحزاب
117 الفصل الثالث: الانتخابات
119 الانتخابات في النظم الشمولية والنظم الديموقراطية
121 النظام الانتخابي
123 المشاركة الانتخابية
127 العزوف عن الانتخابات
129 قوائم مرشحي الأحزاب السياسية
131 الحملة الانتخابية
133 المؤتمرات الانتخابية
135 الوعود الانتخابية
137 كباب الحلة في موسم الانتخابات
139 الفوز في الانتخابات
141 خسارة الانتخابات
143 الفصل الرابع: الحكومة
145 الحكومة
147 فرص الائتلاف
149 الائتلاف
151 مجلس الائتلاف الحاكم
153 رئيس الحكومة
155 البلكون أم البلقان
159 تشكيل الحكومة
161 مواصفات أعضاء الحكومة

163 | برنامج الحكومة
165 | الوزارات غير السيادية
167 | الوزارات السيادية
169 | إقالة أعضاء الحكومة
171 | الفصل الخامس: البرلـمان
173 | قاعة المداولة
177 | النواب
179 | نابليون، وتشرشل، والمهندس كوروتس
181 | النواب المجهولون
183 | مساعدو النواب
185 | مكاتب النواب
187 | نواب المعارضة
189 | اللصوص والنواب المستقلون
191 | النقانق ومشروع القوانين
193 | مشروع قانون مقدم من المعارضة
195 | تعديل القانون
197 | فوضى الجلوس
199 | نادي النواب
201 | المناقشات والنواب الأموات
203 | القِراءَة حَسْبَ...
205 | التصويت العلني
209 | الاقتراع السريّ
211 | التصويت "فائق السرية"
213 | نقطة نظام
215 | ساعة للأسئلة، ودقيقة للإجابة
217 | الحصانة البرلمانية
219 | رحلات النواب الخارجية
221 | بوفيه البرلمان
223 | استراحات الحكومة وتدبير المؤامرات

الفصل السادس: الإعلام والرأي العام	225
السياسي والإعلام	227
المواطنون والإعلام	231
الصحفيون والدُّمَى المطَّاطية	233
المصورون في صحافة المشاهير	237
الإعلام وإنفلونزا الخنازير	239
التليفزيون وظهور رجال السياسة	241
المؤتمرات الصحفية	243
المتحدثون الرسميون و"المبرراتية"	247
استطلاعات الرأي العام	249
إعلام الفضائح	251
الفصل السابع: السياسي	253
نشأة رجل السياسة	255
السياسي في الائتلاف والمعارضة	257
هل أعمل في السياسة أم لا؟	259
السياسيّ والعمل	261
السياسيّ والمواطن	263
مسئولية رجل السياسية	265
السياسي صاحب المبادئ	267
العداوة في السياسة	269
مستشار رجل السياسة	273
السياسيّ والبيروقراطية	275
السياسي والأموال	277
معدة رجل السياسة ومؤخرته	279
سعادة السياسي	281
السياسي والأسرة	283
السياسة والجنس	285
السياسيّ والخمر	287

289 السياسي والشخصية
291 لغة رجل السياسة
295 الفصل الثامن: اطلب النصيحة
297 شروط العمل السياسي
299 دور الرئيس في حياتك المهنية
301 الحقيقة دائمًا لها رئيس
303 كيف تحظى بتأييد الرئيس
307 كيف تغني مع الرئيس؟
309 كيف ترقص مع زوجة الرئيس
311 كن أول من يصفق
313 كيف تشتهي السلطة
315 الثناء على النفس لا يضُرّ
317 متى تنفجر في الضحك
319 كيف تُحوِّل الجحيم إلى جنَّة؟
321 كيف تتحلل من الرهان على أمر ما؟
323 كفّ عن انتقاد الآخرين
325 كيف تُجمِّل ماضيكَ؟
327 كيف تبدو في منتهى الجدية؟
329 كيف تعطي انطباعًا بالأهمية؟
331 كيف تكون سريع النسيان؟
333 كيف تزيف الحقائق؟
335 كيف تنجح في إخفاء ما يدور في رأسك؟
337 كيف تسترضي الآخرين؟
339 كيف تطعن بسكين في الظهر؟
341 كيف تفتري على الأصدقاء والأعداء؟
343 كيف لا تتدخل فيما لا يعنيكَ؟
345 متى يكون لديك وجهة نظر؟
347 كيف تُبرر الأشياء؟
349 الخيانة أحيانًا تفيد

الجلد الثخين	351
انْسَ الانفعالات!	353
لا تثق في أحد، وخاصة الأصدقاء	355
لا تفصح عن نواياك	357
كيف تدرب نفسكَ على الخطابة؟	359
كيف تؤثر في المستمعين إلى درجة البكاء	361
كيف تقتنص اللحظة المناسبة	363
أهمية التنس والجولف والصيد في العمل السياسي	365
متى وكيف تكون فاسدًا	367
كيف تحافظ على مظهرك الجيد	369
لا تعترف بإخطائك مهما كان الثمن	371
كيف تحفر مقابر سياسية	373
مخاطر العادة	375
كيف تحصن نفسكَ ضد النقد	377
كيف تلفت الأنظار بعيدًا عن الأمور الهامة	379
كيف تتظاهر بالتفاؤل	381
كيف تتضرع إلى الله عندما تسوء الأحوال	383
الصبر مفتاح الفرج	385
كيف تُبالِغ بطريقة مقنعة	387
كيف تُحوِّل الهزيمة إلى نصر	389
كيف تدبر المؤامرات على نحو صحيح	391
هل تسحق خصمك المهزوم، أم تتجاهله؟	393
كيف تخدع الآخرين	395
كيف تتأهب للمنصب	397
الشعور بالذنب	399
لا تدع أحد يخرج عن هدوئك، وانتبه لما يحدث من حولكَ	401
ماذا تفعل لو لم تُحقق هدفكَ؟	403
متى يفر السياسي هاربًا	405
نهاية العمل السياسي	407
نهاية الكتاب والمؤلف	411

تنبيه:

كل الأحـداث، والشـخصيات، والمواقـف الـواردة فـي الكتـاب هـي مـن بـاب الدُّعابـة والمـزاح، أو مـن وحـي الخيـال كمـا يقولـون، ولا علاقـة لهـا بالواقـع، لا فـي داخـل البـلاد ولا فـي خارجهـا. لذلـك لا أسـاس لأي دعـوى قضائيـة تقـام بعـد قـراءة هـذا الكتـاب ضـدي، أو ضـد أي شـخص آخـر

المؤلف

إهــداء

إلى كل ناخب راض عمن انتخبه

رونالد ريجان:

"السِّياسَةُ هي ثَانِي أَقْدَمِ مِهْنَةٍ في التَّاريخ.. وتُشْبِهُ الأُولَى إلَى حَدٍّ كَبِير."

لماذا هذا الكتاب؟

عَمِلتُ في مجال السياسة أربعة أعوام تقريبًا، بالتحديد أربعة أعوام إلا ثلاثة أشهر. كان حزب الحركة المسيحية الديموقراطية السبب وراء اختصار مدة عملي، حيث انسحب الحزب من الائتلاف الحاكم. ولم ينجح الائتلاف بدونه في الفترة الانتخابية الثالثة، وكانت فترة الخمسة وأربعين شهرًا من أكتوبر 2002 حتى يونيو 2006، كافية كي أرى في السياسة ما لا يراه المواطن العادي، أو يراه ويتظاهر بأنه لا يراه، أو ربما لا يتظاهر؛ لأنه غير معني بالأمر.

الأسوأ من ذلك، وهو ما سأحدثكم عنه، هو ما لا يراه مواطنون قرروا الدخول إلى عالم السياسة، أو يرونه لكن بعد فوات الأوان، وفجأة يجدون أنفسهم في مأزق: البقاء، أم الانسحاب؟ وغالبًا ينتهي بهم الأمر بأن يصبحوا سياسيين متجولين ذوي خبرة، وأغلبهم ينجح في هذا الأمر. ومَن لا يُوَفَّق منهم يخرج سريعًا من عالم السياسة، مثلي أنا. وعندما تأكدت من هذا الأمر، قررت أن أتابع ما يحدث في عالم السياسة والسياسيين بكل دقة، فقد تابعت طوال الفترة الانتخابية ما يحدث في البرلمان، وسجلت ملحوظاتي، حتى إني كنت أضع تصورًا لبعض المواقف، ثم أنتظر ردود أفعال السياسيين، وفي الغالب كانت كما توقعت. وحتى لا تضيع جهودي عبثًا قررت أن أكتب ما شاهدته.

هناك العديد من الأعمال الرائعة في مجال السياسة في الأدب العالمي، لكن كي يفهم المواطنون، والطلبة، وحتى السياسيون أنفسهم، كيفية إدارة الشأن العام فهمًا جيدًا، أراهم قد اختاروا عملاً من شأنه دفع الأدب السياسي إلى مستوى متقدم. ومن المؤكد، بناء على ردود الأفعال حتى الآن من المتخصصين والعامة، أن الكتاب الذي بين أيديكم يُعَدّ نقلة كبيرة في النظرية والممارسة السياسية في سلوفاكيا والعالم. ويؤكد المحللون السياسيون، بدءًا من "هارفارد"، و"كمبريدج"، و"أكسفورد"، حتى جامعة "سلادكوفيتش" أن كتاب "أغبياء في السياسة" يُعَدّ من روائع الأدب العالمي في مجال السياسة. وقد أوردت الدورية الأمريكية Politics forever المتخصصة في العلوم السياسية، في عددها الثالث عشر لعام

2006 القائمة التالية لأفضل عشرين عملًا في الفكر السياسي على مر التاريخ، وهي:

أفلاطون: الدستور

أرسطو: السياسة

ميكيافيللي: الأمير

مونتيسيكيو: روح القانون

روسو: العقد الاجتماعي

توك فيل: الديمقراطية في أمريكا

ماركس: رأس المال

ميتشيار: سلوفاكيا، كن واثقًا

فيتسو: الدفاع الواجب عن النفس

دزويندا: الطريق الصحيح حيث توجد الإرادة

بوجار: نعيش في بلد كهذا

بناش: أغبياء في السياسة.

أَفْضَل وصف لعلاقة الكاتب بالسياسة كما تقول مجلة Politics forever هو أنّ: "السياسة تعد أمر على درجة كبيرة من الأهمية، بحيث لا تسمح لنا بأن نأخذها بالجدية المطلوبة".

التقيت بالعديد من السياسيين الناجحين على الصعيد المحلي والدولي. كانوا ينظرون إلى العالم والسياسة، وحتى إلى أنفسهم، بنوع من الترفُّع؛ لذلك كانوا ناجحين. وهذا الكتاب يتوقع قارئًا يسمو فوق الأحداث. ويُخطئ من يعتقد أن الهدف من الكتاب هو إفساد علاقة القارئ بالسياسة. قد يجدها من لا يثق بالسياسة فرصة للتشفي، أما من يؤمن بها فسوف

يفهـم مـا أكتبـه علـى أنـه سـعي إلـى المعرفـة، سـعي لمعرفـة أهميـة السياسـة، وسـعي للعثـور علـى السياسـي المثالـي، ذلـك الرجـل متعـدد الثقافـات، القـادم مـن عصـر النهضـة، الرجـل الـذي لا تُبنَـى شـخصيته علـى الكلمـات والوعـود، بـل علـى الأعمـال والفضائـل. أنـا لسـت ضـد السياسـة، بـل أدعـو إلـى الاهتمـام بهـا، أدعـو هـؤلاء الذيـن لديهـم شـعور بـأن فـي إمكانهـم المسـاهمة فـي قيـادة البشـرية، إلـى أقصـى درجـات الإنسـانية والحـب.

الهـدف الأول لعمـل السياسـيين يجـب أن يكمـن فـي محاولتهـم القيـام بـكل مـا يلـزم حتـى يتحـول العالـم المـادي للإنسـان إلـى احتـرام الجانـب الروحـي، واحتـرام آدميـة الإنسـان، حتـى يكـون الإنسـان سـعيدًا. مثـل هـذه السياسـة لا يفعلهـا سـوى سياسـي تكـون أفعالـه أكبـر دليـل علـى أهليتـه الأخلاقيـة. كان "جوتـه" وزيـرًا وعالمًـا فـذًّا فـي الأخـلاق أيضًـا. كان "ليونـاردو دافينشـي" يقـف خلـف قـرارات الأسـر الحاكمـة مـن "الماديتييـن"، و"الاسـفرزيين". قـام "فولتيـر" بنشـر الـروح الإنسـانية فـي بـلاط الملـك "فريدريـك الأكبـر". أيضًـا عثـر البافـاري "لودفيـج الثانـي" علـى قيمـة الحيـاة فـي فخامـة موسـيقى "فاجنـر". كمـا أن "جوتـه"، و"شـيلر"، و"ليونـاردو دافينشـي"، و"بوتيشـيللي"، و"مايـكل انجلـو"، و"فولتيـر"، و"فاجنـر"، وأيضًـا "كارل تشـابك"، و"يوسـف تشـابك"، و"هاشـيك"، و"كافـكا"، و"فاريـخ"، كلهـم يدينـون فيمـا وصلـوا إليـه مـن مكانـة بالفضـل، ليـس فقـط لموهبتهـم، لكـن أيضًـا لــ"آل مديتشـي"، وآل "سـفورز"، أو لشـخصيات مثـل "كارل أوجسـت فيمـار السكسـوني"، و"لودفيـج الثانـي"، و"فريدريـك الأكبـر" أو لـ"مسـاريك". هـؤلاء كانـوا سياسـيين أدركـوا أن قيمتهـم وإنجازهـم التاريخـي لـن يحصـى بعـدد المعـارك التـي انتصـروا فيهـا، ولا بعـدد القتلـى مـن الأعـداء، بـل بعـدد مـن سـموا بأرواحهـم إبـان حكمهـم.

شـيء جيـد أن يكـون مؤلـف هـذا الكتـاب واحـدًا مـن هـؤلاء العمالقـة طبقًـا لتصنيـف مجلـة Politics forever، وأنـا سـعيد للغايـة لهـذا التصنيـف، ويؤكـد هـذا التقريـر الـذي أصـدره خبـراء أمريكيـون أن سـلوفاكيا بهـا سياسـيون يفهمـون رسـالتهم.

أغبياء في السياسة

غالبًا ما يدخل إلى عالم السياسة أناس فشلوا في كل ما دونها. هذه هي الحقيقة، رغم الاستثناءات، وأنا واحد من هذه الاستثناءات. فقد استطعت في حياتي حتى الآن القيام بأعمال هامة، منها أني تمكنت من اللعب في الهواء بثلاث برتقالات مرة واحدة، واشتركت كهاوٍ في فرقة رقص "الكونتري"، وشاركت في أول دَوْرِي سلوفاكي في الكرة الطائرة، وأطفأت شمعة من على بعد ثلاثة أمتار بلبانة بصقتها من فمي، كما أنني استطعت الخروج من أحد بازارات اسطنبول. ورغم ذلك ظننت أنه ما زال بإمكاني عمل المزيد، فقررت تجربة شيء جديد في مجال السياسة، ولم أعرف بأني سوف أصنف ضمن فصيل أغبياء السياسة. نعم، كنت في مجال السياسة غبيًّا.

أقول هذا كان في الزمن الماضي؛ لأن علاقتي بالسياسة انتهت بلا رجعة، وأنا سعيد بأن هذه العلاقة كانت شكلية، حيث إني في الواقع لم أبدأ العمل بها كسياسي حقيقي، وهذا رغم أني كنت في الفترة الانتخابية الثالثة (2002– 2006) عضوًا في البرلمان السلوفاكي. ولأنني اعتزلت السياسة؛ فأدعوكم إلى الاستمتاع بقراءة هذا الكتاب. وكنت سأكتب مثل هذا الكتاب حتى لو لم أترك السياسة، لكنه كان سيصدر لاحقًا وليس الآن.

المعتوه طبقًا لتصورات غالبية البشر هو الشخص الذي يعاني من تخلف عقلي في أعلى درجاته، وهو يقترب من البلاهة. غير أن لفظ idio في اللغة اليونانية القديمة يأتي في الجزء الأول من مُركَّب لغوي بمعنى المختلف أو الغريب. وكلمة idiom تعني تركيبة قواعدية خاصة ومُمَيَّزة، ولفظ idiot يعني: شخص مختلف أو غريب. وكان الغبي في اللغة اليونانية القديمة إنسانًا غريبًا، اختلف عن أغلبية البشر بمناعته ضد الأخلاق والفضائل؛ لهذا ذهب إلى العمل السياسي. كان الإنسان عديم الأخلاق في عصر "بريكليس" غير مؤهل للعمل بالسياسة. ورغم أنه تهمته الوحيدة هي افتقاره إلى الأخلاق، فقد اتضح أنه كان يُعاقب بالنفي، وفي حالات كثيرة بالقتل.

اتهمني أحد الصحفيين السلوفاك المعروفين يومًا بأنني معتوه عندما أقسمت له بأني لم أستولِ على أي شيء، ولم أسرق، ولم أتلقَّ رشاوى من أي نوع، وأنني لم أدخل إلى عالم السياسة من أجل الدفاع عن مصالح مجموعة بعينها، ولا حتى مصلحة أسرتي شخصيًّا. وكان هذا شرفًا لي. لقد صدقني صديقي الصحفيّ بأنني لم أسرق، ولم أتقاضَ رشاوى، لكنه لم يصدق أني لم أكن أعرف ما هي السياسة. "لا تقل لي إنك كنت معتوهًا وساذجًا إلى درجة حالت دون أن تفهم ما يدور!".

في الواقع أني كنت على علم ببعض الأمور، وأمور أخرى لم أعرفها، ولم أرغب في ممارسة الأشياء السيئة التي عرفتها. وعندما ضاقت الحلقة من حولي، وكنت على وشك أن أرتكبها، قررت أن أغيرها. لم أفهم أنه عندما يقرر شخص مبتدئ في عالم السياسة أن يُحسِّن منها ينتهي به الحال كـ"بَهْلُول"، ممثل هزليّ، لأنه لا يمكن تغيير السياسة ولا آلياتها التي تعمل بها. الوحيد الذي يتغير هو رجل السياسة نفسه. ولو أردت أن أحقق نجاحًا في عالم السياسة لكان عليَّ أن أغير صفاتي الوراثية. وهذا مستحيل. فالتربية والبيئة التي ترعرعت فيها، وهذا الشيء الغامض الذي حصلنا عليه عند مولدنا، كلها تُشكّل قناعاتنا التي ننطلق منها في مواقفنا الحياتية. وقد فعلت في حياتي أمورًا لا يمكن أن أفعلها لو عُرِضت عليَّ اليوم من جديد. أنا أيضًا تعرضت في حياتي للفشل. لكنها كانت أمور يصعب عليَّ أن أتنازل من أجلها تحت أي ظرف، ففضلت التخلي عن الفوائد التي قد أجنيها من ذلك التنازل. وبما أنه قد قُدر لي أن أكون معتوهًا، فأفضل أن أكون معتوهًا حَالِمًا، بدلًا من أكون معتوهًا انتهازيًّا. أُذَكّرُكم، لو شَعُرتم بالاكتئاب أثناء قراءه هذا الكتاب، بأن أمثال هؤلاء الأغبياء، ومثل هذه المواقف، والتوجهات، والأفعال، والشخصيات، والعلاقات- تعد جزءًا من العمل السياسي في كل بلاد العالم. وقد تجولت بالفعل في بلاد العالم كثيرًا كي أتحقق من هذا الأمر لأصل إلى هذه القناعة. لذلك أقول: يا أغبياء السياسة السلوفاكية، ارفعوا رءوسكم، فنحن لسنا وحدنا!

يقول الخبير السياسي "ماكس فيبر": "يمكنني أن أُسمّي أشخاصًا بأعينهم في كل حزب سياسيّ، يُعتبرون تجسيدًا لمأساة العمل السياسي، أو كان أداؤهم على المستوى السياسي والإنساني رائعًا، وحتى على المستوى القيادي، لذلك لم تتحمل الشخصيات الحزبية البارزة وجودهم بينهم". وسجّل الخبير السياسي أيضًا أن هناك سياسيين يتمسكون بالمبادئ. وهؤلاء، حسب المصطلح اليوناني القديم، أغبياء. وأن من يهتم منهم بالمصالح، فهو سياسي

عـادي. يقـول "فيكتـور هوجـو" إن الأجسـام الرشـيقة تبـدو غريبـة فـي مـكان كل مـن فيـه أحـدب. الوضـع المثالـي بالطبـع هـو عندمـا لا تظهـر فـي عالـم السياسـة سـوى الأجسـام الجميلـة، لكـن هـذا أمـر غيـر واقعـي؛ لـذا علينـا أن نقـف خلـف كل مـن يقـاوم تأثيـر رجـل أحـدب واحـد علـى الأقـل.

لقـد ظلـم التاريـخ الفيلسـوف والسياسـي وشـاعر عصـر النهضـة "نيكـول مكيافيللـي" واعتبـره شـيطانًا عندمـا أطلـق قاعـدة "الغايـة تبـرر الوسـيلة". رغـم أن "مكيافيللـي" لـم يقـل غيـر الحقيقـة، وهـو أمـر عديـم الجـدوى ومضحـك فـي عالـم السياسـة. الواقـع أنـي لا أطمـح فـي محـاكاة الوزيـر الحكيـم فـي جمهوريـة فلورنسـا، لكنـي أسـعى إلـى أُسـمّي الأشـياء بأسـمائها الحقيقيـة.

قبـل أن تقـرروا أنتـم أيضًـا الدخـول إلـى عالـم السياسـة، أنصحكـم بـأن تراجعـوا معـي المواصفـات التاليـة التـي رُتّبـت حسـب استطلاع للـرأي العـام. السياسـي المثالـي هـو: شـريف، وعفيـف، وغيـر متهـور، ومثقـف، ويجيـد لغـات أجنبيـة، ولديـه حيـاة عائليـة ناجحـة، خبيـر فـي إدارة المؤسسـات، وصـادق، ويتمتـع بالصحـة، وخفيـف الظـل، ويجيـد الاسـتماع إلـى الآخريـن، وتقديـم العـون لهـم. لـو وجـدت فـي نفسـك المواصفـات السـابقة فأنـت رجـل حالـم، ولا تصلـح للعمـل السياسـي علـى الإطـلاق. وهـذا أمـر لا يجعلـك تخجـل مـن نفسـك، فالحالمـون كُثـر، منهـم "كانْـت"، و"فيشـت"، و"هيجـل"، و"غانـدي"، و"كاركولـكا"، و"دوبتشـك"، والأميـرة النائمـة.

مـن يظـل فـي السياسـة وفيًّـا للمبـادئ هـو كمَـن يُعلِّـم كلبـه المشـي علـى قدميـه الخلفيتيـن، يتقـدم خطوتيـن أو ثـلاث خطـوات، ثـم يسـقط. ورغـم أنـه أمـر لا طائـل منـه، لكـن يكفيـك شـرف المحاولـة. فالطبيعـة الوراثيـة للكلـب تدفعـه إلـى أن يمشـي علـى أربـع. ولـو أنـك اتخـذت قـرارًا لا رجعـة فيهـا بالعمـل فـي مجـال السياسـة، فدعنـا نعـرف كيـف انتهـى بـك المقـام. أتمنـى لـك حظًّـا سـعيدًا. فبرغـم كل شـيء، أنـا واثـق مـن أنـه سـيأتي يـوم تمشـي فيـه الـكلاب علـى قدميهـا الخلفيتيـن. لـن يحـدث هـذا سـريعًا، لكـن التاريـخ يقـول إن الأفعـال التـي دفعـت البشـرية إلـى قمـة الإنسـانية والرقـيّ لـم يـأت بهـا إلا أصحـاب الأجسـام الجميلـة. أتمنـى لـك التوفيـق!

الفصل الأول

السيـاسة

السياسة والتهريج

"مِنْ أَكْثَر أوْهَام السِّياسِيين أن يَعْتَقِدوا أنَّ هُنَاك مَنْ يَهْتَمُّ بِهِم"

هيل

عندما يتعرف الإنسان على السياسة عن قرب يجد أمامه خيارين متباينين: البكاء، أو الضحك. لم أجد في نفسي رغبة في البكاء؛ لذلك رحت أنظر إلى السياسة وإلى أهلها من ذلك الجانب المُضحِك. في حياة كل منَّا العديد من الأحداث الدرامية التي تُكدّر عليه معيشته. لذلك ما الفائدة في أن أزيد الطين بلة وأنت تقرأ هذا الكتاب، بينما أنا شخصيًّا استمتعت وأنا أكتبه؟

وقد قررت أن أعالج ثنائية السياسة والمأساة، والسياسة والتهريج، بالانحياز إلى النهج الساخر. أرى الآن اللغويين المتشددين وهم يتأففون من استعمال كلمة تهريج. في الواقع أن تاريخ التهريج يتشابه كثيرًا مع تاريخ السياسة. فكلنا نحب المزاح، رغم أن الغالبية لا تعرف معنى التهريج الحقيقي. كذلك أيضًا نحب الحديث في السياسة، رغم أن معظمنا لا يعرف ما هي السياسة في الواقع. التهريج يقوم به أناس لم ينهوا تعليمهم الأساسي بسبب رسوبهم في مادة النحو، التهريج يمارسه أيضًا جهابذة علماء اللغة. ورغم ذلك لم يظهر حتى الآن رجل شجاع ليقوم بتصنيف كلمة تهريج على أنها جزء أساسي من اللغة السلوفاكية. يراودني شعور بأن السبب في هذا يعود إلى رغبتهم في أن نشعر طوال الوقت بتأنيب الضمير، فما زالت تتردد في أذني كلمات من أيام الطفولة يقولها الكبار، بأن كلمة تهريج ليست فُصحى. "وما هي الكلمة الفصحى؟"، كنت أتساءل وأنا طفل، وما زلت أتساءل إلى اليوم. "مزحة، لهو، ضحكة، نكتة، مزاح، هزل...؟". ربما نستخدم هذه المرادفات في إطار نشاط إنساني آخر، وليس في إطار السياسة. فالإنسان الذي يأخذ السياسة مأخذ الجد ليس إنسانًا مرحًا، لا يلقي طُرْفة أو نكتة، لكنه مُثير السخرية، مثله مثل السياسة نفسها. وعليكَ أن تبتعد عنها قدر المستطاع، فلو أنك انخرطت فيها لرأيتها جادة. الأمر شبيه بأن تنام على فراش الموت، فلن تملك نفسك من الضحك عندما تتمكن

من مغادرته.

عندما يقول رجل السياسة إن الاتحاد الأوروبي يضم خمس دول أو خمسين دولة أعضاء، وأن الأجور سوف تتضاعف، أو أنهم سيرسلون جنودهم للحرب ما دام لن يحدث لهم مكروه، وعندما يوبخ السياسي في مارس عام 1990 على الملأ كل من أراد استقلال سلوفاكيا، ثم بعدها بعامين يمجدهم، لا يمكن أن نسمي هذا مزحة أو نكتة أو هزلًا. إنه تهريج، وربما مهزلة أو مسخرة.

السياسة رسميًّا تعني إدارة الشأن العام على مختلف المستويات من أجل صالح المواطن. هكذا عرفها خبير الشئون السياسية "ماكس فيبر". ويؤكد البعض أن "ويبر" كان يعني بعبارة "على مختلف المستويات": على مستوى الدولة، والإقليم والمدينة. وبعد دراسة متأنية لمقولة "فيبر" أظن أنه كان يعني: على مختلف مستويات السياسيين. أنا مقتنع بهذا التفسير؛ لأن المستوى الأخلاقي والتعليمي لرجل السياسة في أمور إدارة الشأن العام، أهم بكثير من المستوى الذي يدار به الشأن العام نفسه. ولكي تكون ناجحًا في عالم السياسة يجب أن تكون حاضر الذهن على نحو يسمح لك بفهمها، وأن تكون غبيًّا على نحو يجعلك لا تعتقد بأنها ذات أهمية. وقد ظهر على مرِّ التاريخ أناس واهمون، حاولوا أن يضعوا قواعد للسياسة، لكن القاعدة الوحيدة في السياسة هي أنها بلا قواعد. ولو اعتقد أحدهم بأن هناك قواعد في السياسة فهي من أجل أن يكون هناك ما نخالفه. إنه أمر شبيه بكرة الماء. الفارق بينهما هو أن كرة الماء بها رفسات، ولدغات، وخربشة، ومحاولات إغراق ربما لا تراها لأنها تحدث تحت سطح الماء. وفي السياسة تحدث محاولات الإغراق حتى فوق السطح، ويتلهى فيها المشاهدون من خروقات اللاعبين للقانون، وأحيانًا يسعد بها اللاعبون أنفسهم.

يرى رئيس الوزراء التشيكي "ميلوش زيمان"[(1)]، وهو أحد أكثر الوزراء الأوروبيين ثقافة و"ظرافة"، أن السياسة هي صراع مع التفاهة، بما فيها التفاهات الشخصية. كلمات كهذه لا يقولها سياسي يتمتع بحس فكاهيّ مصقول فقط، بل وشخص مُهرّج بالمعنى الحقيقي للكلمة. المهرج هو الشخص الذي يستطيع أن يسخر من نفسه أيضًا، أما الساخر فهو مَن يسخر فقط من الآخرين. المهرجون في السياسة غير موجودين عمليًّا، أمّا الساخرون فأعدادهم كبيرة نسبيًّا، والآخرون يشكلون الأغلبية التي لا تعرف معنى السخرية أو التهريج،

(1) هو الرئيس الحالي للجمهورية التشيكية (المترجم).

وفي نفس الوقت هم على قناعة بالعكس.

يقسم "زيمان" التفاهة إلى ثلاث درجات:

1- الدرجة الأولى: وهي أقل درجة من درجات التفاهة، ألا وهي الجهل. ونحن ننتمي جميعًا إلى هذه الدرجة؛ لأنه لا يوجد من يعرف كل شيء (باستثناء مكتب عمدة المدينة. ملحوظة المؤلف).

2- الدرجة الثانية، وهي درجة أعلى من درجات التفاهة، ويسميها زيمان "الغباء". الغباء هو حالة نفسية للإنسان الذي لا يعرف أنه لا يعرف. وهذه المجموعة لديها فرصة أكبر في أن تتطور.

3- أعلى درجات للتفاهة هي التفاهة نفسها، فالشخص التافه ليس فقط لا يعرف أنه جاهل، لكنه يعتقد أن عليه أن يعلن ذلك على الملأ بكافة الطرق. وحسب نظرية "زيمان" المتطورة يمكننا أن نطبق هذه الدرجات الثلاث على المواد الصلبة شبه المُوَصِّلة. الشخص الجاهل يعترف صراحة أنه لا يعرف ما هي أشباه الموصلات، أما الشخص الغبي فيسأل: ما الذي حدث حتى صارت أشباه موصلات؟ أما التافه فيقول باستياء إنه لا يهتم بأشباه الأشياء، وسينتظر حتى تصبح كاملة التوصيل. من المستحيل التخلص من الأغبياء، لكن يجب أن نجعل المجتمع أكثر ثقة بنفسه قدر الإمكان. وهنا تنطبق قاعدة "مارك توين" بأنه كلما صار المجتمع أكثر ثقة بنفسه، تزايدت قدرته على تقبل المزيد من الأغبياء.

السياسة والجنس

"السِّياسِيُ الشَّرِيفُ مِثْلُ اللِّصِّ الشَّرِيفِ، لا وُجُودَ لَهُ"

هنري لويس مينكن

تشبه السياسة الجنس إلى حد بعيد، خاصة أننا نفكر في كل منهما كثيرًا. يمكننا أن نفعل أشياء كثيرة مفيدة أثناء التفكير في الجنس أو في السياسة. فأنا أحب التفكير في السياسة وأنا أنزح البالوعة بطلمبة نزح الرواسب ماركة ALKO IPV 1100 INOX. توصلت إلى أن الثفل الثقيل في عصير العنب يترسب في القاع، على عكس رواسب البالوعات. تصطدم بالقطع الكبيرة كلما صعدت إلى أعلى حيث تتجمع وتنصهر مع بعضها فوق السطح، ولا يضرها أنها قادمة من مؤخرات متخلفة. وعندما يتزايد عددها في البالوعة وتوشك على أن تتسرب إلى الخارج، تُسْقِط طلمبة نزح الرواسب في قاع البالوعة كي تنظفها. غير أن قانون البالوعات يقول إنكَ مهما نظفتها فلن تسحب منها سوى الرواسب المتناثرة. أما القطع الكبيرة فتشكل طبقة متجانسة وقوية فوق السطح، وكلما انخفض مستوى السطح تنخفض معه. ويزيد سقوطها نحو القاع من التحامها وتضامنها مع بعضها، وتشعر بحاجة كل منها إلى الأخرى كلما استقرت في القاع. يمكنكَ أن تطلق عليها وابلاً من ضغط الماء العالي كيفما شئت، لكنكَ لن تفتّت الطبقة السميكة التي تكونت.

يقول قانون البالوعات الأول: "أكبر القطع تطفو فوق السطح"، ويقول قانون البالوعات الثاني: "كلما بقيت القذارة في البالوعة فترة أطول، ازدادت صلابة وانسجامًا". وكون القاذورات الكبيرة تطفو فوق السطح لا يمنع من أن هناك قاذورات صغيرة غيرها في المستويات الأدنى. وقد لاحظ خبراء المجاري أن وجود مياه نظيفة في البالوعات لا ينفي أنها ستظل بالوعة مجاري. والعكس صحيح، فلو أنكَ صببت قذارة في المياه النظيفة فسوف تتحول إلى بالوعة قاذورات.

القانون البالوعات الثالث يقول: "بالوعة المجاري ستظل بالوعة مجاري". ونضيف إليها

الآن القانون الرابع: "بالوعة المجاري لا تصدر إلا رائحة نتنة". ويمكن التعايش معها لو تظاهرت الأغلبية بأنها غير متضررة من الأمر. وفي نهاية حديث المجاري أقول إن للعطور رائحة طيبة، لكن هذا لا يعني أنها جيدة للتسميد.

أتمنى ألا تثني الكلمات السابقة كل من يشق طريقه في عالم السياسة عن مواصلة سعيه. فعامل المنجم مهدد بالإصابة بالربو، وصائد الأسماك يتوعده الروماتيزم، والطبيب النفسي عُرْضة للإصابة بخلل عقلي، والطبيب أو الممرضة قد يصاب بالسرطان جراء تعرضه للأشعة، وكذلك يتعرض الدبلوماسي الذي يعمل في إفريقيا الاستوائية للإصابة بالملاريا، والعامل في مصنع للإسمنت عُرضة للإصابة بالسُّل، ولاعب كرة التنس بالإصابة في وتر المرفق، وعضو فريق الموسيقى الصاخبة بالصمم. كذلك رجل السياسي يخاطر بانحناءة دائمة في ظهره، لكن هذا المرض قابل للعلاج.

إن دورة السياسة، مثلها مثل طلمبة تنظيف المجاري، قائمة على تنظيف إسطبل الملك "أوجياس" للخيل[2]. فلم يتمكن أحدهم من تنظيف إسطبل "أوجياس" القذر. ولو لم يترك السياسيون السابقون لخلفائهم إسطبلًا ما، فمن المؤكد أن خلفاءهم سيصنعونه. وإن لم يفعلوا فسيصنعونه هم على عَجَل ثم يدعون الصحفيين كي يصوروه ويسجلوه ويعرضوه على الشعب. تنقسم إسطبلات "أوجياس" إلى إسطبلات محافظة، وأخرى اشتراكية. الإسطبلات الليبرالية عددها أقل بكثير من غيرها؛ لأن المحافظين والاشتراكيين حريصون كل الحرص على أن يصنعوا هم بأنفسهم إسطبلات "أوجياس" عند فوزهم في الانتخابات. وقد ظهرت إسطبلات "أوجياس" مع ظهور الديموقراطية الجَمْعِيَّة. ففي النظم الشمولية لا يَنتقد الخليفة من سبقه؛ لأن كليهما صورة للآخر، لأن الحكومة التي يشكلها حزب واحد تُستبدل بحكومة من نفس الحزب. عيب هذه الحكومات أن المواطنين لا يستطيعون أن يتهموا رؤساء الحكومات السابقين بأي نوع من التقصير. فرؤساء الحكومات، ورؤساء الدول، أو حتى السكرتير العام في النظم الشمولية، غالبًا ما يغادرون مناصبهم مرفوعي الهامة. وليس من اللياقة في مثل هذه الظروف أن يَحْمرَّ وجه أحدهم خجلًا. لكن بعد الثورة المخملية يمكننا أن نطالب السياسيين السابقين بأن يخجلوا مما فعلوه.

(2) تقول الأساطير اليونانية القديمة إنه كان لأوجياس ملك إيلايس إسطبلات هائلة ظلت لسنوات طويلة دون تنظيف، حتى جاء البطل هرقل ونظفها في يوم واحد. وتعبير "إسطبلات أوجياس" يعني: تراكم الأوساخ والأقذار، أو الحد الأقصى من الإهمال والفوضى (المترجم).

الأغراض النبيلة

"كُنْ مُخْتَلِفًا، وقُلِ الحَقِيقة!"

شارل بودلير

الأغـراض النبيلـة هـي بمثابـة المحـرك الـذي يدفـع الأحـزاب إلـى المشـاركة فـي الحكومـة. وينتظر المواطنـون بـكل شـغف مَـنْ سـيحيد منهـم عـن القضبـان ومتـى. وكلمـا ابتعـد موعـد الانتخابـات صـار النُّبـل أقـل والنوايـا أكثـر. وحتـى النوايـا تختفـي بالتدريـج، ولا تبقـى سـوى المصالـح المشـتركة التـي اعتـادت الأحـزاب التأكيـد عليهـا بكلمـات مثـل: "يجـب أن يسـاعد بعضنـا البعـض، فنحـن فـي سـفينة واحـدة". وهـو يعنـي هنـا أنـه يرغـب فـي أن يكـون قائـد السـفينة. ويـدرك المواطنـون بمـرور الأيـام أن الغـرض الأساسـي النبيـل قـد تحـول إلـى مصلحـة الرئيـس والمقربيـن منـه. وعندمـا تُصـاب إحـدى المجموعـات الصغيـرة، مـع الوقـت، بالضجـر مـن رئيـس الحـزب لمـا يفعلـه، يأتـي قائـد المجموعـة بغـرض نبيـل جديـد. يقـول، علـى سـبيل المثـال، إنـه يجـب ضـخ دمـاء جديـدة فـي الحـزب. يعنـي بهـذه الدمـاء الجديـدة نفسـه كرئيـس جديـد للحـزب. وعندمـا يأتـي أحدهـم ويقـول إنـه مـن المفيـد ضـخ دمـاء جديـدة، لكـن مـن خـلال رئيـس ثالـث، يصـاب الآخـران منـه بالانزعـاج.

ليـس مـن واجـب السياسـيّ تحقيـق الغـرض النبيـل، بـل تفسـير السـبب الـذي حـال دون تحقيقـه علـى نحـو مقنـع، وبطريقـة مفهومـة. وسـوف يرضـى المواطـن بالتفسـير الـذي لـن يشـعر معـه بـأن صاحـب الغـرض النبيـل يهـزأ بـه.

يجـد المواطنـون مـادة جيـدة للسـخرية فـي السياسـيين الذيـن يؤكـدون أن الـذي دعاهـم للانخـراط فـي السياسـة هـي الأهـداف النبيلـة. ولـو أراد أحـد المبتدئيـن فـي مجـال السياسـة أن يصيـر مـادة خصبـة للسـخرية، فعليـه أن يتوجـه مباشـرة إلـى مقـر الحكومـة ويحمـل لافتـة عليهـا عبـارة: "تعيـش الحكومـة!"، أو يظهـر علـى المـلأ تعاطفـه مـع رئيـس المخابـرات السـابق.

ورغـم ذلـك كلـه فـإن السياسـي الصالـح هـو مـن يعمـل دائمًـا بمبـدأ النوايـا الحسـنة. فرئيـس

الحكومـة النبيـل لا يُقِيـل وزيـرًا مـا لأنـه يريـد أن يعيـن أحـد أصدقائـه مكانـه، بـل لأن ذلـك الوزيـر يتعاطـف مـع غضـب مُسـتَحَقّ للعامليـن فـي الصحـة، وعمـال السـكك الحديديـة، والنقـل، وأصحـاب المعاشـات، أو مـع أي شـخص آخـر يظهـر سـخطًا مُبـررًا. الأنظمـة الديكتاتوريـة هـي أكثـر الأنظمـة اسـتدعاءً للغضـب المُبـرر. فقـد كان "سـتالين" و"مـاو" يرسـلون النـاس إلـى مقاصـل الإعـدام بسـبب إثارتهـم المُبـررة والنبيلـة للجماهيـر.

دافـع بعـض كبـار ممثلـي حركـة "شـعب ضـد العنـف" عـن بقـاء تشيكوسـلوفاكيا انطلاقًـا مـن أهدافهـم النبيلـة. أقـام أعضـاء هـذه الحركـة فـي 14 مـارس عـام 1991 - بمناسـبة ذكـرى تأسـيس الجمهوريـة السـلوفاكية الأولـى- مِنَصّـة فـي ميـدان الثـورة SNP فـي مدينـة براتسـلافا. اجتمـع فـي الميـدان حوالـي ثلاثـة آلاف مـن مؤيـدي الجمهوريـة الأولـى. تجمهـر فجـأة أمـام المنصـة كثيـر مـن المصوريـن وأطقـم المحطـات التليفزيونيـة الأجنبيـة. لـم يـدرِ أحـد كيـف عرفـوا بأمـر هـذه الفعاليـة. وبالفعـل، بعـد قليـل ظهـر رئيـس جمهوريـة تشيكوسـلوفاكيا "فاتسـلاف هافِـل" وهـو يتجـول فـي الميـدان، وطبيعـي أن يسـتفز ظهـوره المتجمهريـن، فـراح المتشـددون منهـم يتوعـدون الرئيـس ويبصقـون عليـه. وبعدهـا بسـاعات قليلـة جابـت أنحـاء العالـم صـور السـلوفاك الحقوديـن الذيـن يكرهـون مواطنـي جمهوريـة التشـيك ورئيسـهم "هافِـل" الـذي نجـح بجـدارة فـي إظهـار ذلـك بفضـل موهبتـه الدراميـة، رغـم أن مسـرحياته كانـت نـادرًا مـا تظهـر علـى المسـارح الحـرة، وعلـى حـد علمـي لا توجـد مسـرحية واحـدة لـه تُعـرض فـي أي مسـرح بشـكل منتظـم.

"الأقْوِياءُ لَدَيْهِم ما يَجْمَعُهُم حَتَّى وإنْ كَانُوا أعْدَاء"

جورج بنيامين كليمنسو

"ماريا تريزا"، و"فلاديمير لينين"، و"جون كينيدي"، و"فلاديمير ميتشيار"، و"ميكولاش دزوريندا"، و"روبرت فيتسو"، و"إيفان جشباروفيتش"، و"يوحنا بولس الثاني"، كلهم استمدوا سلطتهم من الله، وما زالوا. إنهم وغيرهم من الحكام والملوك مسيحيون (أو كانوا كذلك)، وبصفتهم مسيحيين فإنهم أصدقاء الرب. هذا ما يؤكده مؤسس المسيحية، القديس بولس في رسالته الإنجيلية للرومان:

"عَلَى كُلِّ نَفْسٍ أَنْ تَخْضَعَ لِلسُّلْطَاتِ الْحَاكِمَةِ. فَلاَ سُلْطَةَ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَالسُّلْطَاتُ الْقَائِمَةُ مُرَتَّبَةٌ مِنْ قِبَلِ اللهِ. حَتَّى إِنَّ مَنْ يُقَاوِمُ السُّلْطَةَ، يُقَاوِمُ تَرْتِيبَ اللهِ، وَالْمُقَاوِمُونَ سَيَجْلِبُونَ الْعِقَابَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ. فَإِنَّ الْحُكَّامَ لاَ يَخَافُهُمْ مَنْ يَفْعَلُ الصَّلاَحَ بَلْ مَنْ يَفْعَلُ الشَّرَّ. أَفَتَرْغَبُ إِذَنْ فِي أَنْ تَكُونَ غَيْرَ خَائِفٍ مِنَ السُّلْطَةِ؟ اعْمَلْ مَا هُوَ صَالِحٌ، فَتَكُونَ مَمْدُوحاً عِنْدَهَا، لأَنَّهَا خَادِمَةُ اللهِ لَكَ لأَجْلِ الْخَيْرِ. أَمَّا إِنْ كُنْتَ تَعْمَلُ الشَّرَّ فَخَفْ، لأَنَّ السُّلْطَةَ لاَ تَحْمِلُ السَّيْفَ عَبَثاً، إِذْ إِنَّهَا خَادِمَةُ اللهِ، وَهِيَ الَّتِي تَنْتَقِمُ لِغَضَبِهِ مِمَّنْ يَفْعَلُ الشَّرَّ. وَلِذَلِكَ، فَمِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ تَخْضَعُوا، لاَ اتِّقَاءً لِلْغَضَبِ فَقَطْ، بَلْ مُرَاعَاةً لِلضَّمِيرِ أَيْضاً. فَلِهَذَا السَّبَبِ تَدْفَعُونَ الضَّرَائِبَ أَيْضاً، لأَنَّ رِجَالَ السُّلْطَةِ هُمْ خُدَّامٌ لِلهِ يُوَاظِبُونَ عَلَى هَذَا الْعَمَلِ بِعَيْنِهِ".

فلو أراد أحد أن يشكك ولو للحظة في شرعية الأقوياء، فلن ينال من ذلك شيئًا. وكما قال "بولس": إن سلطته مستمدة من الله، وانتهى الأمر. لا يعرف أحد إن كان الله على علم بهذا، لكن من المهم أن يُؤْمِن كل مسيحيّ كاثوليكيّ أن القديس "بولس" يعرف. وواضح من رسالته الإنجيلية أيضًا أننا سننال البركة طالما خضعنا لسلطة الأقوياء وأطعناهم وتوقفنا عن معارضتهم. وبما أن القديس "بولس" قد حدد علاقة الأقوياء والمستضعفين على هذا النحو، فليس أمام المواطن سوى إمكانيتين: إمّا أن يستسلم للأقوياء، أو يصير قويًّا، أو ينضم إليهم على الأقل.

إن السلطة هي قُدرة مجموعة من الأفراد الأعضاء في جماعة للجريمة المنظمة، أو في

اتحـاد متخصـص، أو فـي حـزب سياسـي، علـى فـرض إرادتهـا علـى إرادة مـن يهمهـم الأمـر. فالسـلطة فـي حـد ذاتهـا ليسـت ضـارة ولا حتـى خطيـرة طالمـا لـم تتجمـع بقـوة فـي يـد شـخص واحـد، أو مجموعـة مـن الأفـراد. فأسـوأ مـا فـي الأمـر هـو أن تتجمـع سـلطة خـارج السـيطرة فـي يـد شـخص واحـد. فتركيـز السـلطة فـي يـد رجـل واحـد يشـكل خطـرًا كبيـرًا حتـى عليـه هـو شـخصيًّا، فسـتأتي عاجـلًا أم آجـلًا لحظـة يظهـر فيهـا مـن سيسـعى إلـى الحـد مـن هـذه السـلطة.

إن السياسـة صـراع علـى السـلطة. وكلمـة "صـراع" تعطـي انطباعًـا غيـر صحيـح بأنـه صـراع أهلنـا مـع طـرف أجنبـيّ. لكـن أصعـب الصراعـات فـي مجـال السياسـة هـي الصراعـات الداخليـة، حيـث تتزايـد فيهـا المطالـب، ويعتقـد كل فـرد بأنـه قـدم لحزبـه أكثـر مـن غيـره مـن زملائـه. ورغـم أن الصـراع على السـلطة أمـر مقيـت، لا يجـب أن نتخلـى عنـه طالمـا رضـي بـه الجميـع، بمـا فيهـم الخاسـرون.

يـدور الصـراع علـى السـلطة بطريقـة شـريفة وأخـرى غيـر شـريفة. حـاول بعـض الحالميـن أن يتبعـوا الطريقـة الأولـى، ومنهـم المسـيح، والقديـس "بولـس"، و"مـارك أوريليـو"، و"جـان الأركـي"، و"روبيسـبير"، و"شـتافن بيـرج"، و"غانـدي"، و"مارتـن لوثـر كينـج"، وأيضًـا "شـتيفانيك". وماتـوا جميعًـا إمَّـا بالصّلـب، أو فـوق حبـل المشـنقة، أو المقصلـة، أو رميًـا بالرصـاص، أو بسـبب عطـل فـي محـرك السـيارة، أو لقـوا حتفهـم بطريقـة غيـر طبيعيـة. وبمـا أن الوسـائل الشـريفة للصـراع علـى السـلطة نـادرة نُـدْرة دب الهيمالايـا فـي جبـال كرباتيـا العليـا، فـلا داعـي للحديـث عـن هـذه النظريـة المجـردة. تتعـدد الطـرق التـي تـؤدي إلـى اعتـلاء السـلطة. الـزواج بهـا هـو أفضـل وأكثـر جمـالًا مـن الصـراع عليهـا. ليـس بالطبـع الـزواج برئيسـة ورشـة لإصـلاح السـيارات، أو بطبـاخ الملـك، بـل بالملـك نفسـه، أو الأميـر، أو الأميـرة، أو أرملـة الملـك، أو فـي أسـوأ الأحـوال بابنـة الرئيـس أو رئيـس الـوزراء. أنـا أضمـن لـكَ أنـك لـو لـم تحصـل بهـذه الطريقـة علـى السـلطة فعلـى الأقـل سـترثها بـكل سـهولة.

أفضـل طـرق الوصـول إلـى السـلطة تتـم فـي بعـض البلـدان الإفريقيـة التـي تحكمهـا نظـم ديكتاتوريـة، وأيضًـا فـي كوريـا الشـمالية. فيهـا يكـون قَـدَر الإنسـان أن يصبـح أقـوى رجـل فـي البـلاد بفضـل والـده الـذي اعتلـى سُـدَّة الحكـم. فدائمًـا مـا يكـون فيهـا مَـن هـو مُتأهّـب لمـلء الفـراغ بعـد مـوت أبيـه. يهتـزّ وضـع الأسـرة فقـط عندمـا يشـيب أعضاؤهـا، وتقـوى شـوكة جنـرالات الجيـش والشـرطة، فيطمـع شـباب الضبـاط فـي تقلـد مناصـب رؤسـائهم العجائـز الذيـن طالمـا كانـوا علـى صلـة بالديكتاتـور المتوفـى. ومـن أنجـح حـالات تأميـن السـلطة الماديـة هـي أن تصبـح ديكتاتـورًا خالـدًا.

الحفاظ على السلطة

"مِنَ الضَّروريِّ حِمَايَةُ الأَقْوِياءِ وَلَيْسَ الضُّعَفَاء"

فريدريش دورينمات

المواطنـون الشـرفاء لا يُقْبِلُـون علـى السياسـة؛ لأنهـم يسـتطيعون التكسـب مـن شـيء غيرهـا، لذلـك آلـت السياسـة إلـى مـا آلـت إليـه. الاسـتثناء الوحيـد هـو عندمـا يكـون الوطـن مُهـددًا. عندهـا يتراجـع السياسـيون، ويظهـر قـادة حقيقيـون يدافعـون عـن الوطـن. فعندمـا تعرضـت رومـا للخطـر فـي القـرن الخامـس الميـلادي، لـم يرغـب أحـد فـي تحمـل مسـئولية الدولـة، فخاطـب أعضـاء مجلـس الشـيوخ النبيـل "سينسـيناتوس" وطلبـوا منـه أن يقـود البـلاد. كان ذلـك النبيـل يرعـى فـي أرضـه عندمـا جـاءه نصـف مجلـس الشـيوخ بطلبهـم. اغتسـل وانصـرف لتولـي قيـادة الجيـش. هـزم الأعـداء، فسـبَّحوا جميعًـا بحمـده، وألحُّـوا عليـه أن يسـتمر فـي حكـم رومـا. لكـن "سينسـيناتوس" رفـض طلبهـم بـأن يبقـى فـي العمـل السياسـي، وأخبرهـم بأنـه لـم ينتـهِ بعـد مـن فلاحـة أرضـه.

لـم يصبـح "سينسـيناتوس" مثـالًا لأي مـن السياسـيين. بـل كان إمبراطـور اليابـان "هيروهيتـو" الـذي حكـم لمـدة سـبعين عامًـا هـو مثلهـم الأعلـى، أو القيصـر الإثيوبـي الكاثوليكـي "هايـلا سيلاسـي الأول" الـذي ظـل فـي سـدة الحكـم لمـدة خمسـين عامًـا. والمثـل الأعلـى فـي ذلـك هـو الفرنسـي "لويـس الرابـع عشـر"، الـذي ينتمـي إلـى العائلـة البوربونيـة وحكـم لمـدة اثنيـن وسـبعين عامًـا "فقـط"، وكان قـد اعتلـى العـرش الملكـي وهـو فـي الرابعـة مـن عمـره، وهـو رقـم قياسـي عالمـي مقارنـة بــ "هيروهيتـو" الـذي صـار قيصـرًا وهـو فـي الخامسـة والعشـرين. وفـي حالـة "لويـس الرابـع عشـر" فصلتـه أربعـة أعـوام عـن أن يكـون الملـك الـذي لـم يولـد بعـد. ولـم يَقْـوَ "لويـس" الصغيـر، كمـا كان المقربـون منـه يطلقـون عليـه، علـى نطـق حـرف "الـراء"، فسـاعده فـي ذلـك أثنـاء حكمـه الكاردينـال "مازاريـن" الـذي كان الملـك الصغيـر يناديـه باسـم "مازاليـن".

إن الحفـاظ علـى السـلطة يشـبه ركـوب الدراجـة التـي تسـقط مـن عليهـا بمجـرد أن تتوقـف عـن دفـع العجلتيـن. لذلـك كان راكبـو الدراجـات مـن أكثـر الحـكام بقـاءً فـي السـلطة. يتوقـف رجـال

السياسـة عـن "التبديـل" عندمـا تطيـب لهـم الأمـور. ويعتقـدون، تحـت تأثيـر تملـق المحيطيـن بهـم لهـم، بأنـه لا يوجـد مـن يباريهـم، وأن أهليتهـم فـي قيـادة الدولـة، أو أوروبـا أو العالـم، صـارت مطلقـة؛ فتضعـف عزائمهـم وينغمسـون فـي مباهـج السـلطة، وفـي صـراع عليهـا لا يتوقـف. لا يدركـون بـأن هنـاك مقاتليـن جـددًا، فتيـة أكثـر صلفًـا وثقـة، يتربصـون باللحظـة التـي يكـون فيهـا الحاكـم الحالـي فريسـة لقناعتـه بأنـه لا يُقهـر.

يعـرف كل مـن عمـل بالسياسـة قبـل نوفمبـر 1989 أنـه إبـان النظـام الشـمولي لـم يكـن فـي مقـدوره أن يصـوت بحريـة، أو يقـرر فـي شـيء مـن تلقـاء نفسـه. ويعـرف كل مـن عمـل بالسياسـة بعـد نوفمبـر 1989 أنـه لـو أراد أن يبقـى فـي العمـل السياسـي فعليـه ألَّا يُعلـن عـن رأيـه صراحـة فـي المسـائل الهامـة. كل مـن عمـل فـي السياسـة بعـد نوفمبـر 1989 يعـرف هـذا جيّـدًا. لذلـك فالسياسـي المحنّـك هـو مـن لا يجهـد نفسـه فـي التعبيـر عـن رأيـه، ولا حتـى فـي تكويـن رأي مـا.

أفضـل طريقـة للبقـاء فـي السـلطة تكـون علـى طريقـة Divide et impera: فـرِّقْ تَسُـدْ. هـذه الطريقـة يجيدهـا كل حاكـم بقـي فـي السـلطة لمـدة طويلـة. وحسـب رأي خبـراء العلـوم السياسـية فـإن "فلاديميـر ميتشـيار" هـو مـن أشـهر مـن فـرّق بيـن السـلوفاك. وعلـى النقيـض، نجـد أن "يـان سـلوتا" هـو مـن أنجـح مـن وحَّـد بيـن المجرييـن.

"لَوْ قَال لِي أَحَدٌ إِنَّه لَا يُمْكِنُ رِشْوَةُ سِياسِيٍّ بِعَيْنِه، سَأسْأَلُه إِنْ كَانَ قَدْ عَرَضَ عَلَيْهِ المَبْلَغَ المُنَاسِب"

يوسف فوشيه

لا تغادر عارضة الأزياء العالمية "ليندا إيفانجليستا" سريرها ما لم تحصل يوميًّا على عشرة آلاف دولار على الأقل. فلو أردت أن تنهض من سريركَ فلا تتخذ "ليندا إيفانجيليستا" مثالًا. أفادت إحصائيات الدورية الأمريكية "فوربس" بأن ليندا تُعدّ واحدة من أغنى أغنياء العالم.

تظهر في قوائم هذه الدورية بصورة منتظمة مثلها مثل لاعب الجولف "تايجر وودز" الذي يجني سنويًّا سبعين مليون دولار. ولو أخذت في الاعتبار أن متوسط دخل خُمس سكان العالم هو دولار واحد فإن "تايجر وودز" بإمكانه أن يعول بدخله هذا 220 ألف شخص. ورغم أنني لم أظهر في مجلة "فوربِس" فهذا لا يعني أني لم أذهب إلى عملي طيلة حياتي. فرغم أن أحدًا لم ينتبه إلى أنشطتي التي أقوم بها إلا بعد دخولي البرلمان، إلا أنني كنت أمارس عملاً قبلها. ويمكنني أن أؤكد بناء على خبرة شخصية أن أفضل طرق الحصول على المال هو العمل، رغم أنه طريق طويل نسبيًّا، هذا لو أردت أن تتكسب عيشك من عمل شريف. خلاف ذلك يمكنكَ أن تجني الأموال بأربع طرق أخرى وهي: الحظ، والاستدانة، والسرقة، والسياسة. الاعتماد على الحظ في كازينوهات القِمار، أو في مكاتب المراهنات قد يكون مجازفة كبيرة. الاستدانة قد تكون أسرع الطرق للحصول على الأموال، لكن السعادة منها تدوم إلى أن يحين وقت تسديدها. وعندما تحين هذه اللحظة عليكَ أن تحصل على أموال لسداد الديون، وهنا تجد نفسك في النقطة الأولى التي بدأت منها. لكني رغم ذلك أؤكد أنه أفضل لكَ أن تستدين من أن تعطي الآخرين قروضًا. من أكثر الطرق انتشارًا، ويصعب التحقق منها، هو الحصول على الأموال عن طريق السرقة. الغبي اليوم هو من يسرق وعلى وجهه ندبة، ويحمل حقيبة على ظهره. لص كهذا لا يمكن أن يكون لصًّا،

بـل شـخصية خرافيـة. لكـن اللـص الطبيعـي الراقـي هـو مـن يسـرق بحيـث لا يعـرف أحـد أنـه قـد سـرق. ولـو حـدث وانكشـف أمـره لـن يعتبـروه لصًّـا، بـل شـخصًا فاشـلاً.

فـي السياسـة تكـون الأمـوال هـي غايـة الأمـر ومنتهـاه، والنشـاط المفضـل لـدي السياسـيين هـو تقسـيم الأمـوال التـي تأخذهـا الدولـة مـن مواطنيهـا فـي صـورة ضرائـب. والدافـع الرئيسـي للسـعي مـن أجـل العمـل فـي السياسـة هـو إمكانيـة المشـاركة فـي إعـادة توزيـع هـذه الأمـوال.

السياسة ومستوى معيشة المواطنين

"السِيَاسِيُّ رَجُلٌ مُسْتهْتِرٌ، غَيْرُ مَأمُونِ الجَانبِ، ونَاكِثٌ بِعَهْدِهِ، وخَانِعٌ، وجَبَانٌ، يَشْتَهِي السُّلْطَةَ، ومَغْرُور. إِنَّهُ يُمَثِّلُ الأَغْلَبِيَّة"

جابرييل لاوب

غالبًا ما يتهم المواطنون رجال السياسة بأنهم يقبلون على السياسة من أجل الثراء. لا يهتمون إلا بأنفسهم، ولا يتركون للمواطنين فرصة "ليُثروا" هم أيضًا. وهذا ليس حقيقيًّا. تعيين الملياردير "بافل روسكو" في وظيفة وزير الاقتصاد في عام 2004 هو خير دليل على أن الجميع لديهم فرص متساوية للثراء. ونادرًا ما ينتبه أحد إلى أن كل سياسي قبل أن ينخرط في السياسة كان مواطنًا ساخطًا. وبمجرد أن تتاح له الفرصة ويصبح مسئولاً عن سعادة المواطنين يتوقف عن السخط. والسبب الذي يجعل السياسي يتوقف عن توجيه الانتقادات هو أنه لم يعد لديه وقت لهذا؛ لأن عليه أن يسعى بلا توقف من أجل رفع مستوى حياة مواطنين آخرين. هذا الاهتمام الكبير بالمواطن يمكن ملاحظته لو نظرنا إلى السياسيين بنظرة محايدة. وستعرف السياسي على الفور بأنه الرجل الذي دائمًا ما يفعل شيئًا من أجل الشعب.

توصلت الدراسة التي قامت بها كلية العلوم السياسية التابعة لجامعة "چوسيبي تارانتيل" في مدينة ميلانو، والتي نُشرت عام 2005، إلى نتيجة مدهشة، وهي أنه لولا السياسيين لَمَا ارتفع مستوى المعيشة في الدول الأعضاء في منظمة التعاون الاقتصادي والإنماء بصورة أسرع. لكن يجب أخذ هذه النتيجة ببعض التحفظ؛ لأن هذه الدراسة تتعلق بإيطاليا.

تتصارع الأحزاب اليمينية واليسارية في الدول الديموقراطية على خدمة المواطنين، وذلك منذ القرن الثامن عشر، عندما جلس ممثلو النبلاء في البرلمان الفرنسي على يسار رئيسه، وممثلو القوى الديموقراطية على يمينه. من غير المعقول هذا العدد الكبير من السياسيين

الذيـن يتهافتـون فقـط كـي يتمكنـوا مـن خدمـة المواطـن. يسـعى كل إنسـان طبيعـي أن يحكـم، إلا السياسـيين، يريـدون أن يخدمـوا! اللافـت للنظـر أن كل حـزب يؤكـد أن طريقتـه فـي خدمـة المواطنيـن هـي الأكثـر نفعًـا مـن طريقـة الحـزب الآخـر. وقـد اختـرت مـن دراسـة الخبـراء فـي مدينـة ميلانـو بعـض الأمـور الجديـرة بالملاحظـة:

	اليساريون	اليمينيون
الأولويات	دعم الموظفين	دعم أصحاب الأعمال
الدولة	قوية	ضعيفة
المساواة	في النتائج	في الفُرَص
الإنسان	الجماعة	الفرد
الأموال	توزيعها	توفيرها
التقدم	ثوري	تطوري
السوق	سيطرة الدولة	تحرير السوق
الملكية	عامة	خاصة
الاقتصاد	خفض البطالة	خفض العجز

تبـدو التوجهـات مـن الوهلـة الأولـى مختلفـة، وأسـاليبهم فـي تحقيقهـا مختلفـة أيضًـا. يعمـل السياسـيون اليسـاريون المهتمـون بالجانـب الاقتصـادي بنظريـة "كينيـس" التـي تقـول: إن علـى الحكومـة أن تحـارب ارتفـاع البطالـة برفـع مديونيـة الدولـة. فـي حيـن يعمـل الساسـة الاقتصاديـون اليمينيـون بنظريـة "فريدمـان" الـذي يوصـي الحكومـات بخفـض مديونيـة الدولـة مـن خـلال رفـع مسـتوى البطالـة. بعـض الساسـة الاقتصادييـن يؤمـن جزئيًّـا بنظريـة "فريدمـان"، والبعـض الآخـر يتبنـى نظريـة "كينيـس". فكانـت محصلـة أنشـطة رجـال السياسـة الاقتصادييـن هـي زيـادة مديونيـة الدولـة، ورفـع معـدل البطالـة. العجيـب فـي الأمـر أنـه علـى الرغـم مـن ذلـك فقـد ارتفـع مسـتوى المعيشـة فـي الـدول الديموقراطيـة، أي الـدول التـي يتبـادل فيهـا اليمينيـون واليسـاريون الحكـم. لكـنْ هنـاك دول مثـل ألمانيـا أو النمسـا مـا زال السياسـيون فيهـا عاجزيـن عـن الاتفـاق علـى أفضـل الطـرق لرفـع مسـتوى المعيشـة؛ لذلـك تشـارك كل مـن اليمينييـن واليسـاريين فـي الحكـم.

السياسة ومستوى معيشة رجل السياسة

"لَنْ تَعْرِفَ كُلَّ مَا يَخْتَبِئُ فِي نَفْسِكَ قَبْلَ أنْ تَصِلَ إِلَى السُّلْطَة"

أو. فلاك

لا يختلـف مسـتوى معيشـة السياسـيين كونهـم مـن اليسـار الاشـتراكي أو مـن اليميـن المحافـظ، لكـن يختلـف بنـاءً علـى كونـه كان ثريًّـا قبـل دخولـه عالـم السياسـة أم بعـد ذلـك. فالاشـتراكي الـذي أثـرى مـن وجـوده بالسياسـة يصبـح مـن المحافظيـن، أمـا لـو كان ذلـك السياسـي الاشـتراكي غنيًّـا عنـد دخولـه السياسـة فهـو مـن المحافظيـن حتـى وإن كان عضـوًا فـي حـزب اشـتراكيّ. لكـن السياسـي الـذي كان فقيـرًا قبـل عملـه بالسياسـة وبعـد خروجـه منهـا، فهـو ليـس مـن الاشـتراكيين ولا مـن المحافظيـن، بـل مـن الأغبيـاء.

أيضًـا فـي السياسـة، يتوقـف مسـتوى معيشـة الإنسـان- السياسـي علـى قـدر عملـه، تمامًـا كمـا يحـدث فـي الحيـاة العاديـة. لكـن السياسـي يعمـل بـلا توقـف؛ لذلـك فـإن مسـتوى معيشـته مرتفـع. فهـو يناقـش، ويتـردد علـى محطـات التليفزيـون، ويقـص الأشـرطة عنـد افتتـاح قطاعـات جديـدة على الطـرق السـريعة، أو فـي المسـارح الحكوميـة، ويـزور ضحايـا الحرائـق فـي المستشـفيات، ويسـلم جوائـز الدولـة، ويسـافر إلـى دول العالـم. إنـه ببسـاطة يعمـل كـ"الرَّهَـوان". ويمكـن للمواطنيـن أن يتأكـدوا مـن ذلـك، لأن السياسـي يجتهـد فـي عملـه فـي حضـور كاميـرات التليفزيـون وكاميـرات المصوريـن. ويحـدث أحيانًـا أن يقـول الإعـلام إن السياسـي كان يعمـل بعيـدًا عـن أعيـن الصحافـة. لكـن مـن سـيصدقهم؟!

يسـتحق الأمـر أن تصبـح سياسـيًّا. فـكل نائـب بالبرلمـان فـي سـلوفاكيا (علـى جميـع المسـتويات) لديـه 5,2 ناخـب، وهـو دليـل علـى مـا يتمتـع بـه اقتصادنـا مـن قـوة غيـر عاديـة، حيـث إن كل خمسـة مواطنيـن يعولـون نائبًـا واحـدًا بالبرلمـان.

إن مسـتوى معيشـة رجـل السياسـة يتوقـف علـى مصـادر دخلـه. يحصـل النائـب العـادي علـى 12 ألفًـا و116 يـورو شـهريًّا، ويصـل مرتـب رئيـس البرلمـان إلـى حوالـي 15 ألفًـا و460 يـورو.

هـذا فضـلاً عـن خدمـة البريـد المجانيـة، والانتقـال مـن محـل إقامتـه إلـى العاصمـة، ومرتبـات مسـاعديه. مرتـب رئيـس الجمهوريـة يصـل إلـى 77 ألفًـا و330 يـورو شـهريًّا، إضافـة إلـى بـدلات سـفر، وبـدل تمثيـل فـي حـدود 8 آلاف و290 يـورو، ومصاريـف شـخصية فـي حـدود ثلاثـة آلاف و982 يـورو، كـي لا يعانـي مـن نقـص فـي الأمـوال. إنهـا مرتبـات رئيـس الولايـات المتحـدة الأمريكيـة وأعضـاء الكونجـرس. أمـا مرتباتهـم فـي ألمانيـا، وإيطاليـا، وإسـبانيا، وهولنـدا فهـي أكثـر مـن ذلـك.

حـدد "روبـرت فيتسـو" رئيـس أقـوى حـزب معـارض قبـل انتخابـات عـام 2006، سـعر كل نائـب بالبرلمـان بخمسـة عشـر مليونًـا. أنـا علـى قناعـة قويـة بـأن البرلمـان السـلوفاكي لـو دفـع للنـواب هـذه المبالـغ لتركـوا جميعًـا البرلمـان، وتركـوا أماكنهـم لبُدلائهـم، فلـو أنـه دفـع لـكل منهـم خمسـة عشـر مليونًـا لجنَّـب الدولـة بذلـك كثيـرًا مـن الخسـائر التـي قـد يسـببونها لـو بقـوا فـي أماكنهـم.

"إِنَّ السِّيَاسَةَ الصَّغِيرَةَ مِثْلُ التَّبَوُّلِ عِنْدَ الرِّجَال. لا تَحْتَاجُ لَهُ سِوَى يَدَيْكَ وعُضْوِكَ"

مؤلف مجهول

السياسة الكبيرة لا يصنعها سوى سياسيين كِبار. وحتى هذا لا يحدث إلا في اللحظات الفارقة. أثناء الحرب العالمية الثانية صنع "شارل ديجول" سياسة كبيرة. ليس فقط لأنه كان سياسيًّا كبيرًا، نفسيًّا وبدنيًّا، بل لأنه كان أيضًا يعيش في لحظات درامية عظيمة. عندما انتهت الحرب العالمية الثانية واصل "ديجول" سياسته العظيمة بعض الوقت، لكن اللحظات صَغُرَت وتضاءلت، وتراجعت معها سياسته.

لكن صغار السياسيين لا يصنعون سوى سياسة صغيرة حتى في أوقات تحتاج إلى سياسة أكبر. الدليل على ذلك هو القائد العسكري لـ"ديجول" الذي ظل لوقت طويل يُضرَب به المثل في السياسة والعسكرية، إنه المارشال "بيتان". لقد عاش نفس الزمن الذي منح كلا الرجلين نفس فرصة السير، إما في طريق سياسة عظيمة، أو سياسة متواضعة. اتخذ ديجول الطريق الأول، و"بيتان" الطريق الثاني فانتهى به الأمر خائنًا وعميلًا، ولم يحميه من الإعدام إلا عفو "ديجول" عنه. لكن "ديجول"، رغم شخصيته العظيمة، لم يَقْوَ على القضية الجزائرية، ولا على الاضطرابات الطلابية، واضطر إلى ترك منصبه.

إن السياسيين الكبار في تاريخ الإنسانية نادرون ندرة السلام العالمي. وإنْ تخيَّلَ البعض أحيانًا أن هذا أو ذاك يمكنه أن يصبح سياسيًّا عظيمًا، أي إنسانًا محبًّا للحقيقة، فعاجلًا أو آجلًا سوف يتأقلم مع البيئة المحيطة به، وسيتحول إلى سياسي عاديّ، أو يغادر مجال العمل السياسي بعد أن يتأكد من أنه لا يحب الحقيقة.

من الشروط الهامة لكي يصبح الإنسان سياسيًّا ذا شأن، أن يكون من أصحاب الأملاك، ليس بالضرورة أن أتكون أملاكًا كبيرة، يكفي أن تكون أملاكًا قابلة للتنمية، فرغبة السياسيّ في تنمية أملاكه تعد حقيقة هامة للغاية، بها فقط يمكن أن ينتبه إليه أحد الرعاة، ويساعده في الدخول إلى عالم السياسة. وعندما يستقر به المقام تصير لديه إمكانية العمل على

تنميـه نفسـه أو أملاكـه. وبمـا أن الإنسـان لا يمكنـه أن يخـدم سـيدين فـي وقـت واحـد، فسـوف يقـرر أن يجتهـد فـي تعظيـم أملاكـه، وبعـد أن يطـردوه مـن العمـل السياسـي سـيكون لديـه وقـت لتنميـه نفسـه.

أتسـاءل إن كان الأمـر يسـتحق أن أكتـب عـن السياسـة الصغـرى، وكأن المشـاكل التـي تسـببها السياسـة الكبـرى لا تكفينـا. يفهـم النـاس، لحسـن الحـظ، مـن كلمـة "السياسـة الصغـرى" أنهـا السياسـة التـي تتعلـق بالمحليـات، وليسـت سياسـة صغـار المشـتغلين بهـا. يبـدو الأمـر أحيانًـا أن السياسـة المحليـة هـي تلـك السياسـة التـي تهـم المواطنيـن أكثـر مـن غيرهـا. فعندمـا تشـارك في أي حفـل سـلوفاكي سـتعرف أن رئيـس الـوزراء والحكومـة والنـواب يتعرضـون لتوبيـخ أكثـر مـن عمـدة مدينتهـم. هـذه الظاهـرة اللافتـة للنظـر لهـا تفسـير بسـيط، سـأطلق عليـه "ظاهـرة سـلوفاكية". لقـد اعتدنـا أن ننتقـد كل مـن غـاب، ونحـن علـى ثقـة مـن أنـه لـن يظهـر فجـأة. أمّـا العمـدة فيمكـن أن يظهـر فـي الحانـة فـي أي وقـت، وهـذا أمـر وارد فـي كل قريـة. لـو حـدث وجلـس فيهـا طـوال الوقـت فالأمـر واضـح بالطبـع. ولـن يغامـر المواطنـون باحتماليـة أن يعلـم العمـدة بمـن يجاهـره بالعـداء. غيـر أن المواطنيـن ينتقـدون رئيـس الـوزراء أو السـيد الوزيـر وهـم علـى ثقـة مـن أن رئيـس الـوزراء أو الوزيـر لـن يعـرف بمـا يقولـوه.

إن سياسـة المحليـات تسـير فـي ظـل السياسـة الكبـرى علـى نحـو غيـر عـادل. لكـن الحقيقـة هـي أن النـاس يحبـون الفضائـح والنـوادر المتعلقـة بكبـار السياسـيين، كمـا أن الإعـلام لا يتحـدث عـن فضائـح ونـوادر السياسـيين الذيـن يعملـون فـي المحليـات. بالطبـع، يشـعر رجـال السياسـة فـي المحليـات بالغبـن لأنهـم هـم أيضًـا يحبـون أن يظهـروا فـي الصحافـة كالمشـاهير، وهـم يرافقـون عشـيقاتهم، أو الرعـاة الذيـن يدعمونهـم. يشـعرون بالجـور أيضًـا لأن المـوارد التـي تحصـل عليهـا المحليـات وتذهـب إلـى خزانـة الأحـزاب لهـا نفـس أهميـة المـوارد التـي يتـم الحصـول عليهـا علـى المسـتوى المركـزي. أراضـي البنـاء، وتراخيـص مواقـف السـيارات، أو تصاريـح البنـاء، كلهـا لا تمنحهـا الحكومـة، بـل الإدارات المحليـة التابعـة للمدينـة أو القريـة. لا أعـرف ماهيـة التراخيـص التـي تُمنـح للوحـدات الإداريـة الأعلـى، لكنهـا موجـودة بالتأكيـد، وإلا لـكان هنـاك خلـل مـا.

سياسة دون المستوى

"بَعْضُ السِّياسِيين صِغَارٌ إِلَى دَرَجَة أنّهُم آخِرُ مَنْ يَعْلَم أنَّ الأمْطَار بَدَأت فِي السّقوُط"

مؤلف مجهول

إن أدنى مستويات السياسة هي السياسة دون المستوى. وهذا التقييم يُطلق على السياسة التي تصنع في "بئر السلم". وكل سياسة هي في الواقع، من منظور ما، دون المستوى. فلو نظرْتَ إلى سياسة النظم الشمولية من وجهة نظر عضو في الحزب الديموقراطي، تجد أنها وضيعة، ودون المستوى. ولو كان لديك ساعة واحدة، وقام أحد قيادات الحزب بضبط الوقت فلن تعرف عندها التوقيت الحقيقي، وعليكَ أن تعالج الأمر، إما بأن تتأقلم معه، أو تحاول أن تهرب إلى مكان تجد فيه المزيد من الساعات. لديكَ في النظم الديموقراطية الكثير من الساعات. لكنكَ لن تسعى إليها إلا عندما تتأكد أن كل واحدة منها تشير إلى توقيت مختلف. ستشعر بالسعادة بأن لديكَ ساعات كثيرة، لكنها بلا جدوى، حيث إنك لا تعرف ما هو التوقيت الحقيقي.

دعنا نعود مرة أخرى إلى السياسة دون المستوى. تختلف تقاطعات الطرق التي تسمى بتقاطعات دون المستوى، عن السياسة في أنها تقاطعات ضروريّة. فهي تُسرّع حركة المرور. أما السياسة دون المستوى فهي تبعث البهجة في حركة المرور السياسية. قام "بافل. ر" رئيس أحد الأحزاب بتصوير زميلة له على شريط فيديو يومًا ما. كان الرأي العام سيغفر له فعلته لو أنه صورها وهي تستحم، أو تمارس الجنس، لكنه صورها وهي تتحدث معه، وهذا ما لم يقبله الرأي العام. وصار من الطبيعي تقريبًا أن تصور اليوم امرأة أثناء ممارستها الجنس، أما تصويرها أثناء حديث معه فهو دون المستوى. لكن ما زاد الطين بلة هو عندما اتضح أن "بافل ر." صور فضلاً عن زميلته زميلاً له أيضًا. أعتقد أنه بذلك لم يدخل السرور بفعلته على نسبة الأربعة في المائة، وهي نسبة الأقلية الشاذة جنسيًّا، ولو كان فعل لحصل حزبه في الانتخابات التالية على أصوات الأربعة في المائة، وهو ما لم يحدث.

السياسة العالمية

"الوِلَايَاتُ المُتَّحِدَةُ الأَمْرِيكِيَّةُ مُنْخَرِطَةٌ بِشِدَّةٍ فِي أُمُورِ العَالَمِ؛ لأنَّ الأمْرِيكِيِّينَ لَا يُحِبُّون رُؤْيَةَ السِّياسِيينَ عِنْدَهُم وَهُم يَحْكُمُونَهُم في الدَّاخِلِ"

مؤلف مجهول

السياسـة العالميـة يمارسـها سياسـيون عالميـون. إنهـم كل سياسـيّي العالـم باسـتثناء رجال السياسـة عندنـا. لكـن لا يجـب أن يحـزن سياسـيونا لذلـك؛ لأنهـم بالنسـبة للآخريـن سياسـيون عالميـون. لذلـك لا يوجـد سياسـيون محليـون وسياسـيون عالميـون، فهـم جميعًـا عالميـون. ومـن أكثـر رجـال السياسـة عالميـة هـم مـن دخلـوا التاريـخ، ولا يدخـل السياسـيُّ التاريـخَ إلا بعـد موتـه بقليـل.

إن السياسـة العالميـة تُصنَـع فـي العالـم، والسياسـة المحليـة تُصنـع فـي الداخـل. ودائمًـا مـا يكـون الكحـول المَحلـي أفضـل مـن المسـتورد أيًّـا كان مصـدره. لـم يـدرس خبـراء العلـوم السياسـية بعـدُ شـكلَ السياسـة العالميـة لـو صنعهـا السـلوفاك. كذلـك لـم يبحثـوا فـي حـال السـلوفاك عندمـا يقومـون بصناعـة السياسـة الدوليـة. لا أتخيـل مـا سـنفعله لـو قُـدِّر لنـا أن نصبـح قـوة عالميـة عظمى. إن القـوى العظمـى هـي التـي تصنـع السياسـة الدوليـة، والآخـرون سـعداء بأنهـم ليسـوا مضطريـن إلـى ذلـك. أعتقـد جازمًـا أنـه لا توجـد قـوة مـن شـأنها إجبـار حكومـة سـلوفاكية واحـدة علـى أن تصنـع السياسـة الدوليـة، فهـذا يتطلـب السـير علـى خُطـى القـوى العظمـى الأخـرى، فعلينـا مثـلًا أن نُكـوِّن جيشًـا قوامـه أربعـة ملاييـن جنـدي، وأن نرسـل السـفن الطائـرة إلـى العـراق وأفغانسـتان، وأن يكـون الناتـج المحلـي عشـرة آلاف مليـار دولار، وأن يكـون لدينـا فـي السـجون 1012851 سـجينًا، و17,7 مليـون مدمـن علـى الكحـول، و5, 9 مليـون مدمـن علـى المخـدرات، وأن ننفـق علـى التسـليح 400 مليـار دولار سـنويًّا، وأن نحمـي مصالـح سـلوفاكيا خـارج حدودنـا.

ورغـم أن مسـاحتنا لا تقـارن بمسـاحة روسـيا، ولا يمكـن مقارنـة عـدد السـكان عندنـا بعـدد سـكان الصيـن، وليـس لدينـا هـذا العـدد مـن الجنـود، والسـجناء، ومدمنـي الخمـور والمخـدرات،

ولا ناتج محلي مثل الولايات المتحدة، لكننا نُحسَب على القوى العظمى في مجالات أخرى. ولا يمكن أن يشكك أحد في أننا نحتل المرتبة الأولى بنصيب الفرد في إنتاج جبن الأغنام. كذلك لا يمكن أن يشكك أحد في تصدرنا أكبر نصيب للمواطن في المياه المعدنية.

قليل من يعرف أننا نحتل المرتبة الحادية عشر على مستوى العالم في عدد السيارات التي تسير على مساحة كيلومتر واحد فوق شبكة الطرق، وهو 74 سيارة. لقد تفوقنا على ألمانيا التي لديها 66 سيارة، واليابان 60 سيارة، والولايات المتحدة الأمريكية 32، وجاءت التشيك في المركز الـ 43 بعدد 30 سيارة. لكن هذه الإحصائيات غامضة، لأنها لم تذكر إن كان ذلك بسبب زيادة عدد السيارات، أم لقلة الطرق. فالتشيك احتلوا المرتبة الثالثة والثلاثين من حيث طول شبكة الطرق، الذي يبلغ 130 ألف كيلومتر، وجاء الألمان في المركز التاسع بـ 656074 كيلومترًا، والولايات المتحدة في المركز الأول بطرق طولها 6307584 كيلومترًا. غير أن سلوفاكيا جاءت في المركز العاشر عالميًّا من حيث عدد من يلقى حتفه في كل 100 متر من إجمالي عدد الكيلومترات التي يقطعها. وقد بلغ عدد ضحايا الطرق في ذلك التصنيف ستة قتلى، وقد سبقنا التشيك بقتيل واحد. أذكر هنا أيضًا المجر التي يسقط فيها ثلاثة ضحايا، وذلك كي أضر بعلاقات حسن الجوار. ومن أجل أن تكتمل الصورة أضيف أن الهند جاءت في المركز الثاني في هذه الإحصائية على مستوى العالم، حيث بلغ عدد الضحايا 65، ومالاوي في المركز الأول بعدد بلغ 1117 قتيلاً. ربما يعود السبب في ذلك إلى أن كل السيارات في مالاوي تتحرك في حيز مئة متر مع كل مواطني هذه الدولة.

لكن التشيك، على عكس نتيجة عدد الوفيات على الطرق عندنا، تغلبوا علينا في إحصائية شرب البيرة والكحول. فقد جئنا في المرتبة التاسعة من حيث استهلاك الفرد الواحد للبيرة، وتصدرت التشيك القائمة (لكن ما يسعدنا على الأقل هو أن المجريين احتلوا المرتبة السادسة عشرة). وانتهى بنا الحال في المرتبة الخامسة عشرة من حيث شرب الخمور، أما التشيك فاحتلوا المرتبة السادسة. ولم يكن احتلال المجر المرتبة الرابعة من دواعي سرورنا.

كانت نتيجة نسبة استهلاك الفرد الواحد للنبيذ فاجعة؛ فقد احتلت المجر المركز الثاني عشر، والتشيك المركز العشرين، ولم نظهر نحن السلوفاك ضمن العشرين الأوائل! التفسير الوحيد لهذه النتيجة هو أنهم أضافوا المجريين الذي يشربون النبيذ في سلوفاكيا إلى عدد

الشاربين له في المجر.

وبلغنا نتائج ضعيفة في عدد السرقات للفرد الواحد، فلم نظهر ضمن العشرة الأوائل على مستوى العالم، في حين جاءت المجر في المركز السابع عشر، وكذلك احتل التشيك المركز الثالث في نسبة المساجين مقارنة بعدد السكان (!) بعد رومانيا والولايات المتحدة. وجاءت المجر في المركز السابع، ومن جديد لم يحالفنا الحظ في الظهور بين العشرين الأوائل.

وكان المركز الثالث عشر من نصيبنا في نسبة عدد المدخنين من إجمالي عدد السكان، لكن التشيك أفسدوا علينا فرحتنا من جديد واحتلوا المركز السادس، والمجريون المركز السابع.

لم نظهر ضمن الأوائل على مستوى العالم حتى في نسبة الأمهات تحت سن العشرين، ففي الولايات المتحدة يوجد اثنان وعشرون في المئة من الأطفال يولدون لأمهات في سن بين الخامسة عشرة والتاسعة عشرة.

ورسبنا تمامًا في نسبة حالات الإعدام، لأن واحدًا وثمانين في المئة من حالات الإعدام تجرى في الصين وإيران والولايات المتحدة الأمريكية. والمسئول عن هذا المركز المتواضع هم المشرعون، لأنهم ألغوا عقوبة الإعدام. يمكن أن نصلح الأمر بفضل مشاركة الحزب الوطني السلوفاكي في الحكومة، على الأقل فيما يتعلق برأينا في المثلية الجنسية، ونحقق من خلال هذا مركزًا متقدمًا على مستوى العالم وننضم إلى موريتانيا، والسودان، وأفغانستان، وإيران، والمملكة العربية السعودية، حيث يتم معاقبة المثليين هناك بإعدامهم.

لو أخذنا في الاعتبار أن سلوفاكيا صارت دولة مستقلة منذ عام 1993 فقط، نجد أننا حققنا في مجال الموسيقى على مستوى العالم نجاحًا مذهلًا. فعلى الرغم من بعض النقص البسيط فإننا دولة يمكن أن يحسدها غالبية العالم، فنحن نُعَدّ ضمن الدول المحظوظة التي لا تمتلك احتياطيًّا نفطيًّا؛ لذلك لا داعي للخوف من أن الاحتياطيّ قد ينفذ عام 2040، كما أننا لا نتعرض للبقع النفطية، ولا تهددنا حرب على النفط كتلك المستعرة في ثلث دول العالم. لسنا ضمن نسبة الواحد والسبعين من سكان العالم التي لم تستخدم الهاتف مرة واحدة في حياتها، كما أن اللغة السلوفاكية ما زالت تُستخدم، رغم أن عشر لغات تختفي من العالم سنويًّا. خمسة ملايين سلوفاكيّ لا يُحسَبون ضمن سبعة وعشرين مليونًا يعملون

كعبيـد، ولا ضمـن السـبعين مليـون أمريكيًّـا الذيـن يؤمنـون بـأن الكائنـات الفضائيـة تعيـش بيننـا. نحـن إذن دولـة مثاليـة لصناعـة السياسـة الدوليـة، وحـان الوقـت كـي نبـدأ.

كان الاتحـاد السـوفيتي السـابق يمتلـك 600 ألـف جنـدي موزعيـن فـي قواعـده العسـكرية فـي العالـم. الولايـات المتحـدة لديهـا أكثـر مـن نصـف مليـون. وهنـاك سـبع وعشـرون دولـة تمتلـك خـارج أراضيهـا أكثـر مـن 400 ألـف جنـدي موزعـة فيهـا بشـكل دائـم. مـا الـذي يمنعنـا مـن أن نرسـل جنودنـا إلـى أي بلـد نريـده؟ إن بضـع مئـات مـن الجنـود الذيـن يشـكلون جيشـنا يعـد رقمًـا مضحـكًا فـي جميـع الأحـوال. اسـتطاع الألمـان حمايـة "مجالهـم الحيـويّ"، لـدى الأمريـكان عقيـدة "مونـرو" التـي تُملـي عليهـم حمايـة مناطـق نفوذهـم، والاتحـاد السـوفيتي كان لديـه عقيـدة "بريجنيـف" التـي تحـدد مجـال الاتحـاد السـوفيتي الاسـتراتيجي. احتـل نابليـون الفرنسـي نصـف أوربـا. كان لـدى كل مـن بريطانيـا، وفرنسـا، وإسـبانيا، والبرتغـال، وحتـى بلجيـكا مسـتعمرات. جمهوريـة جنـوب إفريقيـا سـمحت لنفسـها بالتدخـل فـي ناميبيـا، إسـرائيل وسـوريا فعَـلاَ نفـس الشـيء فـي لبنـان، والأتـراك فـي قبـرص، والمغـرب فـي الصحـراء الغربيـة، وأمريـكا فـي فيتنـام، وفيتنـام فـي كمبوديـا، وكوبـا فـي أنجـولا، وإثيوبيـا، وبريطانيـا فـي جبـل طـارق، الولايـات المتحـدة فـي جوانتانامـو. لمـاذا لا يمكـن أن تظهـر سـلوفاكيا إلـى العالـم هـي الأخـرى؟ لقـد تنبـت حكومـة "روبـرت فيتسـو" هـذه الأفـكار، وأعلنـت أمـام العالـم أنهـا سترسـل فرقـة مـن مهندسـيها إلـى أفغانسـتان. لكنهـا للأسـف أفسـدت هـذه الخطـوة التـي تدفعهـا إلـى قيـادة العالـم بقرارهـا أن تسـحب نفـس الفرقـة مـن العـراق.

لـو لـم نسـتطع أن نصبـح قـوة عالميـة عظمـى من خـلال إرسـال جنودنـا خـارج حـدود الجمهورية، أقتـرح أن نشـرع فـي التجـارب النوويـة، ومـع اقتـراب موعـد الانتخابـات التاليـة نكـون قـد صنعنـا قنبلـة نوويـة. وطالمـا اسـتطاعت كوريـا الشـمالية أن تفعـل ذلـك وعـدد سـكانها لا يتجـاوز اثنيـن وعشـرين مليونًـا، فلمـاذا لا نفعـل نحـن أيضًـا؟ أتعجـب مـن أن الحـزب الوطنـي السـلوفاكي لـم يضـع هدفًـا كهـذا ضمـن برنامجـه الانتخابـيّ.

الطريق إلى السياسة

"السِّيَاسِيُّ الحَقِيقِيُّ يُفَكِّرُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ قَبْلَ أَنْ يَصْمِتَ"

ونستون تشرشل

هنـاك العديـد مـن الوسـائل التـي تقـودكَ إلـى عالـم السياسـة، والوسـائل التاليـة هـي أكثرهـا شـيوعًا واسـتخدامًا:

1. أن تمتلك أموالًا، فتؤسس حزبًا سياسيًّا خاصًّا بك.

2. ألّا تمتلك أموالًا فتُفكّك حزبًا قائمًا.

3. ألّا تمتلك أموالًا فتدخل في حزب قائم وتدفع بنفسكَ إلى منصب الرئيس.

4. أن تدخـل إلـى حـزب قائـم وتتصـرف مثـل الأطفـال، وبعـد أن تتأكـد مـن قدرتـك علـى الـكلام، ابْـنِ علـى مهـل سـيرتك المهنيـة إلـى أن تصيـر رئيسًـا، أو إلـى أن يطـردوك مـن الحزب.

5. لـو كان اسـمكَ ملوثًـا لدرجـة أنهـم يرفضـون قبولـك فـي أي حـزب سياسـيّ (بـأن تكـون قاتـلًا محترفًـا، أو ترضـي رغباتـكَ الجنسـية فـي زنـا المحـارم، أو أنـكَ قـد أضرمـت النيـران فـي مبنـى البرلمـان، أو شـوهت سـمعة "شـاتان" أمـام المـلأ أثنـاء الاحتفـال بلقـب بطـل العالـم فـي الهوكي) طالـب باحتجاجـات فـي الشـوارع قـد تـؤدي إلـى ثـورة، ثـم تصـدر الموقـف. ولـو تغلبـت علـى عـدوّك فسـتصبح تلقائيًّـا رئيسًـا للـوزراء، أو رئيسًـا للجمهوريـة، أو ملـكًا، أو حتـى قيصـرًا. ويمكـن أن تكـون كل هـؤلاء فـي آنٍ واحـد؛ لأنـك قائـد الثـورة المنتصـرة. ومثـل هـؤلاء القـادة يمكنهـم أن يفعلـوا كل شـيء.

6. بالعكـس، لـو أن سُـمعتكَ لا تشـوبها شـائبة، ويرحبـون بـك فـي كل الأحـزاب السياسـية، فهـذا وضـع مفيـد. وفـي هـذه الحالـة يجـب عليـك أن تفـاوض بـكل ثقـة. العنصـر الأساسـي الـذي يرفـع مـن أسـهمك هـو أنـك بعـد دخولـك إلـى عالـم السياسـة سـوف تُفسـد كل مـا حققتـه مـن نجاحـات، ومـا بنيتـه مـن سـمعة طيبـة. إضافـة إلـى ذلـك، يجـب أن تعـرف أنهـم لا يأخذونـك

علـى محمـل الجِـدّ، وليسـوا فـي حاجـة إليـك شـخصيًّا، بـل يطمعـون فـي اسـمك الـذي يُعلـي مـن أسـهم قائمتهـم الانتخابيـة. أنـت تعـرف هـذا أيضًـا. لكنهـم، وأنـت معهـم، سـيتظاهرون أن هدفكـم هـو سـعادة المواطـن.

7. أنـت فـي عالـم السياسـة، لكـن حزبـك لا يحقـق لـك مـا كنـت تصبـو إليـه؛ فعليـك أن تقـرر الالتحـاق بحـزب آخـر تـراه ناجحًـا. مـن الغبـاء أن تنتقـل مـن ائتـلاف حزبـي إلـى حـزب معـارض، لكـن لـو اضطـررت إلـى ذلـك فعليـك الانتقـال مـن حـزب معـارض إلـى ائتـلاف حزبـي.

8. تعـرف شـخصية ذات نفـوذ فـي الحـزب السياسـي الحاكـم، وسـتعيِّنك فـي وظيفـة مرموقـة فيمـا يسـمى بالجهـاز التنفيـذي. الجهـاز التنفيـذي قريـب جـدًّا مـن سـلطة اتخـاذ القـرار التـي تسـمى Execution (وهـي تعنـي الإعـدام أيضًـا) والسـلطة السياسـية التنفيذيـة معرضـة لذلـك. يمكنـك أن تنجـح فـي العمـل بالجهـاز التنفيـذي، وأن تفشـل أيضًـا. سـتبقى ناجحًـا مـا دمـت ماهـرًا إلـى هـذه الدرجـة، طالمـا مـرَّرْتَ كل العقـود الحكوميـة المُربحـة لصالـح شـركته. وإن لـم تفعـل فسـتصبح فاشـلًا، ولا تتوقـع بقـاءك فـي السياسـة طويـلًا.

أُحـذر الأغبيـاء أن يتريثـوا قليـلًا، لأنـه لا فائـدة مـن أن يكـون لديـكَ صديـق صاحـب نفـوذ فـي حـزب معـارض، فهـو لـن يسـتطيع أن يضعـكَ فـي الجهـاز التنفيـذي. إن السـلطة التنفيذيـة مثلهـا مثـل القاطـرة: إنهـا عربـة يجرهـا الحـزب الحاكـم.

الطريـق إلـى عالـم السياسـة غيـر مناسـب لمـن لـه طبيعـة احتجاجيـة، طبائـع كهـذه غالبًـا مـا تتملمـل، ويعتبرهـا رؤسـاء الهيئـات مصـدر خطـورة، ورؤسـاء الهيئـات لا يَأْمَنـون لشـخصية كهـذه قـد توجـه لهـم سـهام نقدهـا، فرؤسـاء الهيئـات الحزبيـة شـديدو الحساسـية تجـاه النقـد، سـواء كانـوا قياديـين حزبييـن فـي نظـام شـموليّ أو ديموقراطـيّ. فعندمـا تنتقـد شـخصيات حزبيـة قياديـة فـي نظـام شـموليّ فسـيتهمونك بأنـك تتمنـى عـودة الديموقراطيـة، وعندمـا تنتقـد قياديـين حزبييـن فـي نظـام ديموقراطـيّ فسـيعتبرونك تدعـو إلـى عـودة النظـام الشـمولي.

تؤكـد "مـاري ولسـتونكرات" فـي كتابهـا Vindication of the rights of Woman (الدفـاع عـن حقـوق المـرأة) الـذي صـدر فـي بريطانيـا عـام 1792، أن النسـاء تتمتـع بنفـس القـدرة العقليـة التـي يتمتـع بهـا الرجـل. وقـد مـر أكثـر مـن مئتـي عـام علـى صـدور هـذا الكتـاب، ورغـم ذلـك فـإن ظهـور النسـاء فـي عالـم السياسـة مـا زال نـادرًا، رغـم أن قدرتهـن علـى فهـم الحقائـق لـم تتغيـر. ويمكـن تفسـير هـذا علـى نحويـن: فليـس صحيحًـا أن النسـاء يتمتعـن بقـدرة علـى فهـم الحقائـق مـن منطلق موضوعـي، فالسياسـة فـي حـد ذاتهـا ليسـت أمـرًا منطقيًّـا. فقـد حققـت المـرأة فـي كل أنحـاء العالـم نجاحًـا فـي التخصصـات الفكريـة، مثـل العلـوم، والتربيـة، والطـب، والأدب، والفنـون، والتغذيـة. كمـا أنهـا قـوَّتْ مـن مكانتهـا ليـس فقـط فـي مراكـز التخسـيس، بـل فـي الجنديـة والفضـاء أيضًـا. ورغـم ذلـك يجـب أن نطـرح بـكل جديـة السـؤال التالـي: أليسـت المشـكلة هـي فـي السياسـة نفسـها لا في النسـاء؟ يفسـر المحللـون السياسـيون غيـاب المـرأة عـن المشـاركة فـي نشـاط فكـري كالسياسـة، بأن السياسـة تعـد نشـاطًا تجريديًّـا يفـوق قـدرة النسـاء علـى القيـام بـه. يُقـال إن المـرأة لا يمكنهـا أن تتخيـل معانـي المصطلحـات، معالجـة قضايـا السياسـة الدوليـة، وقيـادة الحـروب، والقتـل، والمكائـد، والصـراع علـى السـلطة، الائتـلاف والمعارضـة. لقـد تطـورت المـرأة تاريخيًّـا بصفتهـا مخلوقًـا وظيفتـه تأميـن حيـاة جديـدة، والحفـاظ علـى الجنـس، وتربيـة أجيـال جديـدة، وتوزيـع الحـب علـى مـن حولهـا. وظيفتهـا أن تسـهر علـى الأطفـال عندمـا يمرضـون، أن تهتـم بأمـور المنـزل، وتصنـع لزوجهـا أجـواءً تسـاعده فـي عملـه الفكـريّ. كل هـذه أنشـطة ملموسـة تمامًـا. أمـا الرجـل الـذي يعالـج قضايـا السياسـة الدوليـة، أو علـى الأقـل المحليـة يوميًّـا، فليـس لديـه وقـت للاهتمـام بالأمـور التافهـة، فيتركهـا للمـرأة، فبينمـا هـي تنـام بجـوار طفـل مصـاب بحمَّـى، يغـط هـو فـي سـبات عميـق، مرهقًـا مـن حـل مشـكلة الاحتبـاس الحـراري، والحـروب فـي العـراق، وانخفـاض المخـزون العالمي مـن الغاز، وانتشـار مـرض جنـون البقـر، وغيرهـا مـن الأمـور الهامـة. تظـل هـذه الصـورة النمطيـة تعمـل إلـى أن تصـاب المـرأة بمـرض مـا، أو تذهـب إلـى أمهـا، أو تتشـاجر مـع زوجهـا وترفـض القيـام بالأمـور التـي يراهـا "تافهـة". وقتهـا يـدرك الرجـل أن الانتخابـات فـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، أو القبـض علـى "خودوركوفسـكي"، ملـك البتـرول هـي أمـور هامـة، لكـن ليـس إلـى درجـة أن يذهـب إلـى العمـل وهـو يرتـدي ملابـس داخليـة لـم يُغيرهـا منـذ أسـبوع، وقميصًـا مُجعَّـدًا، وجـوارب رائحتهـا كريهـة، جوعـان، ينقصـه الحـب.

لا يحب الرجال أن يعترفوا بذلك، لكن السبب الحقيقي لغياب المرأة عن العمل في السياسة هو أن الرجال ببساطة لا يريدونهم فيها. فلو أن المرأة برزت في مجال السياسة بكل قوتها، فسيكون على الرجال أن يغسلوا ملابسهم الداخلية بأنفسهم، وستقوم نساؤهم بحل قضايا السلام العالمي. إن وجود المرأة في السياسية يُعدّ نعمة كبيرة على الوطن، خاصة على ذلك الجزء منه الذي يتكون من الأقارب المقربين في عائلة السيدات اللواتي يعملن في السياسة. لا يعرف سوى أزواج السيدات اللواتي يعملن في السياسة معنى أن تكون زوجتك في المجلس الأوربي، ومدى السعادة بالحرية التامة على مدى أسبوع. المتضرر الكبير من الأمر هو ذلك الجزء من المواطنين الذي لا تعمل زوجاتهم في السياسة.

الرجل في الأساس شخص لا يعتمد عليه؛ لأنك لن تعرف يومًا إن كان ما يقوله حقيقيًّا أم لا. أما المرأة، فعلى العكس، تضمن لك دائمًا أنها تقول الحقيقة. لقد اعتدنا على أن السياسيين يتحدثون في كل مكان يذهبون إليه، أما النساء فمعروف عنهن الصمت الذي هو من سمات العمل السياسي. كما أن النساء أكثر مهارة من الرجال. فعلى عكس الرجال، يمكنهن أن يتبولن دون الحاجة إلى استخدام أيديهنّ، وهو ما يمكِّنهن من التحدث بالهاتف في نفس الوقت، كما أنهنّ يُجِدْنَ التعلم على نحو أفضل من الرجال؛ لذلك حان الوقت أن تتغير سيطرة الرجال على عالم السياسة.

مشاركة النساء في السياسة ليس أمرًا جديدًا، ففي دول إسكندنافيا تشكل نائبات البرلمان أكثر من ثلثي أعضائه. ورغم أنه لم يشارك في الحكومة السلوفاكية بين عامي 2002–2006 سوى امرأة واحدة، لكن لا داعي لليأس. لقد استطاع المصريون القيام ذلك قبلنا بـ 5500 عام، فقد وصلت أول امرأة إلى السلطة في مصر القديمة في عام 3500 قبل الميلاد عندما حكمت الملكة حتشبسوت. وكما حدث بعد ذلك في سلوفاكيا بعد 5500 عام لم يكن ذلك مقبولاً؛ لأن التقاليد كانت تقول إن كل حاكم مصري يجب أن يكون رجلاً. لكن والد الملكة حتشبسوت لم يكن لديه ولدٌ، فأقبل على تلك المغامرة، وحتى لا تثير حفيظة الشعب قامت حتشبسوت بارتداء زي الرجال، ووضعت لحية مستعارة. (أحيانًا أتشكك في لِحَى رجال السياسة عندنا، وأظن أنهم سيدات في زيّ الرجال. لكنني أتأكد أثناء وجودي في مبولة الرجال من أن ظني كان في غير محله). ارتدت حتشبسوت قناعًا بارعًا، لم يسمح لرعيتها طوال فترة حكمها التي امتدت إلى اثنين وعشرين عامًا بأن يعرفوا أن من يحكمهم امرأة. لكن العديد من الناس كان يتندر على ما حدث؛ لأن فترة الاثنين وعشرين عامًا كانت

من أطول فترات السلم في مصر القديمة.

لا أعتبر حتشبسوت مثالًا يُحتذَى كي لا يشعر السياسيون السلوفاك بتأنيب ضمير، لا قدر الله. إن عدد النساء في الوظائف العامة والخاصة قليل حتى في دول أخرى. ففي عام 1984 كان يعمل في خطوط السكك الحديدية 591 رئيسًا، بيتهم امرأتان يتيمتان، وفي عام 1987 شكلت النساء في بريطانيا نسبة 76 من العاملين في القطاع العام، نسبة أربعة في المئة صحيحة منهن عملن في المناصب القيادية.

دعا القيصر "جوستينيان الثاني" إلى اجتماع للأساقفة في اسطنبول في خريف عام 691، وهدد أثناء الاجتماع كل القساوسة والرهبان بالعزل الكنسي إذا ترددوا على الحمامات أثناء وجود النساء بها. وأجهدت الكنيسة نفسها طوال العصور الوسطى عبثًا بالحرب من أجل تدمير الحمامات العامة. في إيطاليا مع بداية القرن العشرين حظرت الكنيسة على الكاثوليك العمل في الوظائف العامة بسبب احتكاك الرجال المباشر والمتكرر بالنساء، وفي بداية القرن العشرين أيضًا قام بعض الأساقفة الألمان بمنع مسابقات السباحة للفتيات.

يمكن أن يكون انخراط النساء في السياسة خطيرًا أيضًا. من المعروف أن النساء أسقطن الديكتاتور التشيلي "بينوتشيت"، وعارض الرئيس الأمريكي بوش 72 في المئة من نساء أمريكا احتلاله للعراق، كما أن النساء أثبتنَ جدارة في النظم الديكتاتوري، فأثناء الحكم الشيوعي شكل 20 في المئة من النساء البرلمان البولندي. وقد حدَّ الديموقراطيون البولنديون من أنشطتهن وقلصوا من تواجدهن في البرلمان بعد سقوط الشيوعية حتى بلغت نسبتهن 12 في المئة. كذلك "أقحم" الشيوعيون النساء في البرلمان المجري، ووصلت نسبة مشاركتهن به حتى عام 1989 إلى 21 في المئة. لكن في النظام الديموقراطي المجري تضاءل عددهن حتى وصل إلى نسبة سبعة في المئة. كذلك سمح الشيوعيون البلغاريون بنسبة مشاركة للنساء في البرلمان بلغت 21 في المئة، غير الديموقراطيين البلغاريين لم يرضوا بالوضع، وسمحوا لهن فقط بنسبة 5,3 في المئة، فقد انتبه البلغاريون إلى خطورة تواجد النساء في السياسة. أما السلوفاك فقد سقطوا في العار مقارنة بالمجر وبلغاريا، حيث كانت نسبة أعضاء البرلمان الفيدرالي من النساء في عصر الشيوعية 5,29، ولم نَقْوَ على تحمل ضغوطهن، فحصلن خلال الفترة الانتخابية الثالثة على 14,6 في المئة من نسبة المقاعد في المجلس الوطني، وهذا دليل واضح على أن الديموقراطية البرلمانية في سلوفاكيا لديها تحدٍّ كبير.

في الوقت الذي تصدرت النساء قوائم جميع الأحزاب السياسية في انتخابات 2006، كان حزب الديموقراطيين المسيحيين الوحيد الذي أدرك خطورة تواجد النساء في السياسة، فتصدر الرجال المراتب الخمس عشرة الأولى في قائمتهم الحزبية في انتخابات عام 2006. من غير المستبعد أن بعضهم كانوا نساء متنكرات، حلقوا لحاهم وأزالوا شعر الإبط كي لا يخسروا القواعد الانتخابية التقليدية لهذا الحزب، سيدات ريفيات بلحى وبدون. إن الحركة الديموقراطية المسيحية تعد مثالاً لباقي الأحزاب في سلوفاكيا.

ممثلات في السياسة

"لَيْسَتْ كُلُّ مُمْثِّلَةٍ لَامِعَةٍ سِياسِيَّةً لَامِعَة"

المؤلف

لـم يكـن فـي رومـا القديمـة ممثـلات سـيدات، وكان النـاس يُكِنُّـون احترامًـا كبيـرًا للمحاربيـن وليـس للممثليـن، حتـى إن مجلـس الشـيوخ فـي رومـا منـع المواطنيـن الشـرفاء مـن ممارسـة مهنـة التمثيـل. لـم يكـن يعمـل بالتمثيـل سـوى العبيـد، والأجانـب، أو كل مـن كان يقضـي عقوبـة فـي السـجن. ربمـا يعـود السـبب إلـى أن الرومـان لـم يعرفـوا وظيفـة "الدوبليـر". فعندمـا كان دور أحـد الأبطـال الكبـار ينتهـي بالمـوت فـي عـرض مسـرحيّ فـوق حلبـة المـدرج المسـرحي، كان الجمهـور يطالـب بموتـه بالفعـل، أي بمـوت الممثـل، بطـل العـرض المسـرحيّ. كان ذلـك يحـدث غالبًـا عندمـا لا يـؤدي البطـل دوره بإتقـان. وكانـت مهـارة الممثـل تُعْـرَف حسـب درجـة تصفيـق الجمهـور؛ لذلـك كان الممثلـون يتدبـرون الأمـر ويرسـلون مـن يصفـق لهـم وسـط الجماهيـر.

كذلـك اختفـت الممثـلات فـي اليونـان القديمـة، وكان الرجـال يلعبـون أدوار السـيدات. كانـوا يتقنـون القيـام بهـا إلـى درجـة أن كبـار المسـئولين كانـوا يكافئونهـم، ويسـقطون عنهـم الخدمـة العسـكرية الإجباريـة، ويعفونهـم مـن دفـع الضرائـب. لعـب بعـض الرجـال أدوار النسـاء بنجـاح إلـى درجـة أنهـم صـاروا عشـيقات لكبـار رجـال الدولـة. كان الممثلـون منـذ العصـور القديمـة يعملـون فـي خدمـة رجـال الدولـة بشـكل مطلـق تقريبًـا. ولعبـوا الأدوار الكوميديـة بمقابـل مجـزٍ، والبعـض منهـم كان لـه وقتهـا سـلطة نافـذة، منهـم علـى سـبيل المثـال الممثـل، والمطـرب، وعازف الموسـيقى، والشـاعر، والمنشـد "كلاوديـوس دروسـوس جيرمانيسـوس" الـذي عـرف باسـم فنـي وهـو "نيـرو".

وعندمـا أدرك الممثلـون أن العمـل السياسـي أمـر طيـب، بـدءوا يحاولـون الانخـراط فيـه، فهـم مهيئـون للعمـل السياسـي. إنهـم مدربـون علـى تضخيـم المواقـف، ماهـرون فـي الركـوع وفـي التظاهـر بغيـر مـا هـم عليـه بصـورة احترافيـة، ويسـتخدمون مختلـف المسـاحيق كـي يكـون الادعـاء متقنًـا. الممثلـون يدهنـون ويداهنـون، أمـا الممثـلات فيتزيَّـنّ.

مـن أشـهر مـن دخـل إلـى عالـم السياسـة مـن السـيدات فـي منطقـة أوروبـا ممثلـة الدرامـا الرائعـة التـي حاولـت لأسـباب غامضـة أن تقنـع الـرأي العـام بـأن أصولهـا إيطاليـة، وكأن أصلهـا المجـري سُـبَّة فـي جبينهـا. لكـن اسـم تلـك السـيدة التـي بلغـت الخمسـين مـن عمرهـا يكشـف عـن أصلهـا بوضـوح. كانـت معروفـة فـي الأوسـاط الفنيـة علـى أنهـا مجنونـة بعملهـا، تعـرف كل شـيء، وتفهـم فـي كل شـيء. لـم تخجـل مـن حبهـا الشـديد للعلاقـات الجنسـية. يُقـال إنهـا فقـدت عذريتهـا وهـي فـي السادسـة عشـرة مـن عمرهـا. كانـت تظهـر فـي بعـض الأفـلام شـديدة التبـرج، وشـبه عاريـة. كان الشـباب يحبـون ذلـك الأمـر، ويسـتمتعون بمشـاهدتها وهـي علـى تلـك الهيئـة. يقـال إن العلاقـات الجنسـية سـاعدتها حتـى فـي بنـاء سـيرة فنيـة ناجحـة. فعندمـا ظهـرت بثدييهـا العارييـن لأول مـرة علـى شاشـة السـينما، نفـدت كل التذاكـر علـى الفـور. دفعتهـا رغبتهـا المحمومـة فـي النجـاح فـي عملهـا إلـى الطـلاق مـن أول أزواجهـا، وكان هـو الآخـر شـخصية شـهيرة مـن الوسـط الفنـي. وعندمـا أدركـت أنهـا، كممثلـة، لـم تعـد قـادرة علـى أن تلـف الرجـال حـول أصابعهـا كمـا كانـت تفعـل دائمًـا، قـررت أن تشـتغل بالسياسـة، فتمكنـت مـن الحصـول علـى مقعـد فـي البرلمـان. ورغـم أن حزبهـا لـم يتمكـن مـن المشـاركة فـي الائتـلاف الحكومـي إلا أن طموحهـا السياسـي شـق طريقـه. كل مـن يعرفهـا يتوقـع لهـا شـأنًا كبيـرًا فـي العمـل السياسـي، يـكاد كل مـن فـي بلدنـا يعرفهـا، اسـمها "إيلونـا سـتالير"، المعروفـة باسـم "سيسـيولينا".

من البروتوكول إلى الأيديولوجية

"السِّيَاسَةُ لَيْسَتْ للأشْخَاصِ المُحْتَرَمِينَ حَسَنِي التَّرْبِيَة"

أريستوفانيس

كان "فرانسوا ماريا فولتير" من أكثر الشخصيات المثيرة للجدل وسط الفلاسفة. يقول: "من يأكل على طريقة الملوك هو حده من ينال الأوسمة الرفيعة. الآخرون يمكنهم أن يتناولوا عشاهم على طريقتهم، لكنهم لن يجدوا وظيفة". لَسْتَ مضطرًّا أن تكون مهذبًا بطريقة مبالغ فيها، وأن تعتذر مثلاً لشاحنة لوري عندما تصطدم بها، لكن يجب أن تتذكر أن الطرق السيئة تسببت في الكثير من المواقف الخجلة، والأزمات، وأحيانًا الحروب.

يقال إن الدبلوماسيين لديهم أفضل الطرق، لكن الأمر ليس كذلك. أعرف هذا جيدًا بناءً على خبرتي الشخصية. فقد كنت يومًا دبلوماسيًّا. ويُقال أيضًا إن المديرين المرموقين يأتون بعد الدبلوماسيين بأساليبهم الرائعة، وهذا أيضًا ليس صحيحًا. أعرف هذا عن تجربة شخصية، فقد كنت مديرًا مرموقًا. يُقال إن مديري البنوك يجيدون قواعد السلوك الحسن، وهذا منافٍ للحقيقة. أعرفه من خبرتي الشخصية، فقد عملت على مدى عامين تقريبًا في فرع سلوفاكي لأحد البنوك النمساوية الشهيرة.

لو قال لك أحد إن السلوك الجيد يعرفه حتى السياسيون فلا تصدقه. فأنا أعرف هذا من تجربتي الشخصية، فقد كنت سياسيًّا. لقد رأيت السيدة الوزيرة وهي تجلس في منتصف أحد الصفوف الممتلئة في إحدى القاعات الموسيقية تراقبها نظرات زوجها، جلس كلاهما وأعطيا ظهريهما لجمهور الحاضرين، رأيت السيد نائب رئيس البرلمان (برلمان آخر غير برلماننا) وهو يطحن الطعام في فمه بصوت عال، إلى درجة أن الجالسين معه بدءوا في الانصراف من عند الطاولة واحدًا تلو الآخر. رأيت رئيس البرلمان المعروف عنه أنه رجل فرنسي الطابع وأنيق، شاهدته وهو يشعل سيجارة تلو الأخرى على مائدة الطعام مع رئيس دولة أجنبية، وينفضها في طبق الحلوى. صحيح أن الطاولة كانت خالية من طفاية سجائر، لكن من ذا الذي يفكر أن يشعل سيجارة أثناء تناول غيره للطعام، وفي أروقة مبنى مجلس

الشيوخ التاريخية التي تضم مفارش من القرن السادس عشر.

كلمة دبلوماسية تعود إلى الكلمة اليونانية diploun، ومعناها "مستند مطويّ" - شهادة تفيد بدفع الضرائب وغيرها- "Res diplomatica"- شئون دبلوماسية كانت تعني في الأساس إدارة أرشيف المستندات المطوية. تقول المصادر التاريخية إنه في تلك الفترة ظهر ورق التواليت المطوي لأول مرة. وقد يفسر لنا هذا العلاقة الحميمة لبعض الدبلوماسيين بفن الإتيكيت. ليس من السهل أن تجعل أحدهم يجفف مؤخرته بالمناديل الورقية بينما كان يجففها بأوراق النباتات، وبخرقة من الخيش، أو لا ينظفها أساسًا.

كتب "فرانسوا دي جاليرير" في عام 1716 كتابًا بعنوانOn the Manner of Negotation with Princess: قواعد التعامل مع عِلية القوم. وعالج فيه قضية آداب السلوك وقواعد حسن المعاملة. لم يتأثر السلوفاك بعمل كهذا لسبب بسيط: لم يكن لدينا علية القوم. فأسافل القوم لم يستمعوا إلى نصائح تخص علية القوم، وواصلوا زحفهم فوق الأرض.

من الواضح أن طبقة النبلاء لم تكن موجودة حتى في الولايات المتحدة الأمريكية، ولا حتى طبقة النبلاء المتوسطة. فكل إنسان مهذب يعرف أنه عند مد يده للمصافحة عليه أن يخلع القفاز. أتذكر بحسرة زيارة الرئيس جورج بوش وحرمه لورا لسلوفاكيا عندما تصافح سياسيونا مع نظرائهم وهم يرتدون القفاز.

يحدث أحيانًا أن يسب السياسي الناس. طبيعي، فالسياسي في النهاية إنسان، لكن يجب أن يسُبَّ بطريقة رشيقة. فقد كان القيصر الفرنسي نابليون يخاطب وزير خارجيته الأمير "موريس دي تاليران"، وكان وقتها أقوى دبلوماسي في أوروبا مرارًا وتكرارًا بجملة: "أنتِ حُثالة مغلفة بجورب من الحرير". لم يكن نابليون يحب الأيديولوجية التي أتى بها إلى العالم الفيلسوف "دي تيراسي". وطبيعي أنه لم يكن يحب أصحاب الأيديولوجيات أيضًا؛ لذلك كان يمطرهم بالشتائم أينما ذهب. لم يكن يقول: "أنتَ أيها الحثالة"، بل "أنتَ أيها الأيديولوجي". ولم يتغير معنى كلمة "أيديولوجي" كثيرًا منذ عصر نابليون.

الكنيسة في السياسة

"أَنْ تُمَارِسَ الحُكْمَ مَعَ أَعْدَاءٍ شيوُعِيِّينَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أنْ تُمَارِسَهُ مَعَ رِجَالِ دِينٍ أصْدِقَاء"

مؤلف مجهول

"لقد أوكل الله السلطة العلمانية والدينية للكنيسة وممثلها الأعلى- البابا". كلمه جاءت في خطبة كَنَسِيَّة من عام 1302، ألقاها بالطبع البابا، وبالتحديد البابا "بونيفاتس الثامن". انطلق من قرار اتخذه، وأقنع به الله عندما قرر أن كل حاكم يمارس سلطاته فقط بمباركة من البابا. بالطبع لم يعجب هذا الكلام لا الملك ولا أي حاكم آخر، لكن هذا التفضيل الإلهي للبابا أعجب فرانسوا فيليب الطيب، فقرر أن سلطة الملك مستمدة هي الأخرى من الله. انتهى الصراع بين "بونيفاتس" وفيليب بأن أرسل فيليب لصوصًا ليوسعوا البابا ضربًا. لكنهم بالغوا في الأمر حتى لفظ البابا أنفاسه الأخيرة، فانتشر الرعب في أروقة الكنيسة، وعينوا بابا جديدًا اسمه فيليب صديق "كليمنت". وأمر فيليب بنقل مقر البابا من روما إلى "أفنيون" في محاولة منه أن يبرهن على أن الله يحب الحكام الفرنسيين أكثر من الإيطاليين. استمر الصراع بين الملك والبابا إلى أن تصدَّعت الكنيسة الغربية. لم يفهم البابا ولا الملك المقولة الإنجيلية: لا يمكنكَ أن تخدم ملكين معًا. لقد فسروا المقولة على أنه لا يمكن أن يُدار الحكم برئيسين، ومنذ ذلك الوقت والصراع محتدم حول السلطة بين القوى العلمانية والدينية. وحتى اليوم لم يجب أحد على التساؤل: هل السلطة الدينية تختلف في شيء عن السلطة العلمانية؟ وربما توصلنا إلى أمور لا يعرفها سوى بعض السياسيين المسيحيين، وهي أن الكنيسة الكاثوليكية تمارس الحكم حتى في السماء.

يُعرِّف القديس "أوجوستين" في كتابه De civitate Dei (دولة الله) السياسة على أنها تتابع ست فترات من أجل الخلاص، يتصاعد خلالها الصراع بين الخير والشر إلى يوم الحساب. لو لم أكن يومًا مشاركًا فعالًا في العمل السياسي لما آمنت بصحة ما قاله القديس "أوجوستين". إن الصراع بين الخير والشر قد تصاعد إلى أن وصل إلى يوم الحساب الحزبي

الأخير، والذي دائمًا ما كان عادلًا، بعزل المتمرد أو الناقد من الحزب. (وقت كتابة هذا العمل عزل نادي أعضاء حزب الحركة المسيحية الديموقراطية النائب جابور من صفوف الحزب بصورة مؤقتة). ولو لم يتم طرد المتمردين فلن يستطيع رجال السياسة تحقيق نبوءة القديس "أوجوستين": يخلصوننا جميعًا إلى الأبد. إن خلاص المواطنين كما يراه "أوجوستين" ليس فقط في يد الكنيسة وحدها، بل في يد السياسيين أيضًا. كم جميل أن نرى أن السياسيين والأساقفة، المطارنة والكاردينالات يعملون جميعًا من أجل خلاصنا.

لو انطلقنا من فكرة أن ركيزة المسيحية الأساسية هي ما عاناه المسيح، فأنا أخشى على المسيحية من مؤسساتها. تعتقد غالبية السياسيين المسيحيين وغير السياسيين لسبب غامض أن المسيحي لا يكون مسيحيًّا إلا بالتعميد. وكفى بهذا الاعتقاد إهانة للمسيحية. لقد عمد المسيح الناس الذين أرادوا أن يكونوا مثله طواعية وهم في أعمار متقدمة. كان المسيح يطمح إلى أمور كثيرة، لكن ليس من بينها بالتأكيد السلطة السياسية.

في روما قبل المسيحية كان الناس يعتبرون الحاكم إلهًا، أو على الأقل ممثلًا للبشر أمام الله. اتخذ الملك "قسطنطين" عام 323 المسيحية ديانة رسمية، تغير وضع الحاكم إلى خليفة الله بين البشر! وصارت سلطة الكنيسة على رقاب الجميع، وصار الحاكم لا يُسأل أمام البشر، بل أمام الله، فكان الحاكم هو بالطبع من يضع القواعد إلهية. في ذلك الوقت صنعت الكنيسة من المسيح إلهًا هو الآخر. حدث هذا بعد مرور ثلاثة قرون على وفاته، وغالبًا لم يعلم بالأمر. منذ أن تولت الكنيسة مقاليد حكم الدولة بدأت تلاحق المسيحيين الذي رفضوا تقديس الإله الحكومي، وظلوا على عقيدتهم وإيمانهم بالله العظيم، الرحمن الرحيم، وما زالوا يلاحقونهم إلى اليوم. التقيت أثناء تواجدي في العمل السياسي ببعض من أراد أحد الأوغاد أن يقصيهم من مجلس الكنيسة الكاثوليكي.

السياسة هي صراع السلطة. كانت سياسة المسيح هي مساعدة الضعفاء؛ لذلك من المدهش أن تجد بعض الأحزاب السياسية تطلق على نفسها بأنها أحزاب مسيحية. الحركة الديموقراطية المسيحية (سلوفاكيا)، الاتحاد السلوفاكي الديموقراطي المسيحي (سلوفاكيا)، الاتحاد الاجتماعي المسيحي (ألمانيا)، الحزب الديموقراطي المسيحي (ألمانيا)، الديموقراطية المسيحية (السويد)، حزب الشعب المسيحي (بلجيكا)، حزب الشعب المسيحي (الدنمارك)، حزب الشعب المسيحي، الحزب المسيحي (فنلندا)، المركز المسيحي الديموقراطي (إيطاليا)، الحزب الديموقراطي المسيحي (هولندا)، حزب الجيل

الجيد (إيرلندا)، الحزب الليتواني المسيحي الديموقراطي (لاتفيا)، وغيرها. يبدو من أسماء الأحزاب أنهم وضعوا كلمة "المسيحي" في اسم الحزب رغم أنهم مسيحيون بالضرورة، ربما لأنهم يخشون من أن يعتقد أحدهم بعد أن يرى تصرفاتهم بأنها أحزاب "غير مسيحية". ومن باب الاحتياط وضعوا كلمة ديموقراطي كي لا يظن أحد أن المسيحيين ليسوا ديموقراطيين.

انفصلت الكنيسة عن الدولة في بلدان رفض حكامها تطفل رجال الكنيسة على الحكم، وامتنعوا عن تقسيم الممتلكات مع الكنيسة. لكنْ هناك أسباب أخرى لانفصال الكنيسة عن الدولة. كان الجنس السبب الرئيسي لانفصال الكنيسة عن الدولة إبَّان حكم الملك الإنجليزي "هنري الثامن"، أراد هنري بصفته مسيحيًّا كاثوليكيًّا حقَّ أن يربط بين نزواته الجنسية وإخلاصه لزوجته، وهذا لا يتحقق إلا بالزواج من كل عشيقة له، لكن زواجًا كهذا مشروط بطلاقه من زوجته السابقة. كان البابا "كليمنت السابع" منشغلًا بعمل آخر غير تطليق هنري الثامن، فحرَّم الطلاق. في البداية أذعن هنري لقرار البابا بأن أمر بإعدام زوجاته. وسرعان ما نفد صبره وضرب بقرار البابا عرض الحائط، ثم أعلن انفصال الكنيسة الإنجيلية عن الفاتيكان، ونصب نفسه رئيسًا لتلك الكنيسة، وبذلك استطاع أن يطلِّق كيفما شاء. وهو ما أسعد زوجاته المحتملات؛ فلم يعد الانفصال عن الملك مشروطًا بإعدامهن.

ومنذ ذلك الانفصال ترسخت في إنجلترا قاعدة تمنع من يكون الملك كاثوليكيًّا، وأيضًا منعوا الزواج من كل كاثوليكي وكاثوليكية؛ لذلك صارت الأمور أسهل على رجال الكنيسة الراغبين في العلاقات الجنسية، وحتى لا يضطروا إلى الطلاق قرروا منع الزواج، بل حرموه وانتهى الأمر.

لم يكن مارتن لوثر في حاجة إلى ميول جنسية كي ينفصل عن الفاتيكان. اكتفى بتلك البوابة التي عثر عليها في مدينة ويتنبرج عام 1517، ثم ثبّت فوقها نظرياته الاثنتي عشرة. وبمرور الزمن اعتنقت غالبية الألمان ديانة جديدة أطلقوا عليها اسم اللوثرية تيمنًا بمارتن لوثر.

منذ سنوات طويلة ونحن ندرس انفصال الكنيسة عن الدولة في سلوفاكيا. كان هذا هو المطلب الأساسي للكنيسة السرية إبان الحكم الشيوعيّ. وفي عهد جورباتشوف، عندما صارت الشجاعة مبتذلة، وقَّع أكثر من أربعمائة ألف مسيحيّ على طلب بفصل الكنيسة عن الدولة، واعتبرت حركة (الشعب ضد العنف) أن انفصال الكنيسة عن الدولة أحد أهم

مطالبهـا، ثـم بعـد سـقوط النظـام الشـيوعيّ سـحبت كل مـن حركتـي (الشـعب ضـد العنـف)، و(الحركـة المسـيحية الديموقراطيـة) طلـب انفصـال الكنيسـة عـن الدولـة بـكل هـدوء. وأحيانًـا يعلنـون علـى المـلأ أنهـم لا يحبـون سـماع كلمـة انفصـال. وفجـأة صـارت الكنائـس – الكاثوليكيـة منهـا- فـي سـلوفاكيا لا تعـارض أن تتدخـل الدولـة فـي أمورهـا. كـون الكنائـس لا تـرى ضـررًا فـي ارتباطهـا بالدولـة فهـذا يعـود إلـى عـدة أسـباب، أتمنـى ألا تكـون فقـط بسـبب الأمـوال التـي تتلقاهـا الكنيسـة مـن الدولـة. السـبب الثانـي هـو أن الكنيسـة أعجبتهـا مشـاركتها فـي السـلطة. الطريـف هـو أن الاشـتراكيين مـن حـزب "سـمار" الـذي كان يطالـب بانفصـال الكنيسـة عـن الدولـة بـكل قـوة قبـل انتخابـات 2006، صمـت تمامًـا عـن الحديـث فـي هـذا الأمـر بعـد الانتخابـات.

أنـا لسـت مـع فصـل الكنيسـة عـن الدولـة، فالمواطنـون ومنهـم غيـر المتدينيـن لديهـم تسـعة أيـام مـن الإجـازات سـنويًّا بفضـل الكنيسـة؛ لذلـك أطالـب كل مـن يؤيـدون انفصـال الكنيسـة عـن الدولـة بـألَّا يخاطـروا. علـى العكـس، لـو كنـت مكانهـم لسـعيت إلـى إفسـاح المجـال أكثـر أمـام الكنيسـة فـي علاقتهـا بالدولـة. بالتأكيـد أمامنـا فرصـة لنيـل المزيـد مـن أيـام الإجـازات مـن إجمالـي اثنيـن وثلاثيـن عيـدًا مسـيحيًّا عندنـا فـي سـلوفاكيا. حتـى أكـون دقيقًـا، فـي سـلوفاكيا يحتفـل فقـط الكاثوليـك والبروتسـتانت باثنيـن وثلاثيـن عيـدًا. ولـدى المسـيحيين الأرثوذوكـس ثلاثـة وعشـرون احتفـالًا، واليهـود عندهـم عشـرون، والمسـلمون عشـرون. فلـو كنـتَ يهوديًّـا وزوجتـكَ أرثوذكسـية والأطفـال مسـلمين، فلديـكَ خـلال العـام الواحـد تسـعون يومًـا للاحتفـال!

لقـد نُوقِشـت القضايـا الكنسـية منـذ عـام 2002 حتـى عـام 2006 فـي البرلمـان سـت مـرات. فـي المـرة الأولـى كان المناقشـات تتعلـق بأمـلاك الكنيسـة. وتخيَّـل، تـم مناقشـة أمـلاك الكنيسـة أربـع مـرات. وفـي المـرة الخامسـة لـم يناقشـوا الأمـلاك، بـل مرتبـات الكهنـة. السياسـي- الغبـي هـو مـن يعتقـد بسـذاجة أن أكبـر هيئـة تشـريعية سـوف تناقـش أيضًـا الأخـلاق والقيـم العليـا فـي إطـار قضيـة الكنيسـة.

رغـم أن اللـه مرتبـط بالديـن وليـس بالكنيسـة، فـإن الكنيسـة تذكـر اسـمه بـلا توقـف، وتحيـل إليـه سـلطته وعظمتـه فـي أنشـطتها السياسـية. الكاردينـالات والأسـاقفة يباركـون الجيـش قبـل خروجـه للحـرب. أرسـل الكاردينـال الأمريكـي فـي 1966 الجنـود الأمريكييـن إلـى فيتنـام بكلمـات تقـول إنهـم ذاهبـون للحـرب ضـد أعـداء اللـه. وأطلـق علـى الجنـود اسـم جنـود المسـيح، وانقضُّـوا يقتلـون الفيتناميين باسـم اللـه. وفـي عـام 1209 قتـل الصليبيـون فـي مدينـة "لانجـودوك" بجنـوب فرنسـا مـا يزيـد علـى مائـة ألـف شـخص، وهـم عمليًّـا كل سـكان المدينـة، فقـط لأن هـؤلاء

الناس أحبوا المسيح، وليس البابا. عندما سأل أحد كبار الضباط البابا "إينوسنت الثالث عشر" (ومعناه البريء)، كيف يفرق بين الكافر والمؤمن الحقيقي؟ أجابه البابا قائلاً: "اقتلهم جميعًا، وسيجد الله من آمن به".

أيضًا كان أدولف هتلر صارمًا في علاقته بالله، رغم أنه في حالة هتلر يمكننا أن نتحدث عن علاقة الله بهتلر. أصدر مكتب الدعاية النازيّ منشورًا قال فيه: "لسنا في حاجة إلى كهنة، ويمكننا أن نتواصل مع الله من خلال أدولف هتلر. إن كلمته قانون إلهي، وكل القرارات والقوانين التي يصدرها لها سلطة إلهية". اعترف هتلر بنفسه بأنه تعلم الكثير من اليسوعيين، وأضاف: "على حد علمي اتخذ لينين أيضًا "اليسوعيين" مثالًا له". لقد نسي هتلر أن ستالين درس في معهد تعليم كنسي في تلبيسي، وقال إن قدوته كانوا - تخيلوا، من؟ اليسوعيين!

الحلول الوسط في السياسة

"يُحَافِظُ السِّياسِيُ عَلىَ تَوازُنِه الدَّاخِلِيِّ بِأنْ يَفْعَلَ عَكْسَ كُلِّ مَا يَقُول"

ماوريس باريس

إن أصحاب الحلول الوسطى هم زبدة السياسة. يفعلون ذلك كي يمنعوا عن أنفسهم حلولًا وسطى أسوأ. وعادة ما تنتهي التسويات باتفاق يرضي الجميع، والمواطنين قدر الإمكان، وعادة ما يخرج المواطنون منه خاسرين. ما حدث في الجولة الثانية من انتخابات رئيس المجلس الأعلى لإقليم "نيترا" في ديسمبر 2005، هو مثال على رفض المواطنين للتسويات السياسية. لم يكن الهدف من ذلك فقط إقصاء الأغلبية المجرية عن رئاسة الإقليم، بل أيضًا الإطاحة بـ"ميلان باليتسا" الذي تَرشَّح عن حزب حركة سلوفاكيا الديموقراطية. رشح حزب الاتحاد الديموقراطي المسيحي السلوفاكي "يان جريش"، وعن حزب المجتمع المجري "لاصلو زيجت". كانت نتائج الجولة الأولى كالتالي: حصل "ميلان باليتسا" على 42,18 في المئة، و"لاصلو زيجت" على 25,93 في المئة، و"يان جروش" على 13,17 في المئة من مجموع الأصوات. كان واضحًا أن فرصة المرشح المجري في الجولة الثانية منعدمة، لكن السياسيين في حزبي حزب حركة سلوفاكيا الديموقراطية، والاتحاد الديموقراطي المسيحي السلوفاكي اتفقوا بكل حكمة بأن يتنازل "سيجيت" عن ترشيحه لصالح "جريشو" الذي سيصبح في الجولة الثانية مرشحًا مشتركًا للحزبين. وقد حسبوا أن نسبة 25,93 في المئة مع 13,17 تساوي 39,10 في المئة، وهو ما يعني الانتصار على "باليتسا" عند تحريك الناخبين في كلا الحزبين. وكانت نتيجة الجولة الثانية كالتالي: ميلان "باليتسا" 74,08، "يان جريشو" 25,91.

يُقال إن النبي موسى هو مؤسس نظام الحلول الوسط في السياسية، فقد ذكرت مصادر غير رسمية بأنه هو من سلم اليهود عشرين وصية إلهية جاءتهم من الله مباشرة، فرأى اليهود أن تلك الوصايا كثيرة، وطلبوا منه أن تكون خمسة فقط. كان موسى تاجرًا موهوبًا، فاستطاع أن يفاوض الله ويصل إلى حل وسط: عشر وصايا. فقد استفاد من صداقته

الشـخصية باللـه، وبـدَّل الوصايـا إلـى أوامـر إلهيـة. وبهـذا بـدأ عصـر الصلـف المسـيحي واليهـودي الـذي انتهـى إلـى حربيـن عالميتيـن، لـم يبـدأ المسـلمون ولا البوذيـون ولا الهنـدوس أيًّـا منهمـا.

الحراس الشخصيون في السياسة

"لَوْ لَمْ يَكُنْ لِرَجُلِ السِّياسَةِ حِرَاسَةٌ خَاصَّةٌ لَصَفَعْتُهُ عَلى وَجْهِه، ولَصَفَعْتُكُمْ جَمِيعًا"

مواطن غجري من منطقة وديان الجبال

تسمَّى المؤسسة التي تحمي الرموز السياسية إدارة حماية الشخصيات الرسمية الدستورية. الشخصيات الرسمية الدستورية التي تحظى بالحماية هم أعضاء الحكومة والرئيس، أما النواب فلا يتمتعون بالحماية إلا عندما يطلبونها، فتخصص لهم حماية إذا تبين أن الأخطار التي يتعرضون لها كبيرة، فيحدث كثيرًا أن يكتب النواب خطابات تهديد بأنفسهم ولأنفسهم، لاستيائهم من أنهم لا يحظون بحراسة شخصية، ولا يأتي ذكرهم في وسائل الإعلام.

تتميز إدارة الشخصيات الرسمية الدستورية بأنها تحمي ليلاً ونهارًا سياسيين غير ذي قيمة، ولا يفكر أحد في تهديدهم. لكن المشكلة هي: ماذا لو.... فـ"ماذا لو" تُعد المحرك الأساسي لعمل رجال الحراسة الشخصية. كان أفراد الحراسة الشخصية لـ"فلاديمير ميتشيار" لا يجدون ما يفعلونه، إلى درجة أنهم اختلقوا أشخاصًا يهددون باغتيال رئيس الوزراء المحبوب، ثم بعدها يُفْشِلون محاولات الاغتيال بطريقة بطولية، فيسعد رئيس الوزراء بذلك، وأيضًا رجال الحراسة؛ فدائمًا يحصلون على مكافآت سخية بعد إفشال محاولة اغتيال رئيس الوزراء.

لم يحصل رجال الحراسة على مكافآت نظير القبض على قتلة أو إرهابيين أو مغتالين وهميين إبان حكم "ميتشيار" فقط. فأثناء اجتماع الناتو في مايو 2004 في براتسلافا تجمع حول "ريدوتا" وحول فندق كارلتون الذي عقد فيه الاجتماع كثير من الحراس إلى درجة عرقلت دخول المشاركين في الاجتماع. قلت وقتها في وسائل الإعلام، بصفتي رئيس الوفد السلوفاكي، بأني أشعر وكأن اجتماع برلمان دول الناتو كان بمثابة مشاركة صغيرة في مناورة كبيرة تجريها الشرطة السلوفاكية، أو عثر رجال الشرطة الأبطال على قنبلة

بجـوار إحـدى حاويـات القمامـة علـى كورنيـش نهـر الدانـوب، أنـا أعـرف هـذا المـكان جيـدًا. تـم تطويـق المـكان وحراسـته علـى مـدى أربـع وعشـرين سـاعة يوميًّـا، ولـم يكـن مسـموحًا بالدخـول إليـه سـوى لرجـال الشـرطة. وسـيكون مـن العبـث أن تحـدث معجـزة مـا، ويتسـلل المجـرم إلـى أن يصـل إلـى الحاويـات، فقـد كان كورنيـش النهـر مطوقًـا ويحرسـه رجـال الشـرطة بـكل صرامـة، فـلا تظهـر فيـه حتـى قطـة هائمـة. فمـا بالـك بالوفـود الأجنبيـة؟! لكـن المشـكلة الكبـرى هـي أنـه لا توجـد حاويـات للقمامـة علـى شـاطئ النهـر. لـم يَـرَ أي مـن الصحفييـن الماهريـن شـيئًا كهـذا حتـى اليـوم.. لكـن التأثيـر النهائـي هـو ظهـور مـا يشـبه الهسـتيريا الأمنيـة، التـي حصلـت بموجبهـا وزارة الداخليـة علـى خمسـين مليـون يـورو، اشـترت بهـا الـوزارة تقنيـات لتأميـن المشـاركين فـي الاجتمـاع الـذي لـم يكـن عرضـة لأي تهديـد. ولـم يعـرف أحـد اسـم مـن قـام بتوريـد هـذه التقنيـة المُلحّـة، ومـا هـي قيمـة العمولـة التـي تلقاهـا. كمـا حصـل كبـار رجـال الشـرطة علـى مكافـآت سـخية نظيـر السـيطرة علـى الحالـة الأمنيـة "الخطيـرة". كانـت مكافـآت سـخية إلـى درجـة أن وسـائل الإعـلام تناولتهـا، أمـا أفـراد الشـرط العاديـون فلـم يحصلـوا حتـى علـى مـا يسـد رمقهـم طـوال اليـوم.

الوظيفـة الرئيسـية لرجـال الحمايـة هـي اختـلاق عـدو. ليـس هـذا فقـط، ولكـن جعلـه أداة للترهيـب، وخاصـة فـي وسـائل الإعـلام، فالنـاس تحـب رجـل السياسـة المعـرض للتهديـد عـن ذلـك الآمـن. المشـكلة هـي أن المواطنيـن لا يعبئـون برجـال السياسـة، ولا يعتبـرون تهديـد أحدهـم عمـلاً بطوليًّـا، ولا يخطـر لأحدهـم أن يسـتهدف حياتـه. يحـزن الكثيـر مـن السياسـيين مـن أن حياتهـم غيـر مهـددة. يشـعرون بالدونيـة، وهـذا الأمـر يُشـعرهم بالإهانـة. يحسـدون كل سياسـي مهـدد، حتـى لـو قذفـه أحدهـم بحبـة طماطـم. ألقـى أحـد الطلبـة إبـان الحكـم الشـيوعي ببيضـة علـى "ويليـام شـالجوفيتش"، رئيـس المجلـس السـلوفاكي الوطنـي وقتهـا أثنـاء مظاهـرة حدثـت فـي الأول مـن مايـو، عوقـب الطالـب بالسـجن لمـدة بضعـة أشـهر. الشـيء الوحيـد الـذي قـذف بـه أحدهـم رجـال السياسـة بعـد الثـورة كان معطـف الطبيـب الـذي ألقـاه بعـض الأطبـاء علـى رئيـس الـوزراء "ميكـولاش دزوريـنـدا" عندمـا ظهـر وسـطهم وهـو ممسـك بعـكاز فـي يـده. يبـدو أنهـم اعتقـدوا أنـه يشـعر بالبـرد.

حتى ينحيه الموت

"أَصْعَبُ فِرَاقٍ فِي العَالَمِ هُوَ فِرَاقُ السُّلْطَة"

تشارلز موريس دي تاليران

يمكنـكَ أن تحصـل علـى السـلطة بطريقتيـن: طريقـة ديموقراطيـة، وأخـرى غيـر ديموقراطيـة. أمـا إمكانيـات فقـدان السـلطة فهـي كثيـرة. فـي الأنظمـة الشـمولية يغـادر الحاكـم السـلطة إمـا بالمـوت أو بالكهولـة، فقـد سـقطت حكومـات وأنظمـة كاملـة نتيجـة للمـوت أو للعجـز الكامـل، وتنتهـي كل الحكومـات التـي وصـل ممثلوهـا إلـى السـلطة مـن خـلال انتخابـات برلمانيـة حـرة نتيجة لترهلهـا فـي السـلطة. نذكـر علـى سـبيل المثـال الأعمـار التـي توفـي فيهـا كبـار ممثلـي الأنظمـة غيـر الديموقراطيـة: أعضـاء المكتـب التنفيـذي للجنـة المركزيـة بالحـزب الشـيوعي فـي اتحـاد الجمهوريـات السـوفيتية، أعضـاء الحـزب الألمانـي الموحـد (فـي جمهوريـة ألمانيـا الديموقراطيـة)، وبابـاوات الفاتيـكان.

أعضـاء اللجنـة المركزية للحزب الشـيوعي السـوفيتي: بريجينيف (76)، تشـيرنينكو (74)، سوسـلوف (80)، أندروبـوف (70)، كوسـيجين (76)، جروميكـو (80)، سولومنتسـيف (75)، تشربيتسـكي (80)، بودجورنـي (80) متوسـط الأعمـار 77,6 عامًـا.

ألمانيـا الديموقراطيـة: أولبريخـت (79)، هونكـر (82)، ميلـكا (93)، هاجـر (86)، أكسـن (76)، هوفمـان (75)، نيومـان (92)، سـتوب (85)، متوسـط الأعمـار 87،83 عامًـا.

الفاتيـكان: بيـوس العاشـر (79)، بنديكـت الخامـس عشـر (68)، بيـوس الحـادي عشـر (82)، بيـوس الثانـي عشـر (82)، يـان الثالـث والعشـرون (82)، بولـس السـادس (81)، يـان بولـس الثانـي (82)، بنديكـت السـادس عشـر (80) - فـي منصـب الأسـقف – متوسـط الأعمـار 80,40.

يتضـح مـن مؤشـر متوسـط الأعمـار أن اللـه يفضـل كبـار رجـال الحـزب الشـيوعي علـى الفاتيـكان. لكـن المثيـر للدهشـة هـو أنـه يفضـل الشـيوعيين الألمـان علـى السـوفييت. وسـوازيلاند هـي خيـر دليـل علـى التأثيـر الكبيـر للكاثوليكيـة والشـيوعية، فـلا يوجـد لديهـم هـذا ولا ذاك؛

لذلك فمتوسط أعمار المواطنين 32 عامًا، وليست الأمم المتحدة في حاجة إلى إرسال المساعدات الغذائية إلى سوازيلاند، بل تحتاج إلى إرسال البعثات التبشيرية الكاثوليكية، ودعاة الشيوعية من جمهورية ألمانيا الديموقراطية السابقة. وبما أن الاتحاد السوفيتي قد اختفى، واختفت معه جمهورية ألمانيا الديموقراطية، فليس أمامها إلا حكماء المبشرين. يُقال إن المبشرين الحكماء انطلقوا إلى هناك على أمل أن يبعثوا الدافع الديني في السكان. إن التشابه في متوسط الأعمار بين كبار قادة الأحزاب الشيوعية وقادة الكنيسة الكاثوليكية يثير التساؤل، ولا أحد يعرف إن كانوا قد دخلوا الجنة بعد انتهاء مهامهم أم لا.

الفصل الثاني
الأحزاب السياسية

حزب العاهرات الشعبي

"مَا هُوَ حِزْبُكَ فِي الوَقْتِ الحَالِيّ؟"

مؤلف مجهول

الحال في الحزب السياسي يشبه ميلاد عناقيد الخلايا الأسبوعية التي تتوالد، ولا يعرف أحد ما سيحدث لها. إنها حشود من البشر تتآلف في موقف محدد، ومكان وزمان معينين. كل ما يعرفونه في البداية هو أنهم راغبون في الوصول إلى السلطة، ولكي يبلغوها عليهم أن يؤسسوا حزبًا. على الحزب أن يمتلك برنامجًا، فيبحث أعضاؤه عن البرنامج الذي سيكون له نصيب أكبر في النجاح، ثم يقررون من بعده إن كانوا حزبًا يمينيًّا أم يساريًّا، أم حزبًا ليبراليًّا. لا يكترث غالبية السياسيين بنوع الحزب الذي سينضمون إليه، فلو كانوا أعضاءً في حزب أو حزبين، يمكنهم بكل بساطة أن ينخرطوا في حزب ثالث أو رابع. الدليل على أن مبادئ وبرامج الأحزاب السياسية عديمة الجدوى هو أن كل حزب سياسي يعلن قبل الانتخابات أنه مستعد بعد الانتخابات للدخول في ائتلافات مع أي حزب بغض النظر عن برنامجه، ويعلن مقدَّمًا أنه مستعد للتنازل عن مبادئه مقابل المشاركة في السلطة.

يقول أندرو وار، الخبير السياسي، في كتابه Political parties and Party systems (الأحزاب السياسية والأنظمة الحزبية، جامعة أكسفورد، مطابع الجامعة، 1996): "إن الحزب السياسي عبارة عن مجموعة من الأشخاص المتآلفة من أجل تحقيق مصالحها، ومحاربة مصالح الأحزاب الأخرى". يعرف "رونالد هوف" العصابة في كتابه Gangs in America (العصابات في أمريكا، "نيوسبري بارك"، 1990) كالتالي: "العصابة هي مجموعة من الأفراد المتآلفة لتحقيق مصالحها حتى بممارسة أنشطة مضادة للمجتمع". وحسب تعريف هذين الخبيرين السياسيين فإن الفرق بين الحزب السياسي والعصابة هو فقط في الجهة المستهدفة التي يحاربها الحزب السياسي أو العصابة لتحقيق مصالحه. الحزب السياسي يسعى إلى تكريس مَصالحه مقابل مصالح الأحزاب الأخرى، والعصابات تتصارع مع مصالح العصابات الأخرى. يحدد هوف الطبقة الاجتماعية التي ينحدر منها أعضاء العصابات: الأمر يتعلق بجماعة متآلفة قادمة من طبقات ذات دخول متدنية، لكن

الدخـول المتدنيـة لا تكـون إلا فـي بدايـة أنشـطة العصابـات. ويقـول وار: إن أعضـاء الأحـزاب السياسـية عبـارة عـن لفيـف ينحـدر مـن طبقـات اجتماعيـة متوسـطة، ولا يكونـون أعضـاء طبقـات متوسـطة إلا فـي بدايـة أنشـطتهم السياسـية. هـدف كلا المجموعتيـن هـو الانتقـال مـن المجموعـة الأضعـف، أي المجموعـة الوسـطى، إلـى مجموعـة أعلـى، أو الأعلـى مـن حيـث الدخـل. طريقـة العصابـات لبلـوغ هـذا الهـدف تكـون أسـرع، لكنهـا أكيـدة نوعًـا مـا. أمـا طريقـة السياسـيين فتكـون أكثـر بطئًـا، لكنهـا أكثـر أمانًـا؛ لذلـك غالبًـا مـا يصبـح أعضـاء الأحـزاب السياسـية أفـرادًا لا يجـدون طريقًـا سـريعًا للوصـول إلـى مسـتوى المجموعـة الأولـى.

إن الأحـزاب تنشـأ بنفـس طريقـة العصابـات، علـى أسـاس الآراء المتعـددة لحـل قضايـا مثـل البطالـة، والصحـة، والتعليـم، والمعاشـات، وغيـره. الفـرق الوحيـد هـو أن العصابـات تـوكل مسـئولية حـل مثـل هـذه القضايـا إلـى أفرادهـا، أمـا الأحـزاب فتشـرك فيهـا كل المجتمـع. ظهـر فـي الولايـات المتحـدة علـى سـبيل المثـال حزبـان مـن أكبـر الأحـزاب بنـاء علـى آرائهـم المختلفـة فـي حـل قضيـة العبوديـة. الجديـر بالملاحظـة هـو أن الديموقراطييـن الأمريكييـن وقتهـا كانـوا ضـد إلغـاء العبوديـة، بـل وأرادوا أن يعمموهـا فـي باقـي ولايـات الاتحـاد الأمريكـي، أمـا الجمهوريـون فيتفاخـرون بأنهـم أرادوا أن يلغـوا العبوديـة.

يوجـد فـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة فضـلًا عـن الجمهورييـن والديموقراطييـن، العديـد مـن الأحـزاب السياسـية الأخـرى التـي تختلـف عـن بعضهـا بتعـدد آرائهـا فـي قضيـة العبوديـة، ومنهـا حـزب الخضـر، وحـزب الحريـة، وحـزب التحريـم، وحـزب دنـج النحـل، وحزبـان شـيوعيان آخـران - وهمـا الحـزب الشـيوعي، والحـزب الشـيوعي الأمريكـي- وكمـا يليـق ببلـد ديموقراطـي، يوجـد أيضًـا الحـزب الألمانـي العمالـي الاشـتراكي القومـي. لا يعتـرض أحـد علـى تلـك الأحـزاب، لكنهـم لا يصوتـون لهـا، طالمـا أرادوا ذلـك.

كذلـك الحـال فـي الـدول الأوربيـة، فقـد انتخـب المواطنـون الأحـزاب الشـيوعية، ولـم يحتجـوا عليهـا، صحيـح أن البعـض أحجـم عـن التصويـت، لكنهـم ندمـوا بعدهـا. كان مواطنـو الاتحـاد السـوفيتي مـن أوائـل مـن أيـد الأحـزاب الشـيوعية، وكان الاتحـاد السـوفيتي أول دولـة فـي العالـم ينتخـب فيهـا المواطنـون الحـزب الشـيوعي طواعيـة. الـدول الأخـرى التـي فعلـت نفـس الشـيء كانـت منغوليـا، لكـن لـم يُـدْلِ بصوتـه هنـاك إلا مـن وصلتـه أنبـاء عـن انتخـاب الحـزب الشـيوعي. الدولـة الثالثـة التـي طبقـت الانتخـاب الديموقراطـي للنظـام الشـيوعي هي"تانـو توفـا". لـم يكـن أمـام مواطنـي دولـة "تانـو توفـا" الكثيـر مـن الاختيـارات؛ لأن جمهوريتهـم تقـع بيـن الاتحـاد

السوفيتي ومنغوليا. تولى الشيوعيون الحكم في "تانو توفا" بكل بساطة، فلم يعارضهم سوى أكثر الديانات هناك انتشارًا، وهي الشامانية. نَحّى رئيس الحزب الشيوعي زعيم الطائفة الشامانية عن منصبه، وارتدى زيه، ونصّب نفسه خليفة له. اكتشف الناس بعد عدة سنوات أن من يحكمهم ليست الطائفة الشامانية، لكن الشيوعيون.

يلعب اسم الحزب دورًا كبيرًا في تصويت المواطن له؛ لذلك من المناسب أن يكون اسم الحزب واضحًا، ومباشرًا، لكن الواقع ليس كذلك دائمًا. ما معنى الحزب الوطني السلوفاكي؟ الوطن السلوفاكي؟ إن الوطن يتكون من أشرار وأخيار، من محبين له ومن كارهين له، من قديسين ومجرمين، من مرضى ومن أصحاء، من كبار ومن صغار... ما هو الوطن؟ من هو المواطن السلوفاكي؟ هل هو كل من لديه أجداد بولنديون، ويهود، وغجر، وتشيك؟ لا تكاد تعرف ما يعنون على وجه التحديد من اسم الحزب الوطني السلوفاكي (ولا من اسم أي حزب آخر تقريبًا). ربما يعنون به كل شيء.

إن الائتلاف عبارة عن اتحاد مؤقت للأحزاب السياسية من أجل تحقيق سياسة مشتركة، لكن ما هي هذه السياسة؟ هل عرف أحد سياسة حزب الائتلاف المجري بعد مرور أعوام على تأسيسه؟ هل عرف أحد شيئًا عن رؤيته في الاقتصاد والتعليم والثقافة والنقل والدفاع والسياسة الخارجية والاجتماعية وغيرها؟ يشبه الاتحاد هذا النوع من الائتلاف أو التجمع. حزب الاتحاد السلوفاكي الديموقراطي، والمسيحي على سبيل المكافأة. ما هو الحزب الذي ليس مسيحيًّا في سلوفاكيا المسيحية؟

من أكثر التجمعات غموضًا هي الحركات. كانت الحركات في النظام القديم بمثابة قوة رسمية مُحفِّزة لنمو المجتمع الاشتراكي. ما زلت أتذكر حركة متطوعي العمل الاشتراكي، وحركات التجديد، والفلاحين وعمال المناجم، حتى البائعون كان لديهم حركة تُسمى "الزبون دائمًا على حق". صارت الحركات اليوم قوة رسمية مُحفِّزة لنمو المجتمع الرأسمالي. أعرف شخصيًّا الحركة النسوية، حركة "الهيبيز"، أو حركة المثليين والمثليات. غير أن الحركات في كل المجتمعات ليست سوى تزاحم يتدافع فيه الجميع بلا طائل، ثم بعدها يبدأ كل شيء في الحركة فجأة. الحركة تشبه شيئًا ضخمًا، وهائلًا. من هذا المنطلق نندهش عندما نجد أن المسيحيين الديموقراطيين يطلقون على أنفسهم اسم حركة. الحركة المسيحية الديموقراطية، ويُفضَّل أن تسمى حسب معناها باسم بديل، وهو غرفة الهزليين الرجال. من المؤكد أن هذا الاسم سيعجب السلوفاك أكثر، وسيعبر بطريقة أفضل عما يقصدونه بعبارة

الحركة المسيحية الديموقراطية.

فـي حالـة حـزب (اتحـاد المواطـن الجديـد) نجـد أن الاسـم يتفـق تمامًـا مـع المعنـى[3]. لـم يَبْـقَ أثـر للحـزب بعـد اختفائـه واختفـاء نـادي نوابـه إلا آخـر مواطـن جديـد، لـم أكـن أنـا ذلـك المواطـن.

أيضًـا يتناسـب اسـم حـزب "الاتجـاه" مـع مضمونـه إلـى حـد بعيـد. هـذا الحـزب فقـد اتجاهـه لفتـرة طويلـة، وذات يـوم نظـر رئيسـه مـن النافـذة، وتابـع الاتجـاه الـذي يسـير فيـه المواطنـون، فتقدمهـم بـكاء ذكاء، ومـن وقتهـا وجـد حـزب "الاتجـاه" اتجاهًـا يسـير فيـه.

أعتقـد أن المواطنيـن سيسـعدهم أن يجـدوا الصراحـة والصـدق فـي أسـماء الأحـزاب السياسـية أيضًـا. سـيعجبهم أسـماء مثـل: حـزب الأنانييـن الكابـر، ومنتـدى "تبًّـا لكـم"، وحركـة "لا نهتـم بكـم"، وحـزب العشـرين بالمئـة، سـنعرف مـن اسـم حـزب كهـذا نسـبة العمـولات التـي سـيحصلون عليهـا مـن المناقصـات الحكوميـة. إنـه لأمـر جيـد بالنسـبة للناخبيـن الـذي لا يملكـون الكثيـر مـن الوقـت، وفـي حاجـة إلـى أن يحـددوا اختياراتهـم بسـرعة.

يرغـب كل مـن الأطبـاء، والمدرسـين، والمحاميـن، والمهندسـين، وحتـى المومسـات فـي العمـل بالسياسـة. لـم تتجـرأ المومسـات فـي سـلوفاكيا بعـد علـى أن ينخرطـن فـي العمـل السياسـي، بينمـا باقـي العالـم قـد سـبقنا فـي هـذا. ففـي عـام 2000 قـررت مجموعـة مـن مواطنات ناشـطات فـي مدينة مونتريـال الكنديـة أن تحقـق طموحـات أعضائهـا، فأسسـت حزبًـا باسـمParti populaire des Putes PPP))- حـزب المومسـات الشـعبي. انضـم إلـى الحـزب خـلال الأيـام الأولـى مـن تأسيسـه أربعمائـة عاهـرة فـي مدينـة "كويبـك". كان الحـزب قائمًـا علـى مبـدأ قبـول عضويـة المومسـات اليسـاريات واليمينيـات. هـؤلاء كان لهـن فـي لائحـة الحـزب تسـمية خاصـة بهـن وهـي"cadres de sex" كادر جنسـي. توقعـت رئيسـة الكـوادر الجنسـية ماريـا كلاودي شـارليبويس أن يحصـل الحـزب يومًـا علـى مقاعـد فـي البرلمـان الكنـدي. لـو حـدث هـذا لأصبحـت العاهـرات لأول مـرة فـي التاريـخ نائبـات فـي البرلمـان بصـورة رسـمية. كانـت السـيدة رئيسـة الحـزب تبنـي توقعاتهـا المتفائلـة علـى عـدد زبائـن عضـوات حزبهـا اللاتـي سـيُؤَمِنَّ بضعـة آلاف الأصـوات.

ثمَّـن خبـراء العلـوم السياسـية إنشـاء حـزب المومسـات الشـعبي كحـزب فريـد مـن نوعـه فـي العالـم، يعلـن صراحـة عـن الدعـارة السياسـية. توجـد المومسـات السياسـيات فـي الأحـزاب الأخـرى أيضًـا، لكـن الخبـراء يطلقـون عليهـن اسـم النسـاء البرجماتيـات أو البرجماتيـون.

(3) اختصار اسم الحزب هو ANO وتعني بالسلوفاكية: نعم (المترجم).

نشأة الحزب السياسي الكبير

"الحِزْبُ السِّيَاسِيُّ هُوَ مَاكِينَةٌ، تَدْخُلُ إِلَيْهَا كَخِنْزِيرٍ، وَتَخْرُجُ مِنْهَا عَلى شَكْلِ نَقَانِق"

أمبروسا بيرسي

حزب واحد لا يكفي، ووجود حزبين أمر مبالغ فيه. هذا ما أكده مُنَظِّرو الماركسية مرات ومرات. إن وجود ثلاثة أحزاب في الحياة السياسية رفاهية لا طائل منها. أما ما وصل إليه الحال عندنا، وهو وجود 121 حزبًا سياسيًّا، فهو أمر يدعو إلى الجنون. ففي الصين يوجد حزب واحد، ورغم أنها أكبر دولة في العالم فحزب واحد يكفيها. على الأقل هذا ما يبدو لنا على السطح. أما آراء خبراء العلوم السياسية بأن التعددية الحزبية هي أساس الديموقراطية البرلمانية فهو أمر لا ينطبق بشكل مطلق. ففي جزيرة (ناورو) توجد ديموقراطية برلمانية تختار كل أربعة أعوام ثمانية عشر نائبًا في البرلمان، وكلهم مستقلون لأنهم ليس لديهم أحزاب سياسية. الخدمة الصحية في الجزيرة مجانية، وعلى مستوى رفيع، وصلت إلى مستوى عالٍ إلى درجة أن جميع سكان الجزيرة تقريبًا مصابون بالسِّمْنة. لديهم أكبر مخزون من الفوسفات في العالم، ودرجة الحرارة عندهم في شهر يناير تصل إلى 27,2 درجة مئوية. ورغم ذلك لا توجد لديهم أحزاب سياسية.

ينشأ الحزب السياسي من رغبة الذكور الأبدية في الائتلاف. إن الذكور بصفتهم عائلين للأسرة، سواء كانت أسرة من الذئاب أو من إنسان النياندرتال، كانوا ينطلقون للصيد من أجل تأمين الطعام، وعندما كانوا يذهبون في جماعات، كانوا يشعرون بمزيد من القوة. يمكن القول إن الائتلاف هو تجمع أفراد يتصفون بالجبن بشكل أساسيّ، أو على الأقل هؤلاء الأفراد الذين لا ينجحون في شيء بمفردهم. كذلك الحال بالنسبة للمؤتلفين في حزب ما، يساعد بعضهم البعض، يتبادلون المعلومات حول أعدائهم، وأين سيجدون فريستهم، وأفضل وسيلة للقضاء عليها. إن الحزب السياسي يلبي في نفس رجال اليوم حاجتهم الأبدية إلى العيش في حياة القطيع، شأنهم في ذلك شأن أتباع الذكور البدائية.

انطلاقًا من هذا التعريف، نجد أنه من الصعب تفسير وجود المرأة في السياسة. لقد

توصَّلْتُ بناء على دراسات في العلوم السياسية، وملاحظتي الخاصة، إلى نتيجة مفادها أن سبب وجود المرأة في السياسة هو الرجل، أو بتعبير أدق بسبب رجالهن الفاشلين. الرجال الذين لا يعبرون عن آرائهم إلا من وراء حجاب لديهم في العادة زوجات متحررات وطموحات، يفضلن عادة أزواجًا أحرارًا وطموحين، وعندما يفتقدن مثل هؤلاء الأزواج، لا يبقى أمامهن إلا أن يتولوا أدوار الرجال. وتئول الواجبات النسائية إلى الأزواج شيئًا فشيئًا، مثل حلاقة شعر العانة، أو ري النباتات، وتبدأ النساء في محاكاة دور السياسيين من الرجال. لم يكن نجاح النساء في عالم السياسة أمرًا هينًا.

ظهر أول الأحزاب السياسية في القرن التاسع عشر نتيجة لنزاع بين طبقات المجتمع المهمشة والمُميَّزة. اختفى هذا السبب تمامًا في المجتمع الشيوعيّ، حيث مُنِحَت الامتيازات لكل طبقات المجتمع العاملة، وأصبح وجود الأحزاب غير ضروري، حيث لم يكن هناك سوى طبقة واحدة في المجتمع، فاكتفت بحزب واحد بالطبع. أما في النظم الديموقراطية فترغب كل طبقة اجتماعية في تأسيس حزب سياسي، لكن الأشخاص الذين ترفضهم كل طبقات المجتمع يؤسسون أحزابًا ليبرالية. يؤكد الليبراليون المتفائلون أنهم مرغوبون من الجميع، ويؤكدون أن هدفهم هو الحرية؛ ربما لهذا السبب يعود ضعف إقبال الناس عليهم.

من الصعب التفرقة بين الأحزاب الكبيرة والأحزاب الصغيرة في الممارسة السياسية؛ لأن المهارة أهم من حجم الحزب. فقد أثبتت أحزاب مثل الحزب الوطني المحافظ، وحزب الخضر، أو حتى الحزب الديموقراطي، أن الأحزاب المهمشة يمكن أن تحقق مكانة كبيرة في الحياة السياسية السلوفاكية طالما استطاعت أن تحصل على مقاعد في البرلمان، أو على الأقل أن يمثلها فيه قادتها البارزون، وعدد هؤلاء في الأحزاب المهمشة كبير للغاية.

نشأة الحزب الصغير

"يَضْمَنُ الدُّسْتُورُ الحَقَّ فِي الغَبَاء"

مارك توين

حصلت ستة أحزاب سياسية في الجولة الرابعة من انتخابات مجلس الشعب السلوفاكي على مقاعد في البرلمان. وهذا يعني أن الأحزاب الأخرى التي لم تصل إلى البرلمان، وعددها 115 حزبًا سياسيًا سلوفاكيا، هي أحزاب غير هامة. فحسب بيان وزارة الداخلية السلوفاكية يوجد حتى يوم 2004/12/31 مئة وواحد وعشرون حزبًا سياسيًا مسجلًا. عدد أحزاب الغجر فقط 28 حزبًا (أعلى نسبة تصويت حصل عليها حزب الحركة الديموقراطية الوطنية الغجرية، وهي (0,69% من الأصوات). عدد الأحزاب الهامشية في سلوفاكيا تزيد بعشرين مرة تقريبًا عن عدد الأحزاب الكبيرة. لذلك يجب الاهتمام بها.

إن مصطلح حزب يعود أصلة للكلمة اللاتينية pars، ومعناها: قسَّم؛ لذلك فالأحزاب السياسية تنشأ نتيجة الانقسام، بغض النظر عن كونها كبيرة أو صغيرة. فمرض السرطان قائم على انشطار الخلايا، وينتشر المرض عندما تنقسم الخلية الجديدة عن القديمة وتصنع لنفسها عالمًا من الخلايا. إن الخلايا لا تتعلم من أخطاءها، فهي تواصل الانشطار ولا تتوقف، رغم أن كل الأحزاب التي تنشأ في العالم بهذه الطريقة تتحول إلى أحزاب صغيرة لا أهمية لها. باستثناء سلوفاكيا، فالأحزاب الكبيرة تظهر عندنا نتيجة الانشطار.

فقد ظهر حزب (حركة سلوفاكيا الديموقراطية) من حركة (شعب ضد العنف) في عام 1991. ونشأ في عام 1993 (حزب اتحاد الديموقراطيين السلوفاك) من حزب (حركة سلوفاكيا الديموقراطية)، وفي عام 1994 انقسم عنه أيضًا حزب (اتحاد الواقعية السياسية السلوفاكي) الذي اتحد في وقت لاحق حزب مع (الحزب الوطني الديموقراطي) الذي انقسم بدوره في عام 1993 عن (حزب سلوفاكيا الوطني)، وكون حزب (الاتحاد الديموقراطي)، واتحد هذا الأخير في عام 2000 مع حزب (ائتلاف الديموقراطيين السلوفاك)، انضم إلى هذا الائتلاف بعدها أربعة أحزاب أخرى، وشكلوا حزب (اتحاد سلوفاكيا الديموقراطي

المسيحيّ).

انقسم في عام 2002 عن حزب (حركة سلوفاكيا الديموقراطية) حزب (حركة من أجل الديموقراطية)، وحزب (الاتحاد الشعبي) في عام 2003. وفي عام 2001 انفصل عن (الحزب الوطني السلوفاكي) كل من (الحزب الوطني الديموقراطي)، و(الحزب الوطني السلوفاكي الأصلي)، وبعد خسارته الانتخابات عام 2002 عاد من جديد وانضم إلى الحزب الوطني السلوفاكي، رغم أن ذلك لم يساعده على النجاح.

انفصل في عام 2000 عن حزب (الحركة الديموقراطية المسيحية) حزب (الائتلاف الديموقراطي السلوفاكي)، ومن بعده بعام ظهر (اتحاد سلوفاكيا الديموقراطي المسيحيّ). انفصل عن (الحركة الديموقراطية المسيحية) حزب (حركة سلوفاكيا المسيحية الديموقراطية) عام 1991 وغيَّر اسمه إلى (الاتحاد الاجتماعي المسيحيّ). بعد أن خسر الانتخابات البرلمانية في جولتيها (1992، و1994) توقف عن المحاولة، واتحد مع (الحزب الوطني السلوفاكي).

انشق العمال عن (حزب اليسار الديموقراطي) في عام 1994، وأسسوا (اتحاد العمال السلوفاكي)، وأسس رئيس الاتحاد، "روبرت فيتسو"، حزبًا خاصًّا به، وسماه حزب (سمار). وحتى طباعة هذا الكتاب لم ينشق أي حزب جديد عن حزب سمار. بل على العكس، في عام 2005 التهم حزب سمار حزبه الأصلي (حزب اتحاد العمال السلوفاكي) وابتلعه في جوفه. أتوقع أنه بنهاية انتخابات 2010 سينشق عن حزب سمار ثلاثة أحزاب على الأقل. ففي هذه اللحظة تكاد تنشق عن حزب سمار "مونيكا بينوفا فلاشيكوفا"، نائبة رئيس الحزب. نسيت أن أذكر أن حزب (البديل الديموقراطي الاجتماعي) خرج من رحم (حزب اليسار الديموقراطي) في عام 2002.

ظهر فقط حزبان عن طريق الاندماج وليس الانفصال: أحدهما هو (حزب الائتلاف المجري)، والآخر هو (حزب الاتحاد الديموقراطي المسيحي السلوفاكي). وقد جاء حزب الائتلاف المجري (الذي لا يصرح أعضاؤه صراحة إن كان حزبًا أم ائتلافًا) من رحم حزب (الحركة الديموقراطية المسيحية المجرية). إنه ليس إلا حزب الحركة المسيحية الديموقراطية لكن بنكهة مجرية، حيث إن المجريين المسيحيين قد شرعوا بالمطالبة بمكان لهم في جنة المجر. حزب الحركة هذا كان قد انفصل عن حزب (التعايش). ضم حزب (الاتحاد المسيحي الديموقراطي السلوفاكي) كلًّا من الحزب الديموقراطي، وحزب

الاتحـاد الديموقراطـي، وحـزب الخُضـر، والحـزب الديموقراطـي الاجتماعـي السـلوفاكي، وحـزب الحركـة المسـيحية الديموقراطيـة الـذي خـرج مـن الائتـلاف فـي وقـت لاحـق. كذلـك خـرج مـن حـزب الاتحـاد الديموقراطـي المسـيحي السـلوفاكي فـي عـام 2005 حـزب (المنتـدى الحـر).

يقـوم كثيـر مـن المؤسسـين الجـدد بالانفصـال عـن أحـزاب، وتأسـيس أحـزاب أخـرى، علـى أمـل أن يحالفهـم الحـظ ويصبـح أحـد أعضائهـم نائبًـا فـي البرلمـان. يؤسسـها انفصاليـون عـن أحـزاب كبيـرة، وأشـخاص بائسـون مـن أحـزاب صغيـرة أيضًـا. هـؤلاء البائسـون اليائسـون لا يعرفـون أنهـم كذلـك عنـد تأسيسـهم للحـزب، فهـؤلاء غالبًـا مـا يكونـون علـى قناعـة أنهـم يؤسسـون حزبًـا سـيقرر مصيـر البـلاد لعـدة قـرون قادمـة.

ليسـت مصائـر كل مـن ينفصـل عـن حـزب تعيسـة فـي كل الأحـوال. فاليابـان تعـد مثـالًا للديموقراطيـة البرلمانيـة، حيـث تشـكلت عندهـم منـذ انتهـاء الحـرب العالميـة الثانيـة 47 حكومـة ائتلافيـة مـن مجموعـة أحـزاب سياسـية انشـقت عـن بعضهـا وتكاثـرت بصـورة صارخـة، وحقـق بعـض تلـك الأحـزاب المنشـقة نجاحًـا باهـرًا. ويُعـدّ الليبراليـون مـن أكثـر المنشـقين الذيـن يشـكلون أحزابًـا سياسـية وأنجحهـم بـلا منافـس. ظهـر حـزب (نيبـون شـينتو) الليبرالـي الجديـد عندمـا انفصـل فـي عـام 1992 الليبراليـون الغاضبـون عـن الحـزب الديموقراطـي الليبرالـي، وبعدهـا بعـام أصبـح هوشـوكاوا، زعيمهـم رئيسًـا للحكومـة. لكـن هوشـوكاوا لـم يَبْـقَ فـي منصبـه لأكثـر مـن ثمانيـة أشـهر، وتولـى الحكومـة مـن بعـده أعضـاء مـن حزبـه الذيـن انفصلـوا عنـه.

الأمـر المزعـج للأحـزاب الصغيـرة هـو أن أحـدًا لا يجاهرهـم بحقيقـة أنهـا أحـزاب عديمـة الجدوى. لذلـك يتصـرف بعضهـا علـى أنهـا أحـزاب كبيـرة. أوردت جريـدة (SME) اليوميـة فـي سـبتمبر عـام 2006 أنبـاء المؤتمـر العـام لحـزب المحافظيـن الوطنـي (وكان اختصـار الاسـم إبـان الشـيوعية يعنـي المركـز الثقافـي المحلـي). قـرر حـزب المحافظيـن أثنـاء المؤتمـر بأنـه سيشـكل معارضـة قويـة وعنيـدة ضـد الائتـلاف الحكومـي. وكان الائتـلاف الحكومـي حينئـذ قـد حصـل علـى 49,66 فـي المئـة مـن الأصـوات (منهـا 29,14 لصالـح حـزب سـمار، و11,73 فـي المئـة للحـزب الوطنـي الديموقراطـي، و8,79 فـي المئـة مـن نصيـب حـزب الحركـة الديموقراطيـة السـلوفاكية) بينمـا حصـل حـزب المحافظيـن الوطنـي علـى (0,26 فـي المئـة. تؤكـد هـذه الحقيقـة علـى اعتقـادي سـيئ النيـة مـن أن أحـد لـم يخبـر أعضـاء حـزب المحافظيـن الوطنـي بضآلـة مكانتهـم بيـن الأحـزاب.

الإمكانيـة الثانيـة لنشـأة الأحـزاب السياسـية الصغيـرة هـي الاندمـاج. فالأحـزاب التـي تحصـل

دائمًا على نسبة 0,5 في المئة في استطلاعات الرأي تقوم بالاندماج مع بعضها. مثل هذه الائتلافات الحزبية تظل تحصل على نسبة الـ 0,5 في المئة حتى بعد اندماجها مع بعضها. لكنها على الأقل تشعر بالدفء والسعادة. من مميزات الأحزاب الصغيرة هي قلة عدد أعضاءها، وهذا يؤمن لها قدر كبير من المرونة. فيمكن تنظيم المؤتمر العام للحزب في أتوبيس رحلات، ويمكن أن يلتئم اجتماع الهيئة العليا في أحد المصاعد، أو في كابينة الهاتف. لذلك فالأحزاب الصغيرة بسيطة في نفقاتها.

الشيء الوحيد الذي يلفت أنظار الناخبين إلى الأحزاب الصغيرة هي أسماؤها. فالأصوات التي حصلت عليها تلك الأحزاب في الانتخابات تشير إلى هذه الأحزاب: حزب المهمة 21، وحزب بدائل الواقعية السياسية، وحزب التفاهم الشعبي، وحزب اتحاد المواطن الجديد، والحزب الشيوعي 91، وحزب الأمل، وحزب الشروق. أما باقي الأحزاب لم يكن لها اسم يلفت انتباه الناخبين بدرجة كافية. ربما سيساعدها في ذلك لو أن زعمائها تواصلوا مع زملائهم اليابانيين. فقد وصلت أحزاب إلى البرلمان الياباني بفضل اسمها. منها أحزاب، "أيكوكو كوتو"، و"چيوتو"، و"ريكين كيشينتو"، و"مِنسايتو"، و"چيومشيوتو"، و"مينشو شاكايتو"، و"كومايتو". كما أصبح أعضاء من أحزاب مثل "شينسايتو"، وحزب "شاكاي"، و"تاي شوتو" مبعوثين حكوميين. وهذا أمر جدير بالانتباه. لكن هناك أحزاب لم يحالفها الحظ في الدخول إلى البرلمان، وهي أحزاب: "شينتو ساكيجاكي"، و"كايشين"، و"كايكاكو"، وحزب "نوكاي"، وأيضًا حزب "كاكوشينتو". للأسف، أحيانًا لا يكون الاسم موفقًا. لو أردت أن تبتعد عن المخاطرة فمن الأفضل لك أن تؤسس حزبًا صغيرًا. فالناس سينسونك بسرعة، ويعودون إلى احترمك مرة أخرى.

الحزب غير الشرعي

"لَوْ أنَّ الحِزْبَ الشّيُوعِيَّ كَانَ حِزبًا شَرْعِيًّا فِي نُوفَمْبِر 1989، لمَا خَسِرَ الثَّوْرَة"

المؤلف

يؤكد التاريخ أن الأحزاب غير الشرعية هي دائمًا أحزاب قوية ومتماسكة، على عكس الأحزاب الشرعية. كانت سيطرة الأحزاب الشرعية تتم بكل سهولة، وكانت تدلل أعضاءها. من الطبيعي في السياسة أنه لو بقي أحدهم في السلطة طويلًا، فإنه يعتاد عليها ويعتبر بقاءه فيها أمرًا مفروغًا منه، وعندما يخبره أحد يومًا أنه لم يعد في مقعد السلطة، لا يصدقه. قمت في إبريل عام 1990 بتطهير سفارتنا في النمسا، بصفتي سفيرًا لتشيكوسلوفاكيا، من الكوادر القديمة، ودخلت إلى مكتب رئيس (المنظمة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي) في فيينا وأنا أحمل خطاب التنحية. وجدته يضع صورة ضخمة للينين على الحائط، وعلى الطاولة زجاجة فودكا، ورحب بي قائلًا: "مرحبًا أيها الرفيق، ماذا تشرب؟". لم أندهش عندما تحدث باللغة التشيكية، فقد كان هناك واحد وعشرون تشيكيًّا من بين اثنين وعشرين دبلوماسيًّا في السفارة، لكن ما أدهشني هو أنه لم يفهم ما حدث. أوضحت له الأمر، وأنه قد تم إقصاؤه من عمله، لكنه صبَّ لي كأسًا، وطمأنني بابتسامة بأن كل شيء على ما يرام، وأنه في طريقه إلى مدينة براغ، وأنه "سوف يتحدث في الأمر مع الرفقاء عند نهر فلتافا". عبارة "عند نهر فلتافا" كانت تعني مقر اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي. أخبرته بأن الأمر سيكون صعبًا؛ لأن مقر اللجنة المركزية لم يعد موجودًا عند نهر فلتافا، وأن أنه الآن أصبح مقرًّا لوزارة النقل. لم يصدقني. ولديَّ شعور بأنه ما زال لا يصدقني حتى اليوم.

الحزب غير الشرعي هو من الناحية القانونية حزب يحظر القانون نشاطه. ويمكنني أن أؤكد، بخصوص منع أنشطة الأحزاب السياسية، أن غالبية الأحزاب في التاريخ كانت أحزابًا ممنوعة.

من المظاهر الأكيدة على عدم شرعية الحزب هو الجهل بوجوده، ومن هذا المنطلق سنجد

عندنا ما يقرب من مئة حزب غير شرعيّ. لكنَّ هناك أحزابًا تتصرف بصورة غير شرعية إلى أن تصل إلى السلطة، وعندما تصل إليها تقرر هي ما هو الشرعي وغير الشرعي.

رئيس الحزب

"لا أَعْرِفُ عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ مَنْ هُوَ أفْضَلُ أَعْضَاءِ حِزْبِكُمْ، لَكِنِّي أَعْرِفُ يَقِينًا مَنْ هُوَ رَئِيسُ حِزْبِكُمْ"

المؤلف

الحـزب السياسـي هـو عبـارة عـن رأي رئيسـه بصـورة مؤسسـية، فوجهـة نظـر رئيـس الحـزب تسـري دائمًـا، وتحـت أيـة ظـروف، فالرئيـس يختـار مـن بيـن أقـرب زملائـه فـي الحـزب أناسًـا يتوقـع منهـم أنهـم لـن ينسـوا هـذه الحقيقـة يومًـا وتحـت أي ظـروف. إنَّ تبنِّـي رأي رئيـس الحـزب يقلـل مـن مخاطـر أن يكـون لـدي الإنسـان رأي خـاص بـه.

علـى رئيـس الحـزب أن يتصـرف بصـورة برجماتيـة صِرفـة، ويتحـدث بطريقـة مثاليـة بحتـة. مـن أكبـر عيـوب رئاسـة الحـزب هـي الوحـدة، رغـم إعلانـه لـكل مـن حولـه بأنـه مـن أعـز أصدقائـه. رئيـس الحـزب لـه فـي ذلـك النهـج مـآرب خاصـة بـه. لكـن هنـاك فوائـد أيضًـا فـي أن تكـون رئيـس الحـزب، فالرئيـس علـى سـبيل المثـال يكـون مسـئولًا عـن جميـع نجاحـات الحـزب أو الحكومـة التـي يرأسـها، أمَّـا الإخفاقـات فتئـول مسـئوليتها إلـى نوابـه ووزرائـه، أو بيئـة العمـل المحيطـة. للرئيـس حـق الكلمـة الأخيـرة. ليـس بمعنـى أن "هـذه هـي الكلمـة الفاصلـة مـن الرئيـس"، لكـن بمعنـى "هـذه هـي الكلمـة الفصـل بعـد انتهـاء المـداولات الديموقراطيـة". هـذا الأمـر يسـري فـي رئاسـة الحـزب، والجمعيـة، والمجلـس المركـزي، أو مجلـس الجمهوريـة.

الفـرق بيـن رئيـس فـي نظـام شـمولي وآخـر فـي نظـام ديموقراطـي، هـو أن الرئيـس فـي الحـزب الحاكـم الوحيـد يفتتـح الجلسـة، ويقودهـا، ويقـول فيهـا الكلمـة الفاصلـة، ويلخـص المناقشـات، ويقتـرح القـرارات. أمـا فـي الحـزب الديموقراطـيّ فالرئيـس يفتتـح الجلسـة، ويقودهـا، ويقـول فيهـا الكلمـة الفصـل، ويلخـص المناقشـات، ويقتـرح القـرارات. يتـم إقـرار القـرارات بنسـبة تسـعة وتسـعين فـي المئـة، وأحيانًـا مئـة فـي المئـة مـن عـدد الأصـوات الحاضـرة. ويأتمـر كل أعضـاء الحـزب بعـد ذلـك بالقـرار الـذي اتُّخِـذَ بطريقـة ديموقراطيـة. ولـو كان الحـزب هـو القـوة المحركـة للائتـلاف الحكومـي فـإن القـرار ينفـذ علـى كل أفـراد المجتمـع، علـى أسـاس أن الحكومـة سـوق

تُقِـرُّ هـذه القـرارات، والتـي يرأسـها عـادةً نفـسُ الرئيـس، الـذي يـرأس الحـزب، الـذي أقـر القـرار الحكيـم. غالبًـا مـا يتـم إقـرار قـرارات الحكومـة بنسـبة تسـعة وتسـعين إلـى مئـة فـي المئـة مـن مجمـوع الأصـوات.

المثيـر فـي الأمـر أن رئيـس الحـزب يترفـع عـن كرسـي الرئاسـة، ويعلـن عـن رغبتـه فـي تركـه، وأنـه لا يفكـر إلا فـي العثـور علـى رئيـس شـابّ نَشِـط ليتولـى الرئاسـة. لكـن المشـكلة هـي ألَّا يجـد مثـل هـذا النائـب. لذلـك فهـو يهـز كتفـه فـي كل جمعيـة عموميـة بخفـة ويقـول: "ليـس فـي يـدي سـوى أن أضحـي بنفسـي مـن أجـل الحـزب، وأواصـل القيـادة لبعـض الوقـت"، ثـم يرشـح نفسـه للانتخابـات مـرة أخـرى، ويصبـح راضيًـا؛ لأنـه يعـرف جيـدًا أنـه لا يبحـث عـن أي نائـب لـه. بالطبـع يتفـق الحـزب مـع أحـد المتطوعيـن – طالمـا أراد الحـزب أن يسـتعرض توجهاتـه الديموقراطيـة- علـى أنـه سـوف يرشـح نفسـه ضـد الرئيـس. ولا يبـدو الشـخص المُتبـرع بمظهـر الغبـي. يؤكـد لـه الرئيـس بأنـه سـوف يحصـل علـى أربعمائـة صـوت، وهـو مـا يحقـق مسـتوى مرتفعًـا مـن ثقـة أعضـاء المؤتمـر فـي شـخصه، لكنـه لـن يكـون نـدًّا للرئيـس. ثـم تكتـب الصحـف أن الحـزب يتبنـى النهـج الديموقراطـيّ بالفعـل، ثـم يخـرج المرشـح المنهـزم بعـد حوالـي سـاعة أثبـت خلالهـا أنـه ينافـس الرئيـس.

الرئيـس الحـق – وكلهـم جميعًـا كذلـك، وإلا لمـا أصبحـوا رؤسـاء- يعـرف عـن كل كبيـرة وصغيـرة فـي الحـزب. لديـه "حـرس جمهـوريّ" فـي كل مـكان، مجموعـة مـن المقربيـن الذيـن يخبرونـه باسـتمرار بـكل هفـوة تصـدر وتتعـارض مـع رغباتـه. ليـس علينـا أن نتهـم الرئيـس بالنرجسـية، فـكل منـا يتمتـع بقـدر منهـا، لكننـا لا نمتلـك القـدرة علـى تطويـر هـذه الطبيعـة البشـرية إلـى ذلـك القـدر الكبيـر الـذي يبلغـه الرئيـس. تتعـرض نرجسـية الرؤسـاء للانتقـاد فـي غيابهـم، وغيـاب هـؤلاء المعـروف عنهـم بأنهـم سـيهرولون نحـو الرئيـس ليُبَلّغـوه بأيـة تلميحـات ناقـدة. وبمـا أن هـؤلاء هـم الأغلبيـة فلـن تجـد عمليًّـا مـن ينتقـده، وهـو مـا يسـهم فـي زيـادة شـعوره بالنرجسـية، ويبـدأ فـي الاعتقـاد بأنـه شـخص رائـع، وأن العنايـة الإلهيـة قـد حَبَتْـه قـدرات خارقـة وأرسـلته لحمايـة الوطـن، فقـد حمـى رئيـس (حـزب العمـال الألمانـي الوطنـي الاجتماعـي) ألمانيـا والعالـم. بالمثـل، فقـد حمـى رئيـس الحـزب الشـيوعي السـوفيتي ليـس فقـط الاتحـاد السـوفيتي، بـل والعالـم أجمـع. وبالمثـل يحمـي العالـم اليـوم تـارة رئيـس الديموقراطييـن، وتـارة رئيـس الجمهورييـن فـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة.

إن غـرور الرؤسـاء لـه أعـراض المـرض العُضَـال. أحـد الأعـراض الرئيسـية لهـذا المـرض هـو

أنـه يظهـر تدريجيًّـا. ففـي البدايـة يكـون الرئيـس متواضعًـا، ويتقبـل النقـد الموجـه لشـخصه، بـل ويُحـرِّض عليـه. بعـض الأغبيـاء الميئـوس منهـم يسـتجيبون لمثـل هـذه الدعـوات ويتجـرءون علـى معارضـة الرئيـس أو التعديـل عليـه، لكنهـم سـرعان مـا يتوقفـون عـن ذلـك. يتوقفـون لأنـه يتـم اسـتبدالهم بآخريـن لـم يسـتجيبوا - عـن ذكاء- لدعـوة الرئيـس بتوجيـه انتقـادات بنّـاءة لسياسـته.

يمكـن معرفـة الدرجـة التـي تصل فيهـا نرجسـية الرئيـس إلـى ذروتهـا مـن خـلال مجموعـة مـن الشـواهد. الشـاهد الأبـرز هـو خطابـات الرئيـس نفسـها. الرئيـس غالبًـا مـا يكـون متحدثًّـا مُفَوَّهًـا، ومثلـه مثـل أي متحـدث بليـغ يُحِـب الإنصـات إلـى الآخريـن، خاصـة عندمـا يصفقـون لـه، أو يصفقـون وهـم يهتفـون لـه. وهـذا يحـدث كثيـرًا أثنـاء إلقـاء الرئيـس خطاباتـه، حيـث لا يجلـس فـي المقصـورات سـوى أتباعـه غالبًـا (فالرئيـس ليـس تابعًـا لأحـد)، وهـذا التصفيـق يتخلـل خطاباتـه بـلا توقـف. يحـدث أثنـاء تلـك الخطـب أن يهـم الضيـوف الأجانـب (أصحـاب الحـظ العاثـر) بعـد أول سـاعة مـن الخطـاب بالانصـراف إلـى البوفيـه وتنـاول كأس مـن البيـرة، ثـم يعـودون بعـد سـاعتين دون أن يلاحـظ ذلـك الرئيـس البليـغ. لا يمكنـه أن يلاحـظ بالطبـع؛ لأن طاولـة المتحدثيـن غالبًـا مـا تكـون موجهـة نحـو الصالـة، فـلا يعـرف الرئيـس مـا يـدور خلـف ظهـره. الاسـتثناء الوحيـد هـي اللحظـة التـي يسـقط فيهـا أحـد أعضـاء الفريـق الرئاسـي مـن فـوق مقعـده، ربمـا لأنـه توفـي أو غشـيه النـوم فـي أفضـل الأحـوال. لقـد رأيـت بنفسـي أثنـاء عملـي فـي الدبلوماسـية قمـة الرغبـة فـي النـوم عندمـا استسـلم أحـد السياسـيين النمسـاويين للنـوم أثنـاء خطبـة يلقيهـا هـو بنفسـه، وراح رئيـس بعثـة الضيـوف يحـاول إنقـاذ الموقـف، فبـدأ يشـكر المتحـدث عـن كلمـات الصداقـة المخلصـة بـكل امتنـان. انتبـه المتحـدث بعـد غفـوة اسـتمرت ربمـا لدقيقتيـن (وهـي فتـرة طويلـة للغايـة فـي مثـل هـذه المواقـف)، ثـم واصـل خطبتـه دون أن يلحـظ أنـه استسـلم للنـوم. وعندمـا انتهـى راح رئيـس بعثـة الشـرف يكـرر نفـس كلمـات الشـكر والامتنـان. كل مـن كان بالقاعـة لاحـظ مـا حـدث إلا السياسـي نفسـه. رجـل كهـذا لـن يعـرف يومًـا أي شـيء عـن أدائـه الفريـد مـن نوعـه. نجـد كثيـرًا مـن الرؤسـاء يقعـون فـي مواقـف مشـابهة، لكـن لا يجـرؤ أحـد علـى أن ينبههـم إلـى أن الضيـوف الأجانـب قـد انصرفـوا إلـى البوفيـه أكثـر مـن مـرة، والبعـض منهـم ذهـب إلـى غرفـة السـاونا، وإحـدى أعضـاء الوفـد ولـدت طفلهـا وعـادت إلـى الصالـة دون أن يلاحظهـا أحـد.

التصفيـق الحـاد يجعـل الرئيـس يعتقـد أن النـاس سـعداء بخطابـه، فيسترسـل فـي الحديـث، ويتحـدث، ويتحـدث. لكـن هنـاك فـي هـذا العالـم، لحسـن الحـظ، عامـلات وعمـال نظافـة يتمتعـون

بجـرأة عاليـة. يأتـون فـي السـاعة السادسـة صباحًـا، ويدخلـون إلـى القاعـة أو الميـدان بـلا تـردد، ويشـرعون فـي تشـغيل المكنسـة أو جمـع الفضـلات، بينمـا المتحـدث مسترسـل فـي خطابـه. فـي هـذه اللحظـة ينظـر الرئيـس إلـى مسـاعده، ويتسـاءل بإشـارات منـه إن كان عليـه أن يتوقـف عـن الحديـث، ولأن المستشـار يرغـب فـي أن يظـل مستشـارًا، يومـئ لـه بابتسـامة خفيفـة بـأن النـاس سـعداء بخطابـه. وعندمـا يسـتمع الرئيـس إلـى أصـوات عربـات الإسـعاف فـي وقـت مبكـر مـن الصبـاح وهـي تحمـل مـن لـم يَقْـوَ مـن الحاضريـن علـى مواصلـة الاسـتماع إلـى الخطبـة، عندهـا يـدرك أنـه قـد حـان بالفعـل الوقـت كـي ينتهـي مـن خطابـه، فيُغالـي أنصـاره الأوفيـاء فـي إعجابهـم بخطابـه الرائـع، ويعربـون عـن حزنهـم العميـق مـن انتهـاء الخطبـة.

الطريق إلى مقعد الرئاسة

"الطَّرِيقُ إِلَى الخُلُودِ يَمُرُّ عَبْرَ التَّابُوت"

مؤلف مشهور

الطريق موجود طالما كانت هناك إرادة، والحُفَر لا توجد إلا فوق الطرق. الطريق إلى مقعد الرئاسة ليس سهلًا؛ لأن مقعد رئيس الحزب هو حلم كل عضو من أعضائه. كثير من السياسيين الأغبياء يعتقدون أن قدراتهم الحقيقية لن تظهر إلا عندما يصيرون رؤساء لأحزابهم، فتدفعهم محاولاتهم الجادة للوصول إلى مقعد الرئاسة إلى ارتكاب الحماقات المستمرة. حسن حظ هؤلاء السعاة يكمن في أنهم لن يعرفوا يومًا السبب الذي حالَ دون أن يصلوا إلى مقعد الرئاسة. لو أنكَ كنتَ عضوًا في حزب سياسي منذ تأسيسه ولم تصبح رئيسًا، فلا تعاود المحاولة. إن الوصول إلى منصب رئيس الحزب ممكن لكنه ليس سهلًا. الشرط الأساسي لتحقيق ذلك هو أن تُنَحِّي الرئيس الموجود، وهذا قد يحدث بالطرق التالية:

أن تغتال رئيس الحزب، وشرط نجاح عملية الاغتيال هو أن تضع قنبلة في أقرب مكان يجلس فيه الرئيس، وأفضل وقت لانفجارها هو عندما تعانق الرئيس كدليل على الصداقة الأبدية. هذه النصيحة لم يأخذ بها العقيد "شتاوفنبرج"، فأفشل محاولة اغتيال "أدولف هتلر"، رئيس حزب العمال الاشتراكي الوطني. السبب في ذلك هو أنه بدلًا من يطير مع رئيس الحزب في الهواء، وضع الحقيبة التي أخفى بها القنبلة بجوار قدم طاولة مصنوع من خشب البلوط، فامتصت قوة الانفجار، ونجا القائد بحياته. كلف هذا العميدَ شتاوفنبرج حياته، على الرغم من أنه لم يكن موجودًا في الغرفة وقت الانفجار. خطط هتلر جيدًا، فلم تفشل عملية الإعدام، ولم يَحْمِ العميدَ قدمُ طاولة من خشب البلوط.

يمكن أن تكون إزاحة الرئيس بمادة مُتفجرة طريقة غير عملية بالنسبة للمرشحين لمنصب رئيس الحزب من كبار السن، فحمل مواد متفجرة تزن عشرة كيلوجرامات تحت القميص ليس بالأمر الهين؛ لذلك من المناسب للمرشحين لمنصب رئيس الحزب أن يحملوا

شـيئًا أكثـر خفـة. يُعَـدّ الخنجـر مـن الوسـائل المُجرَّبـة تاريخيًّـا، ليـس فقـط لإزاحـة الرؤسـاء، بـل وللتخلـص مـن الملـوك والقياصـرة، وحتـى رؤسـاء الـدول. إن التخلـص مـن رئيـس الحـزب بواسـطة خنجـر تعـد طريقـة مأمونـة تُدْخِلـك التاريـخ. ورغـم أن "بروتـس" كان قائـدًا رومانيًّـا عظيمًـا، وحقـق لمملكتـه العديـد مـن الانتصـارات الرائعـة، إلا أنـه مـا كان ليدخـل التاريـخ لـو لـم يطعـن "الرئيـس"، إمبراطـور رومـا. لكـن مـن الضـروري الانتبـاه كـي لا تحمـل خنجـرًا طويـلاً بدرجـة مبالـغ فيهـا؛ لأنـك لـو كنـت تعانـق الرئيـس فـي لحظـة طعنـه مـن الخلـف، يمكـن أن يتـم طعنـكَ أنـت أيضًـا. يمكنـك تفـادي هـذا الأمـر لـو أنـك اطلعـت خلسـة علـى حجـم صـدر الرئيـس. مـن معلومـة كهـذه يمكنـكَ بسـهولة، بواسـطة قيـاس النسـبة بيـن محيـط الدائـرة وقطرهـا، أن تحسـب الطـول المناسـب للخنجـر. المشـكلة يمكـن أن تحـدث عنـد مـرور الخنجـر الـذي قـد يصطـدم بوجـود مـواد معدنيـة، ولـو عثـروا علـى الخنجـر فـي حقيبتـك قبـل أن تذهـب إلـى زيـارة الرئيـس، فلـن يكـون سـهلًا أن تقنعهـم بأنـك نسـيته فيهـا وأنـت تقطـع النقانـق. الأفضـل مـن ذلـك هـو اسـتخدام سـلاح نـاريّ، مـع كاتـم صـوت، ومنظـار. لقـد نجـح هـذا الأمـر فـي حالـة لينكولـن، وكينيـدي. لمـاذا لا تنجـح أنـتَ أيضًـا؟

لكـن هنـاك وسـائل أقـل عنفًـا فـي إزاحـة رؤسـاء الأحـزاب. وعلـى وجـه التحديـد وسـائل متعـددة لتشـويه سـمعته، قـد تصـل إلـى درجـة أن يضطـر إلـى الاسـتقالة تحـت ضغـط الـرأي العـام. لا يكـون تشـويه سـمعة رئيـس الحـزب بوضـع عشـيقة لـه، أو ضبطـه وهـو يتبـول مـن شـرفة مطعـم عـام، أو وهـو يسـرق زجاجـة خمـر فـي محـل للخدمـة الذاتيـة، فهـذه أسـاليب غيـر فعالـة. إن تأثيرهـا، علـى العكـس، يكـون إيجابيًّـا، فالمواطنـون يأخـذون مثـل هـذه الأمـور بقـدر كبيـر مـن التسـامح، فهـي تؤكـد لهـم أن السياسـي يتصـرف كواحـد منهـم. الطريقـة الأكيـدة للوصـول إلـى مقعـد الرئاسـة هـي جعلـه يتصـرف بغبـاء، وعلـى فتـرات طويلـة، إلـى درجـة أنـه بـدلًا مـن أن يضـع نـواب مجلـس الشـعب تحـت جناحـه، يكتـب خُطبًـا عصمـاء. ويجـيء التصويـت فـي مجلـس النـواب صادمًـا للمحلليـن والـرأي العـام، وصادمًـا لـه هـو شـخصيًّا. بيـلا بوجـار[4] هـو خيـر مـن يتحـدث فـي هـذا الأمـر.

الأمـر مختلـف بالنسـبة للرؤسـاء فـي المناصـب الأقـل درجـة. وكلمـا كانـت درجـة المنصـب أدنـى، قـلَّ إقبـال النـاس عليـه. نجـد فـي الحيـاة الحزبيـة هـذه القاعـدة: إن كنـت تشـغل منصبًـا أدنـى فـلا تخـرج مـن غرفتـك أثنـاء الانتخابـات؛ لأن النـاس سـوف تنتخبـك، وإن كنـت تشـغل

(4) سياسي سلوفاكي من أصل مجري، وعضو في البرلمان السلوفاكي (المترجم).

مركزًا مرموقًا فلا تخرج من غرفتكَ أثناء الانتخابات لأن الناس لن تنتخبك.

الجهـر بالإيمـان والنظـرة العالميـة للأمـور هـي مسـألة يجـب أن تبرزهـا وأنـت فـي طريقـك المأمـول لمنصـب الرئيـس. ففـي إنجلتـرا لـم يكـن جائـزًا أن يكـون الكاثوليكـيّ رئيسًـا للحكومـة. وفكـرة أن يكـون الرئيـس بروتسـتانتيًّا فـي بولنـدا لا تخطـر ببـال أحـد. وفـي روسـيا لا يمكـن أن يكـون الرئيـس لـم يسـبق لـه أن شـارك فـي الحـزب الشـيوعيّ. وعلـى العكـس، لا يمكـن أن يكـون الشـيوعيّ الممثـل الأعلـى للفاتيـكان. أصبـح بنياميـن "دزرائيلـي" رئيـس لـوزراء بريطانيـا العظمـى بسـبب (أو ربمـا بفضـل) أصلـه اليهـوديّ. وعندمـا تأكـد البريطانيـون أن "دزرائيلـي" لـه أصـول إيطاليـة أيضًـا، لـم يختـره الناخبـون فـي الانتخابـات التاليـة.

كان يمكـن للشـخص أن يصبـح قيصـرًا بالتبنـي فـي رومـا القديمـة، وقـت حكـم القيصـر "ترايـان"، و"مـارك أوريليـو". فقـد تبنـى القيصـر نائبـه، ومكَّنـه بذلـك مـن اعتـلاء العـرش. وحـدث هـذا أيضًـا مـع القياصـرة "هادريانـوس"، و"أنطونيـو بيـوس". وحتـى مـع "لوسـيوس فيـروس" الـذي حكـم مـع "مـارك أوريليـو". قـرارك فـي تبنـي أحـد يحـدده فـي سـلوفاكيا رئيـس قسـم الشـئون الاجتماعيـة فـي المحافظـات، أو القضـاء؛ لذلـك ففرصتـك منعدمـة فـي أن تصبـح قيصـرًا.

حزب تحت قيادة قصيرة الأجل

"يَلُومُونَنِي عَلَى أَنِّي أُوَجِّهُ الشِّرَاعَ حَسْبَ اتِّجَاهِ الرِّيحِ. لَكِنْ لَا تُوجَدُ وَسِيلَةٌ أُخْرَى كَيْ تَتَقدَّمَ السَّفِينَةُ إِلَى الأَمَامِ"

أوتو فون بسمارك

الحـزب الـذي لديـه قيـادة قصيـرة العمـر هـو الحـزب الـذي يتـولاه أفـراد لديهـم آراؤهـم الخاصـة. أن تكـون لديـك رؤيتـك الخاصـة هـو سـبب كافٍ كـي لا تسـتمر فـي القيـادة أو يسـتمر الحـزب نفسـه فـي التواجـد لفتـرة طويلـة. إن القيـادة التـي يشـارك فيهـا شـخصيات قويـة، محكـوم عليهـا بالفنـاء التدريجـيّ. وبالضـرورة سـيظهر شـخص لا يسـمح للحـزب بالتفـكك نتيجـة تعـدد الآراء؛ لذلـك فهـو يبطـل مفعـول هـذه الآراء، وغالبًـا مـا ينحـي معهـا أصحابهـا. مثـل هـؤلاء الأشـخاص يأتـون كفئـران تقـف متواريـة فـي الخلفيـة، وتظهـر وقـت الضـرورة. كان أدولـف هتلـر مثـالًا للسياسـي الـذي ظهـر فـي الوقـت المناسـب. فهـو كاثوليكـي، وابـن موظـف فـي الجمـارك مـن زوجتـه الثالثـة. رجـل لـم يكـن لديـه حتـى بدايـة حياتـه السياسـية فـي عـام 1933 أيـة خبـرات عمليـة، ولـم يكـن لديـه شـيء ينبـغ فيـه. كان تعليمـه بسـيطًا، ورسـب مرتيـن فـي امتحـان القبـول بأكاديميـة الفنـون فـي ڤيينـا. نشـأ وسـط الطبقـة الدنيـا فـي مجتمـع ڤيينـا، وكان عاجـزًا عـن إقامـة علاقـة دائمـة مـع أحـد. كان مجـرد فـأر لا يلتفـت إليـه أحـد، وكان كل مـن فـي قيـادة الحـزب يتنـدر منـه. مـا لفـت الأنظـار إليـه هـو أنـه لـم يكـن يمتلـك أفـكارًا محـددة. وعندمـا بـدأت قيـادة الحـزب العمالـي، الـذي تحـول فيمـا بعـد إلـى الحـزب العمالـي الألمانـي القومـي الاشـتراكي، فـي الانخـراط فـي المناقشـات، راح أدولـف يسـتمع بعـض الوقـت، ثـم تحـدث مـن بعدهـا. بـدأ يقلـص مـن الموجوديـن فـي القيـادة. قلَّـص عددهـا إلـى درجـة أنـه اختصـر جسـد أحـد أعضائهـا السـاخطين، وجعلـه بـلا رأس. وقـد نفـذ هتلـر ذلـك الأمـر علـى صديقـه القديـم (روم)، وعلـى غيـره أيضًـا. لحسـن الحـظ، لا تمـارس قيـادة الأحـزاب اليـوم تقليـص الأعـداد بهـذه الطريقـة. إن مخاطـر تقليـص عـدد مـن هـم فـي القيـادة تواجـه كل عضـو، كمـا يقولـون علـى سـبيل التنـدر "قصيـر النظـر". يتعـرض لهـا ببسـاطة كل مـن لا يفهـم أن رئيسـه عندمـا يسـأله عـن رأيـه فهـو فـي الواقـع

يريـد أن يسـمع رأيًـا يدعـم رأيـه. وإن قـال تعيـس الحـظ رأيًـا مغايـرًا فـلا يلومـنَّ بعدهـا إلا نفسـه. لا يفضـل القـادة تكـرار الأسـباب التـي جعلتهـم يقلصـون عـددًا مـن المراكـز القياديـة أمـام نفـس الأشـخاص؛ لذلـك فهـم يغيـرون الجميـع. إن الأحـزاب التـي بهـا قـادة لا يسـتمرون طويـلًا لا تبقـى هـي نفسـها طويـلًا، شـأنها شـأن الأحـزاب التـي تتمتـع بقيـادة ممتـدة.

حزب تحت قيادة طويلة الأجل

"الدِّيمُوقْرَاطِيَّةُ تَعْنِي الالْتِزَامَ بِالقَوَاعِدِ حَتَّى وَإنْ لَمْ يَكُنِ الحَكَمُ مُنْتَبِهًا إلَى مَنْ يُخَالِفُهَا"

مانفريد هاوسمان

على عكس الحزب الذي لديه قيادة قصيرة الأجل، فقيادة الأحزاب طويلة الأجل تقوم على أناس لا يمتلكون رؤية خاصة. في هذه الأحزاب يصبح أعضاء الهيئة العليا للحزب من أقرب المقربين للرئيس. يوجد بينهم من هم أقرب من غيرهم للرئيس، هؤلاء في الغالب ما يكونان اثنين أو ثلاثة أصدقاء قدامى له، ممن أسسوا الحزب معًا، إنهم يشكلون قيادته غير المنصوص عليها، والتي تقرر عمليًّا في كل شيء وكل شخص. فلو أراد الحزب مثلاً أن يقدم طلبًا للحكومة حول وجهة نظره بخصوص خصخصة محطات الكهرباء، يلتئم اجتماع غير رسميّ لمناقشة الأمر. إن القيادة غير الرسمية يستدعيها رئيس الحزب غالبًا بعد محادثة تليفونية مع رئيس مجموعة الرعاة. تتفق رئاسة الحزب غير الرسمية على الموقف الذي أبلغتها به مجموعة الجهات الداعمة للحزب، فيقدمه رئيس الحزب لإقراره من الهيئة العليا في الحزب. وعندما يعلم أعضاء الهيئة العليا في الحزب أن رئيسهم يقترح أشياءً بناء على محادثة تليفونية مع مجموعات الرعاة، ينصاعون للأمر ويُقِرُّون الاقتراح. يسمى الموقف النهائي الذي اتخذوه بالقرار، ويسبقه مناقشة موسعة، وأحيانًا مفتوحة، ينهيها الرئيس عندما يعلن عن رأيه بخصوص التصويت على القرار، ثم يبدأ بعدها التصويت. وقبول القرار لا يعني أن الرئيس وحزبه قد كسبا المعركة. فعلى الرئيس أن يذهب برأي الحزب إلى مجلس الائتلاف الذي يشارك فيه ممثلو الأحزاب، وتجرى فيه عمليات مماثلة كتلك التي حدثت في حزبه. فرؤساء أحزاب الائتلاف الأخرى تتلقى مكالمات هاتفية مشابهة، ويشكلون مواقفهم بناء عليها؛ لذلك تعقد الصفقات التجارية في مجلس الائتلاف. البعض يتراجع عن خصخصة محطات الكهرباء، والآخر يدعم محطات الغاز الطبيعي، وثالث يقول بأنه لا يرغب لا في محطات الكهرباء ولا الغاز، فيحصل على السكك الحديدية. هكذا يتم

تدبـر الأمـور، ثـم يُعقـد مؤتمـر صحفـي موجـز يعلنـون فيـه عـن موافقـة جماعيـة فـي المسـائل التـي تهـم الوطـن والدولة.

أعضـاء الهيئـة العليـا للحـزب عـادة مـا يكونـون قريبيـن مـن الرئيـس. قـد يظهـر بينهـم مـن لا يـروق للرئيـس، لكنـه يجـب أن يتحملـه؛ لأن مجموعـات الضغـط مـن داخـل الحـزب ومـن خارجـه تفـرض وجـوده هنـاك.

الشـرط الرئيسـي كـي يصبـح الإنسـان عضـوًا فـي الهيئـة العليـا للحـزب هـو أن يكـون أكثـر غبـاءً مـن رئيسـه، أو علـى الأقـل لا يُظْهِـر مـا يفيـد بأنـه أكثـر منـه حكمـة. لقـد انتهـى الوقـت الـذي كان فيـه الرؤسـاء محاطيـن بأنـاس حكيمـة وقويـة؛ لذلـك لا تفكّـر فـي الأمـر كثيـرًا. لـم يعـد عندنـا ولا فـي العالـم رجـال مثـل رجـال "مـارك أوريلـي"، و"الإسـكندر الأكبـر"، و"باريـكل"، و"نابليـون"، و"لينكولـن"، و"واشـنطن"، و"بسـمارك"، و"أيزنهـاور"، و"تشرشـل"، و"ديجـول". إن مـا هـو معـروض مـن القـادة اليـوم سـيئ للغايـة.

لـو أنـك بالفعـل غبـيّ وتعبـر عـن ذلـك علانيـة، فأنـت محظـوظ. أسـوأ مـا فـي الأمـر عندمـا لا تكـون غبيًّـا ولا تعـرف كيـف تخفـي هـذا الأمـر. حالـة كهـذه لا تنبـئ بخيـر؛ لأن عضويتـك سـتكون تحـت المحـكّ مـن قِبَـل رئاسـة الحـزب. فالرئيـس يختـار أعضـاء المجلـس الرئاسـي، ومـن الطبيعـي أن يحقـق القاعـدة التـي تقـول إنهـم لا بـد أن يكونـوا أكثـر منـه غبـاءً. مـن المسـتحيل أن يختـاروا فـي الهيئـة العليـا المركزيـة رئيسًـا مـن قيـادة الحـزب الإقليميـة يكـون أكثـر ذكاءً مـن رئيـس الهيئـة المركزيـة. فأعضـاء الرئاسـة المحليـة يختارهـم الرئيـس الاقليمـي أيضًـا، تمامًـا كمـا يختـار الرئيـس المركـزي أعضـاء الهيئـة الرئاسـية المركزيـة. مـن هـذا يتضـح أن أعضـاء الهيئـة المحليـة علـى نفـس القـدر مـن الغبـاء الـذي يتمتـع بـه الرئيـس المحلـي للحـزب. وبمـا أن الحـزب لـه نفـس الهيـاكل المحليـة والمركزيـة التـي تجـري فيهـا عمليـة اختيـار أعضـاء الهيئـة العليـا والرئيـس بنفـس الطريقـة، فمـن المؤكـد أن الرئيـس المركـزي سـيبقى فـي منصبـه. ومـن بـاب الاحتيـاط يتـم التشـاور مـع رئيـس الحـزب بخصـوص تعييـن المديريـن فـي المحافظـات والأقاليـم. فـإن كنـت غبيًّـا، فـلا تبالـغ فـي تواضعـك، فأنـت صالـح للاسـتخدام العـام، وإن كنـت لا تفهـم أي شـيء، فأنـت صالـح للاسـتخدام فـي كل مـكان. مـن الجائـز أن هـذه الصفـة قـد تفتـح أمامـك الطريـق إلـى مقعـد الرئاسـة.

تمويل الحزب

"السِّياسَةُ هِيَ مُحَاوَلَةٌ يَائِسَةٌ لإثْبَاتِ أنَّ المَالَ لَا يَجْعَلُ الإِنْسانَ سَعِيدًا"

سبايك ميليجان

لا يمكـن أن يسـتمر الحـزب بـدون مموليـن، كمـا أن هـؤلاء المموليـن لا يمكنهـم أن يعيشـوا حيـاة رغـدة بـدون حـزب سياسـي، شـريطة أن يكـون فـي سُـدَّة السـلطة؛ لذلـك يجـب التفكيـر عنـد تأسيسـك حزبًـا سياسـيًّا أن تصـل إلـى السـلطة فـي أقـرب وقـت ممكـن. الرعـاة غالبًـا متعجلـون، لكنهـم ليسـوا أغبيـاء، ويقللـون مغامـرة التمويـل إلـى أقصـى درجـة، وكل راعٍ عاقـل يمـول أكثـر مـن حـزب، رغـم أن العائـد ليـس مضمونًـا مئـة فـي المئـة. لكـن الخسـارة أيضًـا لـن تكـون مئـة فـي المئـة. إن اسـتدعاء طبقـة اجتماعيـة بعينهـا ليـس هدفًـا أساسـيًّا لنشـأة الحـزب السياسـي، بـل وجـود أحـد الرعـاة ليدعمـه، لذلـك الشـرط الأساسـي لنشـأة الحـزب هـي الأمـوال؛ لذلـك فـدور الراعـي محـوري، فأنـت لـن تـأكل مـن الأفـكار.

لا يقـدم الرعـاة أمـوالًا للحـزب لأن اسـمه يعجبهـم، أو رئيسـته تروقهـم، رغـم ظهـور حـالات نـادرة فـي سـلوفاكيا، دفـع فيهـا الرعـاة أمـوالًا لحـزب سياسـي بـدون مقابـل، وبـلا سـبب. لكنهـا حالـة فريـدة بالفعـل، فـي مثـل هـذه الحـالات يعتبـر ذلـك المتبـرع مخبـولًا. تؤكـد الألسـنة الشـريرة أن بعـض الرعـاة يدفعـون الأمـوال لكـي تعـود إليهـم مـرة أخـرى عندمـا يصـل الحـزب الـذي يدعمونـه إلـى السـلطة. إنـه حكـم ظالـم وغيـر منطقـي خاصـة فيمـا يتعلـق بالأحـزاب المحوريـة، فعنـد تمويـل الأحـزاب السياسـية مـن قِبَـل رعـاة لهـا، يجـب أن ننطلـق مـن حقيقـة أن الراعـي شـخص ثري، وعندمـا يدعـم الحـزب فـي حـدود اثنيـن مليـون يـورو، فمـن المؤكـد والمنطقـي أن دخلـه يتجـاوز الأربعيـن ألفًـا. فلـو أن الراعـي مليونيـر، فلـن يدعـم حزبًـا شـعاره الانتخابـيّ هـو تحصيـل ضرائـب مـن أصحـاب الملاييـن. ورغـم ذلـك فـإن الراعـي يدعـم الحـزب. مـن هـذا يتضـح أن الضرائـب علـى المليونيـرات لا تسـري إلا علـى الرعـاة "المليونيـرات" الذيـن يتكسـبون خمسـمائة يـورو شـهريًّا.

يتـم تمويـل الأحـزاب أيضًـا، فضـلاً عـن الرعـاة، مـن أمـوال الدولـة. أي مـن الأمـوال التـي يحصلـون عليهـا بنـاء علـى نتيجـة الانتخابـات. لكـنْ هنـاك طريـق ثالـث للحصـول علـى تمويـل مـن أمـوال الدولـة. فرغـم أن الأمـوال بهـذه الطريقـة تأتـي مـن مصـادر عديـدة، إلا أنهـا تصـب فـي النهايـة فـي خزينـة الحـزب الـذي يجلـس أحـد أعضائـه فـوق مقعـد إحـدى الـوزارات. الشـرط الأساسـي لتعييـن مرشـحين فـي منصـب وزاري ليـس تولـي الاختصاصـات التـي كُلّـف بهـا، لكـن قدرتـه علـى أن يضـخ منهـا إلـى حزبـه أكبـر قـدر مـن الأمـوال القادمـة مـن مختلـف العمـولات التـي يحصـل عليهـا مـن التعاقـدات الحكوميـة. إحـدى الوسـائل البراقـة لتقنيـن هـذه الأمـوال هـي وضعهـا فـي الحـزب علـى هيئـة مشـاركات مـن الأعضـاء. بعـض أعضـاء الحـزب يدفعـون سـنويًّا ثلاثـة أو أربعـة يـورو كرسـم عضويـة، لكـن هنـاك مـن يدفـع سـنويًّا ثلاثـة أو أربعـة أو خمسـة آلاف يـورو أو أكثـر مـن ذلـك. الأمـر هنـا يتعلـق بأعضـاء لا تمثـل لهـم هـذه الآلاف شـيئًا. أكثـر مـن مـرة ثَمَّـن الصحفيـون والـرأي العـام مـدى التضحيـة التـي قدمتهـا حمـاة السـيد الوزيـر التـي كانـت علـى المعـاش، وتبرعـت وقتهـا بمئـة ألـف يـورو لصالـح حزبـه. مثـل هـذه الانطباعـات الجيـدة يتركهـا النـواب، والـوزراء، والأمنـاء العموميـون، الذيـن يدفعـون مـا يقـرب مـن سـبعة آلاف يـورو كرسـم عضويـة بالحـزب.

يمكـن للحـزب أن يقتـرض مـن البنـك، لكـن البنـك لا يمكنـه أن يصبـر علـى هـذه الأمـوال مـا لـم ينجـح الحـزب فـي الانتخابـات. الداعـم الخـاص يمكنـه ذلـك؛ لذلـك فهـو يقـدم مثـل هـذه الأمـوال فـي صـورة هبـات. يتـم دعـم الحـزب السياسـي بالأمـوال علـى شـكل هبـات لسـبب وحيـد: حبًّـا فـي ذلـك الحـزب السياسـي. فالحـب هـو أثمـن هديـة يمكـن أن يقدمهـا الإنسـان للإنسـان. لكـن لمـاذا لا يقدمهـا الراعـي للعديـد مـن الأفـراد الذيـن انخرطـوا فـي حـزب سياسـي مـا؟

أعضاء الأحزاب، كيف يكونون؟

"السِّياسَةُ لَا تَهْتَمُّ بِالأَصْدِقَاءِ قَدْرَ اهْتِمَامِهَا بِالأَعْدَاءِ؛ لِذَلِكَ تَخْتَارُهُم بِكُلِّ دِقَّة"

أوسكار وايلد

المطلب الأساسي لكي تصبح عضوًا في حزب سياسي هو أن يكون الحزب قائمًا بالفعل، أو بمعنى آخر، أن يكون حزبًا على ذوقك. ومن المفيد أن يكون الحزب على ذوقك، وموافقًا لأفكاركَ. كثير من الأحزاب لا تملك أفكارًا، فاحترس من أن تُصِرَّ على فكرة في حزب لا يمتلكها. عندها قد تبدو غبيًّا، فضلاً عن أنك ستؤذي مشاعر جميع أعضاء الحزب الذين يبدو لهم موضوع الأفكار غريبًا وغير مألوف. من الخطورة أن تكون لديك أفكار. ليست خطيرة على الحزب، لكن عليكَ أنتَ. إن الحزب لا يتقبل الناس بناء على أفكارهم المشتركة، بل على المصالح المشتركة، والمصلحة تختلف كليًّا عن الأفكار. المصالح هي المنفعة، لكن الفكرة بالطبع من الناحية الشكلية تعتبر شيئًا هامًّا؛ لأن المصالح عليك أن تبررها بشيء ما.

تختلف الأحزاب حسب المصالح التي تدافع عنها، رغم أنها كلها تؤكد أنها تهدف إلى خدمة المواطن بأفضل طريقة ممكنة. ولو صنفنا الأحزاب حسب رغبتها في خدمة المواطن، فلن نجد سوى حزب واحد، وهو حزب "عاملون حتى الرمق الأخير". لكنَّ حزبًا كهذا لن يكون حزبًا عمليًّا على الإطلاق. وغير جذاب. لأن أعضاءه لو أخذوا الموضوع على محمل الجد فسوف يختفي عاجلاً أم آجلاً نتيجة لتمزق أجساد أعضائه الأساسيين. عند التفكير في الدخول إلى أحد الأحزاب عليكَ أن تفكر في إمكانيات بقائه. تعد هذه المسألة محورية في البيئة السلوفاكية، فلا جدوى من الانخراط في حزب يسجلونه في وزارة الداخلية يوم الاثنين، فينقسم يوم الأربعاء إلى حزبين آخرين.

من الأفضل لكَ أن تؤسس حزبًا خاصًّا بكَ. لا تحتاج إلا لبعض أصدقائك الذين يجمعون عشرة آلاف توقيع، وهذه ليست مشكلة كبيرة، فمواطنونا وقَّعوا على أمور أكثر غباوة. يجب أن تراجع نفسَكَ جيدًا في الأمر قبل أن تسجل حزبك. لو وجدت نفسكَ جادًّا في الأمر فستبدأ

المرحلـة الثانيـة: تدبيـر الأمـوال. إن لـم تتدبـر الأمـوال فاصنـع لنفسـك بطاقـة عضويـة تحمـل رقـم 1 للذكـرى.

تتحـدث اللائحـة التنفيذيـة لبعـض الأحـزاب عـن أعضـاء نظامييـن، رغـم أنـه لا وجـود لمثـل هـؤلاء الأعضـاء فـي الواقـع، فهـو أمـر مُنـاف للمنطـق. فالإنسـان كائـن مُفكّـر؛ لذلـك هـو لا يفعـل سـوى مـا يـراه منطقيًـا. أن تكـون عضـوًا نظاميًّـا يعنـي أن تسـدد رسـم العضويـة، وتعلـق الملصقـات الانتخابيـة أثنـاء الحملـة التـي تحمـل صـور أشـخاص غيـرك، فضـلاً عـن أنـكَ سـتتصل بالأقـارب والأصدقـاء علـى نفقتـك الخاصـة لحضـور اللقـاءات التـي تسـبق الانتخابـات، وتتصـل بالرئيـس هاتفيًـا وهـو يتحـدث إلـى الإذاعـة، وتوجـه لـه أسـئلة مقبولـة، أو تسـاعد بطريقـة أو بأخـرى. ومـن العبـث أن تنتظـر مقابـلاً جـرَّاء هـذه الأنشـطة. لا يشـترك أحـد فـي حـزب مـا كـي يصيـر عضـوًا نظاميًـا. فـي الواقـع لا توجـد قاعـدة مـن الأعضـاء فـي الأحـزاب السياسـية، كثيـر مـن الأحـزاب يعانـي مـن مشـكلة العثـور علـى أربعمائـة شـخص لمـلء إحـدى القاعـات التـي يعقـد فيهـا المؤتمـر السـنوي العـام للحـزب. ورغـم ذلـك يطالبـون الألـف عضـو بالحـزب ألَّا تبـدو الأمـور وكأن مئـات الملاييـن التـي تأتـي مـن ميزانيـة الدولـة تذهـب إلـى جيـوب قـادة الحـزب فقـط.

السـبب الآخـر لاعتبـار توسـيع قاعـدة العضويـة أمـرًا عديـم الجـدوى، هـو أنـكَ سـتضطر إلـى أن تتشـارك مـع الكثيريـن. الدليـل علـى ذلـك هـو تقسـيم الدولـة إلـى مقاطعـات، أو وحـدات إدارة كبيرة، وإلـى محافظـات ومراكـز. لـم ينشـأ هـذا التقسـيم لحاجـة الدولـة إليـه، بـل لأن هنـاك الكثيريـن الذيـن يجـب إرضاؤهـم بعـد الفـوز فـي الانتخابـات. ولـن يلغـوا يومًـا تلـك المحافظـات والمراكـز. سـوف يعيـدون تنظيمهـا فقـط بحيـث لا تقـل أعـداد الأماكـن التـي يريدونهـا لأصدقائهـم. كذلـك تلعـب الشـركات المملوكـة للدولـة دورًا كبيـرًا فـي عمليـة إرضـاء الأصدقـاء، مثـل شـركات الميـاه، والصـرف الصحـي، ومحطـات التدفئـة، وإدارة الطـرق، وغيـر الطـرق، وإدارة الأرصفـة، وإدارة المـروج والغابـات والسـحب وغيرهـا. الـكل يجمعهـم هـدف واحـد: مجلـس للمراقبـة وتقديـم الاستشـارات. مجلـس المراقبـة والاستشـارات هـام مـن أجـل توجيـه الشـركات المملوكـة للدولـة، والتـي لا طائـل منهـا. لكنهـا رغـم ذلـك ضروريـة مـن أجـل الأحـزاب السياسـية التـي لديهـا كثيـر مـن الأعضـاء علـى مختلـف المسـتويات. وكمـا ذكـرت مـن قبـل، فـإن هـذا الغبـي لـن يلصـق المـواد الدعائيـة، أو ينفـخ بالونـات الدعايـة الانتخابيـة مجانًـا.

لا يوجـد حـزب يتواجـد بـه أعضـاء حبًّـا فـي القيـم التـي يتبناهـا. بعـض الأحـزاب تؤكـد هـذه الحقيقـة عندمـا لا تصـدر بطاقـات عضويـة. إنهـا طريقـة مفيـدة للغايـة؛ لأن عليهـم تنظيـم مؤتمـر

حزبـي عـامّ أو إقليمـي مـرةً كل عـام. وأصغـر صالـة فـي المركـز الثقافـي بالقريـة تسـتوعب علـى الأقـل عشـرين شـخصًا. وسـيكون مـن المخـزي ألَّا يأتـي مثـل هـذا العـدد. والأكثـر خزيًـا عندمـا يحضـر المؤتمـر المحلـي مصادفـة بعـض أعضـاء الهيئـة العليـا بالحـزب أو أحـد الصحفييـن المحلييـن. وقـد يعـرف الرئيـس بأمـر كهـذا، لذلـك فـكل أميـن محلـي للحـزب يحـرص علـى أن تكـون الصالـة ممتلئـة بالحاضريـن. قاعـدة العضويـة فـي الأقاليـم أو المراكـز ترتفـع حسـب عـدد المقاعـد فـي الغرفـة. فأميـن الحـزب فـي المدينـة غالبًـا مـا يكـون رجـل أعمـال، ولـن يكـون لديـه مشـكلة كبيـرة فـي قبـول عضويـة مـن يعملـون لديـه عندمـا يحـل موعـد مؤتمـر الحـزب. إن الأحـزاب السياسـية تقـرر رسـوم عضويـة منخفضـة كـي لا تكـون هنـاك مشـكلة فـي زيـادة عـدد الأعضـاء قـد يواجههـا الأمنـاء المحليـون.

يجـب أن يكـون عـدد أعضـاء الحـزب كبيـرًا بالقـدر الـذي يسـمح بوضعهـم تحـت السـيطرة، ويجـب أن تكـون قيـادة الحـزب حريصـة عنـد زيـادة قاعـدة العضويـة. لقـد أثبـت تاريـخ الحـزب الشـيوعي السـوفيتي وجـود عـدم اتسـاق غيـر مباشـر بيـن أعـداد أعضـاء الحـزب وقدرتـه علـى الحركـة، فكلمـا زاد عـدد أعضـاء الحـزب، زادت احتماليـة أن يتعـرض لانتكاسـة. وقـد تطـور عـدد أعضـاء الحـزب الشـيوعي السـوفيتي كالتالـي:

1917	24 ألفًا
1932	3 ملايين
1945	6 ملايين
1964	11 مليونًا
1977	16 مليونًا
1990	19 مليونًا

فـي الوقـت الـذي اسـتطاع 24 ألـف شـيوعي (كانـوا بلاشـفة فـي ذلـك الوقـت) مـن القضـاء علـى نظـام القيصـر فـي عـام 1917، أدى وجـود 19 مليـون شـيوعي سـوفيتي إلـى تدميـر حزبهـم. تفـرق معظـم الشـيوعيين، فلـول الحـزب الشـيوعي، فـي الأحـزاب السياسـية التـي نشـأت حديثًـا؛ لذلـك مـن المتوقـع أن تتدمـر، عاجـلًا أم آجـلًا، تلـك الأحـزاب الجديـدة.

الحـل الأمريكـي هـو حـل نموذجـي، فالأحـزاب هنـا بـدون أعضـاء، لكـن لديهـا أجهـزة. المهـم هـم الناخبـون؛ لذلـك فـإن العروض الانتخابية في الولايات المتحدة تعد وسـيلة تقليدية للأحزاب السياسـية.

تنظـم اللقـاءات التـي يعتبـر المشـاركون فيهـا أعضـاءً فـي الحـزب، وربمـا اعتبـروا أيضًـا كل مـن لـم يسـتطع مغـادرة السـرير بسـبب الإسـهال، أو تأخـر فـي عملـه ولـم يسـتطع المشـاركة فـي اللقـاء، أعضـاء شـرفيين. يتزايـد عـدد أعضـاء الحـزب بعـد الفـوز فـي الانتخابـات بصـورة مُذهلـة.

برنامج الحزب

"لَا يَعْرِفُ النَّاسُ بِوُجُودِ بَرْنَامَجٍ لِلحِزْبِ إلَّا عِنْدَما يُوَضِّحُ الحِزْبُ أسْبَابَ فَشَلِهِ فِي تَحْقِيقِهِ"

المؤلف

لا يوجد خطر حقيقي على المواطنين من الإصابة بمرض عقلي جراء برنامج الحزب، فلم ألتقِ حتى اليوم بمواطن قرأ أي برنامج لأي حزب. اللافت للنظر أنه كلما كان الحزب أقل شهرة، امتلك برنامجًا موسَّعًا، فبرنامج حزب (الاتحاد الديموقراطي المسيحي السلوفاكي) كان يتكون من أربعين صفحة، و103 بنود. برنامج حزب الحركة الديموقراطية 197 كيلوبايت، وبرنامج حزب الاتحاد الديموقراطي المسيحي 40 صفحة، وبرنامج حزب سمار 29 صفحة، وبرنامج الحزب الشيوعي الصيني الذي تم اعتماده في المؤتمر السادس عشر في نوفمبر 2002 زاد عليه بصفحة واحدة. رغم أنه كان يكفي كل حزب في العالم المسيحي أن يتبنى برنامج الوصايا العشر، لكن الأحزاب السياسية لا تتبنى برنامج الوصايا العشر؛ ربما لأنها لم تتمكن من تنفيذ بعض الوصايا، مثل: "لا تقتل"، و"لا تسرق"، أو "لا تشهد بالزور على أحد من أحبائك". لكننا لا نلوم الأحزاب السياسية على ذلك، فطريقة تنفيذ الوصايا العشر تكفلت بها الكنيسة الكاثوليكية، فأصدرتها على شكل كتاب يُسمى "كتاكيزم[5]" الكنيسة الكاثوليكية، ويتكون من ثمانمئة صفحة. أما الوصايا العشر فتتكون من عشرة أسطر.

تقدم الأحزاب السياسية للمواطن برنامجها لأسباب غير معروفة. لكن البرنامج يعد ضرورة لا مفر منها عندما يذهب الإنسان إلى السينما أو المسرح، كي يعرف ما الذي ينتظره. إن وضع برنامج مُسبق يعد عملًا لا يخلو من مجازفة، فقد تقرر ألَّا تذهب إلى السينما أو المسرح بعد أن تقرأه. الأحزاب السياسية تعرف هذا؛ لذلك هي لا تخبر الرأي العام ببرنامجها إلا بصورة مختصرة، وآخر ما تُقِرُّه المؤتمرات العامة للحزب هي البرامج

(5) مصطلح يطلق على أسلوب مختصر لتعليم العقائد المسيحية. غالبًا ما تظهر تعاليم الكنيسة في شكل أسئلة وأجوبة مختصرة، وخاصة في المسيحية الغربية (المترجم).

التـي تكـون آخـر بنـد مـن بنـود اللقـاء. تُعَـوِّل الجهـات القياديـة فـي الحـزب علـى أن أعضـاء الوفـود سـيصيبهم الإرهـاق، فضـلاً علـى وقوعهـم تحـت ضغـط ضيـق الوقـت، فيتسـرب بعضهـم خـارج اللقاء للحـاق بالحافلـة أو القطـار. وهكـذا يتـم فـي النهايـة إقـرار مـا لـم يتفقـوا عليـه فـي بدايـة اللقـاء.

لقـد حلـت الأحـزاب قضيـة البرامـج الحزبيـة فـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة بـألَّا تضـع برنامجًـا. وليسـوا مضطريـن إلـى ذلـك؛ لأن المواطنيـن فـي هـذه الدولـة لا ينتخبـون الأحـزاب، لكـن الرئيـس، ورجـال الكونجـرس لديهـم برامجهـم. ويأتـي أعضـاء الأحـزاب المتنافسـة مـن نفـس الحـزب ببرامـج خـاص بـكل منهـم. إن الحريـة الشـخصية وتعظيـم الفـرد هنـاك وصـل إلـى درجـة كبيـرة، فـلا يختبـئ خلـف برنامـج حزبـه، بـل يقـدم برنامجـه الخـاص؛ ربمـا لهـذا السـبب وصلـت أمريـكا إلـى مـا وصلت إليه.

المؤتمر العام للحزب

"المُؤْتَمَرُ العَامُّ لِلْحِزبِ يُشْبِهُ دَوْرِي كُرَةِ القَدَمِ السّلُوفَاكِي. النَّتِيجَةُ مَعْرُوفَةٌ سَلَفًا"

المؤلف

شـرط المشـاركة فـي المؤتمـر العـام للحـزب هـو أن يتـم اختيـارك كممثـل لمجموعـة مـا. إن اختيـارك ممثـلاً فـي مؤتمـر عـام فـي إحـدى المقاطعـات، وعلـى مسـتوى المقاطعـة أمـر مُعقـد؛ لأنـه لا يوجـد أعضـاء فـي الأمانـة المحليـة للحـزب كـي يختـاروك، وعليـك أن تجدهـم. ومـا دامـت لائحـة الحـزب تقـول إن أقـل عـدد لأعضـاء الأمانـة الرئيسـيين هـو عشـرة، فأنـت مضطـر إلـى أن تصنـع أمانـة مـن أعضـاء أسـرتك، وسـوف تقبـل فقـط الأعضـاء الذيـن سيصوتون لصالحـكَ. وعـادة مـا يتـم اختيـار الشـخص الـذي يـرأس الأمانـة ليكـون ممثـلاً لهـا فـي المؤتمـر المحلـي. كمـا أن اختيـارك لتكـون ممثـلاً فـي المؤتمـر الحزبـي علـى مسـتوى المحافظـة ليـس أمـرًا طبيًـا، فالتسـوق فـي مدينـة المحافظـة لا يدعـو إلـى الحمـاس. يصيـر الأمـر أقـل تعقيـدًا عندمـا يتـم اختيـار ممثـل ليشـارك فـي المؤتمـر الجمعيـة العموميـة، فالتسـوق فـي العاصمـة أكثـر إغـراءً، وخاصـة أن لديـك فرصـة أن ينتبـه إليـك أحـد أثنـاء اللقـاء.

الإعـداد للمؤتمـر العـام للحـزب مـن أكثـر الأمـور أهميـة، وخاصـة عندمـا تعلـن مجموعـة مـا صراحـة أنهـا تريـد أن تقـدم مرشـحًا لهـا فـي منصـب رئيـس الحـزب. هـذه المرحلـة صعبـة، خاصـة للرئيـس الحالـي؛ لأن عليـه أن يدعـو إلـى جلسـة طارئـة فـي المحافظـة ليُؤَمِّـن دعمهـا لـه. يفعـل ذلـك بـأن يضـع فـي المجالـس المحليـة أشـخاصًا يمكنـه الاعتمـاد عليهـم، ويمكـن اختيارهـم كمندوبيـن فـي المؤتمـر العـام. مثـل هـؤلاء بمثابـة ضمـان بأنـه سـيُعاد انتخابـه مـن جديـد، مثـل هـؤلاء النـواب يطلقـون عليهـم "أمنـاء الاسـتمرار". لكـن الموقـف الـذي لا يُسـعد رئيـس الحـزب يكـون عندمـا يصبـح رئيـس الأمانـة الفرعيـة عاجـزًا عـن تشـكيل رئاسـة الأمانـة. يعتقـد عندهـا رئيـس الحـزب أن رئيـس الأمانـة شـريك فـي الانقـلاب عليـه، فقـد كانـت الأمانـة الفرعيـة حتـى الآن قـادرة علـى أن تلتئـم بنـاء علـى رغبـة الرئيـس خـلال سـاعة واحـدة؛ لذلـك يبـدو الأمـر لـه غريبًـا، فيبـدأ فـي توقـع أن المجموعـة الصغيـرة التـي تفكـر فـي ترشـيح منافـس لـه ليكـون

رئيسًا للحزب قد سبقته إلى ما ترمي إليه. لم تسبقه فقط، بل إن أعضاءها قد اتفقوا على اعتلاء أعلى المناصب في الحزب طالما استطاعوا تنحية الرئيس القديم ورجاله من أرفع المناصب الحزبية. الأسوأ عندما ينتبه الرئيس إلى أن رئيس الأمانة الفرعية قد فقد حماسه وهو يخاطبه هاتفيًا. وعندما يقوم رئيس الأمانة بمخاطبته بعد رفع سماعة الهاتف بكل ترحاب قائلاً: مرحبًا يا يان"، فهذا يعني أنه ما زال وفيًا له، لكن عندما يقول له: "مرحبًا يا ريس!"، فهذا يعني أن الفريق المنافس له قد زاره، وعندما يقول له: "طاب يومكَ يا سيدي الرئيس!"، فلا شك في أنه يقف في صفّ الانقلابيين.

يفكر رئيس الحزب الذي يشعر بالتهديد في زيارة الأمانات الفرعية شخصيًّا بعد عدة محادثات هاتفية مع رؤساء الأمانات، لكن لو خاطبه خمسة من رؤساء الأمانات على الأقل بصيغة متكلفة، فستصبح زيارته بلا جدوى (باستثناء حزب المجتمع المجري الذي لم تظهر أي أخبار عنه على الرأي العام حتى الآن من أمانات "چيلينا"، و"ترنتشين"، و"براشوف"). عندها يدعو رئيس الحزب إلى مؤتمر صحفي، ويعلن فيه أن صحته تأثرت بالعمل الصعب أثناء رئاسته للحزب لسنوات، ويقرر طواعية مغادرة منصبه. يلقي خطبة وداع مؤثرة، اطلع عليها سلفًا الرئيس المرتقب. لو أعجبت الخطبة الرئيس المرتقب فسيكون للرئيس القديم فرصة كي يعينه سفيرًا له في إحدى الدول.

لو حصل الرئيس الحالي على دعم أغلبية أعضاء الوفود، فإنه يطلب من أحد المهرجين في قيادة الحزب الترشح ضده في الانتخابات؛ لأن الصحفيين عادة يحبون الحديث عن مظاهر الديموقراطية. لكن عليه أن يكون واثقًا من نجاحه كي لا ينتهي به الحال مثل "إيفان شيمكو" الذي بادر وسمح للسيدة "سوزانا مارتيناكوفا" بالترشح أمامه، فأنهت حياته السياسية بفارق صوت واحد لصالحها.

يحب أعضاء الحزب المشاركة في المؤتمرات العامة للحزب، رغم أن كل شيء واضح للجميع. يسعى إليها القادة لأنهم يحبون التلويح للأعضاء القدامى، والأعضاء القدامى يفضلونها لأنها فرصة كي ينتبه إليهم أحد. من أفضل السبل التي يلفت بها الأعضاء القدامى الأنظار إليهم:

- خطبة عصماء لتمجيد للرئيس.

- خطبة مقتضبة لتمجيد الرئيس.

- نقـد لاذع لنائـب رئيـس الحـزب الـذي يعـرف كلُّ مَـن فـي دوائـر الحـزب العليـا أنـه يحـب إقالتـه.

- قصيدة عصماء في حق رئيس الحزب.

- زجاجة خمر مصنع في بيت أحد المؤيدين له من القرية مسقط رأس الرئيس.

فـي نهايـة المؤتمـر العـام للحـزب يتـم اتخـاذ قـرار يُعبّـر عمـا يجـول فـي خاطـر كل عضـو. إن لـم تكـن مـن هـؤلاء فأمامـك فرصـة أن تتـرك الحـزب، وإن لـم تفعـل فسـوف يطردونـكَ منـه فـي جميـع الأحـوال.

التنقل بين الأحزاب

"إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أكُونَ وَفِيًّا لِحِزْبٍ مَا فَعَلَيَّ أنْ أُغَيِّرَ مِنْ آرَائِي"

مؤلف مجهول

ليـس هنـاك مـن يضـارع السياسـيين البريطانييـن، بصفتهـم مؤسسـين لنظريـة التنقـل بيـن الأحـزاب. علـى رأسـهم "بنجاميـن دزرائيليـي" و"وينسـتون تشرشـل". بـدءوا حياتهـم السياسـية كليبرالييـن، وانتهـى بهـم الحـال بيـن صفـوف المحافظيـن. كانـوا يؤكـدون أن آراءهـم السياسـية مـرت بمراحـل تطـور. بنفـس الطريقـة فسـر العـدَّاء الألمانـي "يوشـكا فيشـر" تحولـه المذهـل مـن معـارض راديكالـي للسياسـة إلـى وزيـر جـاد للخارجيـة ونائـب للمستشـار الألمانـي.

إن التنقـل بيـن الأحـزاب يُذكِّرنـي بالتواجـد فـي السـوبر ماركـت، حيـث تقـف فـي طابـور طويـل أمـام الخزينـة، وفجـأة يتجمـد ذلـك الطابـور ولا يتحـرك مـن مكانـه، فتفقـد أعصابـك وتنضـم إلـى الطابـور المجـاور. مَـن مِنَّـا لا يرغـب فـي أن يكـون فـي صـدارة الطابـور؟ لكـن عندمـا يتعثـر الطابـور الجديـد الـذي تقـف فيـه، تجـد الطوابيـر الأخـرى المجـاورة تتحـرك أسـرع، فتفقـد أعصابـك، وتسـرع للانضمـام إلـى الطابـور الأسـرع. وتظـل تهـرول لأنـه عندمـا يتعـرض الطابـور الـذي تقـف فيـه لظـروف سـيئة فمـن العبـث أن تظـل واقفًـا هنـاك. مثـل هـذه الظـروف العاثـرة يتعـرض لهـا لاعبـو كـرة القـدم الذيـن يُمضـون الشـوط الأول يلعبـون وسـط الوحـل. وهـذا الأمـر يتكـرر باسـتمرار عندنـا وقـت سـقوط المطـر نظـرًا لحالـة أرض الملعـب السـيئة.

وعندمـا يضطـر لاعبـو كـرة القـدم إلـى اللعـب فـي الوحـل، فمـن الطبيعـي أن يغيـروا ملابسـهم أثنـاء الاسـتراحة (لا يتبادلونهـا مـع بعضهـم- ملحوظـة المؤلـف)؛ لأنـك عندمـا تلعـب وسـط الطيـن ينتهـي بـك الحـال مثـل الخنزيـر، لذلـك فأنـت مضطـر إلـى تغييـر ملابسـك. كذلـك فـي السياسـة، تغيـر مـن ردائـك عندمـا تدنِّسـه. غالبًـا مـا تدنسـه إلـى درجـة أن تتلقـى عرضًـا أفضـل مـن حـزب آخـر. ومَـنْ مِـن لاعبـي كـرة القـدم يتـردد فـي قبـول عـرض أفضـل ممـا لديـه؟ ويحـدث أيضًـا أن يبـدأ اللاعبـون الأساسـيون فـي الفريـق فـي تخريـب المبـاراة بتأثيـر مـن كابتـن الفريـق،

الـذي تلقـى بـدوره تعليمـات مـن مديـر الفريـق، الـذي تلقـى تعليمـات مـن الرعـاة. يلعبـون بطريقـة تخالـف كل القواعـد التـي اتفقـوا عليهـا قبـل بدايـة المبـاراة. وعندمـا لا تكـون جـزءًا مـن الاتفـاق بيـن الرعـاة وكابتـن الفريـق واللاعبيـن الأساسـيين، ولا تعـرف شـيئًا عنـه، تبـدو غبيًّـا أثنـاء المبـاراة (هـذه الكلمـة السـحرية تعـود مـن جديـد). لكـن عندمـا يبـدأ غالبيـة اللاعبيـن فـي إفسـاد المبـاراة، كرهًـا أو طواعيـة، تفتـر هِمَّتـك فـي اللعـب وتطلـب مـن كابتـن الفريـق موعـدًا للقـاء، لكـن الكابتـن يماطلـك. عندهـا لا تتـردد وتنضـم إلـى فريـق آخـر. وعلـى الفـور يصـوغ كابتـن الفريـق مـع الرعـاة تصريحًـا، لـن يكـون بهـذه الصيغـة: "إن إدارة النـادي تـدرك تمامًـا أنهـا خالفـت عـن عمـد قواعـد كـرة القـدم، وأننـا اقتنصنـا نصـرًا مبنيًّـا علـى رشـوة الحـكام واللاعبيـن الرئيسـيين فـي الفريـق المنافـس. لذلـك نحـن نتفهـم تمامًـا حـق أحـد لاعبينـا، وهـو السـيد (ب)، فـي الغضـب منّـا، ونحـن نعـرب لـه عـن خالـص أسـفنًا، ونتمنـى لـه فـي ناديـه الجديـد كل التوفيـق". لكـن التصريـح سـيكون كالتالـي: "لقـد انزعجـت إدارة النـادي مـن الرحيـل المخـزي للاعـب (ب) عـن نادينـا. لقـد خالـف السـيد (ب) التقاليـد التـي بنيناهـا علـى مـدى سـنوات بقيـادة رئيـس النـادي. إن رحيلـه يُعـد أحـد الأمثلـة العديـدة علـى الانتهازيـة الموجـودة داخـل فريـق كـرة القـدم فـي نادينـا، حيـث يضـرب بمبـادئ الحـزب عـرض الحائـط لاعبـون مسـتهترون، يتطلعـون إلـى الكسـب السـريع. إنـه أمـر يدعـو للخجـل". ويرصـد النـادي مكافـأة قدرهـا ألـف يـورو لمـن يسـتطيع أن يثبـت أن النـادي المنافـس قـد اشـترى اللاعـب بدمـاء ناديـه.

إن النـواب الذيـن لا يرحلـون عـن ناديهـم يعتبـرون كل مـن تـرك الحـزب خائنًـا، ويظلـون يؤكـدون ذلـك إلـى أن يرحلـوا هـم أنفسـهم عنـه. يتركونـه لنفـس الأسـباب التـي دفعـت مـن سـبقوهم إلـى الرحيـل عـن الحـزب. حدثـت فـي الحيـاة السياسـية السـلوفاكية حالتـان مـن حـالات الهجـرة الجماعيـة مـن أحزابهـم. اللافـت فـي الأمـر أن الصحفييـن يتبنـون فـي مقالاتهـم، وأيضًـا غالبيـة المواطنيـن، نظريـة أن مـن ينصـرف خائـن. هـذه النظريـة ربمـا تكـون صحيحـة لـو أن مـن تـرك الحـزب مجموعـة أفـراد انصاعـوا للضغـوط. لقـد غـادر غالبيـة أعضـاء حـزب (حركـة سـلوفاكيا الديموقراطيـة) وحـزب (نعـم) حزبيهـم. الجميـع يعـرف ذلـك باسـتثناء رئيسـي هذيـن الحزبيـن -"فلاديميـر ميتشـيار" و"باڤـل روسـكو". لقـد أكـد "جوسـتاف هـوزاك" بعـد عمليـات تطهيـر فـي صفـوف الحـزب الشـيوعي التشيكوسـلوفاكي، بعـد الغـزو السـوفيتي، أنـه يجـب التخلـص مـن الأعشـاب الضـارة. لكـن كيـف تـم التخلـص مـن الأعشـاب الضـارة فـي حـزب حركـة سـلوفاكيا الديموقراطيـة؟ كان للحركـة فـي عـام 1994 فـي مجلـس النـواب السـلوفاكي 61 نائبًـا، ظهـر منهـم فـي مجلـس النـواب بعـد انتخابـات عـام 2002 فقـط عشـرة نـواب، وبعـد انتخابـات 2006

لـم يبـق فـي البرلمـان مـن هـؤلاء الواحـد والسـتين سـوى اثنيـن فقـط! تأثـر هـذا الرقـم بالطبـع بإجمالـي عـدد المقاعـد التـي حصلـت عليهـا حركـة سـلوفاكيا الديموقراطيـة، رغـم ذلـك فالحقيقـة الثابتـة هـي أنـه لـم يبـقَ مـن الأسـماء الأساسـية التـي لعبـت دورًا محوريًّـا فـي الحركـة فـي عـام 1994 سـوى خمسـة فـي المئـة بعـد مـرور اثنـي عشـر عامًـا، وهـذه الحقيقـة تؤكـد نظريـة تطهيـر البـذور الطيبـة مـن الأعشـاب الضـارة. أحـد الثلاثـة الذيـن بقـوا فـي الحركـة هـو رئيسـها "فلاديميـر ميتشـيار". ومثـل حـزب (نعـم) فـي الفتـرة الانتخابيـة الثالثـة فـي مجلـس النـواب السـلوفاكي 23 نائبًا (بنـاش، وإيمريـخ بـاراش، وفيكتـور بـاراش، وبيـروش، وبريستنسـكا، وتشـيرنا، ودانكـو، ودرجونيتـس، وهامارتشــاك، وهيريبــان، وهنزاليوفــا، وخميــل، ويانذزيكوفــا، وكروبيــلاك، وكولايتشــك، ولينتنــر، وملخاريـك، ونيمتسـيس، وأوندريـكا، وأوباترنـي، ورسـكا، وتـوت، وزاياتـس). انصـرف منهـم واحـد وعشـرون نائبًـا، أي بنسـبة 95%.

لكـن رئيـس الحـزب بافـل روسـكو أكـد أن كل مـن غـادر الحـزب خانـه. هنـاك حالـة رحـل فيهـا عـن الحـزب 95 فـي المئـة مـن أعضائـه. وفـي حالـة أخـرى، بالمناسـبة، تركـت الحـزب أعـداد غفيـرة، لكـن الخمسـة فـي المئـة التـي تبقـت، حسـب تصريحـات رؤسـائها، كانـت علـى صـواب، والغالبيـة العظمـى مـن الانتهازييـن!

الأفضـل هـو عندمـا يهجـر الحـزب جميـع أعضائـه، فلـن يكـون هنـاك مـن يتهـم الراحليـن بأنهـم خائنـون. الفـلاح البسـيط يسـير علـى الطريـق السـريع فـي الاتجـاه المعاكـس لحركـة السـير، ويلعـن كل مـن يقابلـه.

الفصل الثالث

الانتخابات

الانتخابات في النظم الشمولية والنظم الديموقراطية

"نَتَائِجُ الانْتِخَابَاتِ لَا يُحَدِّدُهَا النَّاخِبونَ، بَلْ يَحْسِمُهَا مَنْ يُحْصِي الأَصْوَاتَ"

يوسف فيساريونوفيتش ستالين

كانت حضارة أثينا القديمة من أرقى الحضارات في تاريخ البشرية، ربما لأنهم لم وقتها لم يعرفوا الانتخابات. عجَّتْ آلاف المكاتب الإدارية بسحوبات القرعة. كانت عملية القرعة تتكرر كل عامين، الأمر الذي حدَّ من صنع تكتلات سياسية تسعى إلى التربح، وأمَّنَ في الوقت نفسه لكل مواطن من أهل أثينا أن يصبح جزءًا من النظام الحاكم ولو مرة واحدة في حياته. لم تدخل مواطنات أثينا ضمن الناخبين؛ لأن اليونانيين منعوا المرأة من التصويت، وكذلك فعلوا مع الأجانب والعبيد. لكن ذلك لم يمنع المرأة من الوصول إلى السلطة، فقد كانت النساء تلعب دورًا حاسمًا في إدارة البلاد في أثينا القديمة والحديثة من خلال نواب الشعب- الرجال.

من المثير للدهشة في عملية الانتخابات، أن الناخبين ينددون بها باستمرار، ورغم ذلك يشاركون فيها. إن الناخبين مثل مشجعي المنتخب القومي السلوفاكي لكرة القدم، يذهبون لتشجيع منتخبنا في كل مباراة تأهيلية، رغم أن الفريق يخسر في كل مرة. إن الانتخابات يشبه الذهاب لحضور مباراة كرة قدم، يشارك فيها مواطنون لا يتعلمون من أخطائهم. تشير الدراسات الاجتماعية إلى أن من استحال إصلاحه أيام الشيوعية ظل كذلك حتى في النظام الديموقراطي، وما زال يتردد بكل عزم على مراكز الانتخابات. إن السياسيين الديموقراطيين لا يأخذون مثل هؤلاء المواطنين على محمل الجد؛ لأنك لا يمكن أن تحترم أحدًا يهدد دومًا بأنه لن يحضر، ورغم ذلك يفاجئك بالمشاركة، لذلك لا يمكن أن يغضب المواطنون بعد ذلك عندما يسخر منهم السياسيون، ولا ينفعهم في تحسين صورتهم أنهم ينتخبونهم.

كانت الانتخابات البرلمانية في النظام الشمولي غالبًا ما تتكرر كل خمسة أعوام، أمَّا في

النظـم الديموقراطيـة فهـي تتـم كل أربعـة سـنوات. كان مـزاج المواطنيـن يعتـدل لمـدة يـوم واحـد فقـط أثنـاء الانتخابـات؛ لأنهـم كانـوا ينظمـون لنـا الحفـلات الموسـيقية علـى آلات النفـخ، أمـا اليـوم فمزاجنـا يظـل معتـدلًا لفتـرة أطـول؛ لأننـا نتسـلى بالمرشـحين قبـل موعـد الانتخابـات.

النـاس فـي ظـل النظـام الديموقراطـي يختـارون مـن بيـن أحـزاب متعـددة؛ لذلـك تجدهـم متوتريـن، أمـا فـي النظـام الشـمولي فلـم يكـن أمامهـم مـن يفضلونـه علـى الآخـر؛ لذلـك كانـت أعصابهـم هادئـة، لكنهـم لـم يعبـروا عـن ذلـك صراحـة، لكـن عندمـا يغضـب المواطـن فـي النظـام الديموقراطـي فهـو يعبـر عـن ذلـك علـى المـلأ، لكـن الأمـور تبقـى كمـا هـي، وعلـى الرغـم مـن ذلـك يعبـر المواطنـون عـن سـخطهم الدائـم فـي ظـل النظـام الديموقراطـي. فـي النظـام الشـمولي لـم يكـن فـي مقـدور المواطـن أن يعبـر عـن أي شـيء صراحـة وبحريـة، وأيضًـا لـم يغيـر ذلـك شـيئًا علـى أرض الواقـع. يدفـع المواطنـون مـن خـلال الانتخابـات إلـى معتـرك السياسـة أناسًـا لا يذكرونهـم بخيـر بعـد انقضـاء الانتخابـات، ورغـم ذلـك يظلـون متفائليـن، تمامًـا كمـا يحـدث بعـد كل هزيمـة لفريـق الهوكـي أو فريـق كـرة القـدم، ينسـون الهزيمـة بعـد يـوم أو اثنيـن، وتعاودهـم روح التفـاؤل مـن جديـد، يتطلعـون إلـى المبـاراة التاليـة وكلهـم أمـل فـي النجـاح، ثـم تتوالـى الهزائـم واحـدة وراء الأخـرى.

فـي كل مـرة نقـول عـن كل حكومـة لـم نكـن راضيـن عنهـا، إن الحكومـة الجديـدة سـتكون أفضـل، وإن هـذا سـيتحقق بالتأكيـد بعـد الانتخابـات القريبـة القادمـة. تتكـرر الانتخابـات كل أربعـة أعـوام مثـل بطولـة العالـم فـي كـرة القـدم، أو الألعـاب الأولمبيـة. قـد تكـون فتـرة الأعـوام الأربعـة كافيـة تمامًـا لنسـيان الإخفاقـات وخيبـة الأمـل. لا أتخيـل أن يحـدث فـي السياسـة كمـا يحـدث فـي نظـام الانتخابـات للعبـة الهوكـي التـي تتـم سـنويًّا.

الفـرق بيـن كـرة والقـدم والسياسـة هـو أنـه لا يوجـد فـي كـرة القـدم فريـق آخـر يمكنـه أن يحاسـب الفريـق المنتخـب الـذي أسـاء لعـب المبـاراة، وحتـى عندمـا يصـل إلـى أرض الملعـب فريـق كان مصنفًـا قبـل الانتخابـات بأنـه فريـق معـارض، سـرعان مـا يتأكـد المشـاهدون مـن أن أداء كلا الفريقيـن محـدود بقـدرات اللاعبيـن. لكـن ميـزة كـرة القـدم هـو أن المواطـن عندمـا يصـاب بالضجـر مـن المبـاراة، يمكنـه الانصـراف عنهـا للترويـح عـن نفسـه بشـيء آخـر، أو يتجاهلهـا تمامًـا. لكـن السياسـة تُلْعَـب بـلا توقـف، وتجـد المواطـن أينمـا كان، حتـى لـو اختبـأ منهـا. الأكثـر مـن ذلـك أن المواطـن ينتخـب حتـى وإن لـم يشـارك فـي الانتخابـات.

النظام الانتخابي

"لَا تَنْتَخِبِ السِّياسِيِّينَ! فَهَذَا يَمْنَحُهُمْ شَجَاعَةً لَيْسُوا فِي حَاجَةٍ إِلَيْهَا"

جيمس كونولي

تختلف النظم الانتخابية. فيوجد عندنا نظام مطبق يسمى نظام التمثيل النسبي، وهذا يعني أن كل سياسي مستعد لإجراء مواءمات مع غيره بعد إعلان نتائج الانتخابات، من أجل تشكيل الحكومة. إن نظام التمثيل النسبي يوجد في سلوفاكيا منذ أن نشأت الحانات، ففي الحانات اعتاد الرجال على إجراء المواءمات؛ لذلك يطلق عليه نظام المواءمة. تتم المواءمة في السياسة عندما يقتنع كل من لديه فرصة في تشكيل حكومة ائتلافية، بأن كل التهم المتبادلة التي تمت أثناء الانتخابات لم تكن جادة. نظام التمثيل النسبي يتميز بعدة خصال مقارنة بنظام الاقتراع بالأغلبية. أولًا يمكن إجراء المواءمات فيه بصورة أكثر فعالية من نظام الاقتراع بالأغلبية. ففي نظام الانتخابات بالتمثيل النسبي يختار المواطن الأحزاب السياسية فقط، وليس له تأثير كبير في اختيار من سيمثله داخل البرلمان؛ لذلك فإن فرصة تواجد كثير من الأغبياء والمحتالين والنصابين في البرلمان أكبر من نظام الأغلبية.

ويتحمل الحزب تكاليف الحملة الانتخابية للمرشحين الذين يتمتعون بمكانة مرموقة فيه. في نظام الاقتراع بالأغلبية يقوم المرشح بتسديد غالبية تكاليف الحملة الانتخابية، وهذا هو أحد أسباب تسميته بنظام الاقتراع بالأغلبية. يترشح المرشحون في نظام الاقتراع بالأغلبية عن دائرة انتخابية محددة، يعرفه فيها الناخبون؛ لهذا السبب يمكن أن يصل إلى البرلمان بعض النواب المشهود لهم بالنزاهة. وعندما يتضح أن النائب لم يفعل شيئًا للناس سوى زيادة راتبه الخاص، يمكن للمواطنين عزله بعد جمع التوقيعات المطلوبة. هذا النظام يُطبَّق في الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا العظمى، ويطلق عليه العامة "الكلب الأكبر يلتهم كل شيء"، أو "المنتصر يجمع كل الأوراق". توجد أيضًا أنظمة مختلطة للانتخابات، وهي عمليًّا تتم بأن تكون الكلاب جوعى، ومن يقدم لهم الطعام جوعان مثلهم.

"لَسْتُ فِي حَاجَةٍ إِلَى أَنْ تَخْتَارَنِي النُّخْبَةُ. بَلْ أُرِيدُ أَنْ تَنْتَخِبَنِي الأَغْلَبِيَّة"

ستيفنسون

سجل خبير الشئون السياسية "س. م. ليبسيت" ملاحظات حول المشاركة في الانتخابات على درجة كبيرة من الأهمية: "إن نماذج المشاركة في الانتخابات في مختلف البلدان متطابقة. الرجال يشاركون أكثر من النساء في الانتخابات، الحاصلون على شهادات عليا في التعليم يشاركون في الانتخابات أكثر ممن لديهم شهادات أقل. يُقبل سكان الحضر على الانتخابات أكثر من سكان الريف. الناخبون في سن يتراوح بين 35 – 55 يشاركون في الاقتراع أكثر ممن هم دونهم في العمر. العجائز والمتزوجون والمتزوجات ينتخبون أكثر من العزاب. يقبل على الانتخابات الفئات العليا في المجتمع أكثر من الفئات الأدنى. أعضاء المنظمات يشاركون أكثر ممن لا ينتسبون إلى أية منظمة".

يتضح من هذه الملاحظات أن الناخب يكون في الغالب متزوجًا، وفي سن الأربعين، ومن سكان المدينة، ويحمل شهادة الثانوية، وهو رئيس اتحاد الصيادين أو اتحاد عمال الحدائق في مدينته. وبناء على ملاحظات "ليبسيت" يمكننا أن نرسم صورة نموذجية للإنسان الذي لا يقبل على الانتخابات: مواطنة عانس في سن المعاش تقيم في القرية، ولم تحصل على تعليمها الأساسي، وترفض بكل عناد الحصول على عضوية نادي أصحاب المعاشات.

كانت نسبة المشاركة في الانتخابات إبان الحكم الشيوعي تصل إلى 99 في المئة. وفي ظل النظام الديموقراطي نكون من المحظوظين عندما تصل إلى نسبة 70 في المئة من الناخبين. في النظام الشيوعي كان 99 في المئة من المواطنين يختار حزبًا واحدًا. ولم يعد الكثير من المواطنين يتذكر أيًّا منها اليوم، حسب ما قاله البروفيسور "الزيمر".

يرحب السياسيون بقلة عدد الناخبين. والوضع المثالي هو عندما لا يشارك في الانتخابات سوى السياسيين فقط. ويجب تغيير الدستور كي يكون الإدلاء بالصوت في الانتخابات

مقصورًا على المواطنين المرشحين. عندها قد لا تختلف النتائج كثيرًا بصورة أو بأخرى، لكننا سنوفر بذلك ثلاثمائة مليون كرون. يمكن أن تصل نسبة المشاركة إلى مئة في المئة، وهو ما تحاول عبثًا كل ديموقراطية أن تصل إليه. احتار خبراء العلوم السياسية في الإجابة عن السؤال التالي: هل المشاركة في الانتخابات بنسبة مئة في المئة هي مؤشر إيجابي، أم سلبي؟ عقدت في عام 2006 انتخابات على رئاسة المناطق الإدارية العليا، وليس على رئاسة معهد بحوث تليف الكبد- ملحوظة المؤلف) على جولتين، شارك فيها في الجولة الأولى أربعة عشر في المئة، وفي الجولة الثانية أحد عشر في المئة من الناخبين. لم تعقد الجولة الثالثة ولا الرابعة لحسن الحظ، وإلا لوصلت نسبة المشاركة إلى تحت الصفر. رغم أنه أمر مُحزن، لكنه يعتبر في الوقت نفسه دليلاً على الحرية التي افتقدناها في الأنظمة الشمولية؛ لذلك لا أفهم سبب دعوة السياسيين للناخبين إلى الإدلاء بأصواتهم قبل الانتخابات. عليهم أن يتعلموا من النظم الشمولية التي لم تَدْعُ أحدًا للمشاركة في الانتخابات، ورغم ذلك شاركوا فيها جميعًا، بمن فيهم من يزعمون اليوم أنهم لم يذهبوا إلى صناديق الانتخابات.

إن الاقبال الكثيف على المشاركة في الانتخابات له عندنا تقاليد عريقة. أُجْرِيت في السابع من نوفمبر عام 1938 انتخابات مجلس النواب السلوفاكي، كان في استطاعة الناخبين أن يختاروا فقط نوابًا من حزب الأرض الشعبي السلوفاكي؛ لذلك لم تكن الاختيارات أمامهم كثيرة. ورغم أن الاقتراع كان سريًّا، فإن العديد من الناخبين "عبروا صراحة وعلى الملأ عن مشاركتهم في التصويت" حسب صحيفة "السلوفاكي" اليومية. نادرًا ما اختفى المصوِّت خلف ستارة التصويت رغم توجيهات لجنة الانتخابات المتكررة لهم حفاظًا على سرية التصويت. "كانت نتيجة الانتخابات 97 في المئة لصالح حزب الأرض السلوفاكي الشعبي. وبعد مرور ثمانية أعوام على تلك الانتخابات عقدت الانتخابات البرلمانية في تشيكوسلوفاكيا بعد الحرب العالمية الثانية، والتي شارك فيها غالبية من صوتوا قبلها بثمانية أعوام على استقلال الجمهورية السلوفاكية. وسرعان ما ظهرت على السطح قضية الأعضاء التابعين لحزب الأرض السلوفاكي الشعبي الممنوع والموالين لهم. تم حل القضية على الطريقة السلوفاكية: وقَّعت رئاسة الحزب الديموقراطي اتفاقية مع ممثلي القوى السياسية الكاثوليكية (كان جميع الموالين لحزب الأرض من الكاثوليك)، سمحت تلك الاتفاقية لآلاف من الأعضاء السابقين في حزب الأرض بالانضمام بصورة رسمية إلى الحزب الديموقراطي، الذي حصل بفضل ذلك على نسبة 62 في المئة في انتخابات مايو عام 1946. لم يعجب ذلك الشيوعيين رغم أن وجودهم في سلوفاكيا كان مدعومًا بشكل غير رسمي من الأعضاء

السابقين في حزب الأرض وناخبيهم (كانوا يدعمون الحزب الديموقراطي بصورة رسمية. ربما يقول لي أحد إني أزيف الحقائق. لكن من أين حصلت تلك الأحزاب على الأصوات بينما من شارك في انتخابات عام 1938 جميع مواطني سلوفاكيا فوق سن الثامنة عشرة، واختار 97 في المئة منهم حزب الأرض...؟)، ولم يحصد الحزب الشيوعي إلا ثلاثين في المئة من الأصوات. لذلك دعم الشيوعيون مركزهم بانقلاب عسكري في فبراير عام 1948، وانضم الأعضاء السابقون في حزب الأرض إلى الشيوعيين، وقاموا بحل الحزب الديموقراطي، وبذلك تخلصوا من أعضائه. عقدت بعد ذلك بثلاثة أعوام - في الثلاثين من أكتوبر 1948- أول انتخابات لمجلس الشعب في جمهورية تشيكوسلوفاكيا.

صوَّت على القائمة الموحدة للجبهة الوطنية التي يسيطر عليها الشيوعيون 86 من أصوات الناخبين الذين صوتوا قبلها بثلاثة أعوام، ولم يحصل منهم الشيوعيون إلا على 30،37 في المئة من أصواتهم. تراوحت نجاحات الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي في الانتخابات التالية بين نسبة 97 في المئة إلى ما فوقها. ورغم أن "الاقتراع كان سريًّا، لكن نادرًا ما اختبأ أحد خلف ستارة التصويت، وشارك الشعب العامل في الانتخابات بكل حماس" (لم تكن هذه أخبارًا من جريدة السلوفاكي اليومية، لكن من جريدة الحق الأحمر اليومية). عندما لم يشارك في الانتخابات السبب في ذلك يعود إلى أنهم كانوا يختارون من حزب واحد، سواء في انتخابات نوفمبر 1938، أو في انتخابات مايو 1948. كانوا يقترعون على الحزب الوحيد الذي سمحوا لهم به.

العزوف عن الانتخابات

"تُبْنَى أيُّ سِياسَةٍ عَلَى اسْتِهْتَارِ الأغْلَبِيَّة"

ريستون

قد يبدوا أن العزوف عن الانتخابات عكس المشاركة في الانتخابات. لكن الحقيقة غير ذلك. المشاركة في الانتخابات تُشْتَقّ من عدم المشاركة في الانتخابات وليس العكس، لأن المشترك اللفظي الرئيسي ليس المشاركة بل عدم المشاركة. عندما لم يشارك في الانتخابات المحلية التي أُجْرِيت عام 2005 ما مقداره 81,98 في المئة من الناخبين فهذا يؤكد عزوف واضح عن الانتخابات حتى وإن تحدث خبراء العلوم السياسية والصحفيون مئات المرات عن مشاركة 18،02 في المئة. فعدد المواطنين الذين صوتوا في الانتخابات أقل من عدد من لم يصوتوا. فالمجموعة الحاسمة هي مجموعة الغائبين. لذلك يجب مخاطبتهم كي يواصلوا العزوف عن التصويت. فلو جاء الممتنعين وشاركوا لكانت كارثة على السياسيين. جميع النظم الديموقراطية تعمل بفضل الممتنعين الواعين الذين هم نتاج الديموقراطية. إبان الحكم الشمولي لم يغب أحد عن التصويت، والسبب يعود إلى أن أحد لم يزعجهم بأكوام الأوراق، ولا بقوائم المرشحين، أو المؤتمرات الانتخابية المميزة.

يختلط الأمر على المواطن. فقد سلموه في الانتخابات البرلمانية عام 2006 واحد وعشرين قائمة بأسماء يجهلها تمامًا. إن الاختيار من بين أناس لا يعلم المواطن شيئًا عنها يصيبه بالاكتئاب. لذلك نجد أن المشاركة في الانتخابات تتقلص. ففي الوقت الذي شارك في الانتخابات البرلمانية عام 1990 تسعين في المئة من المواطنين (وهي نسبة تقل بقيمة 9,9 عن آخر انتخابات جرت في ظل النظام الشيوعيّ)، لم يشارك في انتخابات 2006 سوى 54 في المئة. ولو تواصل هذا الأمر سنجد أنفسنا في موقف مشابه لما كان أيام الشيوعيين، حيث كانت الأغلبية الصامتة هي التي تقرر. إن المستهترين يشكلون قواعد الديموقراطية. الجبناء الذين ينصرفون عن الانتخابات يعيدون بلدنا مرة أخرى إلى عصور النظم الديموقراطية. لو حدث يومًا، لا قدر الله، وشاركت نسبة مئة في المئة في الانتخابات

فسيكون هذا دليلاً على أننا قد عدنا إلى عصر ما قبل 1989. لذلك علينا دائمًا أن نثني على المواطنين الجسورين الذين لا يشاركون في الانتخابات، ليثبتوا لنا أن الديموقراطية عندنا تزدهر.

قوائم مرشحي الأحزاب السياسية

"أَفْضَلُ لكَ أَلَّا تَكُونَ فِي قَائِمَةِ حِزْبٍ كَبيرٍ مِنْ أَنْ تَكُونَ فِي قَائِمَةِ حِزْبٍ صَغِير"

المؤلف

إن إعـداد قوائـم الترشـح هـي مـن أصعـب أيـام رجـل السياسـة. فكلمـا اقتـرب موعـد إغلاقهـا يمعـن التفكيـر فيمـا إذا كان قـد قـال مـن قبـل شـيئًا دون أن يـدري فـي حـق رئيـس الحـزب أو أحـد أعضـاء المجلـس الرئاسـي. تصبـح فرصتـه السياسـية فـي الظهـور علـى قوائـم الحـزب غيـر مضمونـة لـو تذكـر أنـه فعـل شـيئًا تافهًـا، علـى سـبيل المثـال لـم يمـرر الكـرة إلـى رئيـس الحـزب أو رئيـس النـادي أثنـاء مبـاراة كـرة القـدم، حيـث كانـت هنـاك فرصـة ليقـوم بذلـك، أو أنـه سـمح لنفسـه بـأن يسـدد أهدافًـا أكثـر رئيسـه.

يمكـن للمرشـح أن يرسـل رسـالة نصيـة قصيـرة مـن الهاتـف، يعـرب لـه فيهـا عـن أسـفه مـن أنـه سـمح لنفسـه بتسـديد أهـداف أكثـر منـه، وأن ذلـك حـدث نتيجـة خطـأ مـن حكـم المبـاراة الـذي اعتـرف بأهـداف المرشـح رغـم أنـه سـددها وهـو فـي منطقـة التسـلل، أو لمَـسَ الكـرة بيـده. لا أنصحكَ أن ترسـل الــ SMS بعـد منتصـف الليـل، فيمكـن أن يحـدث أن يكـون الرئيـس نائمًـا فتوقظه، فتزيـد الطيـن بلَّـة. لـو لـم تفلـح الرسـائل القصيـرة أَرْسِـلْ للرئيـس خطابًـا مؤثـرًا ملطخًـا بالدمـوع. لـو لـم ينفـع الخطـاب المخضـب بالدمـوع زُر الرئيـس شـخصيًّا، وخـذ لـه هدايـا قيمـة. لكـن هـذه سـتكون محاولـة يائسـة، فمـن المسـتحيل أن تعثـر علـى هديـة ثمينـة لـم يتلقَّهـا الرئيـس مـن قبـل. لكـن طالمـا أردت أن تحصـل علـى مكانـة فـي القائمـة فسـوف تجـد مثـل هـذه الهديـة. فـي كل الأحـوال تدبّـر وحـدك الأمـر، ولا تنتظـر مسـاعدة مِنّـي، فأنـا لـم أَصِـلْ إلـى قائمـة المرشـحين.

تُخْطِـيء الأحـزاب عندمـا تعتقـد أنهـا ستحسـن صورتهـا عنـد الناخـب عندمـا تضـع علـى قائمـة ترشـيحات الحـزب شـخصيات عامـة معروفـة وتحظـى باحتـرام المواطنيـن، وتعمـل فـي مجـال آخـر غيـر السياسـة. هـذا خطـأ لأن كل شـخصية عامـة مرموقـة يتـم إقحامهـا فـي عالـم السياسـة تصيـر بعدهـا شـخصية غيـر مرموقـة. وتصيـر الشـخصية العامـة أقـل قـدرًا كلمـا طـال بقاؤهـا

فـي السياسـة، بـل ويتوقـف عـن كونـه شـخصية فـي الأسـاس. سـيكون شـخصية كوميديـة أكثـر ممـا كان عليـه قبـل أن يدخـل إلـى عالـم السياسـة، حتـى لـو لـم تكـن هـذه الشـخصية كوميديـة قبـل دخولهـا إلـى عالـم السياسـة. إنهـا ميـزة كبيـرة أن تكـون ممثـلاً هزليًّـا قبـل أن تنخـرط فـي العمـل السياسـيّ، لأنـك معتـاد علـى أن يسـخر منـك النـاس. لـن يحـدث لـه إطلاقًـا مـا حـدث مـع أحـد النـواب الـذي كان يؤكـد باسـتمرار ويقـول: "أكثـر مـا يزعجنـي فـي السياسـة هـو أن يسـخر النـاس منـي!".

غيـر أن النـاس تتوقـع مـن رجـل السياسـة أن يكـون كوميديًّـا جيـدًا، ولـو عرفـوا يومًـا أن السياسـيّ قـادم إلـى مدينتهـم لحـل مشـاكلها فسـوف يصابـون بالصدمـة. أتوقـع أنهـم بعـد ورود أخبـار عـن زيـارة السياسـيّ لهـم سـوف يجمعـون أغراضهـم الضروريـة علـى عجـل، ويخبئـون مقتنياتهـم الثمينـة، ثـم يغلقـون بيوتهـم بالضبّـة والمفتـاح ويغـادرون البلـدة؛ فـلا أحـد يضمـن لهـم أن يقـوم السياسـيّ الـذي طمـع فـي الوقـود، والغابـات، ومحطـة الكهربـاء، وخطـوط السـكك الحديديـة، والأراضـي، وبنـادق الصيـد، لـن يطمـع فـي دراجـة الناخـب أو فـي ماكينـة تهذيـب الحشـائش.

لـو وجـدت أن الحـزب الكبيـر لـم يدرجـكَ علـى قائمـة ترشـيحاته، فـلا تيـأس. ولا تسـمح لأي حـزب صغيـر بـأن يغريـك بالترشـح فـي المـكان الـذي تريـده علـى قوائمـه، فأفضـل لـكَ دائمًـا ألّا تكـون فـي قائمـة حـزب كبيـر، مـن أن تكـون فـي قائمـة حـزب لا وزن لـه.

الحملة الانتخابية

"يَجِبُ أَنْ يَقُومَ رِجَالُ السِّيَاسَة بِعَمَلِ حَملَاتِهِم الانْتِخَابِيَّة مِنْ خِلَالِ لَوْحَاتِ الإعْلَانَات فَقَط. فَهُنَاكَ سَيَعْثُرُ النَّاخِبُ عَلَى رَأْسِكَ بِسَهُولَةٍ، وَلَنْ يَعْرِفَ الكَثِيرَ عَمَّا بِدَاخِلِه".

المؤلف

إنَّ الحملات الانتخابية هي نفسها حملات الترويج، الفرق هو أنكَ لا تروج موديل سيارة جديد، بل تروج لسياسيين. وكما هو الحال في الحملات الترويجية يقومون بإظهار حسنات المرشح في الحملات الانتخابية. يرفعون وجه نجم الإعلانات الذي يروج لشركة تأمين تشيكية، ويضعون مكانه وجه المرشح الذي يروج لنفسه لبعض الوقت. الفرق بين وجه نجم الإعلانات ووجه المرشح هو أن نجم الإعلانات يحصل من الحملة على مقابل، أمَّا السياسي فمضطر إلى أن يدفع مقابل الحملة. وفي حالات نادرة يقوم حزبه بتسديد النفقات نيابة عنه، لكن هذا لا يحدث إلا مع قادة الحزب الذين يتمتعون بوسامة واضحة.

لم تكن هناك حملات انتخابية إبان الحكم الشيوعي؛ لأن الجميع كان يعرف أن حزبًا معينًا هو الذي سينجح. لكن رغم ذلك كانت هناك حملات البنجر، والبطاطس، وحشيشة الدينار، والفحم. ورغم نجاحهم في الانتخابات لم يصل البنجر، ولا البطاطس، ولا حشيشة الدينار، ولا الفحم إلى البرلمان.

وكالات الإعلانات من أكثر الجهات التي تتحمس للحملات الانتخابية. تضم إلى فريقها أفضل المتخصصين الذين يجيدون كسب أصوات الناخبين، إنهم خبراء لا يُقدّرون بثمن، منهم مثلاً من قام بتصوير رجال السياسة على بطاقات بريدية ووزعوها في صناديق البريد. الهدف هو أن يصوت الناس للحزب، وأيضًا أن يلتفوا حول المرشح أو المرشحة عن الحزب. إن خبراء الدعاية على قناعة لا يعرف أحد سببها بأن المواطن عندما يرى على لوحة الإعلانات مواطنًا آخر سوف يصوت له فقط من أجل وجهه الناعم. المرشحون بالتأكيد سعداء لأن صورهم توجد فوق كل عمود. سمعت عن مرشح شعر بالإثارة الجنسية وهو

يتطلع إلـى صورتـه فـوق لوحـة الإعلانـات، ويُقَـال إنـه أمـر بوضـع صـورة لـه علـى لوحـة إعلانـات أمـام الغرفـة التـي ينـام فيهـا. وبعـد انتهـاء الانتخابـات رافقـت زوجتـه رجـلاً تحـدث لـه الإثـارة بـدون لوحـة الإعلانـات، بعدهـا بـدأ المرشـح الناجـح يدمـن الخمـر.

مـن الخطـوات الهامـة فـي الحملـة الانتخابيـة نـزع ملصقـات المرشـحين المنافسـين. إنهـا خطـوة جديـرة بالثنـاء؛ لأن النظـر إلـى المراحيـض، ومواقـف الأتوبيسـات، أو المقاعـد المغلفـة بوجـوه المرشـحين الذيـن يلاحقونـك فـي كل خطـوة تخطوهـا، أمـر لعيـن. إن نـزع الملصقـات أمـر يتسـم بالمسـئولية، ولا يمكـن أن يفعلـه إلا أشـخاص بأعينهـم. فقصـار القامـة لا يمكنهـم سـوى نـزع الجـزء السـفلي مـن الملصـق، ويظـل الناخبـون قادريـن علـى تخميـن هويـة المرشـح مـن عينيه، أو تسـريحة شـعره، أو قبعتـه. إنهـا نمـوذج لأنصـاف الحلـول. الأفضـل أن تنـزع ملصقـات المنافسـين أثنـاء الليـل، أو عندمـا يخلـو موقـف الحافلـة مـن النـاس، لكـن فـي هـذه الحالـة لـن تحقـق الغـرض الرئيسـي مـن هـذا العمـل؛ حيـث لـن يـراك أحـد مـن أنصـار مرشـحكَ؛ لذلـك تفقـد عمليـة نـزع الملصقـات أهميتهـا، لذلـك يفضـل أن تُشـكّل "هجّامـة" مـن الحـزب، حينئـذ يكـون العمـل أكثـر بهجـة، ويكـون الأعضـاء شـهداء علـى أنفسـهم وأنشـطتهم.

المؤتمرات الانتخابية

"الهَدَفُ الرَّئِيسِيُّ مِنَ المُؤْتَمَرَاتِ الانْتِخَابِيَّةِ هُو إِقْنَاعُ النَّاسِ بأمُورٍ لَا يُؤْمِنُ بِها المُرَشَّحُونَ أنْفُسُهُم"

المؤلف

أهم الأشياء (أو الأشخاص) في المؤتمرات التي تسبق الانتخابات هي التالية بنفس الترتيب:

1. بروتشكا، وروزبوريل، وهورفاتوفا، وكازيك، وجلادياتور، وهاميل، ونيدفياد، وبيركي-مرينسيا، وشيفيروفا، وهابيرا، وديبارديو، ومارتسين، وكراوس، ودفورسكي، وآخرون.

2. الميكروفون، والكابلات، ومحسنات الصوت، الخ. لا يمكن أن ننسى أيضًا مكبرات الصوت، فلا فائدة من ميكرفون تصيح فيه بدون جهاز يخرج منه هذا الصياح.

3. الفنيون الذين يتولون تشغيل الصوت وتوصيل الكابلات.

4. البالونات، والأكياس البلاستيكية، والأقلام، وصور السياسيين، وملصقات عليها برنامج الحزب السياسي الذي ينظم المؤتمر. لكن لا طائل من توزيع ملصقات تحمل برنامج حزبك الانتخابي في مؤتمرات يحضرها الغجر؛ بسبب عدم اكتراثهم بالكلمة المكتوبة.

5. وجبات كباب الحلة، ونقانق، وبيرة، وعصائر، وغيرها من المقبِّلات. توزيع هذه الأمور في المؤتمرات التي يحضرها الغجر مفيد جدًّا؛ نتيجة عدم اكتراثهم بالكلمة المكتوبة.

6. لافتات تحمل رقم الحزب السياسي الذي يدعوهم لانتخابه. يفضل اختيار أطول رقم ممكن من أجل الناخبين كبار السن. يجب ذكر رقم حزب الحركة المسيحية الديموقراطية في المؤتمرات التي تعقد في الكنائس، ولا يختلف قُدّاس بعض الكنائس عن المؤتمرات الحزبية في المرحلة التي تسبق الانتخابات. أُذَكِّر بعض رجال الكنيسة من باب الاحتياط

أن يذكروا اختصار اسم الحزب (حمد).

7. المرشحون أنفسهم.

يجب اختيار موعد المؤتمر الجماهيري بعناية. فيحدث أن تنعقد في نفس البلدة مؤتمرات انتخابية لثلاثة أحزاب سياسية مرة واحدة. هذا إجراء لا يتسم بالعملية؛ لأن الحزب الذي ينظم مؤتمرًا في وسط البلدة لن يجد أمامه طريقًا للهروب. كما أنه لا طائل من إهدار الموارد عبثًا. من الأفضل أن تتفق الأحزاب فيما بينها على تقاسم التكاليف. لو لم يتدبر الحزب مغنيًا محترفًا فليختَرْ من بين صفوفه من يجيد الغناء، وإن تعذر ذلك أيضًا يختار رئيس الحزب المرشح كي يغني بنفسه.

من المفضل تأمين "مخربي المؤتمرات الجماهيرية"، أي أناس يقوم الحزب المنافس بإرسالهم، يحملون لافتة عليها عبارات لتشويه رئيس الحزب الذي ينظم المؤتمر. إن مخربي المؤتمرات الجماهيرية أناس شجعان، يدينون بالولاء للحزب، يغامرون بتلقي بعض اللكمات أو الضربات فوق رءوسهم.

الناس يحبون المؤتمرات الجماهيرية، وخاصة في القرى؛ إنها المناسبة الاجتماعية الوحيدة التي يلهون فيها، فضلاً عن الحرائق، والفيضانات، ومباراة كرة القدم، والطقوس الدينية، والجنائز، والمشاجرات.

"قِصَّةٌ خَيالِيَّةٌ قَبْلَ الانْتِخَابَاتِ: كَان يَا مَا كَان، ثَلاثَةُ أَصْوَاتٍ ذَهَبِيَّةٍ لِلعَجُوزِ سُلَيْمَان"

ستانو راديتش

الغرض من الانتخابات هو الحصول على أكبر عدد من الأصوات. الحزب السياسي غير معني بسماع أصوات الناخبين، بل برؤيتها في صندوق الانتخاب، وبعد انقضاء الانتخابات يكون لدى الحزب السياسي كثير من المشاغل التي لا تسمح له بسماع أصوات الناخبين. وفي وقت الحملات الانتخابية من الضروري تقديم الخدمات الانتخابية، أفضلها على الإطلاق هي تلك التي لا تجعل الناخبين يسخرون منها. الخدمات التي يضحك منها الناخبون هي على سبيل المثال: "لو انتخبتمونا سنرفع مستوى المعيشة"، أو "سنُخَفّض نسبة البطالة". ميزة هذه الوعود هي أنها تجعل الناس تضحك، ولا يصدقها أحد. لكن المرشح يكسب ثقة الناخبين بوعود مثل: "أعدكم لو انتخبتموني أن حياتي ستكون أفضل". وعدٌ كهذا يمكن صياغته بطريقة أخرى: " إن انتخبتموني رئيسًا، فسأجعل جميع السفراء زملاءً لي"، أو "لو ساعدتمونا على أن ندخل البرلمان، فسوف نضرب بطلباتكم عرض الحائط".

تُصَاغ جميع الوعود الانتخابية في المستقبل: "ما أعدكم به اليوم، لن أفعله غدًا". من الواضح أن كل السياسيين معنيون بالمستقبل. وهذا أمر منطقي؛ لأنك عندما تبدأ الحملة الانتخابية بوعد مثل "لو انتخبتموني، أعدكم أن أجعل ماضيكم أفضل" فهذا عبث، إلا لو كان حزبك ينوي الترشح لمعهد ذاكرة الوطن.

أيضًا من العبث وعد الناخبين، والقول بأننا سنفي بوعودنا "الآن وفورًا"، مثل هذه الوعود لا يطلقها إلا حزب جاء ليهرج. لن يضحك الناس لو أن الحزب اتخذ شعارًا مثل "نريد أن نحكم الآن وفورًا". وهناك وعود أكثر تأثيرًا، وهي تلك الوعود الصريحة والحقيقية مثل: "لو ساعدتمونا لندخل البرلمان، سوف نقر لكم زيادة في رسوم الخدمة الصحية"، أو "نعدكم بأن نجعل الدراسة بالجامعات بمصاريف". الناخب يعرف أن هذا سيحدث فعلاً، لكن ما

سيزعجه هو أنك لا تكذب عليه. إن دور الناخبين الرئيسي في الانتخابات هو أن تكذب عليهم، لذلك هم يكرهون الحقيقة. لا يمكنك أن تفوز في الانتخابات بشعارات حقيقية، فالناخب لن يغفر لكَ الوعود التي ستتحقق؛ فكن خائنًا وكذابًا!

كباب الحلة في موسم الانتخابات

"وحَتَّى كَبَاب الحَلَّة الانْتخَابِيّ الجَيِّد يَبْرُدُ سَرِيعًا"

المؤلف

كان الأغبياء في النظم الشمولية يُفْرَضون علينا من أعلى، أما في النظام الديموقراطي فنحن نختارهم بأنفسنا. لكن نوايانا في كلتا الحالتين سليمة؛ لأنهم لم يعدونا في النظام الشمولي بشيء أثناء حملتهم الانتخابية، أما في النظام الديموقراطي فلدينا فرصة أن نحصل من المرشح على العصائر، والبيرة، وأحيانًا السجائر. لكن أفضل طرق الضيافة هي كباب الحلة الانتخابي. إن كباب الحلة الانتخابي له أهمية سياسية كبيرة، رائحته تستدعي اهتمام المشردين الجوعى بالسياسة، وحتى خبراء التذوق. هناك أناس لا يشاركون إلا في المؤتمرات الانتخابية التي يُقدَّم فيها كباب الحلة، ويختارون الحزب السياسي حسب جودة طهوه؛ لذلك يجب أن يأخذ المرشحون جودة كباب الحلة مأخذ الجد. أعرف مواطنين رفضوا إعطاء أصواتهم لمرشح نسي أن يضع الزعتر في كباب الحلة. كما أن الفشل في الانتخابات يمكن أن ينتج عن قلة الملح، والفلفل، والبصل، والدهون أيضًا. لكن يجب عدم المبالغة في البهارات؛ لأن الفشل يمكن أن يحدث أيضًا جرّاء زيادة التوابل. ولا طائل من أن تطهو كباب حلّة توافقي- بدون دهن، وبدن ملح، لأن المرشح مهدد وقتها أن يفقد كل شيء. يجب أن يكون كباب الحلة واضحًا وصريحًا، وأيضًا أن يكون مختلفًا عن كباب حلة الأحزاب السياسية الأخرى، شأنه شأن برامج الأحزاب السياسية. لو قام خبراء العلوم السياسية بتحليل النجاح المتواصل لحزب الائتلاف المجري فليس لديَّ شك بأن السبب الرئيسي يعود إلى كباب الحلة المجري الرائع. لو كنت مكان مرشحي الأحزاب السياسية السلوفاكية لما ترددت في الذهاب إلى المناطق الجنوبية في وقت الحملات الانتخابية، وتعرفت سرًّا على الوصفات المجرية.

كباب الحلة من الوجبات المفضلة في المؤتمرات الانتخابية في المناطق التي تتواجد بها نسبة مرتفعة من التجمعات السكنية المجرية. رغم ذلك يجب الحذر، والتأكد من أنهم

لـم يقدمـوا كبـاب حلـة مـن لحـم الغـزال فـي المؤتمـر الانتخابـي للحـزب المعـارض الـذي عُقِـد قبلـكَ بيـوم، فمواطنـو هـذه الأقاليـم يفضلـون كبـاب الحلـة مـن اللحـم البقـري، وليـس بلحـم الغـزال. سـتزداد فرصتـك فـي الحصـول علـى أصواتهـم لـو أنـك قدمـت لهـم براندي بطريقـة غيـر رسـمية.

الفوز في الانتخابات

"لَيْسَ المُهِمُّ أَنْ تَفُوزَ، لَكِنَّ المُهِمَّ أَنْ تُشَارِكَ فِي الائْتِلَافِ الحُكُومِيّ"

مستوحاة من بيير دي كوبارتين

يفـوز الحـزب السياسـي فـي الانتخابـات عندمـا يحصـل علـى أكبـر عـدد مـن الأصـوات. الأحـزاب التـي تصـل إلـى البرلمـان تكـون مُمتنَّـة للناخبيـن علـى أصواتهـم، ولـن تنسـى لهـم ذلـك أبـدًا. سـوف تتذكرهـم بالتأكيـد عندمـا تكـون فـي حاجـة إليهـم مـن جديـد.

قـد يخـدع السياسـيون المنتصـرون أنفسـهم عندمـا يدّعـون بأنهـم قـد فـازوا لأن النـاس تحبهـم. مـن يحبهـم هـم فقـط أفـراد عائلتهـم المقربـون، لكـن الآخريـن صوتـوا لهـم لأنهـم جربـوا كل الطـرق الممكنـة. لـم يكـن تصويتهـم للحـزب الـذي اختـاروه إلا لأنـه لـم يخيـب آمالهـم حتـى الآن، لأنهـم لـم ينتخبـوه مـن قبـل. إن الأحـزاب المنتصـرة تحصـل علـى أصـوات الناخبيـن فـي الغالـب بسـبب يأسـهم.

وعلـى عكـس كـرة القـدم التـي يكـون فيهـا انتصـار فريـق علـى آخـر نهائيًّـا، فـي السياسـة لا يعنـي الفـوز فـي الانتخابـات بالضـرورة شـيئًا مـا. أفضـل مـن يتحـدث فـي هـذا الأمـر هو"فلاديميـر ميتشـيار" وحزبـه (حركـة سـلوفاكيا الديموقراطيـة) الـذي فـاز فـي الانتخابـات عـام 1998، وعـام 2002، لكنـه لـم يسـتفد مـن ذلـك بـأي شـيء. النجـاح فـي السياسـة يتحقـق عندمـا تشـارك فـي الحكومـة الائتلافيـة.

لا تتحـدث نتائـج الانتخابـات إلا عمـن وصـل إلـى البرلمـان. يقـول الخبـراء إن الانتخابـات البرلمانيـة مجـرد توزيـع لـلأوراق؛ لذلـك لا يهلـل أحـد فـي نظـام التمثيـل النسـبي بعـد الانتخابـات. الحـزب السـعيد هـو الـذي يصـل إلـى البرلمـان بـدون أذنيـن، أمـا الفائـز فـي الانتخابـات فسـيختاره كشـريك فـي الائتـلاف. لـم يتمكَّـن حـزب حركـة سـلوفاكيا الديموقراطيـة منـذ عـام 1998 مـن المشـاركة فـي الحكومـة إلا بعـد ثالـث محاولـة فـي عـام 2006. فـاز فـي المحاولـة الأولـى والثانيـة، وأخفـق فـي انتخابـات 2006. "كنـا فـي عـام 2002 أقويـاء لكننـا بكينـا، أمـا اليـوم فنحـن ضعفـاء

لكننا نضحك". هذا ما قاله "فلاديمير ميتشيار" حرفيًّا.

إذن هـدف حـزب حركـة سـلوفاكيا الديموقراطيـة فـي انتخابـات 2010 واضـح: 5،0 فـي المئـة ليضحـك حتـى يسـتلقي علـى قفـاه.

خسارة الانتخابات

"أُفَكِّرُ فِي الانْتِحَارِ بَعْدَ كُلِّ خَسَارَةٍ فِي الانْتِخَابَاتِ. إِنَّها الشَّيءُ الوَحِيدُ الَّذِي يُبْقِينِي عَلَى قَيْدِ الحَيَاة"

وليامز

تقـول الإحصائيـات إن نسـبة الخسـارة فـي الانتخابـات أكثـر مـن الفـوز فيهـا، ففـي سـلوفاكيا يوجـد 121 حزبًـا سياسـيًّا، لـم يصـل منهـا إلـى البرلمـان سـوى سـتة أو ثمانيـة أحـزاب. وهـذا يعنـي بالأرقـام أن 0,07 فـي المئـة فقـط هـي نسـبة الأحـزاب الناجحـة. مـن الواضـح طبعًـا أن خبـراء العلـوم السياسـية عليهـم أن يولـوا أسـباب الخسـارة فـي الانتخابـات اهتمامًـا أكبـر فـي تحليلاتهـم السياسـية، أكثـر مـن اهتمامهـم بأسـباب النجـاح.

الطريقـة المثاليـة لتجنـب الخسـارة فـي الانتخابـات هـي عـدم المشـاركة فيهـا، وبهـذا نمنـع انتشـار روح التشـاؤم بيـن مـن لـم يوفقـوا فـي الانتخابـات، خاصـة وأن أحـدًا لا يبحـث عـن المذنـب الـذي تسـبب فـي خسـارتهم الانتخابـات. هـذا الأمـر البسـيط لـم يدركـه إلا عـدد قليـل مـن رجـال الدولـة. أول مـن التفـت إلـى هـذا الأمـر كان الحاكـم اليونانـي "كلايسـينيس" الـذي طبـق الديموقراطيـة النيابيـة فـي أثينـا عـام 507 قبـل الميـلاد. كانـت هـذه أول مـرة فـي تاريـخ البشـرية يختـار فيهـا الشـعب نوابـه ليشـاركوا فـي المجلـس الإكليركـي التشـريعي وقتهـا. قسـم المواطنيـن إلـى عشـر فئـات يمكنهـا أن تختـار نوابهـا. لكـن "كلايسـينيس" كان يعلـم أنهـا سـتكون مخاطـرة لـو أنـه تـرك للمواطنيـن اختيـار النـواب التشـريعيين، فقـد كان يعـرف مواطنيـه جيـدًا، ونـادرًا مـا وثـق فـي قدراتهـم العقليـة وقيمهـم الأخلاقيـة؛ لذلـك قـرر أن يلجـأ إلـى الآلهـة لتختـار، وكان اليونانيـون يقدسـونها، بمعنـى أنهـم ببسـاطة أجـروا قرعـة لاختيـار النـواب. بهـذا وفـر "كلايسـينيس" أمـوالًا طائلـة تُنفَـق علـى الحمـلات الانتخابيـة، ورشـوة الناخبيـن، أو الصحفييـن. كمـا أنـه لـم تكـن هنـاك خسـارة، بـل علـى العكـس، فمـن حالفهـم الحـظ شـعروا بأنهـم مختـارون مـن الآلهـة. ويمكننـي أن أؤكـد أنـه لـو أمكـن اختيـار الأعضـاء اليـوم بنفـس الطريقـة فلـن نـرى أي تغييـر سـلبي فـي طريقـة الحكـم.

الفصل الرابع

الحكومة

الحكومة

"كُلُّ الحُكُومَات سَيِّئَةٌ بِمِقْدَارِ مَا يَسْمَحُ لَها بِهِ المُوَاطِنُون، وكُلُّ الحُكُومَات جَيِّدةٌ بِمِقْدَارِ مَا يُجْبِرُهَا عَلى ذَلِكَ المُوَاطِنُون"

جيروم دافيد سالينجر

عـرف التاريـخ أشـكالًا عديـدة مـن الحكومـات. ونشـأت كلهـا فـي اليونـان القديمـة، حيـث جـرَّبَ الحـكام فـي مواطنيهـم أنواعًـا كثيـرة للحكـم. كانـوا يبحثـون عـن طريقـة يزعجـون بهـا أقـلَّ عـدد مـن المواطنيـن قـدر الإمـكان. وكلمـا صـار المواطنـون أقـل رضـا ازداد سـعيهم للبحـث عـن حكومـة. فـي البدايـة سـيطر الأرسـتوقراطيون علـى الحكـم، وكانـت تسـمية هـذه الطبقـة مشـتقة مـن كلمـة "أرسـطو"، ومعناهـا الأفضـل. فـي الواقـع شـارك فـي الحكومـة فـي البدايـة أفضـل العناصـر، لكنهـم سـرعان مـا اسـتبدلوهم بعناصـر سـيئة، فبـدأ المواطنـون يعلنـون عـن سـخطهم؛ لذلـك أوجـدوا لهـم حكومـة الأقليـة oligarch، والتـي سـموها اشـتقاقًا مـن كلمـة "oligoi"، ومعناهـا القِلَّـة. لكـن لـم يسـيروا أمـور المواطنيـن كلهـم علـى أفضـل حـال، بـل قلـة منهـم فقـط. لـم تنجـح حكومـة الأقليـة لسـبب بسـيط، كان عـدد الذيـن أرادوا الاسـتئثار بالحكـم كبيـرًا، وفـي حكومـة الأقليـة لا يمكـن أن تحكـم الأغلبيـة؛ لذلـك ظهـر أحدهـم وطبـق نظـام الحكـم التيموقراطـي timocracy، وهـي تسـمية مشـتقة مـن كلمـة "time" ومعناهـا فـي اللغـة اليونانيـة القديمـة: التقييـم الضريبـي. تولـى الحكـم فـي النظـام التيموقراطـي كل مـن أقـرَّ بمـا يملكـه، وشـارك فـي الحكومـة كل مـن زاد علـى غيـره فـي دفـع الضرائـب. كانـت هـذه طريقـة ماكـرة؛ لأنـه لـم يشـارك فـي الحكومـة إلا صاحـب أكبـر الأمـلاك التـي أقـرَّ بهـا. وهنـا قـرر المواطنـون تولـي مقاليـد السـلطة، وشـكلوا مـا يعـرف بالحكـم الأخلوقراطـي ochlocracy -حكومـة الرعـاع. لكـن المشـكلة حدثـت عندمـا ضغـط الرعـاع مـن أجـل الوصـول إلـى مبنـى الحكومـة. كان عـدد سـكان إسـبرطة وقتهـا 250 ألـف نسـمة، منهـم 220 ألفًـا مـن الرعـاع. ورغـم براعـة البنـاة اليونانييـن لـم يكـن فـي مقدورهـم تصميـم صالـة اجتماعـات تتسـع لمثـل هـذا العـدد؛ لذلـك لـم يشـارك فـي الحكومـة إلا أول مـن وصـل إلـى مقـر الحكومـة بعـد إقـرار النظـام الأخلوقراطـي. وبالطبـع أثـار

ذلـك سـخط مـن وصـل متأخـرًا ولـم يدخـل، فبـدءوا مـع الوقـت فـي التفكيـر فـي النظـام البرلمانـي الديموقراطـي، وفيـه يقـوم المواطنـون بانتخـاب مـن يرغبـون فـي إدارة شـئونهم. واشـتقت كلمـة الديموقراطيـة النيابيـة مـن لفظـة demos ومعناهـا الشـعب، والشـعب هـو كل مـن لـم يصـل إلـى مقعـد الحكـم.

يبـدو أن الحكومـة هـي مؤسسـة مفيـدة. هنـاك دول تتغيـر فيهـا الحكومـات مـرة كل ثلاثيـن عامًـا، ودول أخـرى ليـس لديهـا حكومـة مـن الأسـاس، كمـا أنـه توجـد دول تتغيـر فيهـا الحكومـات كثيـرًا مثـل تَغُّيـر مواسـم التخفيضـات علـى الملابـس الشـتوية والصيفيـة. لقـد ظهـرت فـي فرنسـا مـن نهايـة الحـرب العالميـة الثانيـة 43 حكومـة، وفـي إيطاليـا 53. الجديـر بالذكـر أن تعاقـب الحكومـات فـي هاتيـن الدولتيـن كان ناجحًـا بدرجـات متفاوتـة، لكنـه فـي نهايـة الأمـر كان موفقًـا. لكـن هـذا دائمًـا مـا نجـح حتـى فـي الـدول التـي ليـس لديهـا حكومـات، وتسـودها الفوضـى.

ظهـرت أول حكومـة فـي العصـر الحديـث فـي القـرن السـابع عشـر فـي إنجلتـرا، وكانـت تسـمى فـي بدايـة الأمـر باسـم الغرفـة، ليـس لأن الـوزراء كانـوا "يمرحـون" فـي الغرفـة أو يدخنـون التبغ سـرًّا، لكـن لأن الملـك كان لديـه عـدد كبيـر مـن المستشـارين، ولـم يكـن قـادرًا علـى أن يتذكرهـم جميعًـا، فاختـار بعضهـم ودعاهـم إلـى مكتبـه الملكـي، ومـن وقتهـا والحكومـات تسـمى باسـم الغرفـة.

فرص الائتلاف

"يُقْنِعُكَ كُلُّ مَنْ هُوَ فِي الائْتِلافِ الحُكُومِيِّ أَنَّهُ الوَحِيدُ الَّذِي يَعْمَلُ، وَشَرِيكُه فِي الائْتِلافِ يُفْسِدُ مَا يَفْعَلُه"

مينجويز

كل حـزب سياسـي بعـد انتهـاء الانتخابـات مسـتعد أن يتخلـى عـن أفـكاره، ويأتلـف مـع أي حـزب سياسـي آخـر، فقـط مـن أجـل أن يصـل إلـى السـلطة. يطلق خبـراء العلـوم السياسـية علـى التخلي عن الأفـكار "فـرص الائتـلاف". سـتكون مفاجـأة لطيفـة لـو اتحـدت الأحـزاب بنـاء علـى برامـج متشـابهة. وربمـا تكـون مفاجـأة للأحـزاب المؤتلفـة نفسـها؛ لأنهـا سـتتأكد عنـد اتحادهـا مـع بعضهـا بنـاء علـى برامـج متشـابهة أنهـا لا تملـك أيـة برامـج. تعلـن جميـع الأحـزاب أثنـاء تشـكيل الحكومـة الائتلافيـة صراحـة أنهـا مسـتعدة للدخـول فـي ائتـلاف مـع أي حـزب. وبعـد تشـكيل الحكومـة الائتلافيـة تنتبـه الأحـزاب التـي لـم تدخـل الائتـلاف أنهـا صـارت خـارج الخدمـة لمـدة أربعـة أعـوام؛ لذلـك تعـود إلـى ادعـاء المبـادئ. تبـدأ فـي ممارسـة سياسـة معارضـة شرسـة. تتلخـص سياسـة المعارضـة الشرسـة فـي النقـد الـلاذع للأحـزاب لـم تكـن لتنتقدهـا لـو أنهـا شـاركت معهـا فـي الحكومـة الائتلافيـة.

يسـمى الائتـلاف فـي علـم الاقتصـاد بالاتحـاد الاحتـكاري الـذي يضطـر إلـى الاسـهاب فـي الشـروح أمـام مكتـب مكافحـة الاحتـكار. لكـن لا توجـد اتحـادات احتكاريـة فـي السياسـة. لذلـك فالأحـزاب السياسـية ليـس مضطـرة إلـى شـرح أيـة شـيء. فعندمـا يحصـل حـزب مـا علـى الأغلبيـة المطلقـة لا يكـون فـي حاجـة إلـى الدخـول فـي ائتـلاف مـع أحـد للممارسـة الحكـم. لـم يحـدث هـذا فـي المناطـق الأوروبيـة التـي تتبنـى نظـام القائمـة النسـبية إلا مـرة واحـدة – فـي سـلوفاكيا تحـت قيـادة "فلاديميـر ميتشـيار". مـن المسـتحيل اليـوم عمليًـا أن تحصـل علـى الأغلبيـة المطلقـة أحـزاب مثـل حـزب حركـة سـلوفاكيا الديموقراطيـة، أو حـزب سـمار، والمهمـة 21، والمهمـة 31، والحـزب الشـيوعي الوطنـي، والحـزب الشـيوعي السـلوفاكي، وحـزب نعـم، وحـزب لا، وحـزب البسـتان، وحـزب بينتـا، وحـزب التبجيـل أو حـزب المَرْسَـى. لذلـك لـن نخـوض فـي هـذا الأمـر.

إن قـدرة الأحـزاب السياسـية المؤتلفـة علـى ابتـزاز بعضهـا البعـض هـي شـرط أساسـي لنجـاح التحالـف. لـو لـم تتمتـع بهـذه القـدرة فمـن الأفضـل ألّا تشـارك فـي الائتـلاف. إن فـرص الائتـلاف تنطلـق أساسًـا مـن علاقـات الصداقـة لرؤسـاء الأحـزاب التـي حصلـت علـى أكثـر مـن خمسـة فـي المئـة مـن الأصـوات. وتُبْنَـى علاقـات رؤسـاء الأحـزاب أثنـاء المناسـبات المختلفـة، أو أنهـا تتعكـر أثناء هـذه المناسـبات. علـى سـبيل المثـال لـم يمـرر "روبـرت فيتسـو" الكـرة إلى"ميكـولاش دزورينـدا" أثنـاء مبـاراة كـرة القـدم، فبـات مـن الواضـح أن فـرص الائتـلاف بيـن هذيـن الرئيسـين قـد باتـت قليلـة، أو منعدمـة. لكـن "روبـرت كالينـاك" مـرر الكـرة إلى"ميكـولاش دزورينـدا" (لقـد أفصحـت للتـو مجـددًا عـن أحـد الأسـرار)، لكـن ذلـك لـم ينفعـه، لأنـه لـم يعـد رئيسًـا للحـزب وقـت تسـطير هـذا الكتـاب. لكـن "دزورينـدا" مـا زال حتـى كتابـة هـذا العمـل رئيسًـا، ورغـم ذلـك لا ينفعـه هـذا بشـيء.

"الائْتِلَافُ هُوَ فَنُّ ارْتِداءِ الفَرْدَةِ اليُسْرَى مِنَ الحِذَاءِ فِي القَدَمِ اليُمْنَى دُونَ أنْ تَضْغَطَ عَلى قَدَمِك"

جوي موليت

إن الائتلاف شر لا بد منه. ويظهر الائتلاف عندما يعجز واحد عن فعل كل شيء. ائتلاف ضد العدو أثناء الحرب العالمية الثانية- ائتلاف معارض لهتلر، وضد الإرهاب– التحالف ضد الإرهاب، وضد العدو في السياسة السلوفاكية– الائتلاف المعارض لـ"ميتشيار". عيوب الائتلاف أكثر من مزاياه، ومن أكثر عيوب الائتلاف:

لا يتحمل أحد المسئولية، وكل عضو في الائتلاف يلقي باللائمة على غيره.

هناك فرصة للتواني، تمامًا مثل الرجال عندما يرفعون معًا لوحًا من الخشب.

- توزع الغنائم بين عدد كبير.
- الائتلاف دائمًا يقبل الحلول الوسط.
- في الائتلاف دائمًا يوجد ابتزاز متبادل بين الأحزاب المؤتلفة.

غالبًا ما يكون للائتلاف ألوان مميزة له. ألوان الطيف، الأحمر والأسود (حزب ÖVP-SPÖ في النمسا)، الأحمر والأخضر (حزب الخضر الألماني)، ألوان إشارات المرور الضوئية (الأحمر، والأصفر، والأخضر – الاشتراكيون والليبراليون والخضر في ألمانيا)، الأسود والأزرق (ائتلاف ÖVP-FPÖ في النمسا). يمكن أن يكون الائتلاف أيضًا حزبًا سياسيًّا، مثال على ذلك ائتلاف الاشتراكيين الديموقراطيين الذي انبثق عن ائتلاف أحزاب الحركة الديموقراطية المسيحية، والاتحاد الديموقراطي، والحزب الديموقراطي، والديموقراطي الاجتماعي السلوفاكي، وحزب الخضر. وعندما عجزت تلك الأحزاب عن إحداث تآلف بين ألوانها قرر أعضاؤها اختيار اللون الأزرق، ثم اتضح مع الوقت أنه ليس اللون المفضل لدى الجميع، فاتفقوا على حل وسط: اللون الأزرق مقبول.

ينشأ الائتلاف بناء على اتفاقية شراكة. اتفاقية الشراكة هامة لكي يعرف كل من وقع عليها ما الذي سيخرقه. إن النكث باتفاقيات الائتلاف يتم بالتناوب، فمن العبث أن ينقض أطراف الائتلاف اتفاقهم مرة واحدة، فعندها لن يتمكن كل طرف من توبيخ الآخر، لذلك يخرق

أحد الأحزاب الاتفاق، ثم يتلوه حزب ثان أو ثالث. إن خرق اتفاقية الائتلاف يحدث كثيرًا في الممارسة السياسية، بنفس قدر الحفاظ عليها، لذلك لا ينزعج أحد من خرق الاتفاقية، باستثناء الديموقراطي المسيحي الذي يثور دائمًا عند حدوث أية خروقات لاتفاقية الائتلاف. أيضًا يحدث تهديد بمغادرة الائتلاف بعد كل خرق للمعاهدة. لكن، ورغم أن اتفاق الائتلاف قد تم خرقه بانتظام في الفترة من 2002 – 2006، لم ينسحب أي حزب من الائتلاف باستثناء حزب الحركة المسيحية الديموقراطية الذي هدد على الملأ بأنه سينسحب من الائتلاف ما لم يلتزم أطرافه بالاتفاقية، والتزموا بتعهدهم ونقضوا اتفاقية الائتلاف وانسحبوا من التحالف لسبب لا يعرفه أحد من حزب الحركة المسيحية الديموقراطية حتى وقت إعداد هذا الكتاب. وعندما انسحب حزب (نعم) نفسه انهار الائتلاف، وخسرت بذلك مرتب أربعة أشهر، وإقامة مدعمة لقضاء إجازة في مدينة "تشاستي بابرينيتشكا".

تعد إسرائيل من الحالات الجديرة بالاهتمام فيما يتعلق بالحكومات الائتلافية. فاليهود لديهم تقاليد عريقة في الجدل منذ ألف عام. يقولون في مدينة القدس إنه عندما يلتقي ثلاثة يهود تظهر بينهم خمسة آراء. يمثل سبعة ملايين نسمة في البرلمان الإسرائيلي عشرون حزبًا. وخارج البرلمان يوجد مئة حزب آخر. لذلك من السهل على أي رئيس حكومة معين أن يشكل حكومة ائتلافية في إسرائيل، فلديه بدائل اختيار كبيرة. في ربيع عام 2007 تولى الوزارة في هذه الدولة ائتلاف من أحزاب: كاديما، وجيل، ونيماد، وشاس. لو أراد رئيس الوزراء أولمرت لاختار من أحزاب الليكود، وبيتنا، ومولديت، وتكوما، وأجودات، وديجيل، وميريتس، وغيرها من الأحزاب التي لها أسماء أكثر غرابة. لذلك فرئيس الوزراء السلوفاكي المعين يعد هاوِيًا مقارنة برئيس الوزراء الإسرائيليّ.

إن ما يسمى بالائتلاف الموسع هو مثال جيد عن عدم جدوى الديموقراطية البرلمانية. يطبق هذا الائتلاف الموسع منذ سنوات طويلة في كل من ألمانيا والنمسا. يشكله أكبر حزبين سياسيين. اتهامات وشتائم متبادلة إبان الحملة الانتخابية. الاشتراكيون يشكلون الحكومة مع المحافظين بناء على برنامج لم يطرحه أي من الحزبين أثناء الانتخابات. جدير بالذكر أن أحزاب مثل SPD وCDU/CSU أو مثل SPÖ وÖVP لديهم معًا ما يقرب من 90 في المئة من الأصوات في المجلس الاتحادي، أي المجلس القومي. الائتلاف المستقر قد يحدث عندما تشارك فيه جميع الأحزاب الممثلة في البرلمان. ولا يهم موضوع برنامج الحزب؛ لأن الأحزاب تعرف أن البرامج التي تعرضها قبل الانتخابات لا يقرؤها أحد. في سلوفاكيا يمكن تحقيق هذا الحل المثالي بتغيير الدستور السلوفاكي بحيث لا تضطر الأغلبية التي تشكل الحكومة إلى الحصول على 76 من الأصوات، بل كل الأصوات المئة والخمسين. ومن المؤكد أن المواطنين سيرحبون بمثل هذا الحل.

مجلس الائتلاف الحاكم

"الائْتِلَافُ مِثْل الجِنْسِ الجَمَاعِيّ. يُمْكِنُكَ أنْ تَلْتِقِطَ فِيه أنْفَاسَكَ باسْتِمرَار"

مؤلف مجهول

إن وجـود مجلـس الائتـلاف الحاكـم فـي سـلوفاكيا دليـل صريـح علـى أن سـلوفاكيا ليـس بهـا ديموقراطيـة برلمانيـة؛ ففـي الديموقراطيـة البرلمانيـة تُتخـذ جميـع القـرارات تحـت قبـة البرلمـان، لكـن مـن يقـرر فـي سـلوفاكيا هـو مجلـس الائتـلاف، والأغلبيـة البرلمانيـة لا تفعـل سـوى اعتمـاد شـكلي للقـرارات التـي يتخذهـا المجلـس. تعتبـر مؤسسـة مجلـس الائتـلاف شـيئًا فريـدًا مـن نوعـه فـي العالـم، فهنـاك مجلـس ائتـلاف المؤسسـات الأذربيجانيـة غيـر الحكوميـة التـي لديهـا شـعار يقـول: "النـط للجميـع!"، ومجلـس ائتـلاف وسـائل الإعـلام الأمريكـي الإسـباني"، ومجلـس ائتـلاف زراع القمـح اليابانـي، ومجلـس ائتـلاف جمعيـات مناهضـة حكـم الإعـدام. إن دور مجلـس الائتـلاف هـو فقـط إجـراء المباحثـات التـي تخـص الائتـلاف، والمباحثـات الائتلافيـة معقـدة، وطـول الجلسـة الواحـدة يتوقـف علـى عـدة عناصـر هـي:

- عدد الأحزاب المتآلفة
- مدى وقاحة طلبات الأحزاب المتآلفة.
- مدى صبر هذه الأحزاب التي لم تقدم الطلبات.
- مدى صبر الحزب الذي قدم الطلب.
- صبر رئيس أقوى حزب في الائتلاف.
- عدد الرؤساء الذين يتميزون بالعدل في الأحزاب المؤتلفة.

مجلـس الائتـلاف هـو هيئـة مـن مجموعـة مـن الأفـراد الذيـن يعتقـدون أنهـم يفهمـون كل شـيء. هـذا الاعتقـاد يؤهلهـم حسـب اعتقادهـم لكـي يقـرروا فـي مصيـر البلـد. ويتبنـى الـوزراء قراراتهـم،

ومـن بعدهـم الأغلبيـة البرلمانيـة فـي البرلمـان. اللافـت للانتبـاه أن المواطنيـن يتأففـون مـن تعييـن هـواة غيـر خبـراء فـي الأماكـن القياديـة بمحطـات الكهربـاء أو الغـاز، فـي حيـن لا يأبهـون عندمـا يـرون فـي مجالـس الائتلافـات السـلوفاكية فنيًّـا شـيوعيًّا، أو عامـل بِنـاء، أو أخصائـيّ تفجيـر مناجـم، أو مشـاركًا فـي سـباق السـيارات، أو ممثـلاً، أو مهنـدس محـركات، أو عالـم رياضيـات، أو كاهنًـا سِـرّيًّا، أو خبيـر أمـراض نسـاء، أو مدرسًـا. لـو كانـت هـذه هـي طبيعـة المشـاركين فـي رئاسـة المجلـس الإداري لمحطـات الكهربـاء السـلوفاكية، أو صناعـة الغـاز السـلوفاكية فعلـى المواطنيـن وقتهـا أن يشـرعوا مـن بـاب الاحتيـاط فـي تخزيـن الخشـب للتدفئـة فـي فصـل الشـتاء؛ فعندمـا يُتّخَـذ قـرار خاطـئ بخصـوص محطـات الغـاز، فسنشـعر بـه جميعًـا علـى الفـور، أمـا القـرار السياسـي الخاطـئ فلـن نشـعر بـه إلا بمـرور الوقـت، وغالبًـا عندمـا يختفـي المجلـس الائتلافـي الـذي اتخـذ القـرار؛ لذلـك تكـون قـرارات مجلـس الائتـلاف غالبًـا جريئـة، وذات رؤيـة طويلـة المـدى.

رئيس الحكومة

"الحُكُومَةُ يُمْكِنُ أنْ يُدِيرَهَا طَبَّاخ"

فلاديمير إيليتش لينين

رئاسة الحكومة هي من المناصب التي ظهرت ليس لأن أحدًا يحتاجها بصورة لا مفر منها، لكن السبب في وجود هذا المنصب هو توفير وظيفة محترمة لأحد التابعين المخلصين. أول من فكّر في هذا المنصب كان الفرنسيين عام 1624 عندما اختار الملك "لودڤيت الرابع عشر" أكثر وزرائه إخلاصًا له، ونصبه أول "رئيس للوزراء". أسس أول رئيس للوزراء، الكاردينال "دي ريشيليو" - فضلاً عن أعماله الأخرى- أكاديمية فرنسية تعليمية، وهي الأكاديمية الفرنسية. في سلوفاكيا لدينا أكاديمية العلوم السلوفاكية، لذلك أُوصِدَ الطريق إلى دخول تاريخ العلم أمام رؤساء الوزراء السلوفاك.

ولم يَرْضَ الإنجليز أن يتقدمهم الفرنسيون؛ لذلك ظهر وزيرهم الأول في عام 1715. أجبرهم على ذلك أنهم كانوا غير قادرين على التواصل مع الملك، لأن ملك إنجلترا في عام 1714 كان الألماني جورج لودفيج، وبصفته ملك إنجلترا فقد حمل اسم جورج الأول، وترأس غرفة الوزراء. بمعنى أدق، كان سيرأسها لو استطاع أن يتواصل مع أعضاء الغرفة. كان ملك إنجلترا جورج الأول يتحدث الألمانية بطلاقة، والفرنسية أيضًا، ولكن لم يكن هناك سوى قليل من سكان مدينة لندن يعرف هذه اللغة. وعندما أجاب ذات يوم على سؤال أحد الوزراء: "How are you" أجابه "Ich liebe England". كان واضحًا أنه هو الآخر لا يعرف اللغة الإنجليزية. وقام وزراء ملك إنجلترا بحل القضية في عام 1715 على الطريقة الإنجليزية أيضًا. أكدوا في البداية أنهم يفهمون الملك، لكن الملك أدرك أن الأمور عكس ذلك، فعيَّن أحد الوزراء في وظيفة الوزير الأول "prime-minister"، ومنذ ذلك الوقت ولديهم في إنجلترا حكومة جلالة الملك أو الملكة. لكن الملك اشترط أن يدير الغرفة بنفسه، لكن بمرور الوقت تأكد أنه غير قادر بمفرده على ذلك، فأعلن أن الديموقراطية قد حلت على إنجلترا وانتهى الأمر! وترك للبرلمان صلاحيات المراقبة، وتفرغ هو لهوايته المفضلة وهي

الكروشـيه. فالديموقراطيـة إذن لـم تظهـر عنـد الإغريـق، بـل فـي إنجلتـرا نتيجـة لهوايـة الملـك فـي عمـل الكروشـيه. لـم يتوقـع الملـك أن المواطنيـن سـيعجبون بالديموقراطيـة إلـى درجـة أنهـم يختـارون فـي الانتخابـات حزبًـا سياسـيًّا يقـوده رؤسـاء وزراء لحكومـة سـتكون أقـوى مـن الملـك.

ليـس رئيـس الـوزراء الجيـد هـو مـن يرتكـب أخطـاءً أقـل مـن سـلفه، بـل مـن يجيـد الدفـاع عـن أخطائـه بطريقـة مقنعـة. الوسـيلة المقنعـة للدفـاع عـن الأخطـاء هـي تلـك الوسـيلة التـي يبـدو منهـا أنـه رغـم الأخطـاء فقـد دفـع الدولـة إلـى غـدٍ مشـرق.

القاعـدة الأصيلـة عنـد تنـاوب رؤسـاء الـوزراء هـي أن رئيـس الـوزراء المكلـف دائمًـا أفضـل مـن سـلف، ولكـي يثبـت ذلـك عليـه أن يصحـح أخطـاءه منـذ البدايـة يصاحبـه صـراخ وعويـل. وبمـا أن رئيـس الـوزراء يعلـم أنـه آجـلاً أو عاجـلاً سـوف يحـل محلـه رئيـس وزراء آخـر؛ فهـو لا يتحـدث عـن تصويـب الأخطـاء، بـل عـن إجـراء تغييـرات. إن إجـراء التغييـرات مـن أولـى مهـام رئيـس الـوزراء الجديـد، ولا يهـم أيـة تغييـرات سـيجريها، لكـن عليـه أن يقـوم بهـا، وإلا سيسـأله النـاس عمـا يفعلـه فـي وظيفـة رئيـس للـوزراء.

البلكون أم البلقان

"المَلِكُ يَمْلِكُ، ولَا يَحْكُمُ"

مؤلف مجهول

رغم أن هذا القسم يتحدث عن الحكومة، لكني أسمح لنفسي أن أدرج بشكل استثنائي فصلًا عن الملوك والرؤساء. رغم أن صلاحياتهم الدستورية محدودة في كل من سلوفاكيا، وألمانيا، والمجر، وبريطانيا العظمى. إنهم من الناحية الرسمية المواطنون رقم واحد في بلادهم. لدى الرئيس أو الملك كثير من المهام ذات الشأن. إحدى هذه المهام وأهمها هي ألَّا يجلب العار لبلاده. فالملك والرئيس ممثلون لبلادهم، ويكفيهم أنهم موضع سخرية مواطنيهم في الداخل. فالرئيس يجب ألَّا يخلط بين سلوفاكيا وسلوفينيا، وبين العراق وسوريا، والبلكونة والبلقان، و"بنديكت" و"دومينيك". كما أنه لا يجب أن ينطق أسماء مضيفيه بطريقة خاطئة كما حدث مع الرئيس الألماني "هنريش ليوبيك" أثناء زيارته لمدغشقر، فقد خاطب الرئيس وزوجته بعبارة: "السيد الرئيس، السيدة تاناناريف"، يبدو أنه لم يكن يعرف أن تاناناريف هي عاصمة مدغشقر. وفي دولة إفريقية أخرى بدأ خطبته بالعبارة التالية: "سيداتي سادتي، أعزائي الزنوج". إن كلمات الرئيس "ليوبيك" أثارت وقتها في ألمانيا عاصفة من الضحك، ونشرت البهجة في كل أرجاء ألمانيا لأول مرة بعد الحرب. قطعت بسببه إذاعة باڤاريا برنامجها اليومي الساخر المسمى "مجتمع باڤاريا الناريّ"، وذكرت الإذاعة أن السبب في ذلك يعود إلى أن ضيوف البرنامج يتلقون المكافآت عبثًا، فلم يكونوا مضطرين إلى اختلاق أي قصص ساخرة، يكفي أن يذكروا مقتطفات من خطابات رئيسهم.

لكن يبدو أن المادة الأكثر دسامة للساخرين في كل أنحاء العالم، وخاصة في بلده أمريكا هو الرئيس الأمريكي "جورج ووكر بوش" (بالسلوفاكية يوري خوداتس كريك). في الوقت الذي كان الأمريكيون يتخوفون إبان حكم الرئيس الأمريكي "كلينتون" من اللحظة التي يفتح فيها الرئيس أزرار سرواله، في عهد بوش كان يتملكهم الخوف كلما فتح الرئيس

فمه. يقول المُلَسِّنُون إن السبب الذي جعل بوش ينخرط في السياسة هو أنه لم يعثر على نفط في ولاية تكساس. يُقَال إنه أثناء زيارته لموسكو اقترحوا عليه أن يزور قبر لينين، لكنه رفض لأنه من عشاق موسيقى البيتلز. يؤكد "ياي لينو"[6] أنه عندما سأله عن رأيه بشأن الاحتفال بمرور مئة يوم على وجوده في منصبه، أجابه بوش باندهاش: "مئة يوم؟ يا لَهُ من عام مرّ بسرعة رهيبة!". خاطب "يوري خوداتس" الطلبة في جامعة "ييل" أثناء تسلمه الدكتوراه الفخرية من الجامعة قائلاً: "أريد أن أهنئ كل الطلبة المتفوقين، وأقول للطلبة الفاشلين: يومًا ما قد يصبح أحدكم رئيسًا". وقد أثنى الرئيس كينيدي على عمله بهذه العبارات: "إنه عمل جيد، لديَّ مرتب محترم، ويمكنني أن أذهب إلى مكتبي سيرًا على الأقدام".

كانت المجر أيضًا مادة للسخرية إبان الحرب العالمية الثانية بسبب أكبر ممثليها، على الأقل في مكتبة الكونجرس الأمريكي. عندما أعلنت المجر الحرب على الولايات المتحدة بضغط من ألمانيا، طلب أحد رجال الكونجرس الأمريكي من أحد المهاجرين المجريين الذين يعملون في مكتبة الكونجرس أن يذكر له شيئًا عن المجر، فسأله:

"كيف تبدو المجر؟".
"إنها مملكة يسكنها ثمانية ملايين ونصف المليون نسمة".

"ما اسم الملك؟".

"لا يوجد عندنا ملك، بل عندنا أمير للبحار اسمه هورسي".

"أمير للبحار؟ لديكم إذن أسطول قويّ!".

"ليس لدينا أسطول؛ لأن المجر لا تطل على بحار، حيث سلبتنا إيطاليا إياه عام 1918".

"صحيح؟ إذن أنتم الآن تحاربون إيطاليا؟".

"كلا، إن الإيطاليين حلفاؤنا. نحن نحارب ضد الروس".

"حقوق إقليمية؟".

---

(6) مقدم برامج تلفزيونية أمريكي شهير، وهو من مواليد 1950. المترجم

"كلا، حقوقنا الإقليمية نطالب بها سلوفاكيا ورومانيا".

"إذن أنتم تحاربونهما؟".

"كلا، نحن نتعاون مع رومانيا وسلوفاكيا من أجل نهضة أوروبا...".

غادر رجل الكونجرس المكتبة، واتجه إلى البوفيه مباشرة. يقول الشهود إنه شرب ثلاثة كئوس من الويسكي مرة واحدة كي يعرف السبب الذي يجعله يصاب بدوار في رأسه.

نستخلص من هذه القصة أن المواطنين التالية أوصافهم لا يجب أن يتولوا رئاسة بلادهم:

- الأدميرال، طالما كانت الدولة لا تطل على بحار.

- مرشدو الجبال، طالما لا توجد جبال في البلاد.

- قادة القوافل، طالما كانت الدولة بدون صحراء.

- مهندسو الحدائق، طالما كانت الدولة مجرد صحراء.

- خريجو المدرسة الماركسية اللينينية، طالما أردتم ألَّا تجعلوا من بلادكم صحراء.

- البروتستانت، طالما كانت دولة يقطنها كاثوليك.

- المجريون، طالما كانت دولة تعيش فيها أغلبية سلوفاكية.

- السلوفاك، طالما كانت دولة تعيش فيها أغلبية سلوفاكية

- من لا يشربون الخمر، طالما أردتم دولة تحظى بالاحترام.

إن اختيار الشخص الصحيح في منصب الرئيس يعتبر مهمة صعبة، ومن الأفضل تركها للمتخصصين، والثقة في مؤسسة متخصصة في الموارد البشرية. بعدها ما عليكَ إلا أن تطلب من المرشح الذي تم اختياره أن يترك الترويح عن الشعب لممثلي الكوميديا.

تشكيل الحكومة

"لَيْسَت الحُكُومَةُ الدِّيمُوقْرَاطِيَّةُ هِي أفْضَلَ الحُكُومَاتِ، لَكِنَّ أفْضَلَهَا الحُكُومَةُ الرَّشِيدَةَ"

أفلاطون

يكلف رئيس الجمهورية بعد إعلان نتائج الانتخابات رئيس الحزب الفائز بتشكيل الحكومة. يقوم رئيس الحكومة المعين باختيار من لديه الرغبة في الائتلاف مع حزبه. يعتبر نصرًا كبيرًا إذا تم تشكيل الحكومة من أول مرة، ويكون رئيس الوزراء هذا من المحظوظين. لو لم يوفَّق، يقوم الرئيس باختيار شخص آخر يليه في الترتيب، ويستمر الأمر إلى أن يجد رئيس الحكومة المعين من ترغب الأغلبية النسبية في مجلس النواب في الائتلاف معه. بعد أن يتحقق ذلك يبدأ تشكيل الحكومة بالأسماء. غالبًا ما تكون هذه أسعد فترة في حياة رئيس الحكومة؛ لأنه يقرأ السير الذاتية لأعضاء الحكومة القادمة، ويسعى إلى إقناع رؤساء الأحزاب المؤتلفة معه كي يرشحوا له أحد البنائين بدلًا من رسام أكاديمي لشغل وظيفة وزير الإسكان. في الغالب لا يحالفه الحظّ، فلو وجد الحزب المتآلف من بين خبرائه عامل بناء، فمن المنطقي أن يرشحه على الفور، ويدرأ بذلك المشاكل التي قد تواجه رئيس الحكومة، لكن غالبًا لا يجد هذا العامل. فإمَّا أن يُصِرَّ على ترشيح الرسام الأكاديمي، أو في حالات نادرة يرشحه في منصب وزير الثقافة، ويطلب من الحزب الذي يطالب بحقيبة وزارة الثقافة أن يجد هو عامل البناء.

يبدو من الخارج أن الوزارات توزع حسب الخبراء الذين يمتلكهم الحزب لشغل منصب محدد، لكن هذا مجرد وهم؛ لأن الوزارات توزع حسب درجة وقاحة الحزب المشارك في الائتلاف، فالحزب الأكثر وقاحة في الائتلاف يحارب غالبًا من أجل الحصول على الوزارات التي تسمى بالوزارات المؤثرة، ألا وهي وزارة الداخلية، والعدل، والمالية، والدفاع، والاقتصاد. وتظل وزارة الاقتصاد مؤثرة طالما كان هناك شيء لم يُخَصْخَص بعد.

مـن مزايـا الحكومـة الائتلافيـة أنهـا تتسـع لكثيـر مـن الأعضـاء. كلمـا زاد أعضـاء الائتـلاف ازداد عـدد رؤسـاء الحكومـة والـوزراء. أيضًـا كلمـا زاد الـوزراء ازداد عـدد مسـاعديهم. يمكـن أن تتشـكل الحكومـة مـن ثمانيـة وزراء (كمـا هـو الحـال سويسـرا)، وقـد يصـل العـدد إلـى اثنيـن وثلاثيـن (كمـا كان الحـال فـي تشيكوسـلوفاكيا السـابقة).

من الضروري عند تشكيل الحكومة وضع الأمور التالية في الاعتبار:

رغبات الأحزاب في تولي حقائب بعينها.

عنـد ظهـور مرشـح لوظيفـة عليـا فـي التحالـف لـم تتوفـر لـه وزارة بعينهـا، يجـب تسـميته فـي منصـب رئيـس الـوزراء.

إذا كان المرشـح صديقًـا لرئيـس الحكومـة، ويفهـم فـي شـيء لا توجـد لـه وزارة، يجـب اسـتحداث وزارة لـه.

عندمـا لا يرشـح أيٌّ مـن الأحـزاب المتحالفـة أيَّ خبـراء جديريـن بـوزارة موجـودة، يتـم إلغاؤهـا. هـذه الحالـة غالبًـا مـا تكـون نـادرة؛ لأن كل حـزب لديـه عـادة خبيـر لأيـة وزارة.

رئيـس الـوزارة غالبًـا مـا يفهـم فـي شـئون وزارة واحـدة بعينهـا، وهـذا مـا يزعجـه بعـض الشـيء وليـس كثيـرًا؛ لأنـه يعـرف أن مـن بيـن أعضـاء حكومتـه وزراء لا يفهمـون فـي إدارة أيـة وزارة.

رئيـس الـوزراء غالبًـا لا يفهـم فـي إدارة شـئون أيـة وزارة، وهـذا الأمـر لا يزعجـه علـى الإطـلاق، فهـو لا يتحمـل أيـة مسـئولية، ولديـه حكومـة تحمـل عنـه المتاعـب.

فـي النظـم الملكيـة عـادة مـا يكـون الملـك أو الملكـة هـي رأس الدولـة بشـكل رسـميّ. هـذان لا يفهمـان فـي شـيء علـى الإطـلاق، فالملـوك عـادة مـا يكونـون خريجـي الأكاديميـات العسـكرية المرموقـة، حيـث قضـوا فيهـا وقتهـم غالبًـا فـي مقامـرة كبـار الضبـاط، وملاعـب الجولـف التابعـة لهـم؛ لذلـك فالملـك أو الملكـة لا يزعجهـم علـى الإطـلاق أنهـم لا يفهمـون فـي شـيء، لأن وظيفتهـم هـي إذكاء روح التفـاؤل فـي نفـوس المواطنيـن.

مواصفات أعضاء الحكومة

"عِنْدَمَا تَوَلَّيْتُ مَنْصِبَ وِزَارَةِ البِيئَةِ اكْتَشَفْتُ أَنَّ سَلَفِي كَان يَعْتَقِدُ أنَّ biodiversity[7]

هُوَ اسْمُ أَحَدِ أنْوَاعِ مَسَاحِيقِ الغَسِيل"

ميخال ميخار

إذا أردت أن تصبح خبازًا فسوف يطلبون منك شهادة خبرة، بدونها سوف تحصل على وظيفة متواضعة في المخبز. وإذا أردت أن تصبح سائق أتوبيس، فعليك أن تمتلك رخصة قيادة، وإذا أردت أن تصبح مديرًا لإحدى المستشفيات فيجب أن تجتاز امتحانًا معينًا. تقدم شركات الاستشارات المتخصصة في الموارد البشرية متخصصين في مختلف المجالات. المجال الوحيد الذي لا يوجد لديهم متخصصون له هو السياسة. عند تشكيل الحكومة لا فائدة من شركات الاستشارات، ولا لاختبارات الأهلية، ولا لشهادات الخبرة. أسهل منصب عند تشكيل الحكومة هو منصب رئيس الوزراء؛ لأنه لن يجد من يسأله عن أهليته لشغل المنصب. لو كان رئيس الحكومة مهندس طرق، فسيكون على كفاءة عالية في قيادة البلاد؛ لأن غالبية المواطنين يسافرون. وإذا كان مهندسًا معماريًّا، فسيكون ذلك رائعًا؛ لأن أغلبية المواطنين يسكنون في بيوت أيضًا. وإذا كان حقوقيًّا، فسيكون ذلك أيضًا رائعًا؛ لأن كل مواطن خالف القانون ولو مرةً واحدة في حياته.

من المناصب الأخرى الهامة في الحكومة وظيفة نواب رئيس الوزراء. من أفضل من يتولى منصب نائب رئيس الوزراء لشئون الاقتصاد خريجو كلية الإعلام؛ لأنهم في الاقتصاد - كما هو الحال في الإعلام- يكتبون كثيرًا. من الأفضل أن يشغل منصب نائب رئيس الوزراء لشئون التكامل الأوروبي مهندس نسيج؛ نظرًا للتوسع الكبير في استيراد المنسوجات الصينية الرخيصة إلى أوروبا. مالِكو المطاعم الذين حصلوا على دراسة حقوقية أو محامٍ حديث التخرج، هم أفضل من يتولى منصب نائب رئيس الوزراء للشئون الداخلية. سيفيده

(7) التنوع الحيوي أو البيولوجي (المترجم).

كثيـرًا أن يكتسـب خبـرة وهـو فـي منصـب نائـب رئيـس الـوزراء. يُفضَّـل أن يتولـى وزارة التعليـم مـدرس فـي مـدارس النقـل، وفـي منصـب وزيـر الدفـاع خبيـر كل مؤهلاتـه أن يمتلـك كتابًـا صغيـرًا أزرق، وشـاهد بانتظـام فيلـم "حـرب الكواكـب"، وألعـاب "كينـو 10".

كمـا أن عالـم الرياضيـات مناسـب تمامًـا لمنصـب وزيـر الداخليـة، فتعليمـه مناسـب تمامًـا لحسـاب العائـد مـن المناقصـات الحكوميـة لتوريـد أجهـزة تأميـن حـدود البـلاد. وحيـث إن العهـدة الرئيسـية لـوزارة الثقافـة هـي السـيارات الحكوميـة، وماكينـات الكتابـة، أو أجهـزة الحاسـوب التـي تفسـد ويجـب إصلاحهـا؛ فـإن أفضـل مرشـح هـو الـذي يكـون حاصـلاً علـى شـهادة فـي الهندسـة الميكانيكيـة.

فـي السياسـة يأتـي التخصـص مـع المنصـب. أصبـح "فوروشـيلوف"، أحـد المقربيـن مـن سـتالين، قائـدًا للجيـش العاشـر بنـاء علـى توصيـة مـن الفريـق الـذي يتولـى حمايتـه، رغـم أن مؤهلاتـه الرئيسـية كانـت اسـتثارة القطاعـات التـي تعمـل فـي مجـال صناعـة البتـرول.

عـادة مـا يدير الوزيـر وزارة لا يمتلـك أدنـى المقومـات الفنيـة التـي تؤهلـه لذلـك، لكـن هـذا لا يعنـي أن هـذا هـو السـبب فـي فشـل مثـل هـذه الـوزارة. تحـدث المشـاكل عندمـا يُحَـاط الوزيـر بمستشـارين أقـل منـه تأهيـلاً. لا يعـرف الـرأي العـام الكثيـر عـن المستشـارين، باسـتثناء الحـالات التـي يهتـم فيهـا الإعـلام بدخولهـم ومكافآتهـم، عندهـا يبـدءون فـي الحديـث عـن الاستشـارات التـي قدموهـا للوزيـر وتقـدر بـالآلاف. أفضـل مميـزات المستشـارين هـي أنهـم لا يحتملـون مسـئولية أي شـيء، فغالبًـا مـا يكـون المستشـارون مـن بيـن الأصدقـاء أو الأقـارب، ونـادرًا مـا يكونـون مـن خـارج هاتيـن الدائرتيـن.

برنامج الحكومة

"لَا تَسْرِقْ؛ فَالحُكُومَةُ لَا تُحِبُّ مَنْ يُنَافِسُها"

نقش جداري في فلوريدا

توجد دول بلا حكومات؛ لذلك لا وجود لبرنامج حكومي فيها، ونادرًا ما يلتفت أحد إلى أمر كهذا. كانت جمهورية التشيك بلا حكومة منذ انتخابات الرابع من يونيو 2006 حتى يناير 2007، أي أكثر من سبعة أشهر، ولم يشعر أحد بغيابها، وصارت وقتها جمهورية التشيك أكبر مؤسسة لا تديرها حكومة (أو غير حكومية؟). ورغم ذلك، أو ربما لذلك السبب كان كل شيء يعمل بصورة ناجحة.

الأمر المذهل في البرامج الحكومية هي التوفيق الذي يحالف من يكتبها. في كثير من الأحيان يكتب برنامج تسيير أمور البلاد أعضاء الحكومة، وبعضهم لم يتولَّ من قبل إدارة مصعد عمارة. ربما يعتمدون على أنه لن يحاسبهم أحد على الوفاء ببرنامج الحكومة.

الجزء الرئيس في برنامج أية حكومة هو محاربة الفساد، والتضخم، والبطالة، والجريمة. ورغم أن أية حكومة في العالم لم تتمكن من القضاء على الفساد والتضخم والبطالة والجريمة، لكن كل الحكومات تدرجها في برامجها. المثير للاهتمام هو أسلوب محاربة الفساد الذي اتبعته على سبيل المثال الحكومة السلوفاكية، عندما أنشأت مكتبًا خاصًّا بمحاربة الفساد تابعًا لمجلس الوزراء. يومًا ما قرر هذا المكتب محاسبة وزير الدفاع، من أين له بأموال بنى بها ڤيلا كَلّفَتْه عشرات الملايين في حي راقٍ في مدينة براتسلاڤا، وهو حيّ "كوليبا". أبلغ الوزير مكتب محاربة الفساد بأن تلك الأموال فاز بها في أحد كازينوهات القمار. اكتفى المكتب بهذه الإجابة المرضية. على خلاف ذلك انقضَّ زملاء أحد موظفي اتحاد كرة القدم المرتشي عليه بكل ضراوة عندما اتُّهِم بتلقي رشوة بقيمة عشرة آلاف كرون.

إن ميزانية الدولة هي عبارة تقرير مالي سنوي في برنامج الحكومة. تكمن فحوى

ميزانيـة الدولـة فـي عـدد الشـركات المسـتهدف إرضاؤهـا، فعلـى سـبيل المثـال لـو أكـدت إحـدى الحكومـات علـى ضـرورة تخصيـص ملاييـن لبنـاء وحـدات سـكنية، فليـس ذلـك لأنهـا حريصـة علـى مـن هـم بـدون مـأوى، لكـن لأن هـذا الحـزب مقـرب جـدًّا مـن شـركات تعمـل فـي مجـال الإنشـاءات.

إن كتابـة برنامـج الحكومـة يُعـد مـن أسـهل مـا يمكـن عملـه. لقـد أعلـن "فلاديميـر ميتشـيار" أن برنامـج حكومـة رئيـس الـوزراء "فيتسـو" قـد كتبـه شـعبه (ويقصـد بذلـك أنصـاره). "لقـد جلسـت فـي يـوم واحـد مـع مئـة وسـتة مواطنيـن، اجتمعنـا فـي الصبـاح، وفـي المسـاء كنـا قـد انتهينـا مـن برنامـج الحكومـة". لذلـك ليـس مـن المسـتغرب أن تخـرج حكومـة "روبـرت فيتسـو" ببرنامـج جيـد علـى هـذا النحـو. فـ"ميتشـيار" لديـه خبـرة فـي كتابـة البرامـج الجيـدة.

الوزارات غير السيادية

"تُعَدُّ مُحَارَبَةُ الفَقْرِ مَسْأَلَةً بَاهِظَةَ التَّكَالِيف"

ستانلي بالدوين

إن وزارة الثقافة، والعلوم، والتعليم، من أقل الوزارات أهمية من الناحية الاقتصادية. وهذا أمر لا غبار عليه؛ لأن التاريخ يقول إن الشعوب الجاهلة، وغير المثقفة تكون قيادتها أسهل من قيادة الشعوب المتعلمة والمثقفة، فقد نجح البربر بصورة مذهلة؛ لذلك فإن اتجاه كل حكومة سلوفاكية نحو دعم الثقافة بأقل قدر ممكن هو اتجاه صحيح بشهادة التاريخ، لأن الشعوب الجاهلة تكون أكثر صلابة من الشعوب المتعلمة. ويجب ألا نخاف من الجهل، فالجهلة يمكنهم أن يمارسوا السياسة.

وزارة الصحة من الوزارات غير السيادية، لكن الموارد المالية يمكن تدبرها فيها على نحو أسهل من وزارة الثقافة أو التعليم. يكفي عندما يتفق منتجو مصل إنفلونزا الطيور وغير الطيور مع الوزير، ويتفق الوزير مع الإعلام. يروجون لاقتراب وباء الإنفلونزا، عندها تصب كل حكومة في وزارة الصحة عشرات الملايين التي تخصص لإنفلونزا الخنازير أو الطيور، أو لمرض جنون البقر. الواقع أن مئات الملايين التي تذهب إلى جيوب منتجي الأمصال، ومن ساعدهم في ذلك، لا يراها المواطنون. وأيضًا لا يرون أن أحدًا قد مات بسبب مرض إنفلونزا الطيور أو جنون الأبقار، هؤلاء لا يظهرون إلا في تقارير التليفزيون.

تجمع الوزارات كل ثروات البلد التي تبقت بعد الخصخصة على يد الحكومات السابقة، وتضعها تحت تصرف الأحزاب الحاكمة. كان هناك إبان الحكم الشيوعيّ حزب واحد يتحكم ثروات البلاد، أما في النظام الديموقراطيّ فيتحكم فيها عديد من الأحزاب. ولم يتمكن المواطن، لا تحت حكم والشيوعيين ولا في ظل النظام الديموقراطي، من أن يحصل على نصيبه من هذه الثروات. كانت هناك وزارات أيضًا إبان الحقبة الشيوعية، لكن الملكية كانت واحدة. كانت الفروق بين الوزارات تمكن فقط في طريقة الإدارة. هدف الوزارات

هـو الوصـول إلـى الثـروة التـي تديرهـا الـوزارة قـدر الإمـكان. قُسِّـمَت ممتلـكات الـوزارات بيـن شـركات مختلفـة كـي ينهـل منهـا أكبـر عـدد مـن المهتميـن قـدر المسـتطاع. احتـل أنـاس مـن تلـك الأحـزاب السياسـية التـي وصلـت إلـى السـلطة المجالـس الرقابيـة، ورئاسـة محطـات الكهربـاء، وإدارة أراضـي الدولـة، ومكاتـب البريـد السـلوفاكي، وشـركات إدارة الطـرق الوطنيـة، وشـركات السـكك الحديديـة، ونقـل البضائـع، والتليفزيـون السـلوفاكي، والإذاعـة السـلوفاكية، وغيرهـا مـن المؤسسـات. مهمـة رؤسـاء هـذه المؤسسـات والمكاتـب الرقابيـة هـي توجيـه العوائـد الاقتصاديـة فـي الاتجـاه الصحيـح، والاتجـاه الصحيـح تحـدده الأحـزاب التـي عيّنـت أعضـاء مجالـس رئاسـتها، ورئاسـة الجهـات الرقابيـة.

الوزارات السيادية

"لَنْ يَذْهَبَ الجُنُودُ السّلُوفَاك إلَى الحَرْبِ فِي أفْغَانسْتَان إلَّا عِنْدَما يَحْصُلُونَ عَلى ضَمَانَاتٍ بِأنَّهُمْ لَنْ يُصَابوا بِمْكُروه"

"روبرت فيتسو"

نَعْتُ هذه الوزارات يأتي من كلمة "سيادة". والسيادة هي مجرد أداة تدار بها بناءً على قاعدة سيادة الأموال والمعلومات، وهناك وزارتان سياديتان: وزارة المالية، والداخلية. لا شك في أن من يملك المال يملك القرار. كما أن صاحب القرار هو أيضًا من يمتلك المعلومات. بل إن من يمتلك المعلومة أقوى من الجميع؛ لأنه يعرف كل شيء عمن يمتلك الأموال. وهذه القاعدة تطبق غالبًا في السياسة. ويشترط في سعي وزارة الداخلية أو المخابرات للحصول على معلومات عنك، أن يكون لديك سجل أسود، ولو لم يكن لك أي سجل أسود فهناك احتمال ضعيف أن تعثر المخابرات على شيء ما يثير حولك الشبهات، عندها تقوم المخابرات بتدبر الموقف، ترتب لشيء ما كي يبدو الأمر وكأن هناك ما يثير حولك الشكوك. أحيانًا تجد أن المخابرات تهتم بعملك أكثر منك شخصيًّا. عندما تكون سياسيًّا ستتأكد من ذلك حسب الأصوات الغريبة وصدى الصوت الذي تسمعه في هاتفك المحمول، فضلاً عن أشياء أخرى. وستختفي هذه الأصوات بعد أن تغادر عملك في الحقل السياسي بقليل. أحيانًا تتعاون المخابرات مع وسائل إعلام لتعمل لحسابها، هذه الوسائل الإعلامية تقنعك بألَّا تفكر في معارضة النظام، وأنه من الأفضل لكَ، وتحت ضغط الرأي العام أن تنصرف خفيفًا.

لكن سطوة الوزارات السيادية والأجهزة المخابراتية تضعف؛ لأن غالبية المعلومات الهامة التي تحصل عليها تصبح معروفة للرأي العام الذي لا يهتم بما قد يستجد من معلومات. فعلى أي حال لا أحد يتوقع خيرًا من السياسيين. ويتحول السياسي المشكوك في أمره إلى رجل مأمون العواقب في نظرهم، لكن المواطنين لا يعترفون به؛ لأنهم لا يتوقعون منه أن يكون نموذجًا إيجابيًّا. فليس من المريح أن ترى أمامك كل يوم مثلاً حيًّا للخزي. وقد قدم الأمريكيون للعالم نموذجًا حيًّا في فضيحة الرئيس بيل كلينتون، والسيدة الشهيرة مونيكا.

أبلغ بيل كلينتون رسالة إلى مواطنيه مفادها: لو أن لديهم اعتراضًا على "الممارسات الفموية" فعليهم أن يختاروا بابا الفاتيكان رئيسًا لهم. لكن الأمريكيين لم يروا في بابا الفاتيكان نموذجًا إيجابيًّا، فبقوا على اختيارهم لبيل كلينتون.

تتسم وزارة الدفاع، كإحدى الوزارتين السياديتين، بالعبثية. ففي أوقات السلم، وعضوية سلوفاكيا في الناتو، وفي ظل وجود جيش من المحترفين قوامه سبع عشر ألف جنديًّا، من الضروري طرح هذا السؤال: ما الجدوى من وجود وزارة الدفاع؟ تسعون من مئة طالب بالمدارس قد يجيبونك بأنه موجود كي يحمينا من الأعداء. رئيس الوزراء السلوفاكي أحد القلائل الذين لا يعرفون أن وظيفة الجنود هي حماية الآخرين. هذا الرئيس الذي قال في 2006/9/26: "إننا سوف نسحب قواتنا من العراق. ونفكر في إرسال وحدة غيرهم إلى أفغانستان، لكن بشرط أن نحصل على ضمانات بأن جنودنا سيحظون بالحماية!". لا أعرف جيشًا آخر في العالم يذهب إلى الحرب شريطة أن يحصل على ضمانات بألَّا يصاب أحد من الجنود بمكروه. وتحقيق هذا الشرط يتطلب أن ترسل فرقة عسكرية من دولة أخرى لحماية فرقتنا العسكرية. لكن قد تحدث هنا مشكلة لو أن حكومة الدولة الأخرى وضعت شرطًا مماثلاً، وعندها قد يحدث أن يجتمع في أفغانستان آلاف الجنود المتحالفة الذي تحمي نفسها فقط.

إقالة أعضاء الحكومة

"تَنْتَشِرُ البَهْجَةُ فِي غُرْفَةِ الاجْتِمَاعَاتِ عِنْدَمَا يُغَادِرُهَا بَعْضُ أعْضَاءِ الحُكُومَة"

مؤلف مجهول

لا يفضل رئيس الوزراء إقالة أعضاء حكومته، ورغم ذلك فكل رئيس للوزراء على استعداد أن يقيل أي وزير تحت ضغط الرأي العام، وخاصة قبيل الانتخابات، وبالطبع هذا يحدث بعد أن يعطي ذلك الوزير الوقت الكافي ليتسبب في خسائر لا يمكن إصلاحها. عادة ما يقرر رئيس الوزراء التدخل بعد أن تصل أخطاء الوزير إلى درجة كارثية تجعل المرضى فوق مقاعد طبيب الأسنان تضحك منها. عندها يُقِيل الوزير الفاشل، ويعاقبه بمنحه منصبًا يسمح له بمواصلة إحداث خسائر فادحة، وفي الغالب يرسله ليعمل كسفير، أو في مجلس رقابيّ من أجهزة الدولة.

من لهم الحق في إقالة عضو الحكومة هم:

- المعارضة.

- الائتلاف، أي الحكومة نفسها.

- زوجته.

- يستقيل الوزير من تلقاء نفسه.

في الحالة الثالثة لا يتعلق الأمر بإقالة من الناحية الدستورية، لكنها عمليًّا كذلك، ولا يكون الوزير المقال مستعدًّا لمغادرة منصبة في كلتا الحالتين، لكن إمكانية تركه منصبه تكون أعلى لو كانت بناء على أوامر من زوجته؛ لأنه يكون معرضًا للعقوبات في حالة زوجته، على خلاف الإقالة الدستورية، فربما تُلوِّح زوجته بالذهاب عند أمها، أو ترفض القيام بالواجبات الزوجية، وما شابه.

إقالـة أعضـاء الحومـة عـن طريـق البرلمـان يُعَـدّ إجـراءً روتينيًّـا ينتهـي ببقـاء الوزيـر فـي منصبـه، فنائـب المعارضـة الـذي يقـدم اقتراحًـا بإقالـة عضـو الحكومـة، يعـرف أن فرصتـه فـي نجـاح مسـعاه مُنْعدمـة، ورغـم ذلـك يقـدم الاقتـراح. لمـاذا؟ إنـه سـؤال يوجـه للأطبـاء النفسـيين؛ لأن النـاس الطبيعيـة تفكـر بطريقـة عقلانيـة.

ونـادرًا مـا يقـدم الائتـلاف الحاكـم مقترحًـا بإقالـة وزيـر مـن الحكومـة التـي يشـارك فيهـا، لكنـه وارد. وغالبًـا مـا يحـدث ذلـك فـي نهايـة الفتـرة الانتخابيـة، عندمـا تكـون هنـاك ضـرورة لإظهـار يـد العدالـة للناخبيـن، وغالبًـا مـا يُظْهِـر هـذه اليـد رئيـسُ الـوزراء للوزيـر الـذي ليـس عضـوًا فـي حزبـه.

لا تنسـق الأحـزاب السياسـية فيمـا بينهـا عنـد إقالـة أعضـاء الحكومـة، فقـد اقتـرح إقالـة عـدد مـن الـوزراء مـرة واحـدة فـي إبريـل عـام 2006. اقتـرح حـزب الجهـة إقالـة وزيـر الصحـة "رودولـف زاياتــس"، وحــزب حركــة ســلوفاكيا الديموقراطيــة وزيــر النقــل "بــاول بروكوبوفيتــش"، والحــزب الشـيوعي السـلوفاكي وزيـر التعليـم "مارتـن فرونـك". قـد تكـون الإقـالات الجماعيـة أسـرع، وأكثـر قـوة، وأقـل تكلفـة. وكانـت نتيجـة غيـاب هـذا التنسـيق أنـه لـم يتـم إقالـة أي منهـم.

كان أول وزيـر فـي حكومـة "فيتسـو" لـم تتـم إقالتـه هـو وزيـر الاقتصـاد "يهناتِـك". واللافـت للنظر المناقشـة التـي تمـت.. تنـدَّرَ نـواب الائتـلاف علـى الدعـاوى التـي سـاقها نـواب المعارضـة، وكانـت هـي نفـس الأسـباب التـي سـخر منهـا نـواب المعارضـة عندمـا كانـوا نوابًـا فـي الائتـلاف الحاكـم.

الفصل الخامس

البرلـمان

قاعة المداولة

"لَا يَأْمَنُ أحَدٌ عَلَى حَيَاتِهِ وَحُرِّيَّتِهِ وَأَمْلَاكِهِ كُلَّمَا اجْتَمَعَ البَرْلَمَان"

مؤلف مجهول

البرلمان هو مجرد مجلس لمراقبة شئون الدولة. يراقب أعمال الحكومة التي تسمى في الشركات مجلس إدارة، هيئة، أو كما يُقَال في اللغة السلوفاكية، الإدارة التنفيذية. تتعدد أسماء البرلمانات في الدول المختلفة. – ففي روسيا اسمه مجلس الدومة الوطني، وفي إنجلترا الغرفة السفلية، وفي الولايات المتحدة مجلس النواب، وفي المجر بيت الأمة، وفي أوكرانيا المجلس الأعلى، وفي فرنسا والنمسا الجمعية الوطنية، وفي ألمانيا المجلس الاتحادي، وفي السويد المجلس التشريعي، وفي الدنمارك شئون الشعب، وفي بولندا مجلس النواب، وفي إسبانيا المحاكم العامة، وفي اليابان كوكاكي.

يشير اسم البرلمان في كل دولة، بطريقة أو بأخرى، إلى وظيفته الحقيقية. يمكننا أن نفهم من اسم البرلمان الياباني أنه المكان الذي يتعاطون فيه الكوكايين. يطلق الإيطاليون على مكان اجتماع نوابهم: الأطفال. وواضح لكل فرد من أفراد الشعب ما الذي يتوقعه من أعضاء البرلمان.

كانت لدى إسبرطة القديمة برلمان يحكمه ملكان، من باب الاحتياط. وكان كلاهما تحت إمرة ثمانية وعشرين عضوًا في مجلس الشيوخ، يشترط أن تكون أعمارهم فوق الستين، وكانوا يَعتبرون النواب الأصغر سنًّا غير مؤهلين لاتخاذ القرارات المصيرية.

كان للبرلمان في النظام الشيوعيّ وظيفة شكلية فقط، وكانت الأغلبية الساحقة تقر القرارات التي اتُّخِذت من قَبْلُ في أعلى هيئة في الحزب الشيوعيّ. يختلف دور البرلمانات في النظم الديموقراطية بشكل كبير، فالبرلمان في أي نظام ديموقراطي يُصَدِّق على القرارات التي اتخذت من قبل في أعلى هيئة في الائتلاف الحاكم، أي في مجلس الائتلاف.

هنـاك حـالات شـهيرة فـي تاريـخ البرلمانـات انتهـى فيهـا الحـال بنـواب الشـعب المنتخبيـن فـي الشـارع فجـأة بفعـل رجـال الشـرطة المخوليـن مـن الحكومـة. فقـد حـاول بعـض نـواب الشـعب فـي مجلـس الدومـا الروسـي إبـان حكـم القيصـر نيقـولاي اقتـراح قانـون يسـمح بإعـادة الأراضـي للمواطنيـن التـي اغتصبـت منهـم تعسـفًا، وبمجـرد أن انتهـى التصويـت داهمـت شـرطة القيصـر صالـة الاجتماعـات فجـأة، وألقـت القبـض علـى النـواب الذيـن صوتـوا لصالـح هـذا القانـون، ونفوهـم إلـى سـيبيريا. تمكَّـن بعضهـم مـن الهـرب إلـى فنلنـدا. لـم يكـن ذلـك، حسـب الأخبـار المتـواردة، سـوى المحاولـة قبـل الأخيـرة مـن مجلـس الدومـا للقيـام بشـيء يصـب فـي صالـح الشـعب.

وكانـت آخـر محاولـة للقيـام بشـيء لصالـح المواطنيـن، بـأي ثمـن، فـي عـام 1993، عندمـا قـام مجلـس الدومـا المنتخـب ديموقراطيًّـا فـي روسـيا الفيدراليـة بسـحب الثقـة مـن الرئيـس المنتخـب "بوريـس يلتسـين". فأرسـل يلتسـين ومجموعتـه مـن الديموقراطييـن الدبابـات لتهاجـم النصـف الآخـر مـن مجموعـة الديموقراطييـن. وبـدلًا مـن أن يطلقـوا النـار فـي الهـواء قصفـوا البرمـان، وبلـغ عـدد القتـل رسـميًّا 149، أمـا الأرقـام غيـر الرسـمية فقـد بلغـت 1500 مواطـن، وعـادت الديموقراطيـة مـن بعدهـا مـرة أخـرى. أثنـى الرئيـس الأمريكـي وقتهـا "بيـل كلينتـون" علـى طريقـة يلتسـين فـي تحقيـق الديموقراطيـة، وأشـاد بهـا رئيـس الـوزراء البريطانـي "جـون ميجـور"، والرئيـس التشـيكي "فاتسـلاف هافِـل".

كلمـة برلمـان مشـتقة مـن السـابقة الفرنسـية parler بمعنـى: يتكلـم، فالبرلمـان هـو إذن مـكان للحديـث، مَكْلَمَـة. مـا زلنـا نتذكـر مَكْلَمَـات أخـرى مـن أيـام الطلائـع والمحادثـات الهاتفيـة جـرت عندنـا فـي وقـت لاحـق، ومـن أيـام الاشـتراكية الحقيقيـة عندمـا كان مـن يمتلـك هاتفًـا يُعَـدُّ مـن النخبـة. كانـت عبـارة عـن كبائـن صغيـرة فـي مبانـي البريـد، حيـث كانـت موظفـة الاتصـال تقـوم بتوصيـل المتحـدث بالشـخص الـذي يطلبـه عندمـا توقَّـق فـي الاتصـال بالرقـم الـذي يطلبـه، وكان رقـم اثنيـن ينتظـر لدقائـق طويلـة وأحيانًـا لسـاعات، قبـل أن تدعـوه للدخـول إلـى كابينـة التحـدث. أيضًـا فـي السياسـة عليـكَ أن تنتظـر إلـى أن تصـل إلـى البرلمـان.

فـي الوقـت الـذي يكـون فيـه دور البرلمـان فـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة اتخـاذ القـرارات، نجـد أن الـدور الرئيسـي للبرلمانـات الأوروبيـة هـو التحـدّث. هـذه العـادة جـاءت مـن إنجلتـرا، حيـث كان بهـا غرفـة واحـدة علـى مـدى قـرون، مكونـة مـن لـوردات ورجـال ديـن يشـعرون بالضجـر، وكـي يقتلـوا الوقـت بطريقـة مقبولـة كانـوا يلتقـون فـي البرلمـان كـي يتحدثـوا ويسـهبوا فـي

الحديـث، وتزايـد عـدد النـواب الذيـن عجـزوا عـن مواصلـة الاسـتماع إلـى الـكلام الفـارغ الـذي يـردده اللـوردات، وعندمـا بلـغ عددهـم قـدرًا مقبـولًا قـرروا أن يتركـوا اللـوردات الثرثاريـن ويشـكلوا غرفـة خاصـة بهـم، وأطلقـوا عليهـا اسـم الغرفـة السـفلى. بتلـك التسـمية تمكـن النبـلاء ورجـال الديـن مـن أن يطلقـوا علـى غرفتهـم اسـم الغرفـة العليـا، وأطلقـوا عليهـا اسـم البرلمـان منـذ عـام 1830 عندمـا انتخـب ثلاثـة فـي المئـة، وهـى الطبقـة الأكثـر ثـراءً، الغرفـة السـفلى فـي إنجلتـرا.

البرلمانـات غيـر المنتخبـة فـي سـلوفاكيا لهـا تاريـخ أطـول مـن تاريـخ البرلمانـات المنتخبـة، فقـد ظهـر فـي بلدنـا عـام 1848 أول مجلـس وطنـي سـلوفاكي غيـر منتخـب بقيـادة "لويـس شـتور"، و"ميخـال ميروسـلاف هودشـو"، و"يوسـف ميلوسـلاف هوربـان". وفـي عـام 1918 تشـكّل ثانـي مجلـس نيابـي سـلوفاكي، دون أن يختـاره أحـد أيضًـا. ثـم جـاء المجلـس الوطنـي الثالـث تحـت اسـم مجلـس النـواب السـلوفاكي، وظـل يعمـل طـوال فتـرة وجـود الدولـة السـلوفاكية المسـتقلة إبـان الحـرب. كان فـي مقـدور المواطنيـن أن ينتخبـوا ذلـك المجلـس لـو تمـت الدعـوة إلـى انتخابـات أثنـاء فتـرة وجـود الدولـة السـلوفاكية. ظهـر مجلـس النـواب الرابـع فـي سـلوفاكيا بعـد خروجهـا مـن حالـة عـدم الشـرعية أثنـاء الانتفاضـة الشـعبية السـلوفاكية فـي خريـف عـام 1944، ولـم يكـن ذلـك المجلـس منتخبًـا هـو الآخـر. ظهـرت فـي سـلوفاكيا عـدة مجالـس نيابيـة منـذ الانقـلاب العسـكري فـي فبرايـر عـام 1948 حتـى عـام 1989، لكـن مشـروعيتها وأهميتهـا كانـت علـى مسـتوى مكتـب التظلمـات. ومنـذ ثـورة نوفمبـر عـام 1989 يختـار مواطنـو سـلوفاكيا مجالسـهم النيابيـة بأنفسـهم، ولا يمكـن مقارنـة صلاحيتهـا بصلاحيـات بيـوت المظالـم.

النواب

"النَّائِبُ المُتَفَائِلُ هُوَ النَّائِبُ الَّذِي لَدَيْهِ نَقْصٌ فِي المَعْلُومَات"

الكاتب

ظهـر أول نـواب للشـعب فـي العالـم فـي أيسـلندا عـام 930م، وهنـاك تأسـس أول برلمـان فـي العالـم باسـم (أسـينج) athing. تفسـر مجلـة العلـوم السياسـية Politics forever التـي تصـدر شـهريًّا، الأمـر بـأن الشـتاء فـي أيسـلندا عـام 930 كان قارسًـا علـى نحـو غيـر معهـود، فتدفَّـأ المواطنـون وقتهـا بـأن احتشـدوا فـي أكبـر مـكان علـى الجزيـرة. كان الشـتاء طويـلاً، فقضـوا وقتهـم يتحدثـون مـع بعضهـم البعـض، وكل مـن أظهـر قـدرًا مـن التسـلية أكثـر مـن غيـره صـار نائبًـا.

يقـول القانـون الخـاص بتوزيـع المقاعـد فـي البرلمـان، الـذي تـم إقـراره فـي إنجلتـرا عـام 1885، إن عـدد مقاعـد النـواب فـي مجلـس النـواب 670، تسـعة مقاعـد منهـا تخصـص إجباريًّـا لممثلـي الجامعـات. ضمـن هـذا القـرار أن هنـاك علـى الأقـل فـي الغرفـة السـفلى تسـعة أعضـاء عاقليـن. يطلـق الإنجليـز علـى نائـب البرلمـان اسـم Member of parliament، ويطلقـون عليـه اختصـارًا اسـم MP. بعـض مواطنـي إنجلتـرا يخلطـون بيـن نوابهـم وبيـن الشـرطة العسـكرية، التـي لهـا نفـس الاسـم المختصـر MP– Military Police.

ينقسـم أعضـاء البرلمـان إلـى أعضـاء فاعليـن وأعضـاء غيـر فاعليـن. تبلـغ نسـبة الأعضـاء الفاعليـن فـي البرلمانـات حسـب التقديـرات حوالـي ثلاثيـن فـي المئـة. إنهـم الأعضـاء الذيـن يشـاركون فـي المناقشـات فـي الجلسـات العامـة أو فـي جلسـات اللجـان، ويعملـون فـي الهيـاكل البرلمانيـة الدولية، أو يقدمـون بأنفسـهم مشـاريع قوانيـن. الفريـق الآخـر فـي البرلمـان إمـا أنـه:

- في حاجة إلى الحصانة البرلمانية.
- يريد أن يدعم حزبه بتمثيله له.

- السبب الأول والثاني معًا.

دور البرلمان هو إقرار قوانين الدولة؛ لذلك فسلطته تشريعية. المقابل اللغوي لكلمة تشريع هي كلمة legislature وهي مشتقة من اللفظ اللاتيني lex بمعنى القانون. نستنتج من هذا أن أقرب نائب للقانون هو إيڤان ليكسا Ivan Lexa الذي يحتوي لقبه على معنى التشريع بشكل لا جدال فيه. كان إيڤان أحد النواب الحالمين في مجلس النواب السلوفاكي، ورغم أنه كان نائبًا منتخبًا بطريقة شرعية، فقد قضى معظم فترة نيابته في جنوب إفريقيا. كان مجلس النواب يعمل حتى بوجود 149 نائبًا فقط. هناك نوع من المواطنين الذين يظلون نوابًا لأكثر من فترة برلمانية، ويشكلون ما يسمى بالمخزون البرلماني. مثل هؤلاء النواب "فرنتيشك ميكلوشكا"، "ولاديسلاف ناجي"، و"كاترينا توتوفا"، و"جيولا باردوس". أشهرهم جميعًا "فرنتيشك ميكلوشكا" الذي أطلق عليه رئيس الوزراء "فيتسو" ذات مرة اسم البرلماني المحبوب جالب الحظ.

عمل البرلمان ليس بالأمر البسيط؛ لأن النواب عليهم أن يتواجدوا بين المواطنين، ويحضرون الاجتماعات، ويسافرون في رحلات العمل، ويشاركون في حفلات الاستقبال، ويترددون على الإذاعة والتليفزيون؛ لذلك لا يكون لديهم الوقت الكافي لحضور جلسات البرلمان.

يرتاب المواطنون في بعض أعضاء البرلمان ويتهمونهم بالكذب والخيانة، ولا أعرف سبب غضب المواطنين من هذه الأمور، فهناك بعض المواطنين الذين يكذبون ويحتالون على غيرهم في المجتمع، وهؤلاء لديهم أيضًا الحق أن يكون هناك من يمثلهم في البرلمان.

يوجد في البرلمانات من يسمونهم البدلاء، وهم بدلاء النواب الذين تولوا مناصب في الحكومة. اللافت في الأمر الطريقة التي تعامل بها الأحزاب السياسية هؤلاء البدلاء، ويصرون على تطبيق قانون للانتخابات لا يحدد من سيتم تصعيده من قائمة المرشحين ليدخل البرلمان كبديل، ويرغبون في أن تختاره قيادة الحزب. يبررون ذلك بأنهم سيضمنون بذلك اختيار بديل كفء. اللافت في الأمر أن الأحزاب لا تؤكد على أهلية النواب إلا في حالة اختيار البديل، أما في حالة النواب المنتخبين فلا تمثل لهم أهلية النائب للمنصب أية مشكلة.

نابليون، وتشرشل، والمهندس كوروتس

"لَدَيَّ أَعْمَالٌ كَثِيرَةٌ وَحُضُورُ جَلَسَاتِ البَرْلَمَان يَعُوقُنِي عَنْهَا بِصُورَةٍ كَبِيرَة"

المؤلف

كان نابليون بونابرت قائدًا عسكريًّا، وأول مستشار لجمهورية فرنسا، وقيصر الفرنسيين، ووالي اتحاد الراين، وملك إيطاليا، وصاحب مدونة الوطنية، وفضلاً عن كل ذلك كان أستاذًا جامعيًّا.

ونستون تشرشل كان هو الآخر نائبًا في مجلس النواب، ووزيرًا للتجارة، والداخلية، والبحرية، وأول وزير للبحرية، ووزيرًا للإنتاج الحربي، ووزيرًا للحرب والمستعمرات والمالية. وتقلد مرتين منصب "رئيس الوزراء". من الواضح أنه لا يوجد في السياسة الدولية من يضارع هذين الرجلين العظيمين. بل ظهر من يضارعهم في سلوفاكيا. إنه المهندس مارتن كوروتس، عضو حزب الاتحاد المسيحي الديموقراطي السلوفاكي. وعلينا أن نتخلص من عقدة النقص وننضم إلى هؤلاء الشخصيات القومية العظيمة، وننضم إليهم المهندس مارتن كوروتس. ورغم أنه في الثانية الثلاثين من عمره، فقد استطاع - حتى كتابة هذه السطور- أن يتقلد منصب نائب عن حي روجينوف في مدينة براتسلافا، ونائب عن مدينة براتسلافا، ونائب عن منطقة براتسلافا ذات الإدارة المستقلة، ونائب في مجلس النواب السلوفاكي. كما كان أيضًا ممثلاً لحزب الاتحاد المسيحي الديموقراطي السلوفاكي في حي روجينوف، ونائب رئيس مجلس إدارة شركة (أولو) وهي شركة لنقل المخلفات، وفي نفس الوقت يشغل وظيفة رئيس الحي الخامس في مدينة براتسلافا. سبع وظائف! يتفوق بذلك على نابليون بوظيفة واحدة. ولما كان نابليون أستاذًا جامعيًّا، فقد قام مارتن بمباراته، فشرع في الدراسة بالجامعة للمرة الثانية كي يحصل على شهادة في الحقوق. ورغم أن تشرشل كان يتقلد مناصب أكثر من ذلك، أحد عشر منصبًا، فإنه تقلدها بالتدريج على مدى واحد وتسعين عامًا، أما المهندس كوروتس فقد تقلد كل وظائفه السبع في آن واحد! وذكر في سيرته الذاتية أيضًا أنه يرعى أسرته في أوقات الفراغ، ويذهب في نزهات وسط

الطبيعـة ويمـارس الرياضـة. أخشـى مـن أن الطبيعـة لا تسـتفيد كثيـرًا مـن وجـوده فيهـا. وحسـب عـدد المناصـب فـإن السـلوفاكي مارتـن كوروتـس يعـد الآن أهـم سياسـي علـى مسـتوى العالـم، ويبـدو أيضًـا أن عبقريـة المهنـدس كوروتـس خارقـة للعـادة، لأن شـركة (أولـو) تنقـل المخلفـات بـكل جديـة حتـى تحـت رئاسـته. خسـارة كبيـرة أن سـلوفاكيا ليـس لديهـا عشـرة مهندسـين أمثـال المهنـدس كوروتـس. إن النـواب الذيـن علـى شـاكلته يمكنهـم أن يفعلـوا كل شـيء، حتـى إن كان قليـلًا. هنـاك احتمـال وارد أن يقـوم المهنـدس كوروتـس بهـذا الـدور فـي البرلمـان بنفسـه. يكفـي إجـراء تعديـل دسـتوري، ويمكنـه أن يمثـل المعارضـة أيضًـا. يجـب أن يفخـر كل مواطـن سـلوفاكي بهـذا المهنـدس. يمكننـا أن نتفهـم (ونحـن قـادرون علـى ذلـك بالفعـل) عـدم وجـود تمثـال يليـق بـ"يوسـف ميلوسـلاف هوربـان"، أو "ميـلان راستسـلاف شـتيفانيك"، أو "أنـدري هلينـكا"، أو "ميـلان هودشـو"، لكـن لا يمكـن أن نقبـل عـدم وجـود تمثـال للمهنـدس كوروتـس.

النواب المجهولون

"القَانُونُ العَادِلُ يَمْنَعُ الفُقَرَاءَ وَالأَغْنِيَاءَ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ مِنَ النَّوْمِ أَسْفَلَ الجُسُورِ، أَوْ التَسَوُّلِ أو السَّرِقَة"

أناتول فرانس

النـواب المجهولـون يُشْـبِهون البرتقـال فـي زمـن الشـيوعيين، تعـرف بوجـوده، لكنـك لا تـراه إلا نـادرًا. ليـس الخطـأ خطـأ النـواب، بـل خطـأ المواطنيـن؛ لأن المواطـن عليـه أن يهتـم بنائبـه فـي البرلمـان، كمـا يجـب أن يعـرف النـواب بعضهـم بعضًـا، وإن لـم يفعلـوا فقـد يحـدث أن يخاطـب أحدهـم الآخـر قائـلًا: "أريـد أن أدلـي للصحافـة بتصريـح"، فينظـر إليـه ذلـك الشـخص ويسـأله: لمـاذا تخاطبنـي أنـا ولا تخاطـب أحـد الصحفييـن؟ فيجيـب: "عفـوًا، أنـا لا أراك هنـا إلا مـرة كل ثلاثـة أشـهر، واعتقـدت أنـك صحفـيّ"، فيهـز النائـب المعنـيُّ رأسـه وينصـرف، وينبهـه صحفـي قريـب منـه بـأن الشـخص الجالـس فـي الصـف الثالـث أسـفل ناحيـة اليسـار هـو نائـب زميـل لـه. عندمـا كنـت أُعِـدّ مـع النائـب "هانزيـل" مطبوعـة مصـورة حـول انتخابـات الـدورة البرلمانيـة الثالثـة اكتشـفنا مجموعـة مـن الزمـلاء الذيـن كانـوا يجلسـون بجوارنـا فـي مجلـس النـواب علـى مـدى أربعـة أعـوام، ولـم نكـن نعـرف أسـماءهم.

كان كل أعضـاء نـادي حـزب التحالـف المجـري تقريبًـا مـن بيـن النـواب المجهوليـن فـي انتخابـات الـدورة البرلمانيـة الثالثـة. لا أتذكـر أن أحـد نوابـه اعتلـى ولـو مـرة واحـد منصـة مجلـس النـواب السـلوفاكي، باسـتثناء الجلسـة التـي ناقـش فيهـا المجلـس قضيـة جامعـة "كومارنـو". وعندمـا طلـب الزمـلاء الأعضـاء مـن حـزب التحالـف المجـري أن تكـون اللغـة المجريـة لغـة المناقشـات فـي مجلـس النـواب السـلوفاكي، اعترضـت قائـلًا بأنـه لا فـرق أن تصمـت فـي البرلمـان باللغـة المجريـة أو باللغـة السـلوفاكية.

سـتتأكد مـن كونـكَ شـخصية عامـة معروفـة عندمـا تدخـل إلـى إحـدى المقاهـي الشـعبية. كنـت أنتظـر القطـار السـريع الـذي سـيقلني إلـى مدينـة براتسـلافا فذهبـت لطلـب مشـروب فـي مطعـم

المحطـة فـي مدينـة كيسـاك، وسـمعت شـابًّا يرتـدي قبعـة ملوثـة بالشـحوم ويقـف عنـد ماكينـة صـب البيـرة يصيـح: "دَعْـكَ مـن هـذا المخنـث، ابـن الداعـرة!". أسـعدني جـدًّا أنهـم يعرفونـني فـي كيسـاك، وزاد مـن ثقتـي بنفسـي.

مساعدو النواب

"مُسَاعِدُ نَائِبِ البَرْلَمَان هُو الرَّجُلُ الذِي يُخْبِرُ النَّائِبَ بِمَا كَانَ يَجِبُ فِعْلَهُ عِنْدَما يَتَّخِذُ قرارًا خاطئًا"

المؤلف

مساعدو النواب يشبهون النقاد الأدبيين، فدائمًا ما يخفقون في أن يصبحوا أدباء رغم سعيهم الدءوب إلى ذلك. مساعدو النواب يحصلون على راتب، فمساعد النائب يحصل على 42 ألف كرون شهريًّا (وقت كتابة هذا العمل) وهو ما يقرب من 1400 يورو. وظيفة مساعد النائب الرئيسية هي مساعدته، مساعدته في كل شيء، بدءًا من المشاركة في المشاجرات، وانتهاء بقيادة السيارة.

الوظيفة الثانية لمساعد النائب هي عمل هالة من الأهمية حول نائبه، والنائب يمكن أن يكون له عدد لا نهائيّ من المساعدين، وحصته من المساعدين لا تعبر عن وضعه الحقيقي، فكلما كان النائب أحمق، زاد عدد مساعديه.

وهناك مساعدون وهميون، يُعيَّنون كمساعدين كي يحصلوا على تراخيص من مجلس النواب السلوفاكي بركن سياراتهم في منطقة القلعة، أو الدخول بدون تصاريح إلى قاعة المجلس أو مركز الرياضة البدنية التابع للبرلمان.

المساعد رجل عالم ببواطن الأمور، مثل هؤلاء أناس يعرفون كل شيء، ويفهمون في كل شيء، لكنهم عاجزون عن أن يعلنوا ذلك على الملأ. المساعدون يلعبون دور الحكماء عندما يتضح أن قرار النائب لم يكن صائبًا. يبررون ذلك بأنه من النادر أن تكون قرارات النائب مستقلة وحرة، وعليه فلا يتسع المجال لإسداء النصيحة.

لا تقل أهمية النواب بالنسبة لغالبية الأعضاء عن دور مكاتب النواب التي قد تلعب دورًا هامًّا لو أن النواب انشغلوا بالسياسة بطريقة تتسم بالمسئولية. هناك مساعدون ينشغلون

بالسياسة أكثر من النواب أنفسهم، وتعرف النائب الذي لديه مساعد كفء عندما تراه يخطب في الناس وهو يقرأ من ورقة في يده، فهو يلجأ إلى الورقة عندما لا تكون الكلمات كلماته، ولو كانت كذلك فلا حاجة له بمساعد. بعض النواب يعدون بأنفسهم خطبهم التي يلقونها أمام الجماهير رغم أن لديهم مساعدين على كفاءة عالية، تعرف أمثالهم عندما يلقون خطبهم، فتجد مساعديهم يجلسون في الشرفة ويصفقون لهم بحرارة.

يلعب المساعدون دورًا هامًّا بصفتهم مسئولين عن الرد على الأسئلة المحرجة التي يوجهها لهم الصحفيون، وعندما تكون الأسئلة مناسبة يقوم النائب بالرد عليها بنفسه. هناك حالات يحمل فيها المساعد حقيبة النائب، ولو حمل النائب حقيبته بنفسه لما أثَّر هذا على المرتب الذي يتقاضاه المساعد. يضع النائب يديه في جيوبه ما لم يكن يحمل حقيبة.

عادة ما يكون المساعدون من أفراد عائلة النائب، أو الرعاة، أو أحد أعضاء القيادات الحزبية. ونادرًا ما تقوم العشيقة أو العشيق بدور المساعد، ومن الصعب أيضًا أن تجد صديق النائب مساعدًا له، ويكاد يكون مستحيلًا أن يكون المساعد مساعدًا لأنه يفهم شيئًا.

مكاتب النواب

"عَلَاقةُ النَّائِبِ بِمَكْتَبِه لَا تَخْتَلِفُ كَثِيرًا عَنْ عَلَاقةِ رَجُلِ الشَّارِعِ بِه، فَكِلَاهُمَا لَا يَدْخُلُه"

المؤلف

الهدف الرئيس من وجود مكاتب النواب هو تمويل المقرات الإقليمية للأحزاب السياسية من أموال الدولة، فالحزب السياسي يوزع أماكن مكاتب نوابه حسب عددهم في البرلمان، بحيث يغطي كل الجمهورية قدر الإمكان. بلغت قيمة إيجار مكتب النائب التي يدفعها عنه مجلس النواب السلوفاكي وقت إعداد هذا الكتاب 27 ألف كرون (ما يعادل 900 يورو) شهريًّا. هذا المبلغ يعادل قيمة إيجار شقة فاخرة من أربع غرف في حي "ميخالسكا برانا" الراقي، مع إمكانية إحداث ضجة في منتصف الليل. لكن هذه الأموال التي جاءت من دافعي الضرائب لم تُهْدَر عبثًا؛ لأن كل نائب لديه في مدينة براتسلافا مكتب في منطقة القلعة. لذلك عادة ما تقسم هذه الأموال (27 ألف كرون) إلى ثلاثة أو أربعة أقسام، يمولون بها مكاتب الأحزاب في أرجاء سلوفاكيا، فيكفي أن يمثل حزبًا ما 12 نائبًا كي يغطوا 48 منطقة. لأننا لو قسمنا 27 ألف كرون إلى أربعة أقسام، تكون النتيجة ما يقرب من 7 آلاف كرون، وهي كافية لاستئجار مكتب جيد في أي مدينة، بدءًا من مدينة "بازيناك"، حتى مدينة "سينينا". أحيانًا نظهر سكرتيرة المقر الإقليمي للحزب في ذلك المكتب، لكن النائب لا يظهر فيه على الإطلاق، الدليل على ذلك الأشهر العديدة - بل والسنوات- التي انتظر فيها الصحفيون طويلاً وعبثًا كي يزور النائب مكتبه. ولا يمكن معرفة غالبية المكاتب لأنه لا أحد يعرف مكانها.

لو لم يقوم النواب بتمويل مقرات أحزابهم من أموال دافعي الضرائب، فهم يمولون بها المقر الرئيسي لحزبهم. فعشرون نائبًا من حزب "سمار" كان لديهم حتى وقت كتابة هذا العمل مكاتب تقع في مبنى وكالة "سمار" في شارع جوندولوتشيفا في مدينة براتسلافا، أو في مقرات الحزب في أنحاء سلوفاكيا. (يبدو وكأن وكالة سمار كانت تسمى من قِبَل الحزب اليساري الديموقراطي). ذهبت ذات مرة إلى ذلك المبنى، ولست متأكدًا من أن عدد

الغـرف هنـاك عشـرون. كثيـر مـن نـواب الأحـزاب الأخـرى لديهـم مكاتـب فـي المقـر الرئيسـي لأحزابهـم مباشـرة. الحـزب الـذي يمثلـه فـي البرلمـان عشـرون نائبًـا، علـى سـبيل المثـال، يحصـل شـهريًّا علـى 540 ألـف كـرون (أي مـا يعـادل 17 ألفًـا و940 يـورو)، وسـنويًّا علـى سـتة ملاييـن و580 ألـف كـرون (مـا يعـادل 218 ألفًـا و416 يـورو)، وخـلال الفتـرة الانتخابيـة كلهـا يكـون إجمالـي المبلـغ 26 مليونًـا و320 ألـف كـرون سـلوفاكي (حوالـي 872 ألفًـا و664 يـورو).

الفرصـة الثالثـة الأوفـر حظًّـا لفتـح مكاتـب للنـواب هـي الشـركات التابعـة لأفـراد أسـرهم أو أصدقائهـم. فبعـد أن تركـتُ حـزب "آنـو" فتحـتُ مكتبًـا لـي كنائـب فـي دار إيـواء يملكهـا الكاهـن "أنتـون سـيرخولاتس" فـي أبرشـية "بودونايسـكي" فـي براتسـلافا. بهـذا تمكـن دافعـو الضرائـب مـن إطعـام وتغذيـة وكسـوة وإيـواء خمسـين مواطنًـا مشـردًا. وعندمـا تركـتُ العمـل السياسـي بعـد انتخابـات عـام 2006 طلبـت مـن 11 (أحـد عشـر) نائبًـا، زملائـي السـابقين الذيـن حصلـوا علـى مقاعد فـي البرلمـان، أن يفتـح واحـد منهـم علـى الأقـل مكتبًـا فـي دار "سرخولتسـوف" لإيـواء المشـردين، وكانـوا تسـعة نـواب مـن أحـزاب مسـيحية باسـتثناء اثنيـن. ورغـم إلحاحـي ووعـود مـن كبـار أعضـاء الأحـزاب السياسـية لـم يسـتجب لدعوتـي أي واحـد منهـم.

نواب المعارضة

"البَرْلَمَان لَيْسَ كَالحَانَةِ لِتَتَرَدَّدَ عَلَيْهِ يَوْمِيًّا"

مؤلف مجهول

السياسي المعارض هو رجل مُحْبَط، يشعر بالدونية وبأنه عالة على غيره، تتركز أنشطته على تكرار نفس الحجج التي سلحته بها المعارضة وقت أن كان نائبًا في الائتلاف. دور نائب المعارضة بسيط؛ فهو لا يزعج نفسه بدعاوى جديدة ضد الائتلاف الحاكم، ويكفيه أن يتصفح محاضر الاجتماعات السابقة لمجلس النواب السلوفاكي، ويلقي خطب المعارضة التي سبق أن ألقاها. إن نائب المعارضة لا يخاطر بالظهور أمام الصحفيين؛ لأن صوت نائب المعارضة ورأيه ليس مهمًّا، فلم يستمع أحد من قبل إلى نائب المعارضة، كي ينصت إليه الآن.

على الرأي العام ألَّا يقلل من شأن نواب المعارضة، وأنهم يشاركون أصلاً في جلسات مجلس النواب السلوفاكي. إن مشاركتهم دليل على مستوى رفيع من حسن التربية. إن عمل نائب المعارضة يشبه الجِمَاع الذي لا يصل إلى قمة النشوة، فهو يجتهد دون مقابل. كان نواب الحزب الشيوعي السلوفاكي هم الوحيدين الذين لم يدركوا أنهم ضمن نواب المعارضة؛ لذلك كان لديهم انتصاب سياسي دائم، كانوا يدافعون عن آرائهم رغم استحالة تنفيذها حتى على المستوى النظري.

من المؤكد أن الوقت الذي يقضيه الإنسان في صفوف المعارضة وقت ضائع، وعلى نائب المعارضة وحده أن يجد طريقة للاستفادة منه، فيمكنه خلال الأعوام الأربعة أن يستبدل أسنانه بطاقم صناعي، أو يشفط الدهون من جسده، أو يتعلم لغة أجنبية، أو يدفئ منزله، أو حتى يهتم بحديقة منزله.

لكن من المؤكد أن متابعة الائتلاف الحاكم يصيب بعض السياسيين المعارضين بالاكتئاب. فلو ساءت حالت نائب المعارضة إلى درجة أنها بدأت تلقي بظلالها على حالته

الصحية، فعليه أن يتوقف عن متابعة الحكومة، أو يتابعها في أضيق الحدود.

قال أحد السياسيين المرموقين في فترة ما بعد الحرب العالمية، وهو المستشار الألماني كونراد أيزنهاور، وهو يتذكر بكل حنين إحدى زياراته لليابان: "اليابان لديها أعظم برلمان في العالم، فبعد إلقائي كلمتي صفق لي الائتلاف الحاكم والمعارضة معًا".

اللصوص والنواب المستقلون

"عِنْدَمَا يَقُولُ السِّياسِيُّ إِنَّهُ مُوَافِقٌ مِنْ حَيْثُ المبْدَأ، فَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ لَا يَنْوِي عَلَى الإطْلَاقِ تَطْبِيقَ الأَمْرِ عَلَى أَرْضِ الوَاقِع"

أوتو فون بسمارك

إن تاريخ وجود النواب المستقلين في السياسة الدولية أقدم من تاريخ النواب غير المستقلين، فالبرلمان البريطاني لم يكن يضم على مدى قرون سوى نواب مستقلين، ولم يكن في مقدور أي منهم أن يكون عضوًا في حزب سياسيّ؛ لأن الأحزاب السياسية في بريطانيا العظمى لم تظهر إلا في القرن التاسع عشر. إذن فوجود نواب بدون أحزاب أمر جائز، لكن من غير الجائز أن تكون هناك أحزاب بدون نواب، فالنواب البريطانيون الذين كانوا يشربون معًا بدءوا في تأسيس نوادٍ لهم، وقد جمعت تلك النوادي نوابًا حسب مذاق الويسكي المفضل، ومن المتوقع أن اجتماع آرائهم حول الويسكي جعلهم يتطابقون في آرائهم في الأمور الأخرى، ثم تحولت تلك النوادي لاحقًا إلى أحزاب. أطلقوا في البداية على النواب المستقلين الذي شكلوا مع الوقت حزبًا محافظًا اسم التوريون[8]، وهو في الأساس لقب لصوص إيرلندا. هذا بالطبع لا يعني أن عضو الحزب المحافظ يمكن أن يكون شخصًا ذا أصول تعود إلى لصوص إيرلندا، لكن لو حدث ذلك ينال ذلك العضو احترامًا أكثر من أي عضو آخر خلت أسرته من اللصوص، لكن الحقيقة هي أن عديدًا من النواب تخلصوا من هذه النقيصة سريعًا.

يأتلف بقوة النواب الضعفاء والأقوياء حسب الحاجة، وذلك مع اقتراب نهاية الفترة البرلمانية الانتخابية، ويشكلون مجموعة النواب المستقلين. النواب المستقلون هم في العادة الوحيدون الذي يلتزمون بنصوص الدستور، فالدستور يقول إن النائب عليه أن يتصرف ويدلي بصوته حسب ما يمليه عليه ضميره. جميع النواب – أعضاء النوادي

(8) أعضاء في حزب سياسي بريطاني يؤيد السلطة الملكية (المترجم).

الحزبيـة- يصوتـون حسـب قـرار مؤسسـاتهم الحزبيـة، وكثيـرًا مـا يحـدث أن يكـون قـرار المؤسسـات الحزبيـة لا يتفـق مـع مـا يمليـه ضميـر النائـب عليـه، فيصـاب النائـب بنـوع مـن تأنيـب الضميـر، وأيضًـا يخالـف بذلـك الدسـتور.

وعندمـا يتكـرر التصويـت رغـم إرادة النائـب يفقـد النائـب أعصابـه، ويتـرك الحـزب، ويصبـح نائبًـا مسـتقلًّا، بعدهـا يشـعر بالراحـة، فهـو يصـوت حسـب مـا يمليـه عليـه ضميـره، علـى خـلاف مـن بقـي فـي نـوادي الأحـزاب. لكـن دعنـا نأمـل أن يكـون تصويتـه حسـب مـا يمليـه عليـه ضميـره هـو نفسـه. يتعـرض النائـب المسـتقل الـذي يصـوت حسـب إرادتـه الشـخصية وطبقًـا لنصـوص الدسـتور للنقـد مـن قبـل الصحفييـن والـرأي العـام أيضًـا، فعندمـا يصـوت النائـب المسـتقل حسـب مـا يمليـه عليـه ضميـره لا يعوقـه فـي ذلـك أي شـيء. ومـن هـذا يتضـح أن الصحفييـن والـرأي العـام لا يعرفـون شـيئًا عـن الدسـتور. فلـو أنهـم عرفـوا لأثنـوا علـى النـواب المسـتقلين. يمكـن أن يكـون مجلـس النـواب، مـن الناحيـة النظريـة، أكثـر دسـتورية لـو أصبـح كل أعضائـه مسـتقلين. ولأن كل نائـب سيسـعى لإرضـاء ضميـره فلـن يكـون هنـاك مجـال للممارسـة السياسـة؛ لأن السياسـة قائمـة علـى وجـود الأحـزاب السياسـية، أي علـى تجمـع أشـخاص غيـر مسـتقلين. إنهـا بالفعـل إشـكالية الديموقراطيـة البرلمانيـة. ويشـير بقـاء غالبيـة النـواب كأعضـاء فـي نـوادي أحزابهـم إلـى أن مـا يعنيهـم فـي الأسـاس هـو ممارسـة السياسـة، وليـس إرضـاء ضمائرهـم. فـي مثـل هـذه الحالـة يصيـر الأعضـاء المسـتقلون جـزءًا هامًّـا فـي البرلمـان.

يمكـن أن يترشـح المواطنـون للبرلمـان السـلوفاكي فقـط ضمـن قائمـة الأحـزاب السياسـية، ومـن المسـتحيل أن يصـل إلـى البرلمـان عضـو مسـتقل، لكـن بمقدورهـم أن يكونـوا مسـتقلين لاحقًـا، فالاسـتقلال تسـبقه التبعيـة.

النقانق ومشروع القوانين

"وَظِيفَةُ النَّائِبِ هِيَ إِقْرَارُ القَوَانِينِ. وَمِنْ وَاجِبَاتِ المُوَاطِنِ احْتِرَامُهَا"

المؤلف

إن القوانين تشبه النقانق. تبدو جيدة، ورائحتها طيبة، لكنك لن تعرف ما بها إلا عندما تضعها في فمك. الأمر هو نفسه في حالة القانون، من الأفضل ألَّا نعرف الكثير عن تفاصيله. الغرض من مشروع القانون الذي تقدمه الحكومة هو أن يتم إقراره قبل أن تتقدم المعارضة بمشروع مشابه. هذه الحالات كثيرة، وتزعج نواب الحكومة كثيرًا.

الحكومة هي التي تقدم مشروع القانون. ويعتقد المواطنون أن الحكومة يمثلها الوزراء، لكنه اعتقاد خاطئ، فالحكومة هي في الواقع موظفو الدولة، وموظفو الدولة أناس يعانون من ضيق العيش، ترتجف أوصالهم بعد كل انتخابات خوفًا من أن يستبدلهم الوزير الجديد بأصدقائه، ويشعر بالامتنان كل من ينجو من هذا الأمر، ومن أفضل الطرق للنجاة هي حني الظهر. وانقرض العمود الفقري لموظفي الدولة كنتيجة طبيعية للانتخابات الديموقراطية. بعد الانتخابات يتم تكليف وزير جديد يعين معارفه في وظائف قيادية بالوزارة، وغالبًا ما تكون حاشية الوزير من أناس غير محترفة، وظيفتهم الأساسية هي الحصول على مرتبات سخية. لكن يحتاج الوزير لإدارة الوزارة بعض المتخصصين، ويحدد عددهم بناء على عدد الهواة الجدد الذين يجلبهم الوزير إلى وزارته. مع قدوم الوزير الجديد يتحرك العاملون في الوزارة بخفة وهم يحنون ظهورهم كي يراهم الوزير الجديد، والمدير العام، أو حتى رئيس القسم. ويمكن أن يتحرك الإنسان إلى الأمام بانحناءة دون أن يكون له عمود فقري. إن الوزراء يحبون الأشخاص الذين ليس لديهم عمود فقري؛ لذلك يتركونهم في وظائفهم، فيقوم هؤلاء بإعداد مشاريع قوانين الوزارة بحيث تنال إعجاب الوزير. من أكثر القوانين التي يحبها الوزير القوانين التي تنال إعجاب من أرسلوه للمشاركة في الحكومة. فيقرأ في اجتماع الحكومة التقرير الذي أعده له أحد خبرائه المرءوسين. وغالبًا ما يجهل أعضاء الحكومة محتوى القانون، لذلك يفضلون ألَّا يناقشوه، فتقر الحكومة القانون وترسله إلى

البرلمان حيث تضمن الأغلبية التي شكلت الحكومة إقرار القانون.

وقبـل إقـرار القانـون فـي الجلسـة العامـة يتـم مناقشـته فـي اللجـان. وكـي لا يتجنـب الوزيـر مخاطـر الإجابـة عـن سـؤال متخصـص يأخـذ معـه خبـراءه. يجيـب الوزيـر فـي اللجنـة علـى أسـئلة النـواب بهـذه الطريقـة: "سـيدي الوزيـر، هـل تعتقـد أن الحكومـة بوسـعها الالتـزام بشـروط معاهـدة ماسـتريخت؟"، الإجابـة: "لا شـك فـي أن مدينـة ماسـتريخت تقـع فـي جنـوب هولنـدا، وهـذا يضفـي علـى شـروطها أهميـة كبيـرة. أطلـب مـن السـيد المديـر العـام لقطـاع تحقيـق شـروط اتفاقيـة ماسـتريخت أن يكمـل إجابتـي". يـرد المديـر العـام للقطـاع. وبعـد سـماع إجابتـه يسـأل الوزيـر إن كانـت الإجابـة كافيـة، وعـادة مـا تكـون كذلـك.

مشروع قانون مقدم من المعارضة

"اقْتِرَاحُكَ رَائِعٌ؛ لِذَلِكَ لَنْ نُصَوِّتَ عَلَيْه"

المؤلف

يشكِّل أي اقتراح بقانون تقدمه المعارضة استفزازًا للائتلاف الحاكم؛ لذلك لا يصوت نواب الائتلاف الحكومي على المشاريع الاستفزازية. أحيانًا يحدث أن يقوم نائب المعارضة بطرح اقتراح قانون يتسم بالمنطقية، وعادة ما يطرح مشروع القانون الوجيه بعد الاتفاق مع الائتلاف. ونعرف مشروع القانون المنطقي أو المُعَدَّل الذي تقدمه المعارضة دون الاتفاق مع الائتلاف الحاكم حسب الضجيج الذي يعلو في قاعة المناقشة. لكن عادة لا تكون هناك رغبة في مناقشة الاقتراح، لذلك يقابل بالرفض.

وعندما تعجز المعارضة عن تقديم اقتراحات وجيهة، يقوم نائب الائتلاف بتبني هذا المشروع بصورة ما، وعندها يصبح المشروع ذاته مقبولًا، ويتم إقراره. وعلى العكس من ذلك، يطلب بعض نواب الأحزاب المشاركة في الائتلاف من نائب المعارضة أن يعرض مقترح القانون الذي يعجز نوابهم عن تقديمه، أو لأنهم قد يتجنبون إثارة ناخبيهم أو حلفائهم في الائتلاف. ويشارك في المناقشة الحزب الحاكم الذي يحتاج إلى مثل هذا القانون، لكنه لا يستطيع طرحه، ويرفضه بكل قوة. يصوِّت ضد القانون، أو يمتنع عن التصويت، أو يقلل من النصاب القانوني بمغادرة القاعة، ويتم إقرار القانون بأصوات نواب المعارضة. الحزب الحاكم يحتاج إلى القانون، لكنه في نفس الوقت لا يستطيع اقتراحه مراعاة لناخبيه؛ لذلك يتوجه خلسة بالشكر إلى أحزاب المعارضة التي صوتت لصالح القانون.

فلا فرق في أن تدار البلاد بقانون الائتلاف الحاكم أو أحزاب المعارضة. الاقتراحات المقدمة من المعارضة تتحول إلى قوانين حكومية بعد أن تعتلي المعارضة السلطة، ورغم ذلك لا يلاحظ أحد أن شيئًا قد تغير، للأسوأ أو للأفضل. القاعدة الأساسية في الديموقراطية البرلمانية هي أن المعارضة لن تصوت لصالح مشروعات قوانين الحكومة، والائتلاف

الحاكـم لـن يصـوت لصالـح مشـاريع المعارضـة، مهمـا كانـت أهميـة القانـون بالنسـبة للمواطـن.

الاسـتثناء الوحيـد هـي القوانيـن المتعلقـة بزيـادة المعاشـات، والحـد الأدنـى للأجـور. إنهـا قوانيـن لا يتـم إقرارهـا إلا قُبيـل الانتخابـات فقـط.

تعديل القانون

"القَانُونُ شَيْءٌ جَيِّدٌ، لَكِنَّ البُنْدُقِيَّةَ أَفْضَلُ مِنْه"

آل كابوني[9]

تعديـل القانـون يعنـي تغييـر الصيغـة الأصليـة إلـى الأسـوأ. بعـد إقـرار التعديـلات يعتقـد الكثيـر مـن النـواب أن القانـون صـار أفضـل، لكـن الممارسـة تؤكـد أن الأمـر ليـس كذلـك. وقـد يتحلـى النواب بالشـجاعة مـع الوقـت - بعـد سـتة أشـهر علـى الأقـل- ويقـدم أحدهـم اقتراحًـا بمراجعـة القانـون بغـرض تعديلـه مـرة أخـرى ليكـون أفضـل. تعرضـت بعـض القوانيـن للتعديـل عشـرات المـرات. ومـن مراجعـة وثائـق أرشـيف مجلـس النـواب السـلوفاكي، اتضـح أن القوانيـن الوحيـدة التـي لـم يتـم تعديلهـا كان قانـون النسـبية، وقانـون الجاذبيـة، وقانـون أرشـميدس، وقانـون بقـاء المـادة، وقانـون الحصانـة البرلمانيـة.

السـبب فـي تعديـل القانـون يكمـن غالبًـا فـي أنـه لـم يَـفِ بحاجـة المجموعـة التـي وصلـت إلـى السـلطة، وعاجـزة عـن الوصـول إلـى المـوارد الماليـة للدولـة؛ لأن أسـلوب الحصـول عليهـا كان مقننًـا حسـب أغـراض المجموعـة السـابقة. فلـو كان الراعـي الرئيسـي للحـزب الحاكـم فـي الفتـرة الانتخابيـة السـابقة يحتكـر إنتـاج الإطـارات الشـتوية للسـيارات، لأقَـرَّ البرلمـان قانونًـا حـول إلـزام المواطنيـن باسـتخدام الإطـارات الشـتوية. السـبب الرسـمي المعلـن لإقـرار القانـون هـو سـلامة السـير علـى الطـرق فـي أشـهر الشـتاء. وعندمـا يحـب حـزب آخـر فـي فتـرة انتخابيـة أخـرى، ويكـون الراعـي الرئيسـي لـه أحـد منتجـي مقاعـد السـيارات المخصصـة للأطفـال، فسـيتم تعديـل قانـون سـير المركبـات علـى الطـرق بحيـث يلزمـون فيـه المواطنيـن باسـتخدام مقاعـد

---

(9) ألفونس جابرييل آل كابوني (17 يناير 1899- 25 يناير 1947) عضو في العصابات الأمريكية، قاد عصابات جرائم التهريب والغش في الخمور وغيرها من الأنشطة غير القانونية خلال عصر الحظر (1920- 1930). وُلد في بروكلين لأبوين مهاجرين من جنوب إيطاليا. بدأ كابوني مسيرته في بروكلين قبل أن ينتقل إلى شيكاغو، حيث أصبح رئيسًا لمنظمة إجرامية معروفة باسم سلاح فرسان شيكاغو. لم تنجح إدانته قط بتهمة الابتزاز، إلا أن وظيفة كابونى الإجرامية انتهت عام 1931، عندما أُدِين من قبل الحكومة الاتحادية بتهمة التهرب من دفع الضرائب على الدخل (المترجم).

الأطفـال، والسـبب تأميـن الأطفـال فـي وسـائل المواصـلات. وهكـذا تُعـدّل القوانيـن الحـالات الأخـرى لأسـباب مشـابهة. وتعـدَّل القوانيـن مـن وقـت لآخـر لمجـرد أنهـا صـدرت فـي عهـد الرئيـس "أنتونيـن نوفوتني".

فوضى الجلوس

"فِي المَدْرَسَةِ وَكَذَلِكَ فِي البَرْلَمَان يَجْلِسُ المُصْطَفَوْنَ فِي المَقَاعِدِ الأَمَامِيَّة"

المؤلف

نظـام الجلـوس مهـم كـي يسـمح بظهـور الحـزب أو نـادي الحـزب فـي وسـائل الإعـلام، أمـا المنبـوذون فيجلسـون فـي المقاعـد العليـا علـى يميـن ويسـار قاعـة البرلمـان، حيـث لا يراهـم رئيـس المجلـس، ولا حتـى المصـورون الذيـن يمتلكـون أجـود أنـواع عدسـات التصويـر. (كان الليبراليـون أثناء الفتـرة الانتخابيـة الثالثـة يجلسـون أعلـى القاعـة علـى اليسـار، وعلـى يمينهـم جلـس الشـيوعيون. وكان رئيـس البرلمـان لا يلتفـت إليهـم). ورغـم أن الإنجيـل يسـتقبح المسـيحيين الذيـن يجلسـون فـي الأديـرة وفـي الأماكـن العامـة فـي الصفـوف الأولـى، فقـد احتـل المسـيحيون الديموقراطيـون الصـف الأول فـي منتصـف قاعـة المجلـس فـي الفتـرة الانتخابيـة الثالثـة، وقدمـوا أنفسـهم علـى شاشـات التليفزيـون دون اعتبـار للإنجيـل. علَّهـم يفسـرون الأمـر للـه بطريقـة مقبولـة.

لا ينطـوي توزيـع النـواب حسـب نظـام الجلـوس علـى أي منطـق، وبالتالـي يمكننـا أن نطلـق عليـه بـكل اطمئنـان نظـام الفوضـى، علـى الأقـل مـن وجهـة نظـري الشـخصية. لقـد كنـت أجلـس فـي الصـف الأخيـر فـي البرلمـان، وهـو كل مـا حصلـت حصلـت عليهـا بعـد انتقالـي مـن حـزب "آنـو" إلـى حـزب الاتحـاد المسـيحي الديموقراطـي السـلوفاكي. فـكان الجلـوس فـي الصـف الأخيـر مـن نصيبـي، وكان أفضـل مـن لا شـيء.

الخطـأ الكبيـر فـي البرلمـان السـلوفاكي هـو أن الجلـوس فـي قاعـة المـداولات يكـون علـى طريقــة التليفزيــون، حيــث يجلــس النــواب متجاوريــن، ينظــرون أمامهــم، وكأنهــم فــي غرفــة المعيشــة يشــاهدون التليفزيــون، وهــم عــادة يتوجهــون بأنظارهــم إلــى رئيــس المجلــس، أو إلـى النائـب الـذي يقـف خلـف منصـة الحديـث. ربمـا لهـذا السـبب لا نجـد مـن يتناقـش فـي البرلمـان السـلوفاكي، لكنهـم فقـط يلقـون الخطـب. وكيـف يمكـن أن ينشـأ حـوار أثنـاء مشـاهدة

التليفزيـون؟ الجميـع ينظـرون أمامهـم، ينطـق أحدهـم كلمـة بيـن الحيـن والآخـر دون أن ينظـر حولـه. النقـاش فـي البرلمـان البريطانـي لـه شـكل آخـر، هنـاك يجلـس النـواب متقابليـن، يتدلّـى أمـام كل منهـم ميكروفـون، لا توجـد فيـه طـاولات، يضعـون أيديهـم فـوق أقدامهـم أو يتركونهـا حـرة بمحـاذاة أجسـادهم، وينظـر كل منهـم فـي عيـون الآخـر، فضـلاً عـن أن البرلمـان البريطانـي لا يوجـد بـه نظـام للجلـوس، فـكل نائـب يجلـس أينمـا أراد، لكـن بالطبـع لا يجلـس نـواب الحكومـة بيـن نـواب المعارضـة، والعكـس. إن الديموقراطيـة فـي بريطانيـا مختلفـة، فعـدد المقاعـد أقـل مـن عـدد النـواب فـي مجلـس النـواب. لـو طُبـق هـذا النظـام فـي برلماننـا، بحيـث لا يجلـس النـواب حسـب نـادي الأحـزاب التـي ينتمـون إليهـا، بـل بصـورة عشـوائية، لجُـنَّ جنـون رؤسـاء نـوادي الأحـزاب أثنـاء التصويـت، فهـم لا يجيـدون التحكـم وتنظيـم التصويـت إلا وهـم فـي جماعـة.

نادي النواب

"مَا دَامَ أَصْحَابُ المَعَاشَاتِ والمِثْلِيُّونَ والمَلَّاحُونَ لَدَيْهِمْ نَوادٍ خَاصَّةٌ بِهِم، فلِماذَا لَا يَكُونُ لِنُوَّابِ الشَّعْبِ نَادٍ مِثْلَهُم؟"

سميث

إن نادي النواب يختلف عن صالون النواب، فصالون النواب عبارة عن غرفة تقع خلف قاعة المداولات، فيها يستريح النواب بعد عمل مرهق في قاعة المجلس، بعضهم يستريح هناك حتى قبل العمل المضي في القاعة. وطبيعي أن يأخذ النائب حقه من الراحة؛ لأنه لا يمكن أن يبدو مرهقًا، فقد تراه زوجته أثناء النقل التليفزيوني، وعندها ستعرف على الفور أنه لم ينم طوال الليل. وما لم يأخذ النائب نصيبه من الراحة يكون عصبيًّا، ولا يتحدث بطلاقة، ويتجنب الإجابة على الأسئلة، ويهرب من الصحفيين. ومن السهل على الصحفيين أن يعرفوا أن النائب يتهرب منهم، ويمكن أن تحدث لهذا حالة من الذعر في أنحاء البلاد. إن النواب المنفعلين هم أكثر ما يُخيف المواطن؛ لأن هذا يترك عنده انطباعًا بأن هناك أمرًا ما يحدث. لذلك فصالون النواب له أهمية كبيرة.

نادي النواب، على عكس الصالون، هو مؤسسة يفقد فيها النواب أعصابهم، ينفعلون عندما تختلف آراؤهم - وغالبًا ما يكون السبب هو مشروع قانون ما- مع آراء الحكومة التي تطرح القانون. يدلل هذا مرة أخرى على أن نائب الحكومة في وضع لا يُحسد عليه. يكاد يكون من واجبات نائب المعارضة أن يختلف في الرأي حول أي قانون تقدمه الحكومة. على خلاف ذلك نجد أن اجتماعات نوادي أحزاب المعارضة مفعمة بالحب والتفاهم والاتفاق على رفض قوانين الحكومة، باستثناء القوانين التي تقف المعارضة وراءها والتي تتفق عليها مع الوزير المختص كي يتم تمرير القانون على أنه مقدم من الحكومة. في هذه الحالات يكون دور نواب المعارضة المشاركين في الصفقة شديد التعقيد: أن يبرروا موقفهم في نواديهم لمن لم يشاركوا في المؤامرة، ويشرحوا لهم سبب اتفاقهم مع الحكومة في الرأي، لكن غالبًا ما يكون كل أعضاء النادي مشاركين في المؤامرة، ويجب أن يكونوا كذلك؛ لأن

المعارضـة الحاليـة قـد تكـون جـزءًا مـن الحكومـة فـي انتخابـات تاليـة، وعندهـا سـيكونون فـي حاجـة إلـى إظهـار نفـس التفاهـم الـذي تبديـه المعارضـة الحاليـة.

فـي الوقـت الـذي يرفـع فيـه حكـم المبـاراة بطاقـة حمـراء أو صفـراء للاعـب الـذي يأتـي بلعبـة غيـر قانونيـة بنـاء علـى خشـونة الـ"فـاول"، نجـد أن رئيـس نـادي النـواب يرفـع الـكارت الأخضـر. الـكارت الأخضـر يُعَـدُّ إشـارة للنـواب بـأن فـي إمكانهـم أن يكونـوا أحـرارًا لبعـض الوقـت ويصوتـوا حسـب مـا تمليـه عليهـم ضمائرهـم. نلفـت الانتبـاه هنـا إلـى أن هـذا الـكارت الأخضـر لا يمنـح حـق العمـل بالولايـات المتحـدة الأمريكيـة.

المناقشات والنواب الأموات

"بَعْدَ كُلِّ يَوْمٍ من النِّقَاشِ فِي البَرْلَمَان، يَجِبُ أَنْ أُشَاهِدَ الأَخْبَارَ فِي المَسَاءِ لأَرَى مَا شَارَكْتُ فِي إِقْرَارِهِ مِنْ قَوَانِين"

المؤلف

قد يبدو من مفهوم كلمة مناقشة أنهم يتناقشون في البرلمان، لكن البرلمان ليس مكانًا للنقاش، بل هو منصة لإلقاء وابل من الخطب. المناقشة تعطي مساحة لشرح الآراء في قضيةٍ ما لمن لا يملك فيها رأيًا. تظهر مواقف مختلفة أثناء المناقشة، أكثرها شيوعًا ألَّا يستمع أحد إلى ما يقوله الخطيب. لكن في الحقيقة، البرلمان ليس مكانًا للاستماع، بل هو ساحة للحديث، ويمكن للنائب أن يقول أثناء المناقشة أي شيء وهو على يقين بأن أحدًا لن يعلم شيئًا قاله سوى موظفات المضبطة. أحيانًا يحدث أن تظهر أثناء المناقشة أفكار جيدة، لكن للأسف، حتى هذه الأفكار لا يستمع إليها أحد. لكن ما يُطَمْئِن أصحاب الأفكار الجيدة أنه حتى الأفكار الغبية لا يستمع إليها أحد؛ فالأمران إذن سِيَّان، ولا يهم أن يتغيب بعض النواب أثناء إلقائهم الكلمة، فلا داعي للغضب، حتى هم ليسوا مضطرين إلى التواجد في القاعة أثناء كلمات زملائهم.

من الأساليب المجربة للفت أنظار المجلس، القيام بشيء غير معتاد. على سبيل المثال، الثناء على زميل في المعارضة طالما كنت عضوًا في الائتلاف الحكومي، ومن الأفضل أن تطلق قنبلة حقيقية، وإلَّا فلن تستطيع إيقاظ الزملاء الذين يَغِطُّون في النوم. قد يكون لطيفًا أن تغني كلمات خطبتكَ، أو حتى ترافقها بعزف على آلة موسيقية، لكن لن يلتفت إليكَ إلا محبُّو الموسيقى. لكن الطريقة الناجعة للفت الأنظار هي سب رئيس الحكومة عندما تكون عضوًا في الائتلاف، أو على العكس، تمتدح رئيس الحكومة عندما تكون نائبًا معارضًا.

إن وجود أربعة نواب على الأقل في قاعة المناقشات، دليل على أن المناقشة دائرة، وشرط افتتاح المناقشات هو حضور رئيس الجلسة، وأحد الصحفيين، والنائب الذي يلقي كلمته، ومن الأفضل أن يحضرها أيضًا النائب الذي يليه في إلقاء الكلمة. وعندما يحدث أن يتواجد

فـي القاعـة أكثـر مـن أربعـة نـواب، فمـن الضـروري التأكـد مـن أن شـيئًا غيـر عـاديّ قـد يحـدث. النائـب الـذي يجلـس فـي القاعـة ولا يقـرأ الجريـدة، ولا يتصفـح الإنترنـت، ولا يتحـدث فـي الهاتـف، أو يكلـم زميـلًا آخـر، أو لا يقـرأ الرسـائل، أو لا يـأكل، ولا يشـرب، ولا يتحـرك، هـذا النائـب يحتمـل أنـه ميـت. فلـو رأيـت نائبًـا مثلـه فـي القاعـة فـلا تلمسـه، ويفضـل أن تسـتدعي لـه الطبيـب.

المناقشـة فـي البرلمـان هـي الإيهـام بالديموقراطيـة، فالنـواب وخاصـة نـواب المعارضـة، يُسَـرُّون عـن أنفسـهم، ويشـنفون آذان المواطنيـن، رغـم علمهـم أنـه لا طائـل ممـا يقولونـه؛ لأن كل شـيء قـد تقـرر سـلفًا، ومـن النـادر أن تسـفر نتيجـة التصويـت عـن شـيء مغايـر لمـا اتفقـوا عليـه، ويحـدث هـذا إذا أخطـأ النائـب، ولـم يتمكـن مـن العـودة مـن البوفيـه فـي الوقـت المناسـب، أو أن "سُسـتة" سـرواله قـد علقـت وهـو خـارج مـن المرحـاض، أو لـم يلبـس نظارتـه فـي الوقـت المناسـب، أو غشـيه النـوم، فيسـقط رأسـه علـى زر "موافـق" بـدلًا مـن أن يسـقط علـى زر "غيـر موافـق"، وإن سـقط رأسـه علـى كليهمـا مـرة واحـدة، تُرفـع الجلسـة ويسـتدعون مسـئول الصيانـة.

فـي المناقشـات يخاطـب النـواب بعضهـم بعبـارات: السـيد الزميـل، السـيدة الزميلـة، سـيداتي سـادتي، حضـرات المحترميـن نـواب الشـعب، وحمـاة القانـون. وأحيانًـا يخاطبـون بعضهـم بأسـماء حميميـة: يـا چـو، يـا كتكوتـة، يـا بتـوره! وأحيانًـا يخاطبـون بعضهـم بألفـاظ غيـر مقبولـة. وصـف "بافـول هروشوفسـكي" رئيـس البرلمـان نائـب المعارضـة الشـاب "روبـرت مادايـا" فـي ربيـع 2006 قائـلًا: "ابـن الزانيـة أبـو بربـور". علـى مـا يبـدو أنـه تأثـر بوزيـر الاقتصـاد "بافـل روسـكو" الـذي وصـف رئيـس البرلمـان "بافـل هروشوفسـكي" سـابقًا بلفـظ "ابـن الزانيـة" دون أن يذكـر أوصافًـا أخـرى. وقـال "فلاديميـر ميتشـيار" رئيـس حـزب حركـة سـلوفاكيا الديموقراطيـة، عـن نـواب مـن حـزب الحركـة المسـيحية الديموقراطيـة إنهـم "شـواذ"، لكـن هـذا لـم يزعـج نـواب حـزب الحركـة؛ لأنهـم علـى مـا يبـدو لا يعرفـون معنـى كلمـة "شـواذ".

وقـد فهـم النـواب قبـل الصحفييـن أن المناقشـة لا قيمـة لهـا، بـل هـي جـزء عبثـي مـن عمـل البرلمـان، وصـار مـن المشـكوك فيـه أن يقـال إن أحـدًا يناقـش القوانيـن. فعندمـا يشـرعون فـي مناقشـة شـيء مـا فـي البرلمـان نعـرف أن الأمـر سـينتهي بالتصويـت. وعندمـا لا يناقشـون قانونًـا مـا فـي البرلمـان، فـإن نتيجـة التصويـت واحـدة، فالمناقشـات لا تؤثـر علـى نتيجـة التصويـت بـأي صـورة، بمعنـى أن المناقشـة فـي البرلمـان لا تأثيـر لهـا، فالتأثيـر الحقيقـي علـى نتيجـة التصويـت يأتـي مـن المناقشـات فـي مجلـس الائتـلاف. لكـن أحيانًـا يحـدث ألَّا يتفـق ممثلـو الائتـلاف. فـي هـذه الحالـة يقـررون أن يتركـوا الأمـر للـه، أي لتصويـت النـواب.

القِراءَة حَسْبَ...

"شَرْحُ القَانُونِ يَعْنِي تَشْوِيهَهُ"

فرانسوا فولتير

تختلف القراءات. هناك قراءة إجبارية في المدرسة الابتدائية، والقراءة التي هي جزء أصيل من الشعر، أو قراءة مرقس، أو متَّى، أو لوقا، أو يوحنا، أو آخرين ممن صنعوا الأشياء المقروءة. وعندما يعلن الكاهن أثناء أداء الصلوات ويقول: "قراءة بول"، يكون متأكدًا من أن الحاضرين سوف يستمعون له. مثل هذه الثقة لا يملكها رؤساء مجلس النواب السلوفاكي، ففي الوقت الذي يصبح فيه الإنجيليون كُتّابًا ذائعي الصيت، لا يمكن أن نتوقع أن ينتفض المستمعون إلى داخل القاعة عند قراءة "تسوبير"، أو "ميكلوشكا"، أو "أوندرياش"، بل على العكس ينسحبون منها .

إن صُنّاع نظام المناقشة، وصناع القانون الذين يتأسى بهم عند إقرار القوانين قد وضعوا في اعتبارهم أن النواب غير مبالين، وأن شيئًا قد يفوتهم أثناء القراءة الأولى؛ لذلك فكروا في قراءتين للقانون. في القراءة الأولى يشحذ النواب هِمَمهم، ويصنع مقدم القانون حملة دعائية كي يلفت أنظار الصحفيين، لكن جهوده في الغالب تذهب سُدًى؛ لأنه لا يقرأ القانون سوى مقدمه وبعض مساعديه الذي يأخذون عملهم بجدية. لكن حتى هذا يعتبر تقدمًا؛ لأن هناك احتمالًا أنهم يحتفظون بمحتوى مشروع القانون لأنفسهم، ومنهم من هم أكثر إخلاصًا فيخبرون نائبهم وآخرين بمحتواه. لكن هذا الاحتمال لا يسري تلقائيًّا، حيث إن ما يقع في أيدي النواب قبل كل جلسة عامة لمجلس النواب، ما يقرب من مئة مشروع قانون أو قرار أو تقرير، كلها معًا تشكل أربعة آلاف صفحة. حتى لو كانوا عباقرة لما تمكنوا من قراءة كل تلك المشاريع، لكن المواطنين يتوقعون هذا من النواب، ولأسباب غامضة ينتظرون منهم أن يفهموا هذه القوانين.

الصحفيون الماجنون يهاجمون نواب الشعب بشكل دائم عندما يسألونهم إن كانوا يعرفون عدد الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، أو نوع الطوب الذي بنى منه العمود

الثانـي لإصـلاح المعاشـات. يتوقعـون أن يجيبهـم النائـب "تحـت التهديـد" عـن كل سـؤال، لكـن توقعًـا عبثيًّـا كهـذا لا يمكـن أن يتحقـق، وهـذا أمـر واضـح للجميـع باسـتثناء الصحفييـن والـرأي العـام. وعلـى الـرأي العـام أن يتأقلـم مـع حقيقـة أنـه لـن يحصـل علـى إجابـة مـن النائـب فـي الغالـب؛ لأن القضيـة التـي يهتـم بهـا لا تفهمهـا غالبيـة الصحفييـن. وكـي يتخلـص النـواب مـن أيّ صحفـيّ فضولـيّ كانـت القـراءة الثانيـة للقانـون. تصبـح الأمـور أكثـر جديـة أثنـاء القـراءة الثانيـة، ويـزداد عـدد النـواب الذيـن يطلعـون علـى مسـودة القانـون، أو علـى الأقـل يتزايـد عـدد مـن شـرح لهـم مسـاعدوهم محتـوى القانـون، وينتـاب النائـب الـذي اطَّلَـع علـى محتـوى القانـون شـعور طيـب، فالتكـرار أسـاس الحكمـة.

التصويت العلني

"لَا يُمْكِنُ أَنْ نَصْنَعَ حَقِيقَةً بِالتَّصْوِيتِ عَلَيْهَا، فَالشَّهَادَةُ إِمَّا أَنَّهَا قَوْلُ الحَقِّ أَوْ قَوْلُ الزُّورِ"

بنديكت السادس عشر

مـن أكثـر اللحظـات إثـارة فـي عمـل مجلـس النـواب السـلوفاكي، لحظـة التصويـت. ولكـي تتـم عمليـة التصويـت بنجـاح، لا بـد مـن القيـام بعـده أمـور: أولهـا قـرع الناقـوس، والناقـوس عبـارة عـن جهـاز يتـم بـه دعـوة النـواب للتصويـت، وقـد اختـرع عالـم الفيزيـاء الروسـي "إيفـان بيتروفيتـش بافلـوف" عـام 1904 اسـتخدام الناقـوس لدعـوة النـواب للتصويـت، وأيضًـا لتجربـة أحـد أنظمـة الإشـارة. توصـل وقتهـا إلـى أن النـواب فـي مجلـس الدومـا الروسـي يسـتجيبون بطريقـة أفضـل عنـد سـماعهم صـوت الناقـوس. المشـكلة هـي أن نشـاط غددهـم اللعابيـة يتزايـد أثنـاء هرولتهـم لـلإدلاء بأصواتهـم، فأطلـق "بافلـوف" تفسـيرًا مفـاده أن النشـاط الزائـد للغـدة اللعابيـة المرتبـط بالتصويـت علـى صلـة لصيقـة برؤيـة "وليمـة" شـهية. تعمـق هـذا السـلوك الـلاإرادي فـي النظـام العصبـي لبعـض النـواب إلـى درجـة أنهـم عندمـا يتركـون مجـال التشـريع، يسـيل لعابهـم عنـد سـماع صـوت الناقـوس، وتبحـث أصابعهـم بصـورة تلقائيـة علـى الأزرار[10]. وهـذا دليـل آخـر علـى أن عمـل النائـب فـي البرلمـان يمكـن أن يتـرك آثـارًا لا تمحـى علـى بعـض الأفـراد ضعـاف العزيمـة.

الشـرط الثانـي لنجـاح التصويـت هـو حضـور مـا لا يقـل عـن 76 نائبًـا. يتـم التصويـت عـادة مرتيـن يوميًّـا: فـي السـاعة الحاديـة عشـر صباحًـا، وفـي السـاعة الخامسـة مسـاءً مـا لـم يكـن هنـاك بـث مباشـر لمبـاراة للفريـق السـلوفاكي فـي بطولـة العالـم للهوكـي. فـي هـذه الحالـة يتـم إرجـاء التصويـت إلـى سـاعة أخـرى. لا يجـب تواجـد النـواب فـي القاعـة بيـن أوقـات التصويـت، رغـم أن الـرأي العـام لا يفهـم أن النائـب يمكنـه أن يفعـل شـيئًا للصالـح العـام ويقـوم بخدمـة المواطـن وهـو خـارج القاعـة.

(10) المؤلف يسخر من لهفة بعض النواب على التصويت، بمقارنتهم بالكلاب، التي أجرى عليها بافلوف تجاربه المعروفة في الارتباط الشرطي.(المترجم).

وقبل أن يشرع النائب في الإدلاء بصوته يجب أن يتأكد من أنه:

- أغلق الأجهزة الكهربائية قبل خروجه من البيت.

- أغلق باب الشقة أو البيت.

- أطعم حيواناته الأليفة.

- اغتسل، وارتدى ملابسه

- أحضر ملابس ثقيلة معه إلى البرلمان

- شحن هاتفه المحمول جيدًا

- درب أصابعه بصورة كافية.

- لم ينسَ نظارته.

إغلاق الأجهزة الكهربائية يعد أمرًا هامًّا كي يتمكن النائب من التركيز في عمله. إن التصويت عمل شأنه كل الأعمال الأخرى، الفارق الوحيد أنك لو لم تضغط على الزر الصحيح تصبح العواقب وخيمة، ليس على المجتمع بقدر ما هي على النائب نفسه. وإن قام بالضغط على الزر الخطأ أكثر من مرة يعطي انطباعًا سيئًا بأنه يضمر شرًّا ما لحزبه، أو ربما للائتلاف الذي هو عضو فيه.

تقول المادة 2/73 من دستور الجمهورية السلوفاكية: "يمارس النواب الوكالة حسب ما تمليه عليهم ضمائرهم وقناعاتهم الشخصية، وهم غير ملزمين بأية توجيهات". ورغم أنهم "غير ملزمين بأية توجيهات" يقوم النواب بالتصويت حسب توجيهات قياداتهم الحزبية. لو صوت النائب عكس ذلك أكثر من مرة، على خلاف أوامر قيادة حزبه، ينتهي به الحال خارج نادي النواب، ويصبح مستقبله السياسي على المحكّ. لكن هذا لا يعني أنه لو صوت حسب توجيهات قيادة حزبه أن سيرته السياسية في مأمن.

اللافت للنظر هو التصويت على القوانين التي تنطوي على عشرات المشاريع المعدلة. ولا يمكن لأي مقدم للقانون، مهما بلغت درجة تركيزه، أن يكون متيقظًا تمامًا خلال التصويت لمدة ساعة أو ساعتين. فأحيانًا يخطئ، وتكشف سكرتارية اللجان الخطأ، وتمر الأمور

طبيعيـة، لأن اللـه نفسـه لا يمكـن أن يعـرف عـلامَ يصوتـون بعـد أن تعـدل مشـروع القانـون ثمانيـن مـرة، فمـا بالـك بمقـدم المشـروع نفسـه! لـو صـادف أن عـرف النـواب بالقانـون، وصوتـوا كمـا ينبغي، يـدوي التصفيـق فـي القاعـة، ويعلـو صـوت يقـول: "مبـروك!". بعدهـا يتبـادل النـواب التهانـي.

الشـرط الثالـث لنجـاح التصويـت هـو وجـود مـا يطلقـون عليـه "الدليـل". فـكل نـادٍ للنـواب لديـه دليلـه مـن توافـر مـا يضمـن أن يصـوت النـواب علـى النحـو الأفضـل. إنـه نائـب يجلـس فـي مـكان يـراه فيـه كل أعضـاء ناديـه. إنـه ليـس ذلـك الشـخص الـذي يرسـل إشـارات عشـوائية، كمـا كان يفعـل ذات يـوم "روبـو ميـكلا". بـل يشـير بشـيء أصغـر بكثيـر، بإصبعـه. الـرأي العـام يعـرف معنـى الإشـارات: رفـع الإبهـام إلـى أعلـى يعنـي "موافـق"، وأفقيًّـا يعنـي "الامتنـاع عـن التصويـت"، وخفضـه إلـى أسـفل يعنـي "غيـر موافـق". يجـب علـى النـواب أثنـاء التصويـت أن ينتبهـوا إلـى "الدليـل"، فمـا هـو إلا إنسـان، يحتـاج أحيانًـا إلـى أن يلهـو بإبهامـه فـي أنفـه. فـي هـذه الحالـة لا يصوتـون بالموافقـة. وعندمـا يقـوم الدليـل بوضـع إبهامـه فـي أذنـه لينظفهـا فـلا يعنـي هـذا أن أعضـاء حزبـه عليهـم أن يمتنعـوا عـن التصويـت. وعندمـا لا يقـوم الدليـل بأيـة إشـارات، فهـذا يعنـي أن علـى كل نائـب أن يصـوت حسـب مـا يمليـه عليـه ضميـره. وهـذا الأمـر نـادرًا مـا يحـدث، ويتسـبب فـي مشـاكل كبيـرة. النائـب الـذي اعتـاد علـى التصويـت حسـب التعليمـات يسـقط فـي يـده إن غـاب الدليـل. أسـوأ مـا فـي الأمـر أن يـرن هاتـف الدليـل ويكـون المتصـل رئيـس الحـزب، أو أحـد أعضـاء جماعـة الضغـط، أو زوجتـه، أو حماتـه. عندهـا يضطـر الدليـل إلـى الـرد علـى المكالمـة، فيختفـي أسـفل الطاولـة كـي لا يضطـر رئيـس الجلسـة إلـى دعوتـه لعـدم التحـدث فـي الهاتـف. يمكـن أن يتسـبب الدليـل المختبـئ فـي أزمـة حكوميـة؛ لأن المعارضـة الشرسـة تنقـضُّ عندمـا يتوقـف الدليـل عـن رفـع إبهامـه. إنهـا معارضـة شـريرة، يمكنهـا أن تتصـل هاتفيًّـا بـكل دليـل فـي الائتـلاف فـي وقـت واحـد. وتأتـي لحظـة يصـاب فيهـا الائتـلاف بالشـلل التـام، وهـذا الشـلل تتبعـه سـعادة غامـرة مـن المعارضـة.

نائـب الائتـلاف لا يصـوت علـى مشـروعات القوانيـن المقدمـة مـن المعارضـة، وكـي لا يزعـج نـواب المعارضـة الذيـن يلتقـي بهـم فـي الحانـة بـكل سـرور، لا يصـوت بالرفـض، لكنـه يمتنـع عـن التصويـت، وهـي طريقـة مهذبـة للتصويـت بالرفـض. نـواب الائتـلاف الذيـن يضغطـون علـى زر "ممتنـع عـن التصويـت" أثنـاء التصويـت علـى قانـون تقدمـه المعارضـة يقـول بهـذا للجميـع إنهـم يشـعرون بالذنـب، ولـولا خوفهـم لأيـدوا مشـروع القانـون.

الاقتراع السريّ

"الاقْتِرَاعُ السِّرِّيُّ هُوَ دَلِيلٌ دَامِغٌ عَلَى فَشَلِ المُوَاءمَاتِ السِّيَاسِيَّة"

المؤلف

التصويت السريّ هو مقياس مثالي لاختبار تماسك الائتلاف الحاكم والمعارضة. ميزة هذا التصويت أنه يسمح بالتحكم في الأرقام الكلية، لكن من المستحيل أن تعرف منه أصوات النواب. النواب يفضلون التصويت السرّي لأنه يتم في مكتب رئيس البرلمان القابع خلف قاعة المداولات. الدخول إلى المكتب يكون من ممر وحيد ضيق؛ لذلك على النواب أن يصطفُّوا فيه. يقفون في الصف بصورة عشوائية وبغض النظر عن انتماءاتهم الحزبية. والاصطفاف من أجل التصويت السري يعد فرصة طيبة لتبادل الحديث مع الزملاء، وكثيرًا ما تلتقي في الصف وقبل الاقتراع السري مع نائب زميل لم تلتقِ به من قبل في البرلمان. إذن فأهمية التصويت السري تكمن أيضًا في الجانب الاجتماعي له. تتعرف وأنت في الطابور على أحوال باقي أعضاء أسرة الزميل، ونوع المسحوق الذي يستخدمونه لمحاربة الفطريات.

يشترط في التصويت السريّ أن يُقِرَّه النواب، فلا يمكن أن يدعو أحدهم إلى التصويت السريّ وقتما شاء، حيث ينظم إجراءه قانون المداولات، ويجب أن يتم التصويت العلني على إجراء التصويت السريّ. فأثناء التصويت على إجراء تصويت سري يظهر كل نائب وجهه الحقيقي، ويصبح التصويت السري نفسه مجرد تأكيد لنتائج التصويت العلني على إجراء التصويت السري. ويمكن أن نتوقع من النواب الذين يصوتون على إجراء الاقتراع السريّ أنهم لن يصوتوا كما أمرهم رئيس الحزب.

من حسن الحظ أنهم لا يصوتون سريًّا على القوانين. فهم يصوتون سريًّا على تعيين الأفراد في الوظائف العليا بالدولة. وعندما يكون هناك مرشح واحد لمنصب واحد تكون الأمور أكثر سهولة، ويتغير الموقف عندما يختارون مثلاً أربعة أعضاء في مجلس أمناء

التليفزيـون السـلوفاكي، ويكـون عـدد المرشـحين أربعـة عشـر. فـي هـذه الحالـة يتحـول البرلمـان إلـى بورصـة، حيـث يدافـع كل نائـب عـن مرشـحه، ويسـعى للحصـول علـى أصـوات تؤيـده، لكنهـا فـي الواقـع مضيعـة للوقـت؛ لأن التصويـت السـريّ يمثـل الفرصـة الوحيـدة للاختيـار حسـب مـا يمليـه عليـه ضميـر كل نائـب. ويحـرص النـواب علـى الاسـتمتاع بلحظـة نـادرة كهـذه. يُعَدّ التصويـت السـري محفـلاً صغيـرًا يسـتمتع فيـه النـواب بحريتهـم، فالنائـب فـي النهايـة إنسـان، ويحتـاج أحيانًـا إلـى مـا يؤكـد لـه أن مـازال ضميـره يعمـل. تقـوم نـوادي النـواب، حيـث ثقتهـم فـي بعضهـم فـي أدنـى مسـتوياتها، بتعييـن عضـو يثقـون فيـه، ويتأكـدون منـه قبـل أن يلقـوا بأصواتهـم فـي الصنـدوق بأنهـم قـد اختـاروا الشـخص الصحيـح. هـذا بالطبـع تصـرف مهيـن، لكـن الاحتيـاط واجـب. المذهـل فـي موضـوع التصويـت السـريّ أن نتيجتـه تكـون صحيحـة حتـى لـو ضـرب النـواب بالاتفـاق عـرض الحائـط، وتعادلـت أصـوات المعارضـة مـع أصـوات نـواب الائتـلاف الحاكـم.

غالبًـا مـا يسـتمر التصويـت السـري إلـى مـا لانهايـة. القاعـدة الأساسـية للتصويـت السـريّ علـى اختيـار مرشـح مناسـب هـي أنـه يتكـرر إلـى أن يتـم اختيـار أحدهـم. المرشـح المناسـب هـو ذلـك الشـخص الأنسـب للدفـاع عـن مصالـح الحـزب الـذي أيـد ترشـيحه. أحيانًـا يختـارون عضـوًا فـي مجلـس أمنـاء التليفزيـون السـلوفاكي يكـون مـن بيـن الذيـن يعملـون فـي وظيفـة حـارس ليلـي منـذ ثلاثـة أعـوام، ولا يختـارون أسـتاذًا يتمتـع بخبـرة ثلاثيـن عامًـا كمخـرج، أو كاتـب سـيناريو، أو رئيـس تحريـر حاصـل علـى عـدة جوائـز دوليـة، ودرس الإعـلام فـي مدينـة بـراغ، أو فـي هارفـارد. كل هـذا لا يعـد دليـلاً علـى أن الحـارس الليلـي أفضـل منـه. لكـن هـذا الحـارس مـن الناحيـة السياسـية سـهل الانقيـاد، أمـا السـيد البروفيسـور فعليـه أن يعتمـد أكثـر علـى تكويـن لوبـي، وليـس فقـط علـى كونـه متخصصًـا.

التصويت "فائق السرية"

"السِرُّ الَّذِي يَعْرِفُه ثَلاثَةُ أَفْرَادٍ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَبْقَى سِرًّا مَا لَمْ يَمُتْ مِنْهُم اثْنَان"

بنيامين فرانكلين

يؤسفني أن أقول إن هذا النوع من التصويت لا يمكن أن أخبر عنه إلا شفويًّا. كل ما يمكنني قوله هو أن نتائج التصويت فائق السرية تظهر للرأي العام في صورة دخان أبيض يتصاعد من مدفأة مجلس النواب، ولو لم يظهر الدخان فهذا يعني أن التصويت لم يحدث.

نقطة نظام

"أَحْيَانًا يَسْتَغْرِقُ الأمْرُ نِصْفَ سَاعَةٍ حَتَّى أَفْهَمَ مَا أَرَدْتَ أَنْ تَقُولَه خِلَالَ دَقِيقَتيْنِ فِي نُقَطةِ نِظَام"

المؤلف

نقطة نظام هي من أشكال المداخلات القصيرة التي تستغرق دقيقتين على الأكثر، يرغب من خلالها النواب الرد على كلام المتحدث. من شروط نقطة النظام هي أن صاحب المداخلة يمكنه أن يُعلّق فقط على النائب الذي انتهى على الفور من حديثه. السبب في ذلك هو ألَّا ينسى النواب الشخص الذي يرغبون في التعليق على ما قاله. نقطة نظام لا تسمح بالتعقيب على نقطة نظام أخرى، فضلاً عن أنه لا يجوز أن تُعَقّب أكثر من مرة واحدة.

نظام المداولة في مجلس النواب السلوفاكي لا يسمح بالمناقشة. يُقَال إن هذا الأمر كان مسموحًا به من قبل، لكنهم ألغوه بسبب "چون كوبر"، صاحب فكرة نقطة النظام الذي لم يتمكنوا من إيقافه إلَّا بهذه الطريقة، وهي الاقتصار على مداخلة واحدة في إطار نقطة النظام. لقد قضيت مع "چون كوبر" في البرلمان عدة سنوات، وفي الواقع كان دائمًا ما يَظْهَر أحدُهم لكي يعلق ساخرًا من مداخلاته. عادة ما كان هو نفسه يفعل ذلك. كان في مقدوره أن يصل إلى مرحلة الضحك التلقائي. ويؤسفني أن "چون كوبر" لم يعد نائبًا في البرلمان، فقد كانت جودة مداخلاته تزداد مع الوقت.

"إنَّ سِرَّ أَيِّ مُتَحَدِّثٍ مُفَوَّهٍ هُو أنْ يَجْعَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَخْصًا غَبِيًّا مِثْلَ مُسْتَمِعِيهِ كَيْ يَعْتَقِدُوا أَنَّهُم أَذْكِيَاءُ مِثْلَه"

كراوس

الاستجواب هو وصف يطلقونه على الدقائق الخمس التي يطرح فيها النواب أسئلتهم على أعضاء الحكومة برئاسة رئيس الحكومة، وأيضًا على الخمس والخمسين دقيقة التي تُمنح لأعضاء الحكومة، وفي مقدمتهم رئيس الحكومة كي لا يجيبوا على الأسئلة. لا يجيبون على الأسئلة إلا عندما تروقهم. الأسئلة المقبولة هي تلك التي يطرحها نواب الحكومة على أعضائها. أما الأسئلة غير الإيجابية فهي تلك التي توجهها المعارضة. تُعدّ طريقة اختيار الأسئلة من أكثر الأعمال ديموقراطية في النظام البرلماني، حيث يتم ترتيب الأسئلة بشكل عشوائي. الدقائق الخمس عشرة الأولى من الاستجواب مُخصَّصة لرئيس الحكومة، وهو الوقت المتاح لطرح الأسئلة، وليس للرد عليها. وعندما لا يرغب رئيس الحكومة في سماع المزيد من الأسئلة يجيب على السؤال الأول لمدة ساعة كاملة، وبهذا ينتهي الأمر. يستمر الاستجواب لمدة ساعة واحدة فقط، على عكس برنامج التسلية الذي كان يُذاع في التليفزيون يومًا ما تحت عنوان (تحت المصباح) لمدة أطول. لا يمكن استجواب أعضاء الحكومة إلا يومًا واحدًا في الأسبوع، وهو يوم الخميس، وفي ساعة محددة، وهي الساعة الثانية ظهرًا. وقد اقترح نواب الائتلاف أن يكون وقت الاستجواب في يوم الاثنين كي لا يزعجوا أعضاء الحكومة بلا طائل؛ حيث إن مجلس النواب لا ينعقد يوم الاثنين، ولا يوم الثلاثاء قبل الظهيرة، ولا يوم الجمعة بعد الظهيرة، ولا ينعقد أيضًا بين الثانية عشرة والثانية ظهرًا، حيث تكون استراحة الغداء. لا يَعقد مجلس النواب جلساته في يناير، ولا إبريل، ولا يوليه، ولا أغسطس، ولا أكتوبر. ما عدا ذلك يمكن عمل استجواب لأعضاء الحكومة.

ينطوي مصطلح "ساعة الاستجواب" على نقيصتين في كلمة "ساعة" وكلمة "استجواب". لا يحدد نظام الجلسات إن كان عضو الحكومة مضطرًّا إلى الرد، أم يمكنه أن يقول ما

شاء، حتى لو كانت قصصًا خرافية من حكايات "آندرسون". يفضل الصحفيون أوقات الاستجواب للتندر بها؛ لأنهم يمنحون نائب المعارضة فرصة للتفوه بتعليقات ساخرة، أو نوادر، أو حتى عرض أفكار ما.

الحصانة البرلمانية

"لَا تَيْأَسْ! سَيَأْتِي يَوْمٌ تَتَمَكَّنُ فِيهِ مِنَ دُخُولِ البَرْلَمَان"

المؤلف لأحد مدمني الخمور النواب

الحصانـة تعنـي المناعـة. ولا أفهـم سـبب سـعي المواطنيـن مـن أجـل إلغـاء حصانـة النـواب البرلمانيـة، وكأن النـواب ليسـوا بشـرًا، لهـم الحـق فـي أن يتمتعـوا بالمناعـة. إن إيقـاع الحيـاة السـريع، والملـيء بضغـوط العمـل، كمـا أن نظـام الحيـاة السـيئ، ونقـص الحركـة، والتجمـد، كلهـا أمـور خارجيـة تتسـبب فـي ضعـف مناعـة الجسـم. وتبعـات ذلـك هـي الإصابـة بالرشـح، والبـرد، والحساسـية، وغيرهـا مـن الأمـراض التـي تتكـرر، وتسـتمر لفتـرة طويلـة. مـن يتحمـل مسـئولية أن يمـرض غالبيـة النـواب، فيصمـت البرلمـان ولا يكـون هنـاك مـن يُقِـرُّ القوانيـن الإيجابيـة للمواطنيـن؟ يبـدو أن المواطنيـن يفهمـون الحصانـة علـى أنهـا حمايـة للنائـب مـن أن يلقـي رجـال الشـرطة القبـض عليـه وهـو يقـود سـيارته مخمـورًا.

فـي ربيـع عـام 2006 قـام رجـال الشـرطة بحملـة تكـررت عـدة مـرات تحـت اسـم "الصقـر" موجهـة ضـد مـن يقـودون سـياراتهم تحـت تأثيـر الكحـول. وتوصلـوا إلـى أن 400 ممـن اختبروهـم يقـودون سـياراتهم تحـت تأثيـر المشـروبات الروحيـة، مـن بينهـم 150 نائبًـا فـي البرلمـان فقـط، ولـم تكـن غالبيـة السـكارى مـن نـواب البرلمـان. حتـى إن النائـب "جـان س" الـذي اسـتطاع أن يرتكـب حادثـة سـير فـي مدينـة "مـودرا" لـم يكـن مـن بينهـم. قـد يكـون الأمـر مزعجًـا لـو أن "جـان س" تعـرض لحادثـة سـيارة فـي قِبْلَـة النبيـذ السـلوفاكي وهـو فـي كامـل وعيـه.

مـن الطبيعـي أن يسـعى النـواب إلـى تحصيـن أنفسـهم طالمـا يفعـل المواطنـون نفـس الشـيء. إن الوسـيلة المثلـى لزيـادة المناعـة منتـج جديـد فـي علـم المناعـة وهـو -"إيمونـو جلـوكان"، إنـه يحتـوي علـى "جلوكـوزان د"، الـذي يعـد مضـادًّا حيويًّـا طبيعيًّـا يعمـل بصـورة مثاليـة مـع فيتاميـن سـي. إنـه يضمـن المناعـة للمواطنيـن والنـواب علـى حـد سـواء، لكنـه لا يضمـن المناعـة ضـد الجرائـم التـي يعاقـب عليهـا القانـون؛ لذلـك نجـد أن البرلمـان أحيانًـا يتأهـب لمنـع الحصانـة

البرلمانية عن أحد النواب بناء على طلب من النائب العام، وعادة ما يظهر نوع من التضامن الكبير وسط النواب عند التصويت على رفع الحصانة، عندما يكون النائب المتهم على استعداد أن يتخلى عن قواعد الأخلاق، بل وعن نفسه أيضًا.

في مايو عام 1995 ارتعدت فرائص السيد "جان لانجوش" (الرجل الذي قَتل نفسه في وقت لاحق، وجرح مواطنًا آخر، في الخامس عشر من يونيه عام 2006 أثناء حادثة سير) وهو يقف في مجلس النواب السلوفاكي خوفًا من أن يرفعوا عنه الحصانة البرلمانية بسبب حادثة كان سببًا فيها لتجاوزه السرعة المقررة في منطقة "خيمينيانسكا نوفا فاس"، لم يرفعوها عنه. لم يحمد ربه فقط على ما حدث، بل شكر أيضًا نواب حزب حركة سلوفاكيا الديموقراطية الذين كانوا بالمناسبة من ألد أعدائه. لكن ذلك لم يمنعه من أن يقول في اجتماع مجلس النواب السلوفاكي في الخامس عشر من فبراير 2001: "إن الحصانة البرلمانية يجب أن تحمي النائب من الملاحقة عن أي شيء يقوله تحت قبة البرلمان، لكن ليس من شأنها أن تحميه من الجرائم التي يرتكبها خارج البرلمان". أتوقع أن تلك الكلمات كانت السبب في رفع النقاب عن تمثال نصفي لهذه "الأيقونة الأخلاقية" في وسط مدينة براتسلافا.

رحلات النواب الخارجية

"عِنْدَمَا يَبْدَأ نُوَّابُ البَرْلَمَانِ فِي الهِجْرَةِ إِلَى الجَنُوبِ فِي شَهْرِ نُوفَمْبِر، فَعَلَيْنَا أَنْ نَتوقَّعَ شِتَاءً طَوِيلًا فِي البَرْلَمَان"

مؤلف مجهول

غالبًا ما تكون رحلات العمل التي يقوم بها النواب محل اهتمام الإعلام. السبب الرئيسي في ذلك هو الطبيعة البشرية الحسود للصحفيين الذين لا يمكنهم السفر بنفس المعدل الذي يسافر به النواب. من سمات بعض الصحفيين أنهم يحسدونهم حتى عندما يكونون معهم في رحلة العمل ذاتها.

تنقسم الرحلات الخارجية للنواب إلى مجموعتين: رحلات ذات معنى، وأخرى عبثية. الرحلات ذات المعنى هي تلك التي تهم الوطن وليس النائب. أما الرحلات العبثية فهي الرحلات التي يقوم بها نواب بصفتهم أعضاء في وفود في الاجتماعات البرلمانية للمجلس الأوروبي، والناتو، واتحاد أوربا الغربية. من أهم شروط رحلات النواب الخارجية، هامة كانت أو عبثية، الإلمام الجيد باللغة الإنجليزية على الأقل. كثير من النواب يصاب بالإحباط الشديد عندما لا يستطيع أن يتحدث في باريس أو لندن باللغة السلوفاكية، نفس الحال بالنسبة للغة التشيكية، فرغم أنها تعد لغة أجنبية، لكنك لا يمكن أن تتعامل بها في باريس أو لندن أو برلين، ولا حتى في بودابست.

لقد أطلقت بعض وسائل الإعلام على مجلس النواب السلوفاكي أنه أكبر مكتب سفريات في سلوفاكيا. وهذا الكلام حقيقي إلى حد ما طالما سافر النواب معه في رحلاتهم الحمقاء. لكنني لا أتفق مع هذا الكلام بصفة عامة؛ لأن – مثلاً- شراء طوابع بريد خاصة، وإحضار الأسماك النرويجية المثلجة لأعياد الميلاد، أو تحقيق حلم أحد الشباب، وزيارة ديزني لاند ليست أمورًا حمقاء. أعرف عمَّ أتحدث، فقد كنت من أكبر الرحالة النواب في البرلمان السلوفاكي في الفترة الانتخابية الثالثة. على الأقل تقدمت الصفوف في شيء ما.

ولكـي أكـون دقيقًـا، يمكننـي أن أسـمي الاتحـاد البرلمانـي بأنـه أكبـر شـركة سـياحة دوليـة، فهـو مؤسسـة تجمـع بيـن البرلمانـات، ومـن خلالهـا يتعـرف نـواب كل الـدول الأعضـاء علـى أفضـل معالـم الـدول التـي لديهـا برلمانـات، وهـي فـي الواقـع معظـم الـدول؛ لذلـك يجـدون دائمًـا شـيئًا يرونـه. وكـي لا أكـون مبالغًـا يجـب أن أذكـر أن صفـات الجديـة والعبثيـة فيمـا يتعلـق بالرحـلات الخارجيـة تنطبـق أيضًـا علـى أعضـاء الحكومـة، وموظفـي الدولـة، والقيـادات المحليـة وغيرهـم.

إن الرحـلات الخارجيـة تعـد فرصـة يتعـرف مـن خلالهـا النـواب علـى بعضهـم البعـض بصـورة أفضـل، يتحدثـون خلالهـا عـن أسـرهم وهواياتهـم، يتبادلـون عبـارات التعاطـف فـي رحـلات العمـل، ويقدحـون فـي رؤسـائهم، ويتعاهـدون بـألّا يخـرج حديثهـم ذلـك علـى المـلأ. ذلـك العهـد ينقضـي مـع الوقـت، عندمـا يبـدءون فـي الإفصـاح عـن آراء زملائهـم فـي وسـائل الإعـلام.

بوفيه البرلمان

"عَفْوًا! لَمْ أَفْهَم سُؤالَكَ. مَنَعَنِي مِنْ ذَلِك فَمُكَ الكَبِيرُ الَّذِي يُشْبِهُ فَمَ بَقَرَةٍ تَلُوكُ الطَّعَام".

ميلينج

إنَّ بوفيه البرلمان من الأماكن المفضلة لدى النواب والعاملين في مجلس النواب، ولدى الصحفيين أيضًا. يترددون عليه لتناول القهوة الرخيصة، والسَّلطات، وأنواع الحساء. وبعدها تنتقد وسائل الإعلام الأسعارَ المتدنية للقهوة والسلاطة والحساء في بوفيه البرلمان. حتى البيرة في بوفيه البرلمان أرخص من أقرب بار، المشكلة تكمن في أن بيرة البرلمان صعبة المنال؛ لأن الصحفيين يشربونها بينما النواب في القاعة يحضرون الجلسة. يحب الصحفيون البيرة البرلمانية، ليس فقط لأنها رخيصة الثمن، وإنما أيضًا لأنها مادة إعلامية جيدة. فالحصول على مادة إعلامية يعد من أكبر المشاكل التي تواجه الصحفيين؛ لذلك فالبيرة والقهوة تقدم لهم الحل. أحيانًا يكتب الصحفيون عن القهوة الرخيصة في بوفيه البرلمان أكثر من السياسة، فكلٌّ يكتب فيها يفهم فيه.

بوفيه البرلمان هو أيضًا مكان يتعرف فيه النواب على مَنْ يجالس مَنْ، فنائب الحكومة مشكوك في أمره لو تناول حساء الفاصوليا مع زملاء له في البرلمان من المعارضة، ويقهقه وهو يتحدث معهم.

إن وجود النواب في بوفيه البرلمان يمكن أن يكون أمرًا له مخاطره على المجتمع، ففي نهاية عام 2002 اجتمعنا في البرلمان من أجل إقرار مشروع قانون قدمته المعارضة بشأن الإعانة الاجتماعية، شعرنا بالجوع أثناء مناقشة القانون، فطلبنا دعمًا من البوفيه، طلبنا حساء كوارع طازجًا، وغالبًا ما يكون حساء الكوارع ساخنًا. إن النائب الذي يحتسي شوربة الكوارع الساخنة يعيش لحظة صعبة؛ لأنه يتوقع في كل لحظة أن يدق الناقوس الذي يدعوهم للتصويت، وقانون الصدفة في بوفيه البرلمان يقول: "يدق الناقوس في اللحظة التي يحملون لكَ فيها الحساء الساخن"، وهذا ما حدث معي. وقتها لم يَبْقَ على

التصويـت سـوى حوالـي عشـرين ثانيـة، وبنـاء علـى خبرتـي السـابقة، كنـت أعـرف أن الصعـود إلـى الطابـق الثانـي مـن أجـل الوصـول إلـى قاعـة التصويـت يسـتغرق مـن نائـب مثلـي عشـر ثـوانٍ، لكنـي لـم أنتبـه فـي تلـك اللحظـة أننـي لـم أمـارس التماريـن الرياضيـة منـذ وقـت طويـل، كمـا أن الشـوربة كانـت سـاخنة علـى غيـر المعتـاد. هرولـت لأدلـي بصوتـي. كان عـدد الأصـوات فـوق اللوحـة سـتة وسـبعين صوتًـا، وهـو العـدد الـذي احتاجـه الائتـلاف، فعُـدْتُ بهـدوء إلـى البوفيـه لأرتشـف مـا تبقـى مـن الحسـاء. وهنـا انقـضَّ علـيَّ الصحفيـون وسـألوني لمـاذا لـم أُدْلِ بصوتـي. كان واضحًـا أن ثانيـة واحـدة حالـت دون إدلائـي بصوتـي. لحسـن الحـظ أخطـأ زميـل لـي فـي المعارضـة ليعـوض الخطـأ الـذي ارتكبتـه بعـدم التصويـت، وأنقـذ بذلـك اثنيـن ونصـف مليـار مـن ميزانيـة الدولـة. أنصـح قيـادة البرلمـان الجديـدة بـأن تتجنـب هـذه المخاطـر فـي المسـتقبل، وتقـدم شـوربة الكـوارع مـع قطعـة خبـر وزجاجـة بيـرة فـي قاعـة البرلمـان مباشـرة.

استراحات الحكومة وتدبير المؤامرات

"الغَايَةُ تُبَرِّرُ الوَسِيلَةَ وتُطَهِّرُهَا. والاسْتِرَاحَاتُ الحُكومِيَّةُ تُطَهِّرُ مَنْ لَا يَتَرَدَّدُ عَلَيْهَا"

المؤلف

مجلس النواب لديه مكان للاستجمام، إنه مجمع فنادق للاستجمام في منطقة "تشاستي بيابيرنيتشكا"[11]. يعرفه العامة بهذا الاسم منذ أن أطلق "يارو فيليب" على المنطقة التي يوجد فيها المجمع اسم "زريدكافا بيابيرنيتشكا". لقد كنت شاهدًا على تلك اللحظة التاريخية شخصيًّا. كان ذلك في خريف عام 1994، عندما نظمت شركة التبغ السلوفاكية في هذا المكان حفلة كبيرة، أمتعنا وأمتع كل من شارك في الحفل السيد "فيليب" الشهير، وأيضًا "نوجا"، و"سكروتساني"، و"بيشكوا"، و"راديتش". شربنا معًا، وقرعنا النواب الذين يلهون في المقر من أموالنا. بعدها بثماني أعوام، وبعد أن صرتُ أنا نفسي أحد زوار مقر الاستجمام، توقفت عن سبِّ النواب.

مقر المجلس يتكون من غرف فندقية، وصالة طعام، وبار، وبار ثانٍ، وبار ثالث، وحمام سباحة خارجي، وحمام سباحة داخليّ، وحمام سباحة للأطفال، وملعب لكرة الطائرة، وملعب لكرة القدم، وملعبين للتنس، وصالة بولينج، وتنس طاولة، ودراجات، وساونا، وجاكوزي، وشطرنج، وصالة سينما، وغرفة تبديل الملابس، وغيرها من أغراض الاستجمام. لا يجب أن ننسى أفضل الأماكن للاستجمام: الحمامات. تحقق أماكن الاستجمام كثيرًا من الأهداف، ففضلاً عن مختلف وسائل النقاهة التي تقدمها لمؤسسات أخرى، فهي توفر سبل الاسترخاء لموظفي مجلس النواب، والنواب غير المقتدرين. أحاط صحفيو الصحف الصفراء مقرات الاستجمام في "بيابيرنيتشكا" بالكثير من القصص الخرافية حول الأسعار المتدنية، واستغلال نواب البرلمان لهذا المكان بطريقة فاضحة، وكنت واحدًا من نسبة الواحد في المئة أو أقل، وهي نسبة النواب الذين ترددوا على المكان.

(11) الاسم يعني مكان تتردد عليه كثيرًا، والاسم الآخر للمكان يعني العكس (المترجم).

وفضـلاً عـن وظيفـة المـكان الترفيهيـة، فهنـاك وظيفـة أخـرى وهـي تدبيـر المؤامـرات، حيـث يلتقـي فيـه رؤسـاء الأحـزاب السياسـية بعيـدًا عـن أعيـن الصحفييـن والـرأي العـام. سـبك المؤامـرات فـي المقـر الترفيهـي يتـم بطريقـة لذيـذة، لأن قـادة الأحـزاب عندمـا يجتمعـون يبقـى مفتوحًـا حتـى ينصـرف آخـر واحـد منهـم، وليـس شـرطًا أن ينصـرف آخـر رئيـس حـزب بعـد الآخريـن مباشـرة. وينطبـق هـذا الأمـر حتـى عندمـا يحملونـه مـن البـار. يحـاك كثيـر مـن مؤامـرات مجلـس النـواب فـي مقـر "بيابيرنيتشـكا" علـى نحـو أسـرع مـن أي مـكان آخـر. السـبب بسـيط، لـو عنَّـت لـكَ فكـرة مـا جهنميـة، فعليـك أن تطهوهـا علـى الفـور قبـل أن تبـدل رأيـك وأنـت تدعـو الآخريـن إلـى المقـر. ربمـا كان مـن الأفضـل إطـلاق اسـم آخـر علـى مقـر الاسـتجمام وهـو: "مجلـس النـواب السـلوفاكي- مقـر الاسـتجمام". وقتهـا سـيعرف الجميـع أن مجلـس النـواب السـلوفاكي يفعـل شـيئًا يسـتحق عليـه هـذا.

الفصل السادس

الإعلام والرأي العام

السياسي والإعلام

"الإِعْلَامُ هُوَ مَكَانٌ للثَرْثَرَةِ المُنَظَّمَة"

إيجلستون

(اللغة التشيكية تستخدم كلمة "مَكْلَمَة" التي لا يمكن ترجمتها إلى اللغة السلوفاكية).

إن ما يجمع السياسيين بالإعلام أكثر مما يفرقهم، رغم ما يبدو على السطح من أن كلًّا منهم لا يحب الآخر. من أكثر ما يجمع السياسيين والإعلام هو أنكَ لا تصدق أيًّا منهم. وتعرف وسائل الإعلام وكذلك السياسيون أن الناس سوف يستمعون إليهم رغم أنهم لا يصدقونهم. إن الناس لا تتعلم من أخطائها؛ لذلك ينجح الإعلام والسياسيون.

الصحفيون يتمتعون بميزة على عكس السياسيين. فالسياسيون لا يكتبون عن الإعلاميين، رغم أنهم يعرفون الكثير عن كثير منهم. وعلى خلاف السياسيين نجد أن الإعلاميين لا يعيشون من أموال دافعي الضرائب، ولا يوزعونها بينهم مثلهم. ولا يملك السياسيون حيلة في ردٍّ ما يكتبه عنهم الصحفيون. بالأحرى يملكون لكني لا أنصحهم بالدفاع عن أنفسهم.

السياسيون يتجنبون الإعلاميين، يشترون الحلوى للصحفيات تزلفًا، ويحكون لهن النكات، ويهدونهن كتبهم قصرًا. السياسيون يعرفون أنهم لو استنهضوا في الصحفيين تعاطفهم معهم فهناك احتمال كبير أن يكتبوا عنهم بطريقة إيجابية. غالبًا ما يحدث هذا الأمر، باستثناء الحالات التي يكون فيها السياسي ممن لا يفضلهم رئيس رجل الإعلام. عندها يكتب الصحفي عن السياسي بطريقة لا تعجبه حتى إن كان من المتعاطفين معه، لأن من يدفع له راتبه ليس السياسي، بل رئيس التحرير الذي يعمل لديه، أو على وجه الدقة صاحب الآلة الإعلامية. إن الكتابة عن السياسي بصورة إيجابية مهمة له، لأنه يسعى إلى نيل إعجاب المواطنين. أما الكتابة عنه بطريقة سلبية فهي مهمة بالنسبة للصحفي؛ لأنه يسعى إلى نيل رضاء رئيس التحرير أو مالك الوسيلة الإعلامية. يُكوِّن المواطنون رأيهم في رجل السياسة من خلال وسائل الإعلام، ولا توجد وسلة أخرى غيرها. مشكلة السياسي هي أنه

كلما أرضى المواطنين أغضب رئيسه.

ففـي واقـع الأمـر لا يعنيـه إن كانـت الصحافـة تكتـب عنـه سـلبيًّا أم إيجابيًّـا. المهـم أنهـا تكتـب وتتحـدث ويظهـر فـي الإعـلام. السياسـي الـذي لا يظهـر فـي وسـائل الإعـلام لا يعتبـر علـى قيـد الحيـاة. مـن أكثـر المواقـف المحبطـة فـي حيـاة السياسـي هـي عندمـا يقـف عنـد بوابـة إحـدى المؤسسـات فيتفحصـه موظـف الاسـتقبال قائـلاً: اسـمك ولقبـك!

لا يمكـن أن يبـاري رجـل السياسـة وسـائل الإعـلام أو يفـوز عليهـا. ربمـا يحقـق بعـض النصـر القريـب عندمـا يفـوز فـي نـزاع قضائـي خاصـم فيـه إحـدى الصحـف الصفـراء التـي أكـدت أنـه يمتلـك عقليـن. لـو فـاز فـي نـزاع كهـذا، وأثبـت أنـه لا يملـك عقليـن، يكـون انتصـارًا باهـظ الثمـن، فرغـم أنـه سـيحصل علـى تعويـض، لكـن الصحيفـة الصفـراء سـتطارده إلـى أن يكـف عـن "العويـل". الإعـلام لا يخاصـم إلا مـن ينتحـر سياسـيًّا.

يوجـد بيـن الصحفييـن نـوع مـن التضامـن رغـم أنهـم يتنافسـون فيمـا بينهـم. أمـا بيـن السياسـيين حتـى وإن كانـوا مـن نفـس الحـزب فـلا يوجـد سـوى المزاحمـة. يحـدث أحيانًـا أن يفقـد رجـل السياسـة أعصابـه ويسـب أحـد الصحفييـن. فـي هـذه اللحظـة تتحـد ضده كل وسـائل الإعـلام "وإن اختلفـت" ويقتصُّـون منـه. أكثـر مـا يفعلـه زمـلاؤه هـو أن يشـعروا نحـوه بالأسـف، لكنهـم فـي أعماقهـم يحمـدون اللـه أن علـى هـذا لـم يحـدث معهـم، ومنهـم مـن يهنئـون الصحفـيّ علـى مـا فعلـه بزميلهـم، بـل وأكثـر مـن مـرة يبـادرون هـم أنفسـهم بملاحقـة زميلهـم. مثـل هـؤلاء السياسـيين يعـد مصـدرًا أساسـيًّا للصحفييـن لأخبـار مـا خلـف الكواليـس.

إن الجمـع بيـن السياسـي النفعـي المخضـرم والصحفـيّ النفعـي مفيـد لـكلا الجانبيـن، فلـو حصـل السياسـي علـى منصـب بمسـاعدة الإعـلام فغالبًـا مـا يعيـن هـذا الصحفـيّ متحدّثًـا باسـمه. شـرط هـذا التعـاون الناجـح هـو أن يقبـل الصحفـي بالسياسـة النفعيـة علـى أنهـا أمـر بديهـيّ.

إن المحـرر الصحفـي شـخص غيـر مؤهـل فـي عملـه، وهـو هنـا يشـبه رجـل السياسـة. أمـا رئيـس التحريـر فهـو أكثـر أهليـة مـن الصحفـي، وأكثرهـم مهنيـة هـو رئيـس مجلـس الإدارة، وأكثرهـم مهنيـة علـى الإطـلاق صاحـب الوسـيلة الإعلاميـة. ويعتبـر نصـرًا كبيـرًا عندمـا يتـرك رئيـس التحريـر مقالـة المحـرر بـدون تعديـل فـي صالـة التحريـر. يمكـن أن يُجـنّ المحـرر مـن السـعادة عندمـا لا يغيـر رئيـس التحريـر فـي عنـوان المقـال. يتـرك رئيـس التحريـر مقالـة المحـرر فـي نصهـا الأصلـيّ وبعنوانهـا الأصلـي عندمـا يمليهـا هـو بنفسـه عليـه، وهـذه خطـوة محمـودة مـن

قِبَل رئيس التحرير. ليس من المفضل أن يشارك رئيس التحرير بنفسه في الانتقاص من حق رجل السياسة. لا يفعل رئيس التحرير أمرًا كهذا إلا عندما يُوَقِّع الصحفي باسمه على المقالة التي وصلت إلى رئيس التحرير من رئيس مجلس الإدارة مباشرة. يعرف رؤساء مجلس الإدارة، شأنهم شأن رؤساء التحرير، أن الصحف والمجلات تباع حسب عناوينها حتى وإن كانت غير حقيقية. هذا العمل لا يعجب بعض الصحفيين الذي يتمتعون ببقايا احترام لأنفسهم؛ لذلك أنصح الشرفاء بألّا يعملوا في الصحافة، وإن فعلوا فسينطبق عليهم ما ينطبق على السياسيين.

من أكثر البرامج التليفزيونية التي يفضلها رجال السياسة، تلك التي يظهرون فيها. من أكثر الأنشطة إثارة عند رجل السياسة، البحث في الأخبار وهو يتابع نفسه على شاشة التليفزيون علّه يسمع فيها خبرًا يتحدث عنه. ولا يهم إن كانت أخبارًا تليفزيونية، أو إذاعية، أو حتى مكتوبة. والمكتوبة منها مفضلة لديه؛ لأنه يجتزُّ صورته ويديم النظر فيها. إن السياسي مستعد أن يكون أضحوكة (حتى لو تجاوز الأمر حد المعقول) مقابل أن ينال شعبية. إنه على استعداد لأن يجعل من نفسه إنسانًا أحمق، ومهرجًا، ولأن يتشقلب على رأسه، وأن ينتف ريش الدجاج أمام الكاميرا، وأن يقرأ الفنجان حتى الزجاجي منه، وأن يساعد الفقراء، وأن يلعب كرة القدم، ويتردد على دور رعاية المسنين، ويرقص، ويغني، ويطهو الطعام، رغم أنه لم يَرَ موقد الطعام عن قرب من قبل. إنه مستعد أن يمثل مشهدًا وهو يرقد في ماء مثلج، وكأن صحفيّ الجريدة الصفراء قد رآه صدفة، رغم أنه قد اتفق معه على ذلك مسبقًا. الصحفيون والمصورون يحبون هذه الأمور؛ لأنه من الصعب جدًّا أن تختار موضوعًا كل يوم يساعد في ترويج الصحيفة، لذلك لا تصدق أن هناك عداوة بين الصحفيين ورجال السياسة.

"إِنَّ التليفزيون وَسِيلَةٌ تُمَكِّنُ البَشَرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَفْعَلونَهُ أَنْ يُتَابِعوا أُنَاسًا لَا يَرْغَبُونَ فِي العَمَل"

وودي آلان

الإعلام يحدد توجهات الرأي العام، ويحدد أيضًا توجهات السياسيين. يعمل النظام بالطريقة التالية: السياسي يكذب على الصحفيّ، والصحفيّ يكتب ما يقول. وبما أن رجل السياسة هو في الوقت نفسه مواطن، فهو يصدق ما يقول. وعندما يصدق ما يقول، يعلق عليه، والصحفيّ يكتب، فيقرأ القارئ ورجل السياسة مرة أخرى. وهكذا تدور الدائرة، وتتوه الحقيقة.

تظهر علاقة المواطنين بالإعلام في دعوة المواطنين إلى أن يتمتع الإعلام بأقصى درجات الحرية، وهو ما يؤدي إلى توفير فرص أكبر لخداع المواطنين. تقدم منظمة "صحفيون بلا حدود" الدولية على سبيل المثال أكثر من تقرير سنويًّا عن حرية الصحافة في مختلف دول العالم. لكن أحدًا لا يقدم تقريرًا واحدًا حول الحد من حرية المواطن تحت تأثير حرية الصحافة المطلقة. جاءت في ذيل القائمة دول لا تتمتع فيها الصحافة بأي نوع من الحرية، وفي رأس القائمة دول تخطت فيها حرية الصحافة كل الحدود. حرية الصحافة المطلقة تعني للإعلاميين كتابة وإذاعة ما يريدون بدون رقابة. إن الحرية المبالغ فيها تعطي وسائل الإعلام فرصة استغفال المواطنين إلى أقصى درجة. أنا لست متأكدًا من أن احتلال سلوفاكيا المكانة الثامنة بين أكثر دول العالم التي تتمتع بحرية الصحافة يعد خبرًا جيدًا. جاءت جمهورية التشيك في المرتبة العشرين، والولايات المتحدة في المرتبة الثلاثين. لا أعتقد أن المواطنين في تلك الدول يتمتعون بحياة أسوأ وأقل حرية من مواطني دولتنا. القاعدة تقول إن المبالغة في الحريات ضارة؛ لهذا السبب لقي حصان المُزارِع "أيسوب" مصرعه، عندما حزن على حصانه لأنه مقيد طوال اليوم بأحد الأوتاد، ففك قيده، وانطلق الحصان يجري من السعادة، فسقط في إحدى الحفر ولقي حتفه، فقال ذلك الفلاح بحزن: "لو أنني أعطيته

حرية أقل لكان معي الآن".

من الأوقات المهمة بالنسبة للإعلام، فترة ما قبل الانتخابات. إنها، وكما يقال، فترة النشوة الإعلامية الكبرى. أبرز ما فيها هو أن كل الوسائل الإعلامية تؤيد كل الأحزاب. قبل انتخابات عام 2006 أمطرت إحدى أكبر الصحف اليومية انتشارًا الرأي العام بالمدفعية الثقيلة عندما اتخذت موقفًا متأرجحًا من حزب "سمار". فمن ناحية هاجمت بشكل متواصل "روبرت فيتسو"، وأثنت من ناحية بشكل متواصل على "روبرت" آخر، وهو "روبرت كايناك". وهو لا يفقه شيئًا! وعبَّر التليفزيون السلوفاكي عن تعاطفه مع حزب الحركة المسيحية الديموقراطية، وخاصة في برنامج "تحت المصباح". ولم تُخْفِ إدارة التليفزيون السلوفاكي تعاطفها مع حزب حركة سلوفاكيا الديموقراطية؛ لأن إدارة التليفزيون كانوا من أعضاء ذلك الحزب.

بغضِّ النظر عن وقت الانتخابات أو ما بعد الانتخابات، لكل آلة إعلامية أصدقاؤها وأعداؤها. وقد أعرب رئيس تحرير الصحيفة الأكثر انتشارًا، عن عدائه لحزب الاتحاد المسيحي الديموقراطي السلوفاكي صراحة، وذلك في المرحلة الانتخابية الثالثة. كما عبرت نفس الصحيفة عن حبها لحزب المحافظين الوطني. ولو انطلقنا من النسبة المئوية للأصوات، والمساحة التي حصل عليها في تلك الجريدة اليومية، نجد أن حزب الاتحاد المسيحي الديموقراطي السلوفاكي قد حصل على أصوات أعلى من حزب المحافظين 70,38 مرة.

ما يطلق عليهم الصحفيون المستقلون هم أفضل حظًّا في أوقات الانتخابات. الجميع يسعى لكسب ودهم، يهرولون وراء كل صحفي يعمل في جريدة أسبوعية بعينها وتحقق سمعة طيبة بين القراء. تكثر في تلك الصحيفة في أوقات الانتخابات عبارات مثل: "يُقَال"، "من مصدر موثوق به"، "كما يقال"، عَلِمْنا"، الخ. وكثيرًا ما تضع هذه الوسائل الإعلامية علامة استفهام بعد كل خبر تنقله. إنها حيل تعد بمثابة أساس لتهرب وسائل الإعلام من الملاحقة القانونية. أما لو ظهر على الصفحة الأولى عنوان كبير يقول: "السياسي نوفاك لِص؟" فهذا يعني أن وسيلة الإعلام تتساءل فقط. لكن المواطن لا ينتبه إلى علامة الاستفهام. ويصبح نوفاك بالنسبة له لصًّا، وتتضاءل بقوة فرصته في الفوز في الانتخابات.

الوسيلة الأكيدة التي تصونك سليمًا معافًى في فترة الانتخابات هي الامتناع عن شراء الجرائد، وفصل الكهرباء كي لا تزعجك الصحافة الإليكترونية، وبالتأكيد لن يفوتك شيء.

الصحفيون والدُّمَى المطَّاطية

"لَوْ كُنْتُ مِنْ صُنَّاعِ اللُّحوُمِ المُدَخَّنَةِ لَمَا اسْتَحَقَّتْ جَرِيدَتُكُمْ أَنْ أَلُفَّ فِيَها بِضَاعَتِي"

المؤلف

تزخر سلوفاكيا بالعديد من الصحفيين المعتبرين، أصحاب الكلمة، الباحثين عن الحقيقة، لكن للأسف لا حاجة لصحفي باحث عن الحقيقة في زمن الإعلام الاستهلاكي المتوحش؛ لذلك فالصحفيون الجادون لا مكان لهم إلا على الهامش. أما في المركز فلا يوجد سوى صحفيين من أنصاف المتعلمين، الذين لا يجيدون كتابة نص لغوي صحيح. إنه أمر يدعو للأسف على المواطنين والصحفيين المحترمين، لكن عزاء هؤلاء الصحفيين أن حال السياسة لا يختلف كثيرًا.

الصحفي الأول في كل هيئة تحرير هو رئيس التحرير، إنه صاحب الوسيلة الإعلامية المسئول عن استعادة الأموال التي تُنْفَق على الصحيفة في صورة مكاسب؛ لذلك فهو يسعى إلى أن تبيع الصحيفة أكبر عدد من النسخ، وتجذب أنظار أصحاب الإعلانات. يقرأ الناس الجرائد عندما تتحدث عن الآخرين بصورة سلبية، كي يتأكدوا من أنهم ليسوا الوحيدين الشريرين. رئيس التحرير هو الشخص المسئول عن فرز الأخبار الجيدة والأخبار السيئة، ويحرص على أن تكون الأخبار السيئة أكثر من الجيدة. ولو حدث وكانت نسبة الأخبار الطيبة أكثر لأعطى هذا انطباعًا بأن أمور الدولة تسير بصورة جيدة، وهذا أسوأ ما يمكن أن تواجهه الصحيفة. فلو انتظمت أمور البلاد في مكان ما، واستقامت، لعجزت الصحافة عن جذب الأنظار إليها. فلو ندرت الفضائح فإن رئيس التحرير يصدر الأوامر بتلفيقها. بعض رؤساء التحرير يبدءون اجتماعاتهم بهذا السؤال: "ماذا لدينا من مصائب اليوم؟". الصحفي الذي لا يقدم سوى أخبار جادة وتحليلات يصير مع الوقت منبوذًا في هيئة التحرير، ولو كان يعول أسرة فإنه ينصاع لأوامر رئيس التحرير، كما أن رئيس التحرير بدوره يأتمر بأوامر مالك الصحيفة.

فـي الوقـت الـذي كانـت فيـه وسـائل الإعـلام لا تخـدم إلا أيديولوجيـة حـزب واحـد فـي زمـن الشـيوعية، ظهـرت بعدهـا وسـائل إعـلام مختلفـة فـي النظـام الديموقراطـي هدفهـا التربـح بالدرجـة الأولـى لصالـح مالـك الوسـيلة الإعلاميـة، ثـم يأتـي الإعـلام فـي الدرجـة الثانيـة. نحـن فـي السياسـة ننتقـد هـؤلاء الشـعبويين لأنهـم لا يقولـون إلَّا مـا يريـد النـاس سـماعه، وهـو نفـس الحـال فـي الإعلام، غيـر أنـه لا يوجـد مـن ينتقدهـم، وهـم لـن يفعلـوا هـذا بأنفسـهم. وسـائل الإعـلام فـي سـلوفاكيا لا تنفـكُّ تنـوح بـأن سـلوفاكيا خلـت مـن الشـخصيات السياسـية التـي تسـتحق أن يوجهـوا إليهـا الانتقـادات. إن الشـخصية الإعلاميـة المحترمـة فـي الواقـع نـادرة مثـل نـدرة الشـخصية السياسـية. يمكننـا أن نعثـر علـى شـخصيات، لكنهـا شـخصيات مصابـة "بعقـدة النقـص"، فقـد كان العديـد منهـم فـي زمـن الشـيوعية يقـدم فـروض الـولاء والطاعـة للشـيوعيين، واليـوم أصيبـوا بتأنيـب الضميـر علـى مـا فعلـوه، كمـا أنهـم فقـدوا الرغبـة فـي الصـراع مـع جيـل الصحفييـن الجـدد الـذي يعانـي كثيـر مـن ممثليـه مشـاكل مـع قواعـد اللغـة السـلوفاكية، وأسـلوب الكتابـة الصحفيـة، فضـلاً عـن عُقَدِهـم الشـخصية. إن الصحفـي الـذي يعانـي مـن عُقَـد شـخصية يختلـف عـن غيـره مـن الصحفييـن بأنـه لا يمتلـك وجهـة نظـر، فهـو يتبنـى رأي محـرر العـدد، أو رئيـس القسـم، أو رئيـس التحريـر. صحفـيّ كهـذا نسـميه الصحفـيّ المطّـاط. والمطّـاط مـادة يمكنـك أن تشـكلها، وتضغطهـا، وتعتصرهـا، وتشـوه مـن شـكلها، وتلقـي بهـا فـي الطيـن، وتدحرجهـا فـي الوحـل، وتدفعهـا علـى الحائـط كمـا تريـد؛ لأنهـا فـي النهايـة سـتعود إلـى هيئتهـا الأولـى. إن الصحفـيّ المطّـاط رغـم رائحتـه الكريهـة يعـد بالنسـبة لملـك الوسـيلة الإعلاميـة أهـم مـن الصحفـيّ الجـاد، فالصحيفـة لا تحقـق نسـب توزيـع مرتفعـة نتيجـة أعمـال الصحفـيّ الجـاد، ويمثِّـل مثـل هـذا الصحفـي عبئًـا علـى مالـك الصحيفـة، ويشـعر أن وجـوده فـي هيئـة التحريـر غيـر مرغـوب فيـه. مـن ذا الـذي يهتـم بالمقـالات الجـادة، أو الأعمـدة الصحفيـة، أو المعلومـات الحقيقيـة؟ يجـب أن تكـون المعلومـات جذابـة فـي المقـام الأول. إن النـاس العادييـن يسـعدون بكلمـات رئيـس الحكومـة عندمـا يقـول: "تمكنـت الحكومـة لأول مـرة فـي تاريـخ الجمهوريـة السـلوفاكية مـن الاحتفـاظ بقيمـة الكـرون أمـام اليـورو تحـت خـط الثلاثيـن كـرون". إن رئيـس التحريـر المطاطـي، أو الصحفـي المطاطـيّ قـد يتحمـس لنشـر مثـل هـذا التصريـح لـو أنـه كان آخـر مـا قالـه رئيـس الـوزراء بعـد سـقوطه قتيـلاً مـن علـى قمـة جبـل "لومنيتسـكي". وحتـى لـو حـدث، أشـك شـخصيًّا فـي أن يكتـب الصحفـيّ المطاطـيّ عـن الأمـر. لذلـك أنصـح رئيـس الـوزراء الـذي يحـرص علـى أن تصـل مثـل هـذه الأخبـار إلـى الصحـف أن يُرجِـئ هـذا الإعـلان إلـى مـا بعـد وفاتـه، وأن يرفـع رأسـه مـن التابـوت أثنـاء الجنـازة ويعلـن الخبـر ثـم يتركهـم يدفنـوه. عندهـا قـد

تنشر الصحيفة الخبر.

اتصل بي أحد الصحفيين المطاطيين المبتدئين بتاريخ 2004/9/1 بعد الظهيرة، وأخبرني بأنه سيأتي ليطرح عليَّ بعض الأسئلة المتعلقة بالدستور السلوفاكي، الذي كنا نحتفل يومها بمرور اثني عشر عامًا على إقراره. وحيث إنني لست بالغباء الذي كان عليه ذلك الصحفي المطاطيّ المبتدئ، فقد توقعتُ الأسئلة التي سيوجهها، وأعددت نفسي لها. سألني عندما جاء: "ما عدد مواد الدستور؟ جاءت إجابتي صحيحة. "ما عدد أبواب الدستور؟ جاءت إجابتي صحيحة. "ما هو محتوى مقدمة الدستور؟". تلوت عليه المقدمة. تندَّى وجه الصحفيّ المطاطيّ عرقًا من شدة انفعاله، وأخبرني أني أول من أجابه على الأسئلة مِن بين مَن سألهم، ثم طرح سؤاله الأخير: "ما هي الرموز الرسمية في الدولة؟ كنت أعرف الإجابة بكل تفاصيلها، لكن بعد أن أخبرني أن زملائي لم يعرفوا الإجابة إلا قليل منهم، فقلت له كي لا أبدو كشخص وُصوليّ: علم الدولة، النشيد الوطني، الصليب المزدوج، والرمز الرابع لا أعرفه (وحركت يدي في الهواء). ابتهج الصحفيّ المطاطيّ، وشكرني. وفي المساء أدرتُ المحطة لأتابع الأخبار بكل شغف وشوق إلى ما سأقوله للشعب. قدمت المذيعة للأخبار بالطريقة التالية: "نحتفل اليوم بذكرى إقرار الدستور السلوفاكي. من المحزن أن عددًا قليلًا من المواطنين لديه معلومات عن الدستور السلوفاكي. ومن العار أن كثيرًا من السياسيين لا يعرفون به". مشهد آخر، لم يجب زميلي الأول على أيّ من الأسئلة التي وجهت إليَّ تقريبًا، والزميل الآخر كان أضعف منه، ثم جاء دوري.. "بناش".. كان سؤال الصحفيّ الذي أعده في الاستوديو: "ماذا تعرف عن دستور سلوفاكيا؟ مشهد آخر، "بناش" يهز يده في الهواء وهو يقول، "لا أعرف". لقد قطع الصحفيّ المطاطيّ 99 في المئة من الإجابات الصحيحة، ولم يرسل سوى إجابة واحدة، وهي النسبة الأقل. النتيجة؟ تجنب المواطنون الجلوس بجواري في الحانة التي أتردد عليها، واضطررت لفترة طويلة أن أسير في الشوارع الجانبية. اتصلت هاتفيًّا بأكبر ممثل في تلك القناة التليفزيونية، فأجابني باقتضاب: "اسمَعْ! أنتَ تركت حزب (آنو)..". عرفت على الأقل ما يشعر به السياسيون الذين لم يكونوا أعضاء في حزب (آنو).

الخبر الجيد هو أن الصحفيين المطاطيين موجودون، ليس فقط عندنا، فهم في كل مكان، يمارسون نفس الأعمال القذرة. في عام 1982 كانت هناك جائزة أمريكية شهيرة في مجال الصحافة، جائزة بوليتزر التي حصلت عليها صحفية مطاطية من جريدة واشنطن بوست

اليومية، وذلك على تقرير غير اعتيادي حول صبي اسمه چيمي مدمن للهيروين. اتضح بعدها أن الصحفية اختلقت كل القصة، فلم يكن هناك صبي باسم "چيمي" بالأساس.

في أيام حرب الخليج الأولى انتشر في أنحاء العالم تقرير حول أطفال رُضَّع من الكويت، كان الجنود العراقيون البرابرة يأخذونهم من الحضَّانات ويلقونهم على الأرض. كانت الممرضة تصف المشهد والدموع تترقرق في عينيها، واتضح بعد ذلك أنها كانت ابنة السفير الكويتي في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد دبَّر القصة كلها مستشار الرئيس بوش للاتصالات بمساعدة "صحفيي الدعاية". وفي عام 1968 نشرت وسال الإعلام في ألمانيا الديموقراطية وفي الاتحاد السوفيتي تقريرًا فاجعًا عن قتل أعضاء الحزب الشيوعي الأبطال من قِبَل المناهضين للثورة في تشيكوسلوفاكيا، رغم أنه لم يتعرض للقتل أي عضو من الحزب الشيوعيّ في تشيكوسلوفاكيا حينئذ. لكن كان من الضروري تهيئة الرأي العام في ألمانيا الديموقراطية والاتحاد السوفيتي من أجل احتلال تشيكوسلوفاكيا. فحتى في عصور الشيوعية كان الصحفيون المطاطيون موجودين، وهم أيضًا موجودون في الدول الديموقراطية. كان وجودهم إبان الحكم الشيوعي ضروريًّا، لكنهم غير مضطرين للعب هذا الدور في النظم الديموقراطية. لكن لا يجب أن ننسى أن الصحفيين المطاطين يشبهون الخِرْقَة، يلقيها من يستخدمها بعد أن ينتهي دورها.

المصورون في صحافة المشاهير

"كَانَ أَبِي يَكْرَهُ الإذَاعَةَ، وَلَمْ يَمْتَدَّ بِهِ العُمْرُ لِيَرَى التليفزيون كَيْ يَكْرَهَهُ بِنَفْسِ القَدْرِ"

بيتر دي فريس

مؤسس التصوير الحديث الذي يطلق عليه اسم "باباراتزي" هو الرسام الإيطالي من عصر النهضة "جيان فرانكو باباراتزي"، فقد رأي فينوس الجميلة في وضع حميمي مع كيوبيد، إله الحب، وعلى الفور التقط ريشة وألوانًا، وسجل تلك اللحظة بسرعة البرق على اللوحة. راح أوائل من رآها من الرسامين يمعن فيها النظر، لكن فشل هؤلاء الـ"باباراتزيين" الأوائل في التقاط المَشاهد بنفس السرعة رغم محاولاتهم، فانزعجوا من الأمر؛ لذلك ابتكر الرسام الفرنسي "داجورير" صورة فوتوغرافية سهلت من عمل الـ"باباراتزيين".

إن الباباراتزيين، أو مصوري المشاهير، هم عبارة عن دمى مطاطية يتلصصون على الشخصيات الشهيرة بغرض التقاط صور لهم في أوضاع حسّاسة، وتظهر الأوضاع الحساسة مثلاً عندما يصورون أحد رجال السياسة في السرير مع امرأة غريبة عنه. الأسوأ من ذلك هو عندما يلتقطون له صورًا مع امرأة غريبة ميتة. والأسوأ من ذلك الموقف هو عندما يمسكون بذلك السياسي مع رجل آخر. والكارثة الحقيقية هي عندما يصورون سياسيًّا من الائتلاف الحاكم في السرير مع سياسي من المعارضة. في هذه الحالة يصبح مصير السياسي في عالم السياسة على المحك؛ لأن وجوده في الفراش مع زميل له من المعارضة يعني خيانة لحزبه ولكل الائتلاف الحكوميّ. غير أن وضع السياسي المعارض يكون أفضل منه في مثل هذه الحالات، فلا يمكنك أن تخون المعارضة، فلا يوجد عندها ما يستحق الخيانة.

ينطلق مصور المشاهير من نفس المبدأ الذي ينطلق منه رجال السياسة. نشر فضائح المشاهير ليس الهدف، بل هي وسيلة للضغط بها عليهم، ويتم نشرها فقط عندما يرفض السياسي المتورط "التعاون" مع مصور المشاهير، كأن يعطيه مثلاً معلومات عمن يلتقي

فـي الفـراش مـن الائتـلاف الحاكـم مـع أحـد سياسـي المعارضـة سـرًّا. مصـور المشـاهير الغبـي هـو مـن يسـلم مثـل تلـك الصـورة لرئيـس التحريـر علـى الفـور ليحصـل علـى مكافـأة قدرهـا مئـة يـورو. يقـرر مصـور الفضائـح فيمـا لـو كان سيسـلم الصـورة لرئيـس التحريـر أو للسياسـي المتـورط فـي الأمر بنـاء علـى المنفعـة الشـخصية التـي سـيجنيها جـرّاء ذلـك، فلـو تعـاون السياسـي مـع المصـور يمكـن أن يظهـر السياسـي فـي اليـوم التالـي فـي إحـدى الصحـف الشـعبية المصـورة وهـو يسـاعد امـرأة عجـوزًا تعبـر طريـق المشـاة، وهـذه العجـوز فـي الواقـع عبـارة عـن مسـاعد السياسـي المتخفّـي، فتـزداد محبـة النـاس للسياسـي بعـد نشـر تلـك الصـورة.

مصـورو الفضائـح فـي سـلوفاكيا يحتلـون مكانـة مرموقـة بيـن مصـوري العالـم، فهـم قـادرون علـى تصويـر السياسـي وهـو يتـزوج، أو يتسـوق فـي المتجـر، أو يلعـب علـى الساكسـفون، أو يقـود دراجـة ناريـة، أو يطهـو الطعـام فـي مطبـخ بيتـه. السـؤال الأول الـذي يخطـر ببـال القـراء عندمـا يـرون السياسـي "متلبّسًـا" وهـو يعثـر علـى قطعـة فِطـر تـزن 2 كيلـو فـي إحـدى الغابـات الكثيفـة عنـد سـفح الجبـل: كيـف عـرف المصـور مـكان وتوقيـت عثـور السياسـي علـى الفطـر؟ وكيـف عـرف السياسـي بـأن المصـور سـيعثر عليـه؟ التفسـير الوحيـد هـو أن إدارة التحريـر قـد دفعـت للمصـور نظيـر ملاحقـة السياسـي علـى مـدى أسـبوعين كامليـن وهـو يجمـع الفطـر، لكـن التفسـير المنطقـي هـو أن المصـور ورجـل السياسـة يذهبـان معًـا لجمـع الفطـر.

الإعلام وإنفلونزا الخنازير

"النَّاسُ يَرغبونَ في معرفةِ كلِّ شيءٍ، باستثناءِ الأمورِ الهامَّة"

أوسكار وايلد

يعد وباء إنفلونزا الخنازير، أو الطيور، أو جنون البقر، مثالًا على أهمية حرية الصحافة والإعلام في المجتمعات الديموقراطية. تنعم كل الدول الأوروبية تقريبًا بأنظمة ديموقراطية؛ لذلك استطعنا جميعًا منذ وقت قريب متابعة جنون اللحوم. أحيانًا انتابني شعور بأن الإعلام قد أصيب بالجنون أكثر من الأبقار الإنجليزية. فيقال إن هذا المرض انطلق من إنجلترا في بداية الأمر. وأنا على قناعة تامة بأن جنون البقر، ووباء إنفلونزا الطيور اخترعته قوى متحدة من الشركات المناوئة لمربي الطيور والأبقار، بالتعاون مع منتجي العقاقير. ومن أجل التخلص من لحوم الدواجن والأبقار كان عليهم إثارة موجة من الهستيريا. تمامًا كما حدث في عام 1986 بعد انفجار تشرنوبل، فقد اختفت جميع حبوب اليود من الأسواق الأوربية رغم أن أحدًا لم يمت جراء الأنشطة الإشعاعية سوى الأوكرانيين، ولا يمكن أن يثبت أحد اليوم بأن حبات اليود قد أنقذت الأوروبيين الذين تناولوها بكثرة من الموت. كما لا يوجد أي تهديد حقيقي من وباء إنفلونزا الطيور، أو جنون الأبقار التي تهددنا بها وسائل الإعلام بانتظام منذ سنوات دون أن لها أثر. ورغم ذلك فقد خصصت الحكومة في الفترة الانتخابية الثالثة ما يقرب من ثمانمئة مليون كرون لاستيراد أمصال مضادة لإنفلونزا الطيور (وهي أمصال لم تكن قد أثبتت فعاليتها بعد). كان باستطاعتهم زيادة المعاشات بتلك الأموال أو رفع مرتبات المدرسين.

كان مربُّو الخنازير ومنتجو العقاقير من أكثر من استفاد بالهستيريا التي سببتها إنفلونزا جنون البقر وإنفلونزا الطيور. وكان من المتوقع أن ينتقم منهم مربو المواشي والدواجن، فعجت وسائل الإعلام بعدها بقليل بوباء إنفلونزا الخنازير.

تتخذ وسائل الإعلام ومنتجو العقاقير نفس النهج في حالة الإنفلونزا العادية، فأي طبيب

شـريف سـيقول لـك صراحـة بـأن الأمصـال المضـادة للبـرد مـا هـي إلا خديعـة، فهـي لا تُقَـوِّي مناعـة الجسـم، بـل بالعكـس، تضعفهـا علـى المـدى البعيـد. وبـدلًا مـن أن يدعـو الأطبـاء النـاس إلـى التدفئـة بصـورة جيـدة، وإلـى الحركـة، واتبـاع نظـام تغذيـة سـليم، يخـدع كثيـر منهـم المواطنيـن البسـطاء فـي وسـائل الإعـلام بأمـوال مروجـي الأمصـال. أنـا شـخصيًّا أدفـئ نفسـي جيـدًا، أمـارس رياضـة الجـري، ولا أتنـاول اللحـوم؛ لذلـك لا يمكـن أن تجـدي وسـائل الإعـلام معـي نفعًـا فـي مثـل هـذه الحـالات.

التليفزيون وظهور رجال السياسة

"التليفزيون بِالنِّسْبَةِ لِرَجُلِ السِّياسَةِ جهَازٌ يَظْهَرُ فِيهِ وَلَيْسَ جهَازًا يُشَاهِدُه"

كوارد

يحـب السياسـيون الظهـور فـي التليفزيـون؛ لأنهـم يعرفـون أنهـم بذلـك يدخلـون السـرور علـى المواطنيـن. ومـن الثابـت أن المواطنيـن يقضـون أوقاتًـا فـي مشـاهدة برامـج الـ"تـوك شـو" أطـول مـن تلـك التـي يقضونهـا فـي متابعـة البرامـج الترفيهيـة. وأي طبيـب يمكنـه أن يؤكـد لـكَ أن النظـر إلـى رجـال السياسـة يُسِـيل لعـاب المواطنيـن، ويقـوّي مـن جهـاز المناعـة لديهـم. وبعـض الرجـال الصُّلْع يدَّعـون أن شـعرهم ينبـت مـن جديـد بعـد مشـاهدتهم، وأنـا أؤكـد لـكَ هـذا، ويفسـر الأطبـاء هـذا بسـبب زيـادة الأدرينالـين فـي الـدم، وهـو أمـر إيجابـي، خاصـة لمـن يعانـون مـن الضغـط المنخفـض.

عندمـا ظهـر التليفزيـون فـي الخمسـينيات كنـا نتطلـع إلـى شاشـته بـكل إعجـاب وسـعادة. لـم نكـن نعـرف أن دوره الرئيسـي أن يجعـل مـن المشـاهدين العقـلاء نسـبيًّا أبقـارًا مـع الوقـت. لـم يحـدث هـذا بيـن ليلـة وضحاهـا، وكان مسـئولو الإعلانـات علـى درجـة كبيـرة مـن الصبـر. وربمـا كان مـن الأنسـب أن نطلـق علـى وسـيلة غسـيل المـخ هـذه اسـم "جهـاز للبقـر". وهـذا هـو معنـى الكلمـة التشـيكية التـي تطلـق علـى التليفزيـون[12].

ليـس صحيحًـا أن السياسـيين يظهـرون فـي التليفزيـون لكـي يجـد المشـاهدون مـا يشـاهدونه. إنهـم يحبـون الظهـور بـه لكـي يجـدوا هـم أنفسـهم مـا يشـاهدونه. كـي يتمكـن السياسـي مـن أن يسـعد بنفسـه؛ تقـوم زوجتـه بتسـجيل أوقـات ظهـوره بالتليفزيـون علـى شـريط فيديـو. تسـجل البرنامـج الـذي يظهـر فيـه زوجهـا رغـم أنهـم يعطونـه فـي التليفزيـون بـكل احتـرام شـريطًا مجانيًّـا بمحتـوى الحلقـة. السياسـي العاقـل لا يأخـذ مثـل هـذا الشـريط ويقـول إنـه ليـس لديـه وقـت لمشـاهدة نفسـه. لكنـه مـا إن يصـل إلـى البيـت حتـى يجلـس أمـام شاشـة التليفزيـون علـى

(12) السابقة tele في كلمة televize التشيكية تعني أيضًا: العجول أو صِغار الأبقار (المترجم).

الفـور، وقبـل أن يخلـع معطفـه يضـع الشـريط فـي جهـاز الفيديـو. فـي العـادة يشـاهد السياسـي نفسـه ثـلاث مـرات. فـي المـرة الأولـى كـي يعـرف كيـف كان شـكله، وفـي المـرة الثانيـة كـي يعـرف مـا قالـه، وفـي المـرة الثالثـة كـي يسـتطيع أن يثبـت لزوجتـه أنـه بـدا أفضـل ممـا اعتقدتـه هـي، وكذلـك تحـدث. معـاودة السياسـي لمشـاهدة نفسـه يعـد أمـرًا هامًّـا خاصـة عندمـا لا يظهر السياسـي علـى الشاشـة إلا طيفًـا ولـم يكـن واثقًـا مـن أنـه هـو مـن مـرق علـى الشاشـة.

مـن أكثـر مـن يشـاهد نفسـه علـى الشاشـة الرؤسـاء ونوابهـم، ليـس لأنهـم أكثـر نرجسـية مـن باقـي السياسـيين، لكـن لأنهـم يظهـرون فـي التليفزيـون أكثـر مـن غيرهـم مـن السياسـيين، فباقـي السياسـيين لا يظهـرون فـي التليفزيـون تقريبًـا.

ولكـي يتأكـد الرئيـس مـن شـعبيته، عليـه أن يظهـر فـي البرامـج الحواريـة التـي يصـوت فيهـا المشـاهدون لصالـح سياسـيهم المفضـل. ومـن الضـروري الاسـتعداد جيـدًا لمثـل هـذه البرامـج. الاسـتعداد الجيـد يعنـي أن أميـن عـام الحـزب يتصـل بأمنـاء المحافظـات، الذيـن بدورهـم يتصلـون بمـن دونهـم ويطلبـون منهـم أن يرسـلوا لهـم رسـائل قصيـرة مـن الهاتـف لدعـم الرئيـس. الأميـن الجيـد هـو مـن لا يتـرك شـيئًا للصدفـة، ويطلـب مـن خبيـر الكمبيوتـر فـي مركـز الحـزب الرئيسـي أن يضبـط جهـاز الحاسـوب بحيـث يرسـل عـددًا معينًـا مـن الأصـوات فـي الثانيـة، مـن أجـل أن يفـوز الرئيـس علـى منافسـه. أحيانًـا يرسـل مـن خـلال الحاسـوب بضعـة آلاف مـن الأصـوات، وعندمـا يضيفـون إلـى هـذا أصـوات الأعضـاء المسـجلين فـي الحـزب، يضمنـون بذلـك فـوز الرئيـس، مـا لـم يكـن عـدد الأعضـاء فـي حـزب الرئيـس المنافـس أكثـر، أو كان خبيـر الكمبيوتـر عندهـم أكثـر مهـارة.

المؤتمرات الصحفية

"أَمَامَ السِّياسِيِّ خِيارَانِ، إِمَّا أَنْ يَتَحدَّثَ مَعَ النَّاسِ، أَوْ يَتَحدَّثَ فِي صُلْبِ المَوْضُوع"

كاسبار

المؤتمـرات الصحفيـة مـن الأنشـطة الناجحـة علـى المسـتوى العـام. يسـعد بهـا خاصـة الصحفيون وأصحـاب المعاشـات، الذيـن يتـرددون عليهـا باسـتمرار، وخاصـة المؤتمـرات الصحفيـة التـي تعقدهـا الشـركات. تختلـف مثـل هـذه المؤتمـرات الصحفيـة عـن تلـك التـي يعقدهـا رجـال السياسـة، فـي أنهـم يقدمـون فيهـا المقبـلات، وكثيـرًا مـا يحصـل فيهـا المشـاركون علـى هديـة مـا، وهـي تسـاعد الصحفييـن وأصحـاب المعاشـات علـى تحسـين دخولهـم.

يسـعى رجـل السياسـة إلـى الإفـلات مـن أسـئلة الصحفييـن المحرجـة، وهـذا جـزء لا يتجـزأ مـن مهـارة أي سياسـي فـي التواصـل. ومـن أسـوأ مـا يحـدث للسياسـي أن يوقـع بـه أحـد الصحفييـن؛ لذلـك فهـو يسـعى جاهـدًا إلـى أن يوقـع هـو بالصحفييـن. العينـة التاليـة مـن مؤتمـر صحفـي عقـده وزيـر الدفـاع تُعَـدُّ مثـالًا جيـدًا علـى الإيقـاع بالصحفـيّ:

الصحفـيّ: "سـيدي الوزيـر، هـل يمكـن أن تخبرنـا عـن السـبب الـذي جعـل وزارتكـم تطلـب شـراء مليـون قطعـة سـدادة لـلأذن بالأمـر المباشـر مـن شـركة حمـاكَ بـدون طرحهـا فـي مناقصـة عامـة؟".

الوزيـر: "أنـا سـعيد بأنـكَ طرحـت هـذا السـؤال؛ لأننـي أعـرف أن الـرأي العـام مهتـم بهـذه القضية، وأنـا مؤمـن تمامًـا بحـق الـرأي العـام فـي الاهتمـام بقضيـة كهـذه، كمـا أن مـن واجبـي تقديـم إجابـة لسـؤالكَ بهـذا الخصـوص بنـاء علـى القانـون رقـم 782 لعـام 2002 حـول الحـق العـام فـي الحصـول علـى المعلومـات. رغـم أننـا علـى قناعـة فـي وزارتنـا، بصراحـة أقـول لـكَ، بـأن هـذا القانـون عقيـم، ويتطلـب إجـراء بعـض التعديـلات عليـه، فالمـادة رقـم 128 علـى سـبيل المثـال...".

الصحفيّ: "سيدي الوزير، لقد كنت أقصد أن أقول...".

الوزير: "نعم، هذا ما قصدته، المادة 128...".

الصحفـيّ: "... لا أعنـي المـادة 128، ولكنـي قصـدت شـراء 100 مليـون قطعـة سـدادة لـلأُذُن بالأمـر المباشر...".

الوزيـر: "أؤكـد لحضرتـك بأنـي سـأجيبكَ عـن سـؤالك، لكـن هـذا غيـر ممكـن بـدون أن أشـرح العيـوب التـي تتضمنهـا المـادة مـن قانـون الحـق العـام فـي الحصـول علـى المعلومـات".

الصحفيّ: "أعتقد أنه ممكن، وأن المادة 128 لا علاقة لها بالأمر على الإطلاق".

الوزيـر: "هـذا هـو رأيـك الشـخصي، وأنـا غيـر مقتنـع بـه؛ لذلـك اسـمح لـي أن أعـرب لـكَ عـن رأيـي. أعتقـد أنـه مـن حقـي طالمـا نحـن فـي دولـة ديموقراطيـة، أم أنـكَ لا ترحـب بـأن تنعـم دولتنـا بالديموقراطيـة؟!".

(لـو كان عمـر الصحفـيّ تجـاوز الأربعيـن، يمكـن أن يضيـف الوزيـر متهكمًـا: مـاذا أيهـا الرفيـق الصحفـيّ؟!).

الصحفيّ: "أنا لا أفهم عمَّ تتحدث..".

الوزيـر: علـى حسـب علمـي، كنـتَ تعمـل إبـان النظـام الشـيوعي الاسـتبدادي محـررًا فـي صحيفـة الرايـة الحمـراء، وكنـت مؤيـدًا للإمبرياليـة، هـذا علـى حـد علمـي!".

الصحفيّ: "لا أعرف من أين لكَ بهذه المعلومات، لكنها بالطبع كلام فارغ!".

الوزيـر: "لا أعـرف مـا تعنيـه بــ"كلام فـارغ"، لأن أمثالـكَ سـيظلون علـى عـداوة مـع الديموقراطيـة، وأي شـيء يقـوم بـه وزيـر فـي مجتمـع ديموقراطـيّ سـيكون بمثابـة شـوكة فـي حلقهـم!".

الصحفيّ: "أنا لا أفهم، ما علاقة عملي إبّان النظام القديم بسؤالي الذي طرحته عليكَ؟".

الوزيـر: "هنـاك علاقـة، وعلاقـة قويّـة. لـولا الديموقراطيـة التـي نتمتـع بهـا اليـوم لمـا وجهـت لـي سـؤالًا كهـذا!".

الصحفـيّ: "عفـوًا، أنـت تتحـدث وكأنـك أنـت مـن أطـاح بالنظـام الشـيوعيّ القديـم، وعلـى حـد

علمي، أنتَ كنت أستاذًا مساعدًا للماركسية واللينينية، وحصلت على درجة أستاذ مساعد من جامعة "فلاديمير إيليتش لينين".

الوزير: "إنها طريقة معهودة من الصحفيين الشيوعيين. عندما يفشلون في الحوار، يوجهون دفتها نحو الأيديولوجية".

الصحفيّ: "هكذا أيضًا عهدنا بالأساتذة الشيوعيين السابقين. لكني لم أمرِّر "بيزنس" بقيمة مئة مليون كرون إلى شركة حماي، كما فعلت أنتَ".

الوزير: "انتبه إلى أنكَ تتحدث مع عضو في الحكومة!".

الصحفيّ: "عفوًا، لكن لم تجبني على سؤالي".

الوزير: "للأسف، لا يمكنني أن أقدم معلومات بهذا الخصوص؛ لأنها من المعلومات السرية".

هذه عينة من ردود الوزير القوية الذي لم يسمح للصحفي أن يوقع به، ليس هذا فقط، بل هاجم الصحفيَّ ووضعه في خانة الدفاع عن النفس بطريقة لا تخلو من كياسة.

لو شعر الوزير أن الندوة الصحفية سوف تكون "صعبة"، فإنه يسافر في رحلة عمل خارج البلاد، أو يدّعي المرض ويرسل إلى المؤتمر أحد نوابه ومتحدّثًا باسمه.

المتحدثون الرسميون و"المبرراتية"

"كُنْ دَائِمًا صَرِيحًا حَتَّى وَإِنْ كُنْتَ لَا تُؤْمِنُ بِذَلِك"

هاري ترومان

المتحـدث الرسـمي هـو الشـخص المنـوط بـه تبريـر زلات حزبـه، أو حكومتـه، أو الوزيـر الـذي يتحـدث باسـمه، أو رئيسـه. ارفـض، ارفـض، ارفـض! الأعمـال الناجحـة يعلـن عنهـا الرئيـس شـخصيًّا، أو المديـرون أو الـوزراء. أغلبيـة المواطنيـن لا يملكـون متحدثًـا باسـمهم، ولا يمكنهـم أن يفعلـوا ذلـك، لكـن طبيعـة الإنسـان هـو أن يتحـدث حتـى فيمـا لا يعرفـه، وقليلـون هـم مـن يمتنعـون عـن الحديـث؛ لذلـك ليـس سـهلًا العثـور علـى متحـدث رسـميّ جيـد، والأصعـب منـه أن يتحـد المتحـدث الرسـمي مـع الشـخص الـذي يتحـدث باسـمه. وعندمـا يحـدث أن يُقَـال الشـخص الـذي يتحـدث باسـمه مـن منصبـه، يتـم إقالتـه معـه؛ لأن المتحـدث الرسـمي يجـب أن يكـون أهـلًا للثقـة. فمـن الصعـب أن نصـدق متحدثًـا رسـميًّا أكـد أثنـاء تولـي (بافـل روسـكو) أن (يركـو مالخاريـك) يجـب أن يلبـس حفاضـات أطفـال، ثـم يأتـي بعـد تغييـر الوزيـر (بافـل روسـكو) بوزيـر آخـر وهـو (يركـو مالخاريـك) ويقـول فجـأة إن حفاضـات الـ"بامبـرز" عديمـة الجـدوى، وإنـه كان دائمًـا مـن أنصـار الحفاضـات القطنيـة التقليديـة. لـن يجديـه هـذا نفعًـا، حتـى وإن لبـس هـو نفسـه تلـك الحفاضـات. فضـلًا عـن أن كل مواطـن يعـرف أن الوزيـر السـابق (روسـكو) لـم يكـن يعنـي حرفيًّـا مـا قالـه فـي حـق الوزيـر الجديـد (مالخاريـك)، وأنهـا كانـت مجـرد مزحـة، والوحيـد الـذي صدقـه كان المتحـدث الرسـمي باسـمه.

المتحـدث الجيـد هـو مـن يؤمِـن بـكل مـا يدّعيـه رئيسـه. والأفضـل منـه هـو المتحـدث الـذي يؤمـن بمـا يقولـه رئيسـه، حتـى وإن كان رئيسـه نفسـه لا يؤمـن بـه. وأفضـل المتحدثيـن علـى الإطـلاق هـو ذلـك الـذي لا يؤمـن بمـا يقولـه هـو شـخصيًّا. ومـن السـهل التعـرف علـى المتحـدث الـذي لا يؤمـن بمـا يقولـه، فهـو يهـرش فـي مؤخـرة عنقـه، ولا ينظـر فـي عينـي الصحفـي الـذي يسـأله، ويلتفـت تلقائيًّـا نحـو رئيسـه ولسـان حالـه يقـول لـه: "هـل أحسـنت الإجابـة؟". مـن الجمـل المأثـورة التـي يرددهـا المتحـدث الرسـمي الجيـد: "لقـد أخبرتكـم بـكل مـا يمكننـي قولـه فـي

هـذه القضيـة، وليـس عنـدي مـا أضيفـه". لكـنْ هنـاك فـارق كبيـر بيـن مـا يفهمـه الـرأي العـام مـن جملـة "كل مـا يمكننـي قولـه" ومـا يعنيـه المتحـدث. لذلـك فالمتحدثـون المخضرمـون يلقـون المعلومـات علـى الصحفييـن وكأنهـا حكايـة سـندريلا، فالمعلومـة التـي نحصـل عليهـا مـن حكايـة سـندريلا هـي نفسـها التـي نتلقاهـا مـن تصريـح المتحـدث الرسـمي حـول تمويـل الحـزب. ويجـب علـى الصحفييـن أن يُثمِّنـوا أن المتحـدث حـاول علـى الأقـل أن يُسـليهم. إن الصحفييـن لا يتعلمـون مـن أخطائهـم حتـى بعـد سـنوات مـن الخبـرة فـي التعامـل مـع المتحدثيـن الرسـميين، مـا زالـوا مُصِرّيـن علـى تلقـي الإجابـات الحقيقيـة. لـم يفهمـوا أن دور المتحـدث الرسـمي ليـس الكشـف عـن الحقائـق، بـل إخفاؤهـا. وكلمـا انتبـه الصحفيـون إلـى ذلـك مبكـرًا صـارت الأمـور أكثـر سـهولة، لهـم ولذلـك المتحـدث، أو لرئيسـه بصـورة خاصـة. لـو أن الصحفييـن توقفـوا عـن إزعـاج السياسـيين والمتحدثيـن الرسـميين لصـار الجميـع سـعيدًا وراضيًـا.

عندمـا يتوقـف الرئيـس ومسـاعدو الرئيـس والنـواب وحتـى السـكرتير العـام للحـزب عـن الـرد على هواتفهـم، فـإن المتحـدث المحنـك يـدرك علـى الفـور أن فـي الأمـور أمـورًا، فيغلـق هـو الآخـر هاتفه، ولا يبقـى أمـام الصحفييـن عندهـا إلا سـكرتيرة المتحـدث الرسـمي التـي لا تعـرف شـيئًا وتكـرر علـى الـدوام: "السـيد المتحـدث الرسـمي لديـه اجتمـاع مهـم". مـا يسـعد سـكرتيرات المتحدثيـن الرسـميين أن تكـون هواتفهـم مغلقـة، فهـي فرصتهـن الوحيـدة للظهـور فـي وسـائل الإعـلام. ولا يجـب أن يغلـق المتحـدث الرسـمي هاتفـه كثيـرًا؛ لأن الصحفييـن يفسـرون الأمـر علـى أن الرئيـس أو الوزيـر ليـس لديـه إجابـات مناسـبة علـى أسـئلتهم.

يعـرف الصحفـي عندمـا يؤكـد لـه المتحـدث أن الوزيـر فـي رحلـة عمـل، أن الوزيـر المَعْنِـيَّ يجلس بجـواره ويشـير إليـه أن يرسـل هـذا الصحفـي الوقـح إلـى الجحيـم. فهـي وقاحـة مـن الصحفـي أن يطالـب المتحـدث بمعرفـة رأي الوزيـر فـي أمـر مـا، فـي الوقـت الـذي يلعـب فيـه الجولـف أو القمـار، أو يحتفـل بعيـد ميـلاد سـكرتيرته.

استطلاعات الرأي العام

"أَنَا لَا أَثِقُ سِوَى فِي اسْتِطْلاعَاتِ الرَّأيِ الَّتِي أُزَوِّرُهَا بِنَفْسِي"

ونستون تشرشل

عندما تضع في الأرض بذرة الجَزر فلن تنبت الكرنب، أو الكرفس، أو البقدونس، بل ستنبت الجزر. إن الثمرة صورة للبذرة. والرأي العام هو صورة طبق الأصل لما تبثه وسائل الإعلام في أذهان المواطنين، ويجب أن نطلق على استطلاعات الرأي العام اسمًا صحيحًا، وهو "استطلاعات تأثير الميديا على المواطنين".

تعد نتائج استطلاعات الرأي من أكثر الأمور استقطابًا للإعلام. وندين للأمريكي "جورج جالوب" بأنه أول من بدأ في استخدامها في عام 1935 على نطاق واسع. وقتها راح يسأل الأمريكيين بطريقة علمية عن رأيهم في السياسيين. اتضح أن آراءهم لم تتغير عندما سألهم نفس السؤال بطريقة غير علمية. وبدأت الأحزاب السياسية تستخدمها بكثرة، خاصة في فترة ما قبل الانتخابات، حيث الحملات الانتخابية. يتم اللجوء إلى وكالات محددة لإجراء تلك الاستطلاعات. الوكالات المعنية باستطلاع الرأي تكون حكومية وخاصة، إنها وكالات تحقق أرباحًا بغض النظر عن مالكيها، خاصة في الفترة التي تسبق الانتخابات؛ لأن الاستطلاعات التي تجرى قبيل الانتخابات تحظى بتأثير كبير على الناخبين. إنها بمثابة خط النهاية الذي يحدد مَن المنتصر. غالبية الأحزاب تدفع وكالات قياس الرأي العام إلى الإعلان عن نتائج في صالحها. من مزايا هذه الوكالات أنه غير وارد، من الناحية الفنية، أن تتحقق الأحزاب أو المؤسسات أو حتى الأفراد الذين يطلبون الاستطلاع من الاطلاع على الاستبيانات التي ربما قد ملأها المواطنون الذين يوزع عليهم الاستبيان. أقول: ربما، لأنه ليس في مقدور أحد أن يتأكد من عدد أوراق الاستبيانات التي ملأها المواطنون، ولا ممن أجري عليهم الاستطلاع. من بينهم أحيانًا بعض العاملين في تلك المنظمة. السرية هي أهم شروط عمل هذه المنظمات. من أكثر استطلاعات الرأي تأثيرًا، فيما يخص الأحزاب، تلك التي تتراوح نسبتها حول الخمسة في المئة، وهي تمثل الحد الأدنى للدخول إلى البرلمان. أحيانًا يتعاطف بعض

الناخبيـن مـع حـزب تتـراوح نسـبته بيـن ثلاثـة أو أربعـة فـي المئـة، لكنهـم لا يخاطـرون، فيعطـون أصواتهـم لحـزب مشـابه يحتفـظ طويـلاً بنسـبة تتجـاوز الخمسـة فـي المئـة. أفضـل الأمـور علـى الاطـلاق هـي عندمـا تحابـي الـوكالات جميـع الأحـزاب. فالأمـر لا يختلـف مطلقًـا، حتـى عندمـا لا تقـوم وكالات الاسـتطلاع بالمحابـاة لحـزب بعينـه، وتجـري اسـتطلاعًا "موضوعيّـا".

نتائـج اسـتطلاعات الـرأي لا يمكنهـا أن تكـون موضوعيـة؛ لأن كل شـخص يفسـر هـذا المصطلـح علـى طريقتـه. يومًـا مـا أجـرت منظمـة الأمـم المتحـدة اسـتطلاعًا للـرأي العـام فـي جميـع قـارات العالـم. وجـه المسـئولون عـن الاسـتطلاع فـي الأمـم المتحـدة سـؤالًا واحـدًا للنـاس: "أخبرنـا بصـدق عـن رأيـك الشـخصي حـول عيـوب الأغذيـة فـي العالـم". فشـل الاسـتطلاع للأسـباب التاليـة:

- لم يفهم الأوروبيون المقصود بكلمة "عيوب".
- لم يعرف الأفارقة معنى كلمة "أغذية".
- لـم يعـرف الأمريكيـون معنـى المقصـود بكلمـة "العالـم"، فقـد كانـوا يعتقـدون حينئـذ أنـه لا وجـود سـوى للولايـات المتحـدة الأمريكيـة.
- لم يعرف الصينيون معنى كلمة "رأيك الشخصي".
- مازال البرلمان الإيطالي حتى اليوم يناقش "صدق".

يتضـح بنـاء علـى هـذا الاسـتطلاع أنـه مـن الأفضـل لـكَ ألَّا تثق سـوى فـي رأيـك، لا في اسـتطلاعات الرأي.

"إِعْلَامُ الفَضَائِحِ يُشْبِهُ دَاءَ البَوَاسِير إِلَى حَدٍّ كَبِير"

دافيز

ابتدع إعلامَ الفضائح، الرئيسُ الأمريكي الأسبق تيودور روزفلت، فقد دعا الصحفيين في بداية القرن العشرين إلى البحث عن الفضائح والآثام الموجودة في النظام الحكومي. لم يكن عدد الجرائد وقتها كافيًا لتغطية الفضائح في النظام الحكوميّ، لكن وسائل الإعلام تزايدت مع الوقت بشراهة؛ لذلك حوَّل الصحفيون الذين يقومون بالاستقصاء اهتمامهم من مجال السياسة إلى الشأن العام، وإلى الـ"شو بيزنس". وفي الوقت الذي كانت فيه الكلمات تحظى بقيمة ما، صارت أهميتها في إعلام الفضائح نسبية إلى حد كبير، بل وبلا معنى. فالكلمات المبتذلة صارت عديمة الجدوى؛ لذلك لجأت وسائل إعلام الفضائح إلى الصور الفوتوغرافية وحدها. لكني عندما أتخيل مدى براعة عمال معامل التصوير والمصورين الذين يصنعون اليوم صورًا مركبة قوية على جهاز الكمبيوتر، سأجد أنهم تفوقوا ببراعة. لكن لا يجب أن نتعجب من الأمر، لأن المواطنين الذين يوجهون النقد الدائم لصحف الفضائح عليهم أن ينتبهوا إلى أن وظيفة هذه الصحف ليست تقديم الأخبار، بل التسلية، وحث الناس على الانفعال. إن الأدوات التي يعيش عليها إعلام الفضائح هي للأسف السعادة، والدموع، والغضب، والثأر، والحسد، والموت، والدم، أو ربما عصير الطماطم. من أهم واجبات صحف الفضائح أن تنشر مقالة لا يمكن تعقبها؛ لذلك كما ذكرت آنفًا تعج بمصطلحات مثل: "على ما يبدو"، "ربما".

أخشى من أن صحافة الفضائح قد تعتبر المسيح رجلاً معاديًا للمجتمع لو أنه عاش بيننا اليوم (لأنه بشعر طويل وذو لحية)، أو سِكِّيرًا (لأنه كان يشرب النبيذ مع أصدقائه من وقت لآخر)، أو شاذًّا جنسيًّا (لأنه لم يتزوج "على ما يبدو"). لقد استخدمت كلمة "على ما يبدو" هنا كي لا يلاحقني قضائيًّا الشواذ جنسيًّا في الكنيسة الكاثوليكية. لو أنه مشى على سطح بحيرة طبرية وقتها لكتبت عنه الصحف الجادة بأنه كان مضطرًّا لذلك؛ لأنه لم يكن يجيد العوم. أما صحف الفضائح فكانت ستكتب إنه مشى على سطح الماء لأن المراكبيّة اليهود يتقاضون مبلغًا كبيرًا نظير النقل. لو فعل المسيح نفس الشيء اليوم، لكتبت الصحف أنه أتى بمعجزة، فقد شاهد مراسل الصحيفة في بلدة كفر ناحوم بأم عينه. لكن الحقيقة تظل ثابتة، فقد مشى المسيح على الماء؛ ببساطة لأنه لم يكن يعرف العوم. لكن صحف الفضائح

لا تعنيها الحقائق.

نحـن نتوقـع ألَّا يكتـب صحفـيّ إعـلام الفضائـح سـوى التفاهـات؛ لذلـك يتقبلهـم النـاس علـى سـبيل التسـلية، لكـن الأمـر خطيـر فـي حالـة الصحـف التـي تتظاهـر بالجديَّـة. إن الصحفـي الـذي يتظاهـر بالجدية يخـدع المواطنيـن بطريقـة أكثـر وحشـية مـن صحفـيّ الفضائـح، فهـو يقـدم نفسـه بطريقـة جـادة، علـى عكـس صحفـيّ الفضائـح، يسـتخدم المصطلحـات الأجنبيـة، ويجعـل مـن نفسـه صانعًـا للـرأي العـام. إنـه فـي الواقـع يصنـع رأيًـا فـي مجموعـة صغيـرة مـن أقربائـه وأصدقائـه، لكـن المشـكلة هـي أن مثـل هـذه المجموعـات الصغيـرة مـن أكثـر المجموعـات شراسـة وغـدرًا، بمعنـى أدق يكونـون شرسـين وغادريـن عندمـا لا تتفـق معهـم فـي الـرأي.

بـدأ نشـر فضائـح السياسـيين فـي وسـائل الإعـلام منـذ أن انطلقـت فـي أمريـكا عـام 1690 أول صحيفـة يوميـة بعنـوان Public Occurences, Both Foreign and Domestic. كانـت تتكـون مـن ثـلاث صفحـات، وكانـت بالفعـل صحيفـة يوميـة بمعنـى الكلمـة؛ لأنهـا ظهـرت ليـوم واحـد فقـط. واسـتطاعت فـي يـوم واحـد أن تزعـج تقريبًـا جميـع السياسـيين المحلييـن. لـم هنـاك سياسـيون يمثلـون الدولـة وقتهـا؛ لأن الولايـات المتحـدة لـم تكـن ظهـرت إلـى الوجـود بعـد. لـو أن تلـك الصحيفـة نشـرت فضائـح سياسـيين يمثلـون الدولـة لأسـعدت بذلـك السياسـيين المحلييـن، ربمـا. لذلـك منعـوا ظهورهـا فـي اليـوم التالـي. ومـن وقتهـا والصحافـة تتخـذ موقفًـا معاديًـا لرجـال السياسـة، حتـى وإن حاولـوا قـدر اسـتطاعتهم.

خيـر مـن يتحـدث عـن وسـائل الإعـلام الشـريرة هـو الرئيـس الأمريكـي الأسـبق ريتشـارد نيكسـون، الـذي اضطـر إلـى الاسـتقالة مـن منصـب الرئيـس بسـبب فضيحـة معروفـة حدثـت فـي فنـدق ووترجيـت فـي مدينـة واشـنطن، ولـولا الميديـا لاسـتطاع نيكسـون بـكل تأكيـد البقـاء فـي ممارسـة مهـام منصبـه. لقـد تنحـى نيكسـون مـن منصبـه بنـاء علـى أحاديـث مسـجلة مـع مستشـاريه، تحـدث فيهـا عـن إبطـال تحقيـق حـول محاولـة الوصـول إلـى المركـز الانتخابـي للحـزب المنافـس. نشـرت وسـائل الإعـلام الخبيثـة نـص الأحاديـث علـى المـلأ، فكانـت الفضيحـة. اسـتغل الرئيـس الجديـد وقتهـا "جيرالـد فـورد" صلاحياتـه وأصـدر عفـوًا عـن المسـكين نيكسـون. وسُـجِن ثلاثـون مـن مسـاعديه الذيـن نفـذوا تعليمـات نيكسـون، ولـم يُصـب أيّ مـن الصحفييـن الذيـن تسـببوا فـي الفضيحـة بـأي أذى.

وعندمـا أنقـذ "تونـي بيـن" يومًـا مـا أحـد الأطفـال مـن الغـرق، نشـرت إحـدى صحـف الفضائـح اليوميـة التـي كانـت تناصبـه العـداء، صـورة لـه وسـط الجزيـرة وهـو يحمـل الطفـل وفوقهـا عنـوان يقـول: "طونـي يحـاول إغـراق الطفـل!"، لـو حـدث معـكَ شـيء مشـابه مـن قبـل صحيفـة للفضائـح فأنـا أشـفق عليـكَ. عليـك أن تُغـرِق الطفـل بحيـث لا تـراك إحـدى صحـف الفضائـح.

الفصل السابع

السياسي

نشأة رجل السياسة

"يَنْدَهِشُ رَجُلُ السِّيَاسَةِ عِنْدَمَا لَا يُصَدِّقُهُ أَحَدٌ، رَغْمَ أنَّهُ عَادَةً لَا يُصَدِّقُ مَا يَقُولُه هُوَ بِنَفْسِهِ"

شارل ديجول

يُولد رجل السياسة حتى في أحسن العائلات، لكننا في نفس الوقت نجد فيها المدرسين والصحفيين والقساوسة. يصير الإنسان سياسيًّا لعدة أسباب: البعض يسعى إلى العمل في مجال السياسة لأنه حاول العمل في مجالات أخرى وفشل، والبعض يرغب في أن يسجل اسمه في التاريخ، وغيرهم يسعون إلى التّربُّح، وغيرهم دُفعوا إليها دفعًا تحت ضغط من حَمَواتِهم، وآخرون أحبوا أن يظهروا في الصحف، وقليل منهم من يعترف بأنه انخرط في السياسة من أجل خدمة المواطنين.

يمكنكَ أن تستدل على السياسي الليبرالي عندما تهب رياح عاصفة فوق جبال تاترا، فتجده يحمل منشارًا كهربيًّا وينضم إلى مجموعة من الحطابين لكي يأخذ صورة معهم، رغم أنها قد تكون المرة الأولى التي يحمل فيها ذلك المنشار. أما رجل السياسة التابع للحزب الديموقراطي المسيحي فتعرفه عندما يظهر جالسًا في الصف الأول في قداس الاحتفال بعيد رأس السنة، أو أعياد الميلاد أو عيد الفصح الذي ينقله التليفزيون من (بيت القديس مارتن). أما السياسي من الحزب الوطني فتعرفه بأنه على استعداد أن يضحي بكَ في أي وقت من أجل الوطن. السياسي الشيوعي تعرفه من ياقة قميصه المنفكة، أو من قميص يرتديه أصغر من مقاسه برقمين. كما يتميز السياسي من الحزب المجري بأنه يرتدي قميصًا على مقاسه لكن أزراره منفلتة عند سُرَّتِه؛ لأن بطنه أكبر من الحجم المعتاد.

تعرف رجل السياسة بصفة عامة عندما يظهر أمام الكاميرات وهو يصافح الناجين من الكوارث الطبيعية وحوادث الطرق وهم فوق الأسِرَّة في المستشفيات، أو يقص شريط افتتاح الطرق، والجسور، والمباني وغيرها من المنشآت، وهو يتصور مع المشردين بدون مأوى وهم يستدفئون من برد الشتاء، أو تراه في إحدى الصور وهو يومئ متظاهرًا بالمعرفة أثناء زيارته لأحد المصانع التي تنتج الـ"polymethyl methacrylate". يتظاهر بأنه يفهم جيدًا أن هذا النوع من البلاستيك ينتج من خلال Radical polymerization of methylester methacrylic acid . فضلاً عن الشواهد العديدة الأخرى، تعرفه أيضًا بأنه الرجل الذي يعرف في كل شيء. لكن المواطنين يعلمون بأنه يتظاهر بهذا فقط، وهذا ما

يتوقعونـه منـه بالتحديـد. ليـس مـن مصلحـة السياسـي أن يُنبّـه مديـر مصنـع البلاسـتيك ويقـول لـه: "مـن فضلـك، لا تجهـد نفسـك، فأنـا لا أفهـم شـيئًا ممـا تقـول. هيـا بنـا إلـى مكتبـك نشـرب كأسًـا". مثـل هـذه الصراحـة قـد تعجـب البعـض بالفعـل، لكـن الغالبيـة ستشـعر بالإهانـة، لأن السياسـي لا يمكنـه أن يعتـرف بـأن هنـاك مـا لا يفهـم فيـه. ورغـم أن المواطنيـن يعرفـون جيـدًا أن رجال السياسـة غالبًـا لا يفهمـون شـيئًا، لكنهـم ينزعجـون عندمـا يعترفـون أمامهـم بذلـك. يرغـب المواطنـون فـي أن يكـون مـن يحكمهـم شـبيهًا بهـم، لكنهـم فـي الوقـت نفسـه يريدونـه مثـالًا يُحتـذَى، ليـس فقـط فـي النزاهـة، لكـن مثـالًا فـي النفـاق أيضًـا. فالمواطنـون يحتاجـون لأن يكـون السياسـي قريبًـا منهـم، وبعيـدًا عنهـم فـي الوقـت نفسـه. يريـدون أن يكـون "واحـدًا منهـم"، وغريبًـا عنهـم، متفـردًا. لا يحبون أن يختـاروا سياسـيًّا لا يفهـم فـي الكيميـاء.

الترزي يديـر ورشـة للحياكـة، والطبيـب عيـادة طبيـة، والسياسـي يمـارس السياسـة. ولا يمكـن ممارسـة السياسـة كمهنـة، بـل يمكنهـا أن تكـون مصـدرًا للـرزق.

عندمـا تجـد مصاعـب فـي تربيـة ابنـكَ، وتـراه يـرد عليـكَ بوقاحـة، لا يسـتجيب إلـى مـا تقولـه، ويسـرق الشـيكولاتة مـن المتجـر، أيضًـا عندمـا تجـده يُعلّـق علـى كل شـيء، ويتهـرب مـن المدرسـة، فأنـت أمـام سياسـي واعـد فـي المسـتقبل. عندمـا تجـده يحصـل باسـتمرار علـى تقديـر جيـد جـدًّا فـي مـادة السـلوك (أو حتـى جيـد)، فإنـه بهـذا يتجـه نحـو الهـدف. ولـو أنـكَ اكتشـفت أنـه يدخـن سـجائر المالبـورو، ويشـرب ويسـكي "شـيفاز ريجـال- 12 عامًـا"، وأن نقـودك تختفـي مـن المـكان الـذي خبأتهـا فيـه، فهـو مرشـح لمنصـب سياسـي فـي المسـتقبل بجـدارة. وعندمـا تجـد أنـه لا يرغـب فـي العمـل، عندهـا تأكـد أنـه سـيكون سياسـيًّا بـكل تأكيـد.

وحسـب علاقتهـم بالعمـل نجـد أن مليونًـا ونصـف مليـون سـلوفاكي لديهـم فرصـة للعمـل فـي السياسـة. فـي سـلوفاكيا، حسـب إحصائيـة صـدرت عـام 2005 يوجـد 2,2 مليـون موظـف مـن إجمالي أربعـة ملاييـن مواطـن بالـغ، منهـم ثلاثمئـة ألـف مديـر وصاحـب عمـل. هـذا يعنـي أنـه يوجـد مليـون ونصـف مليـون مواطـن لا يعملـون، ويركنـون إلـى البطالـة. إنهـا مشـكلة تواجـه المجتمـع بأكملـه؛ لأن وجـود كل هـذا العـدد مـن السياسـيين غيـر ممكـن، فحتـى لـو وصـل الشـيوعيون إلـى السـلطة، سـيعمل فـي السياسـة مـرة مـن لا يرغـب فيهـا.

يسـعى السياسـي أن ينـال حـب النـاس، يحـاول تحقيـق هـذا بالحسـنى فـي البدايـة، لكنـه عندمـا يـرى أن النـاس لا يُقبلـون عليـه، يكتفـي بـأن يجعلهـم يخافـون منـه. الحـب والكراهيـة متلازمـان ليـس فقـط فـي الحيـاة العامـة، لكـن فـي السياسـة أيضًـا.

السياسي في الائتلاف والمعارضة

"لَيْسَ مِنْ مَهَامِّ السِّياسِيِّ حَلُّ مَشَاكِلِ المُواطِنينَ، بَلْ تَسْلِيَتُهُم"

مؤلف مجهول

يوجد فرق جوهري بين السياسي المعارض والسياسي في الائتلاف الحاكم. سياسيّ الائتلاف تعرفه بأنه عضو في الحكومة، أما نائب الائتلاف فتعرفه بأنه عادة لا يشارك في مناقشات البرلمان إلا عندما تقدم المعارضة اقتراحًا بإقالة رئيس الوزراء، أو أحد أعضاء الحكومة، باستثناء ذلك فهو لا يظهر في القاعة إلا عند التصويت. نائب المعارضة تعرفه عندما لا يظهر إلا لانتقاد مشروع قانون مقدم من الحكومة، وأمر يكاد يحدث باستمرار. تجده نشطًا أثناء التصويت، رغم أنه يعرف أن صوته في الغالب لا يغير من الأمر شيئًا، ورغم ذلك يشارك في التصويت خوفًا من أن يوبخه الصحفيون بأنه يتقاضى أجرًا دون مقابل.

عندما يتعرض رجال السياسة لأحد المواقف المزعجة (أن يراهم أحد برفقة عشيقته، أو يتهم بالنصب والاحتيال، أو يسقط في أحضان رجل المرور من خلف عجلة القيادة وهو مخمور)، في هذه الحالة لا فرق بين سياسي معارض وآخر مشارك في الائتلاف. يتضامنون معًا، وتتسم ردود أفعال نواب المعارضة والائتلاف الحاكم بالرحمة، والتفاهم، وينادون وقتها بالتسامح. سياسيو كلا المعسكرين متطابقون في آرائهم فيما يخص زيادة مرتبات النواب، وحتى في إقرار القوانين ذات الطبيعة الشعبية قبيل الانتخابات. عادة يتم إقرار زيادة مرتبات النواب بعد إجراء الانتخابات، كي يكون هناك مزيد من الوقت لنسيان هذه الزيادة قبل الانتخابات التالية. ولو زادت مرتبات المواطنين قبل الانتخابات، وكذلك المعاشات، فهذا لا يعني أنها لن تتغير بعد الانتهاء من الانتخابات، لكن المؤكد هو أن الزيادة التي تمت على مرتبات النواب لن تُمَسّ بعد الانتخابات.

من الأفضل لكَ بلا جدال أن تكون سياسيًّا في المعارضة لا عضوًا في الائتلاف الحاكم،

لـو أخذنـا الموضـوع مـن ناحيـة قـوة شـعبيتكَ بيـن المواطنيـن. لكـن هـذا لا ينطبـق إلا فـي حالـة أن يقـوم الائتـلاف الحكومـي بإجـراءات لا تلقـى قبـولًا فـي الشـارع، لكـن عندمـا يقـوم الائتـلاف الحاكـم بإجـراءات تسـعد المواطنيـن يصبـح السياسـيون أعضـاء الائتـلاف الحاكـم مفضليـن لـدى المواطـن. إن الحـدود بيـن السياسـيين فـي المعارضـة والائتـلاف غيـر صارمـة، وكل مـن بقـي فـي العمـل السياسـي لفتـرة أطـول يتنقـل بيـن صفـة سياسـي معـارض وسياسـي فـي الائتـلاف، فالسياسـيون الذيـن قضـوا فـي العمـل السياسـي أكثـر مـن ثـلاث فتـرات انتخابيـة ولديهـم خبـرة فـي العمـل بالحكومـة والمعارضـة، مهـددون بـأن يختلـط عليهـم الأمـر؛ لذلـك مـن الحكمـة أن يحـال إلـى التقاعـد كل سياسـي قضـى فـي السياسـة أكثـر مـن فترتيـن انتخابيتيـن.

هل أعمل في السياسة أم لا؟

"لَوْ أَنَّ الذَّكَاءَ هُوَ الشَّرْطُ الوَحِيد لِلعَمَلِ السّياسِي لَكَانَت الدَّرَافِيلُ أَكْثَرَ مَنْ مَارَسَهَا"

مؤلف مجهول

من السهل ترك العمل السياسي، لكن من الصعب الانخراط فيه؛ لذلك نجد أن غالبية الناس لا ترغب في العمل بالسياسة. لذلك فإن فرصة وجود منافس لكَ تكاد تكون صفرًا، من الناحية العملية. إن إجمالي عدد أعضاء جميع الأحزاب السياسية في سلوفاكيا بلغ 25 ألفًا، نسبة 0،0062 من السياسيين بين أربعة ملايين من المواطنين البالغين. لكنها فكرة مذهلة أن يقوم 25 ألف مواطن بإدارة ما تبقى من الملايين الأربعة. أنا لا أزعم أن إرادة الغالبية هي أساس الديموقراطية، لكن ليس إلى درجة هذه الأقلية الساحقة. لكن لوكنت تعتقد ذلك، فلا تتردد، وانضم على الفور إلى تلك الأقلية الآمرة. ليس مطلوبًا منكَ سوى أن تتخلص من اعتزازك بنفسك، وتتنازل عن آرائك الشخصية، وحبك للحقيقة، والأصدقاء الحقيقيين، وأن تتخلى عن احترامك لباقي المواطنين، وحريتك الشخصية، ورغبتك بأن تكون مفيدًا، وأن تتنازل عن حياتك الشخصية، وبعض الأمور الأخرى.

يعتقد بعض المواطنين أن الأخلاق والتعليم والخبرة هي أسس الدخول إلى عالم السياسة. أعتقد بكل ثقة أن هناك دولًا تنطبق فيها مثل هذه المعايير، لكني لا أتذكر واحدة منها الآن. بل على العكس، تحضرني مثلاً الجمهورية التشيكية وقت أن كان رئيس وزرائها "ستانيسلاف جروس". كانت الخدمة العسكرية التجربة الوحيدة التي خاضها ذلك الرجل الشاب، حسب ما ذكره زميله في الحزب وقتها "ميلوش زيمان"، إضافة إلى أنه عمل لبضعة أشهر كفني كهرباء. وفي الوقت الذي كانت فيه الكوادر العاملة إبان النظام القديم مرشحة لعضوية الحزب الشيوعيّ، كان "ستانيسلاف جروس" مرشحًا لوظيفة سائق قطار، خط براغ- فرشوفيتسا. وعندما سقط النظام الشيوعي التحق بالعمل السياسيّ، وصار عضوًا في المجلس الفيدرالي، وكي لا يكون في موضع يتصف بالحماقة درس في كلية الحقوق في جامعة غرب بوهيميا في مدينة "بلزن". وفي الوقت الذي غرق فيه آخرون في إعداد

الرسـائل العلميـة، ألقـى عليهـم "ستانيسـلاف" بــ34 ورقـة أتـى بهـا مـن الحـزب، حصـل بهـا علـى لقـب دكتـوراه فـي القانـون. اجتـاز امتحانًـا صعبًـا فـي اللغـة الألمانيـة فـي جامعـة غـرب بوهيميـا، رغـم أنـه حسـب شـهود عيـان لـم يكـن يعـرف مـن اللغـة الألمانيـة ولا حتـى حـرف الفـاء المرقـق. بهـذه الشـهادات صعـد إلـى منصـب وزيـر الداخليـة، ترافقـه فضائـح زوجتـه الماليـة، ثـم تولـى منصـب نائـي رئيـس الـوزراء، ثـم رئيـس الـوزراء. لـو أنـكَ ترشـحت لوظيفـة سـائق قطـار، واجتـزت امتحـان اللغـة الألمانيـة، وأديـت الخدمـة العسـكرية، ولـم تمـارس عمـلاً واحـدًا فـي حياتـكَ، يمكنـكَ أن تجـرب حظّـك فـي السياسـة، وقبلهـا اتصـل ببـراغ واطلـب منهـم النصيحـة.

أصـل الإنسـان مهـم قبـل أن يخـوض فـي السياسـة، ولا حـظَّ لـكَ فـي الحـزب الوطنـي السـلوفاكي لـو أنـكَ مـن أصـول مجريـة. وغيـر مسـموح لـكَ أن تكـون مـن أصـول مجريـة لـو أردت أن تلتحـق بحـزب الائتـلاف المجـري. أمـا لـو أردت أن تدخـل حـزب الحركـة المسـيحية الديموقراطيـة، فـلا يجـب أن تكـون بروتسـتانتيًّا، وفـي الحـزب الشـيوعيّ ممنـوع أن تكـون ميسـور الحـال، أمـا الأصـل اليهـودي فمرحَّـب بـه فـي كل مـكان.

السياسيّ والعمل

"رَجُلُ سِياسَةٍ يَبْحَثُ عَنْ كُرْسِيٍّ. مَلْحُوظَة: مَا لَمْ يَكُنْ مُتَاحًا يُمْكِنُهُ أَنْ يَعْمَلَ في أي وَظِيفةٍ"

ستانو راديتش

العمـل، وخاصـة العمـل الشـريف، يعتبـر ظاهـرة لافتـه للنظـر، ويمكننـي أن أكتـب عنـه الكثيـر مـن المعلومـات الجيـدة لـو وجـدتُ فـي نفسـي رغبـة فـي عمـل كهـذا، وفـي الغالـب لا أجدهـا. لا أعـرف إن كان ذلـك لأنـي عملـت فـي مجـال السياسـة، أم أننـي التحقـت بالسياسـة لأننـي لـم أجـد فـي نفسـي الرغبـة فـي العمـل. العمـل الشـريف أمـر لا يخلـو مـن مخاطـرة. وليـس أسـوأ مـن أن يـراكَ رئيسـك فـي العمـل وأنـت متحمـس لعمـل شـيء مـا، فالنتيجـة إمـا أن يرقيـكَ، وهـو مـا يعنـي عمليًّـا أنـك بعـد أن كنـت تعمـل يوميًّـا ثمانـي سـاعات ونصـف بـكل همـة، بعـد الترقيـة سـيكون عليـكَ أن تعمـل اثنتـي عشـر سـاعة يوميًّـا. مثـل هـذه المخاطـر توجـد فـي كل مهنـة، باسـتثناء السياسـة. فلـو لاحـظ رئيسـك أنـكَ تَجِـدُّ فـي عملـكَ سـيبدأ علـى الفـور فـي تكليفـك بمزيـد مـن المهـام كـي لا يكـون لديـك وقـت لتُعْـدِي الآخريـن بحماسـك.

النـاس يفضلـون رجـال السياسـة الذيـن لا يفسـدون أي شـيء. أقـل الخسـائر يسـببها الرؤسـاء، والملـوك، والفراعنـة، والقياصـرة. ولا يقومـون إلا بدورهـم التمثيلـي فقـط. يفتتحـون بطولـة العالـم، والكرنفـالات، والمهرجانـات، ويقومـون بالأنشـطة الخيريـة، وأشـياء أخـرى يحبهـا النـاس. لا يتدخلـون فـي السياسـة رغـم أنهـم يرغبـون فـي ذلـك، لكـن الدسـتور لا يسـمح لهـم بذلـك. الملـوك، والرؤسـاء، والفراعنـة، والقياصـرة لا يفعلـون سـوى القليـل؛ لذلـك خسـائرهم قليلـة، لذلـك يتصـدرون قائمـة الأكثـر شـعبية علـى الـدوام. الفراعنـة وبعـض القياصـرة وصلـوا إلـى درجـة التأليـه.

مـن عـادة كثيـر مـن الشـركات أن يجلـس الموظفـون فـي مكاتـب زجاجيـة، أو فـي مكاتـب ضخمـة بـدون حوائـط كـي تسـهل مراقبتهـم، ومعرفـة مـن يعمـل منهـم، ومـن يتظاهـر بأنـه يعمـل. قـد تكـون بدعـة جيـدة أن يجلـس نـواب البرلمـان السـلوفاكي فـي مكتـب واحـد ضخـم بـدون

حوائط ويحمل كل منهم بطاقة تحمل اسمه.

علاقة السياسيين السلاف بالعمل حميمية، شأن كل السياسيين من غير السلاف. هذه العلاقة موروثة منذ أيام تشارلز الأكبر، حيث كانت الناس تعمل في المناجم التابعة له حتى يلقوا حتفهم نتيجة الإرهاق. كان هؤلاء سكان أوروبا الشرقية الذين يطلق عليهم السلاف، وبالإنجليزية "slaves". فالـ Slave هو إذن مواطن سلافي، وصار مرادف الحب الأبدي للعمل حتى الإعياء القاتل، حتى صاروا يطلقون على العبد باللغة الإنجليزية كلمة "Slovan". لكن هذا بالطبع لا يعني أن لاعبي كرة القدم في فريق "سلوفان" يَكِدُّون في عملهم.

بحث ملكُ إحدى الممالك يومًا عن وزير للعمل، ووجه إلى أحد المرشحين هذا السؤال: "نَقَل وزيران كومة من الفحم، لبس أحدهما قفازًا في يده، ولم يفعل الآخر. فمن منهم تلوثت يداه بعد أن فرغا من العمل؟ أجابه المرشح بكل ثقة: "ذلك الذي لم يلبس قفازًا". "إجابة خطأ"، أجابه الملك، وأعاد الكَرَّة، إلى أن فقد الأمل في العثور على الوزير المناسب. حتى جاءه أحدهم، فأجاب على السؤال كالتالي: "لم تتلوث يد أحد منهما. والأمر كله عبثي في الواقع، فمن غير المعقول أن يعمل الوزير". على الفور اتخذه الملك وزيرًا له.

السياسيّ والمواطن

"الشَّعْبُ لَيْسَ مَصْدَرَ السُّلْطَةِ السِّياسِيَّةِ، بَل القَوَانِين"

ماو تسي تونج

شاركتُ ذات يوم في سباق للدراجات مع "ميكولاش تزوريندا". تجاذب "ميكولاش" أطراف الحديث مع مجموعة من المواطنين لا ينتمون للغجر في إحدى القرى الجبلية، والتفَّتْ حولي مجموعة أخرى من الغجر. وصاح رجل غجريّ مهتاج يترنح من السُّكْر، وقال إنه لا يخاف، وسيضرب رئيس الوزراء. صاح رجل من مكان ما قائلاً: "اهدأ، إن معه حرّاسًا!". تردد الغجري، ثم صاح: "إذن سأضربك أنت!".

يعتقد بعض المواطنين لأسباب مجهولة أن واجبهم الأساسي أن يحكموا غيرهم، حتى وإن كان ذلك بطريقة غير مباشرة، أي من خلال نوابهم. حتى إنهم يترقبون ما سيفعله نوابهم الذين انتخبوهم. إن مثل هذه التطلعات من مقبل المواطنين ليست في محلها. من ذا الذي لا ينزعج من تربص الآخرين به؟ إن نواب الشعب قد يمارسون الحكم بطريقة أكثر اتزانًا لو أنهم تأكدوا من أن المواطنين قد حلّوا عن سمائهم. فليس من اختصاص المواطنين أن يحكموا، بل أن ينتخبوا نوابهم فقط، وبانتهاء الواجب الانتخابي ينتهي دور المواطن في المشاركة في إدارة الشأن العام، إلى أن يحين موعد الانتخابات التالية.

المواطنون في الواقع لا يعرفون رجال السياسة، لا يعرفون إلا من يظهر منهم في وسائل الإعلام بانتظام. ولا يظهر في الميديا إلا ممثلو الأحزاب السياسية. لقد أشرت في الفصول السابقة إلى أن من يمثل الأحزاب السياسية ليست الكفاءات، بل الكوادر الطموحة فقط. وعادة ما تنظم منظمات استطلاع رأي الشارع استطلاعات تحمل هذا السؤال: "من هم أكثر السياسيين الذين تثقون بهم؟". لا يمكن أن يثق المواطن إلا في السياسي الذي سمع عنه. أما السياسي الذي لا يعرف بوجوده، فلا يمكنه أن يثق فيه. وهذا ما تؤكده كل استطلاعات الرأي. وهذا مثال على استطلاعات الرأي التي تقيس مصداقية السياسيين:

استطلاع مؤسسة الشأن العام- يناير 1999، بالترتيب: "دزوريندا"، "فيتسو"، "ميتشيار"، "شوستر"، "شموجنروفا"، "كاليكوفا"، "فايس"، "سلوتا"، "جاشباروفيتش"، "بوجار"، "كوكان".

استطلاع معهد قياس الرأي العام- أغسطس 2005، بالترتيب: "فيتسو"، "جاشباروفيتش"، "ميتشيار"، "بوجار"، "سلوتا"، "دزوريندا"، "روكسو"، "ميكلوش"، "مارتينكوفا"، "هروشوفسكي"، "كاليناك"، "بانيوفا"، "كوكان"، "بالكو"، "ليبشيتس"، "كاسكي"، "فاتاشكا".

استطلاع معهد قياس الرأي العام- يناير 2006، بالترتيب: "فيتسو"، "جاشباروفيتش"، "ميتشيار"، "بوجار"، "مارتينكوفا"، "بانيوفا"، "دزوريندا"، "هروشوفسكي"، "سلوتا"، "كاليناك"، "ميكلوش"، "ليبشيتس".

ينقسم المواطنون إلى فئتين: المواطن السعيد وهم السياسيون، والمواطن الحزين وهم الآخرون. والآخرون يطلقون عليهم الشعب. والشعب فئة متأرجحة للغاية. السياسي يحتاج إلى الشعب، كي يكون هناك من يحكم باسمه. ويصف السياسيون الشعب بأوصاف كثيرة حسب حاجتهم إليه: الأصدقاء، الناس، المواطنون، الجمهور، الحشود، الجموع، الشارع، الرعاع، العصابة، الأوغاد، الدهماء، الخ.

كلما أدرك الشعب أن دوره التاريخي هو دفع الضرائب كي يكون لدي السياسيين ما يعيشون عليه، كان ذلك أفضل، أفضل للسياسيين وللشعب على حدٍّ سواء. المواطن مسئول عن أفعاله، أما السياسي فليس مسئولًا. المواطن يمكن أن يُعَاقَب على أعماله السيئة، أما السياسيّ فلا يعاقب، أو بالأحرى يمكن أن يُعاقب السياسيّ، لكن شيئًا كهذا لم يحدث حتى الآن.

مسئولية رجل السياسية

"حَوْضُ العَلَفِ الفَارِغِ مَسْئوليَّةُ العَلَّافِ وَلَيْسَ الخِنْزِير"

المؤلف

إن عنـوان هـذا الفصـل غيـر دقيـق، فالسياسـيّ غيـر مسـئول. المواطنـون دون غيرهـم هـم مـن تقـع علـى عاتقهـم المسـئولية؛ لأنهـم هـم مـن اختـاروا السياسـيّ وأعطـوه ثقتهـم. فلـو أن شـابًّا اختار "آنـا" زوجـة لـه، فليتحمـل المسـئولية عنهـا، ولا يجـب أن يتظاهـر بأنـه لا يعرفهـا. السياسـيون جـاءوا مـن رحـم المواطنيـن. فلـو أن أحـد الآبـاء أرسـل ابنـه للتزلـج وهـو لا يرتـدي ملابـس كافيـة تقـاوم البـرد، فسـيكون هـو المسـئول عـن إصابتـه بالبـرد؛ لذلـك ليـس مـن الملائـم أن يلقـي المواطنـون باسـتمرار بالمسـئولية علـى عاتـق السياسـيين.

لـم أسـمع يومًـا مـن الناخبيـن وهـم يعترفـون بخطئهـم فـي التصويـت لأحـد، فمـا دام المواطـن لا يتعلـم مـن خطئـه، ويظـل يختـار علـى نحـو سيئ، فليتحمـل خطـأه، ويكـف عـن الشـكوى. إن القـاء التهمـة علـى السياسـيين هـو نفسـه الحـال عندمـا لا تطعـم الخنازيـر ثـم تتهمهـا بأنهـا أكل بعضـه البعـض؛ لذلـك فالمواطنـون الذيـن يتحلـون بالمسـئولية يجـب أن يفكـروا فـي إطعـام رجـال السياسـة أولًا كـي لا يجوعـوا ويفقـدوا أعصابهـم.

لكـن هنـاك حـالات اسـتثنائية، يعتـرف فيهـا رجـال السياسـة بالمسـئولية. تحـدث هـذه الحـالات عندمـا يحقـق السياسـيّ أو حزبـه نجاحًـا. رجـل السياسـة هـو المسـئول الأول عـن أي نجـاح، أمـا الفشـل فيرجعونـه إلـى الطقـس السـيئ، وصحفـي الإثـارة، والناخبيـن، وزحمـة المـرور، ونقـص الأماكـن فـي مواقـف سـيارات مجلـس النـواب، والمنبـه الـذي لـم يـرنّ، أو الحَمَـوات.

إن أكثـر السياسـيين تحمـلًا للمسـئولية يدخـل التاريـخ مـن أوسـع أبوابـه، وقـد تمكـن مـن هـذا فـي السـنوات الأخيـرة، الرئيـس الأمريكـي بيـل كلينتـون. فبعـد فضيحتـه الشـهيرة مـع مونيـكا لوينسـكي بـدأت شـركة صناعـة المطـاط الصينيـة Guangzhou Rubber Group فـي إنتـاج واقٍ ذكـري اسـمه "كلينتـون"، وآخـر "لوينسـكي". مـن الواضـح أن الشـركة اسـتغلت الموقـف

المسئول الذي عبر عنه الرئيس الثاني والأربعون لأمريكا تجاه الجنس. وقال المتحدث باسم الشركة الصينية: "إن الواقي الذكري "كلينتون" سيكون من أفضل منتجاتنا، لكن الواقي الذي يحمل اسم "لوينسكي" لن تكون له نفس الكفاءة". للأسف، بيل كلينتون يعد مثالًا نادرًا على تحمل المسئولية السياسية. ونادرًا ما ينجح رجل السياسة في أن يصبح مثالًا يقتدي، ثم يطلق اسمه على الواقي الذكري.

السياسي صاحب المبادئ

"السِّيَاسِيُّ عَدِيمُ المَبَادِئِ، هُوَ مَنْ بَدَأَ في الأَخْذِ ثُمَّ تَوَقَّفَ عَنْ ذَلِك"

كيلي

نحـن نقسـم السياسـيين مثلمـا نفعـل مـع المأكـولات، عندمـا نقسـمها إلـى مأكـولات حامضيـة، وأخـرى حُلْـوة[13]. السياسـيون الحامضيـون هـم مـن يأكلـون المحـار، والأسـماك، واللحـوم، والدواجـن، والبيـض، وحبـوب الطعـام، والقمـح، والمكسـرات (باسـتثناء اللـوز والبنـدق)، والجبـن، والعـدس، والفـول السـوداني. السياسـيون الذيـن ينتمـون إلـى النـوع الحلـو هـم مـن يأكلـون التيـن، والصويـا، وحبـات الفاصوليـا، وبراعـم الفاصوليـا، والمشـمش، والبرقـوق، والزبيـب، واللـوز، والجـزر، والبلـح، والكرافـس، والبطيـخ، والكرنـب، والبطاطـس، والقرنبيـط، والجريـب فـروت، والطماطـم، والخـوخ، والعنـب، والمـوز، والبنـدق، والحنطـة. يتضـح مـن عـرض المأكـولات هـذا أنـه ليـس مـن السـهل أن تكـون سياسـيًّا ضمـن الفئـة الحلـوة؛ لأن حـلاوة رجـل السياسـة تظهـر فـي المقـام الأول بأنـه لا يـأكل اللحـوم، وعـدد مـن يـأكل اللحـوم أكثـر ممـن لا يأكلهـا، رغـم أن عددهـم فـي تزايـد. وهـذه إشـارة جيـدة، فكلمـا ظهـر فـي السياسـة رجـال مـن الفئـة الحلـوة كان هـذا أفضـل حتـى للمواطنيـن الحامضييـن أنفسـهم. أن تكـون بـلا مبـادئ لا يعنـي بالضـرورة أنـكَ حامضـي، لكـن أمثـال هـؤلاء السياسـيين علـى الطريـق الصحيـح، وسـيصبحون ذات يـوم حامضييـن. ولا تنفـع معهـا ذرائـع مـن قبيـل أنـه لا يمكـن الحصـول علـى التيـن أو براعـم الفاصوليـا بسـهولة. كمـا أن الكرنـب والبطاطـس والجـزر موجـودة عنـد كل البائعيـن بالأسـواق. يتواجـد السياسـيون ذوو المبـادئ بنسـبة كبيـرة فـي المناطـق التـي تسـتهلك الكرنـب والبطاطـس.

يجـب الانتبـاه والحـذر مـن السياسـيين أصحـاب المبـادئ الذيـن عـادة مـا يبـدءون حديثهـم بكلمـات مثـل: "اسـمحوا لـي أن أتحـدث معكـم بصراحـة"، أو "هـل لـي أن أتحـدث معكـم بصراحة؟"، الـخ. السـمة الطبيعيـة للبشـر هـي المصارحـة، ويوجـد فـي الواقـع كثيـر مـن السياسـيين الأغبيـاء

(13) "حلوة" هنا ترجمة لكلمة سلوفاكية تعني أيضًا: أساسي أو مبدئي أو ذو مبدأ. كلمة "حامضي" تحمل المعنى العكسي، أي عديم المبادئ (المترجم).

الذيـن يعتمـدون المصارحـة. "الأشـخاص الصريحـة" تسـتطيع اسـتدعاء المشـاعر الجياشـة، ويصلـون إلـى حـد الإجهـاش بالبـكاء. وغالبًـا مـا تكـون "الأشـخاص الصريحـة" هـي أول مـن يطعنـك بخنجـر فـي ظهـركَ. فلـو أنـكَ مـن الأشـخاص التـي تتبنـى الصراحـة فعـلاً فاحـذر مـن أن يعـرف بذلـك أحـد ممـن حولـك.

السياسـي صاحـب المبـادئ هـو ذلـك الرجـل الـذي عندمـا يقـرر الانتقـال مـن حـزب إلـى آخـر، لا يجـب أن يتوقـف عـن تكـرار ذلـك. وعندمـا يبـدأ فـي مـوالاة زملائـه فعليـه أن يواصـل هـذا الأمـر. إن رجـل السياسـة يبنـي مصداقيتـه عندمـا يلتـزم بالمبـادئ التـي يتبناهـا. فالسياسـي الـذي يتلقـى الرشـاوى ثـم يتوقـف عـن ذلـك يفقـد مصداقيتـه. السياسـي صاحـب المبـادئ هـو الرجـل الـذي عندمـا يقـرر أن يأخـذ شـيئًا مـا فعليـه أن يواصـل مـا بـدأه. فمـا إن يتوقـف حتـى يفقـد مصداقيتـه لـدى مـن حولـه. والسياسـي الـذي يفقـد مصداقيتـه ينتهـي أمـره. وعندمـا يعـرف النـاس المبـادئ التـي بـدأت فـي مخالفتهـا فعليـكَ أن تعثـر علـى مبـادئ جديـدة لتكسـرها.

العداوة في السياسة

"عِنْدَمَا يُصَافِحُكَ أَحَدُهُم وَهُوَ يَضَعُ يَدَهُ فَوْقَ صَدْرِه، انْظُرْ مَاذَا يَحْمِلَهُ فِي يَدِهِ هَذِه"

بِيناس

خير لكَ أن تكون عدوًّا في السياسة، لا صديقًا. فلو أنكَ عدوّ فلديكَ فرصة أن تصبح صديقًا؛ فلا يمكنكَ كعدو إلا أن تصبح صديقًا. فضلاً عن أن عدد الأعداء في السياسة يفوق الأصدقاء؛ لذلك سوف تكون ضمن الأغلبية العظمى. يتواجد الأعداء في السياسة في الأماكن التالية:

1. في نفس الحزب.
2. في داخل الائتلاف الواحد.
3. في المعارضة.
4. في كل مكان.

يبدو من الوهلة الأولى أن أعداء رجل السياسة خارج حزبه أكثر من داخله. لكنه مجرد اعتقاد، فرجل السياسة يعرف أن التهديد الأكبر يأتيه من بين أقرانه. وهناك مزايا عديدة لوجود عدو من داخل الحزب الذي تنتمي إليه، فيمكنكَ على سبيل المثال أن تتواصل مع زميلكَ في نادي الحزب، وهذا غير ممكن في نادي حزب غريب، فهم لن يسمحوا لكَ بالدخول إلى هناك إلا إذا أعلنت عن أنكَ ذاهب للشكوى من زميل لكَ في حزبكَ. لا طائل من التشهير بعدوكَ لأنه لا يشكل تهديدًا لكَ.

من مزايا العدو أنه لن يخونكَ يومًا. مكمن العداوة التالي الخطير بعد حزبكَ هو الائتلاف، رغم ذلك يمكنكَ أن تعتمد على شركائك في الائتلاف أكثر من غيرهم؛ لأنهم نادرًا ما ينقلبون ضدك، على عكس أعضاء حزبكَ، لكن هناك استثناءات، ورغم ذلك ينتهي الأمر دائمًا بأن يأسفوا على ما فعلوا، أما أعضاء حزبكَ فعادة لا يشعرون بالأسف.

الأعـداء فـي السياسـية يتداعـون عليـكَ فـي كل مـكان، فـلا توجـد مهنـة أخـرى تنضـوي علـى كل هـذه المخاطـرة الجهنميـة، بـأن تتوقـع العـدو فـي كل مـكان وزمـان. ذات مـرة لكمنـي أحـدم وأنـا أسـبح فـي بحيـرة "ليبتوفسـكا ماريـا"، لكـن هـذا حـدث وأنـا وسـط المـاء؛ لذلـك جـاءت الضربـة بطيئـة.

لا يوجـد فـي السياسـة أصدقـاء، ويمكنـكَ أن تجدهـم عندمـا تجـد لأحدهـم العُـذر. كان "جوزيـف فيسـاريونوفيتش سـتالين" بالفعـل مـن أشـهر الشـخصيات السياسـية فـي التاريـخ التـي عـلاَ نجمهـا بفضـل تسـامحه. فعندمـا عفـا سـتالين عـن أحدهـم، حُكِـم علـى المعفـو عنـه بالإعـدام. لـم يحـدث الإعـدام فـي الحـال لأن "جوزيـف" المحتـال كان يحـب التواصـل مـع أنـاس كانـوا عمليًّـا فـي عـداد الأمـوات، إنهـا ظاهـرة لا نراهـا إلا لـدى الأشـخاص الذيـن يتحلـون بالتسـامح. أرسـل البعـض إلـى حبـل المشـنقة حتـى بعـد مـرور عشـرين عامًـا، كانـوا يحملـون لـه فيهـا مقعـدًا بـدون مسـند للظهـر ليقـف عليـه كـي لا يلاحـظ أحـد طولـه البالـغ 160 سـم. كانـوا يفعلـون ذلـك وعلـى وجوههـم إيمـاءة سـخرية. لـم ينـسَ هـذه الإيمـاءة. كان سـتالين يشـبه هتلـر فيمـا يتعلـق باختيـاره الأشـخاص الذيـن أنكـر حقهـم فـي الحيـاة. بالنسـبة لهتلـر كان اليهـود والشـيوعيون مـن بعدهـم. ونفـس الأمـر بالنسـبة لسـتالين. لـم يَلْـقَ حتفـه فـي عمليـات التطهيـر التـي تمـت فـي قيـادة الجيـش السـوفيتي فـي الفتـرة مـن 1937- 1938 سـوى الشـيوعيين وحدهـم، دون غيرهـم. تمـت عمليـات التطهيـر علـى أسـاس تقريـر مـزور قدمتـه الشـرطة السـرية التابعـة لحـزب سـتالين (الجسـتابو) لشـرطة هتلـر السـرية، ثـم قامـت شـرطة هتلـر بقديـم التقريـر مـن خـلال "هايدريـش" إلـى حكومـات فرنسـا وتشيكوسـلوفاكيا، التـي قامـت بدورهـا بإعـادة التقريـر إلـى سـتالين مـع خالـص الشـكر. ظهـر التقريـر، بالمناسـبة، بنـاء علـى تعذيـب أحـد ضبـاط الجيـش الأحمـر المدعـو "شـميت" الـذي أعـد قائمـة بضبـاط الجيـش الذيـن ادّعـى أنهـم يتعاونـون مـع ألمانيـا. والآن انتبـه! إنهـا الأرقـام: عمليـة تمـت علـى مرحلتيـن صفـوا خلالهـا ثلاثـة مـن خمسـة ضبـاط سـوفيت، وثلاثـة عشـر مـن خمسـة عشـر مـن قـادة الجيوش، وثمانيـة مـن تسـعة مـن قـادة الأسـاطيل، وخمسـين مـن بيـن سـبعة وخمسـين قائـد فرقـة، ومئـة وخمسـين مـن بيـن مئـة وسـتة ثمانيـن قائـد وحـدة. كانـوا غالبيتهـم مـن أصدقـاء سـتالين السـابقين؛ لذلـك لا عجـب مـن أن الألمـان وصلـوا حتـى نهـر الـ"فولجـا" عندمـا غـزا هتلـر الاتحـاد السـوفيتي. وعيـن سـتالين صديقيـه مدمنـي الخمـور "بودونـي" و"فوروشـيل" كقائديـن للجيـوش. وكأن المعجـزة وحدهـا هـي التـي سـاقت "جوكـوف"، و"كونيـف"، وملاييـن مـن الجنـود السـوفييت الباسـلين الذيـن حمـوا البـلاد وسـتالين نفسـه. لـم يقـم أي مـن هتلـر أو سـتالين بتصفيـة أصدقائهـم بأنفسـهم. كان

لديهـم أنـاس مخصصـة لهـذا الغـرض، وقامـوا لاحقًـا بتصفيتهـم هـم أيضًـا. فلـو أراد الأصدقـاء فـي السياسـية إقصـاء صديـق لهـم فهـم يسـتأجرون لهـذا الغـرض أناسًـا يسـهل التخلـص منهـم غيـر مأسـوف عليهـم. يشـير المثـال المذكـور إلـى أنـه مـن الأفضـل لـكَ أن تكـون عـدوًّا لا صديقًـا. علـى الأقـل لـن تنـدم عندمـا يطلقـون عليـكَ النـار.

فـاز "روبـرت فيتسـو" فـي انتخابـات 2006 وهـو يحمـل شـعار: "مـن سـرق فـي عهـد "ميتشـيار"، سـرق أيضًـا فـي عهـد "دزوريـنـدا"". وهـو مـن قـال أيضًـا فـي عـام 2000: "المنتصـر فـي السياسـة السـلوفاكية هـو مـن سـيطرد "ميتشـيار" خـارج الحقـل السياسـي". وقـال فـي عـام 2001: "إن تشـكيلة حـزب حركـة سـلوفاكيا الديموقراطيـة بـدون "ميتشـيار" تشـكيلة عظيمـة بالنسـبة لـي". وأكـد فـي فـي عـام 2006: "إنـه مـن الخطـورة بمـكان لقـاء رجـل مثـل "ميتشـيار""، وأضـاف بعـد ذلـك بشـهر واحـد، فـي مايـو مـن نفـس العـام: "إن حـزب "سـمار" لا يمكنـه أن يتعـاون مـع شـخص السـيد "ميتشـيار"". وبعدهـا بشـهر آخـر – فـي نهايـة يونيـو- جلـس مـع فلاديميـر ميتشـيار علـى طاولـة الحكومـة. لكنـي لا أزعـم أنهـم أصدقـاء.

مستشار رجل السياسة

"المُسْتَشَارُ رَجُلٌ يَسْتَعِيرُ مِنْكَ سَاعَةَ يَدِكَ، ثُمَّ يَسْأَلُكَ: كَمْ السَّاعَةُ الآن؟ ثُمّ يَنْصَرِفُ بِها"

تاونسيند

المستشـار هـو فـي الأسـاس شـخص جبـان، إنـه إنسـان عاجـز عـن تحمـل المسـئولية بنفسـه؛ لذلـك يكتفـي بتقديـم النصيحـة، ولا يهمـه إن كانـت نصيحـة طيبـة أم خبيثـة، فلـن يعـرف أحـد مـا قالـه لرجـل السياسـة، ولـن يعتـرف رجـل السياسـة بأنـه يتلقـى النصائـح مـن أحـد. المستشـار علـى قناعـة بـأن الشـعب لـن يعـرف إن كان أكثـر أو أقـل ذكاء مـن رجـل السياسـة الـذي يعمـل لديـه.

كان الفيلسـوف الصينـي "كونفوشـيوس" أحـد هـؤلاء المستشـارين الذيـن يتحلـون علـى الأقـل بنفـس القـدر مـن ذكاء السياسـيين الذيـن يعملـون معهـم. سـتمائة عـام قبـل الميـلاد، عندمـا بـدأ اليونانيـون يمسـكون بمقاليـد الحكمـة، علَّـم كونفوشـيوس النـاس كيـف يصبحـون سـعداء، ووضـع منظومـة أخلاقيـة للحـكام الذيـن يفتـرض أنهـم قـدوة أخلاقيـة لشـعبهم كأسـاس لممارسـة الحكـم، وقـد التـزم بعـض قياصـرة الصيـن بتعاليمـه، ومـن بيـن مـا نصحهـم بـه كونفوشـيوس أنـه قـال:

- "اصنعـوا الدولـة علـى نفـس شـاكلة الأسـرة. ولا يمكنـكَ أن تديـر الأسـرة علـى نحـو جيـد إلا عندمـا تكـون قـدوة لهـا".

- "للفضيلة معنى واحد ينطبق على الفلاح وعلى الحاكم".

- "احرص على الابتعاد عن الأعمال المجرمة كي تقلل من تعرضك للعقوبة".

- "كان الصينيـون أناسًـا أخيـارًا إبـان حكـم الملكيـن الطيبيـن "يـا" و"كسـو". وصـار النـاس أشـرارًا إبـان حكـم الملـك "كيـا"، والملـك "شـوا"".

- "افعل لغيركَ ما ترتضيه لنفسكَ".

- "أَحِبَّ الناسَ جميعًا، واعشقْ كل من يفعل الخير. انْسَ الإهانة، ولا تَنْسَ الأعمال الخيرة".

- "هناك من الناس من يعجز عن اقتناء العلم، لكن ليس هناك من يعجز عن الالتزام بالفضيلة".

كان كونفوشيوس يقدم النصائح على أمل أن يلتزم السياسيون بها، وعندما أيقن أنهم لن يقدروها حق قدرها، راح يسعى هو في تطبيقها على أرض الواقع. انضم إلى حكومة القيصر "لو" وسعى إلى تطبيق أفكاره في الواقع السياسي، فكانوا يصفقون له. صفقوا لها طالما كانت مجرد أفكار، وبمجرد أن حاول تحويلها إلى أعمال توقفوا عن التصفيق. وتجاوز أعداؤه عدد أصدقائه على مدى أربعة أعوام قضاها في السياسة، وحرص هؤلاء الأعداء على أن يرسلوه إلى المنفى. ومن بعد كونفوشيوس حاول "سينسا"، و"غاندي"، وآخرون. لكن لم تُكلَّلْ محاولة أي منهم بالنجاح. لذلك فالمستشارون عقلاء، وينصحون سياسييهم بألَّا يتجاوز الحديث عن الأخلاق حيز الكلمات.

مستشار رجل السياسة شخص يناقش السياسي في مختلف القرارات، لكنه لا يتحمل المسئولية عن أي منها. تقول الحكمة اليهودية: أفضل لكَ أن تكون نبتة صغيرة وسط الحشائش الباسقة. ويقول قانون الحشائش إن النبتة سوف تنمو وترتفع، عاجلاً أم آجلاً، إلى أن يحين وقت قطافها. الحشائش تُجْتَزّ، بينما النبتة الصغيرة تبقى، ويمكن أن تنزلق قدم من يسوى الحشائش بتلك النبتة الصغيرة، فيسقط وتكسر قدمه. إن المكان المثالي للأشخاص الذين يعجزون عن الظهور أمام الشعب بأنفسهم هو أن يقفوا في الخلف، ويؤثروا في الشخص الذي يقف النور فوق المنصة.

يبذل المستشار كل ما في وسعه كي يبلغ رجله أقصى درجات النجاح. أن تكون مستشارًا لرئيس أو لوزير، ومنهَكًا من العمل، خير من أن تكون مستشارًا مدلَّلاً لنائب في البرلمان أو نائب في مجلس محليّ.

السياسيّ والبيروقراطية

"كُلُّ مَنْ لَدَيْهِ سُلَطَةٌ دَائِمًا مَا يَسْتَغِلُّهَا"

ليوبارد

إن صلاحية رجل السياسة الناجح في أغلب الأحوال لا تتجاوز الفترة المتوسطة، أما صلاحية البيروقراطي الناجح فهي لا نهائية. السياسيون يأتون وينصرفون، أما البيروقراطيون فباقون، يسخرون من رجال السياسة. لم يظهر في العالم حتى الآن وزير استطاع خداع موظف، ربما يحقق الوزير بعض النجاح المؤقت، لكن الفوز النهائي في صراع رجال السياسة مع الموظفين يكون دائمًا لصالح الموظف. البيروقراطي يختبئ خلف رجل السياسة، ويدفعه لفعل أشياء يتحمل السياسي مسئوليتها أمام الناس. رجل السياسة ببساطة هو عبارة عن عيدان باسقة، والبيروقراطي نبتة صغيرة وسطها.

يعلن السياسي قبل الانتخابات عن حرب ضروس مع البيروقراطية، وتنتهي هذه الحرب فور انتهاء الانتخابات، فلا وجود لرجل السياسة بدون موظفين.

تقدم وزارة المستعمرات في بريطانيا العظمى خير مثال على المناعة التي تتمتع بها البيروقراطية، ففي عام 1935 كانت بريطانيا العظمى على قمة سلطتها كقوة استعمارية. قامت وزارة المستعمرات التابعة لبريطانيا بتوظيف 357 شخصًا. وبعد الحرب العالمية الثانية، وخاصة بعد استقلال الهند، تواصل انهيار نظام المستعمرات البريطانية. كان لدى تلك الوزارة في عام 1947 بالتحديد ألف ومئة وتسعة وثلاثون موظفًا، وفي عام 1954 عندما تقلص عدد المستعمرات بقوة بلغ عددهم 1661 موظفًا. لا تذكر المصادر إجمالي عدد الموظفين في وزارة المستعمرات اليوم، حيث لم يعد لدى بريطانيا العظمى مستعمرات. نحن محظوظون لأننا لم نكن إمبراطورية استعمارية يومًا ما، ووفرنا الكثير من الأموال التي أُنفِقَتْ على موظفي وزارة المستعمرات.

لا تختلف الولايات المتحدة الأمريكية عن بريطانيا العظمى كثيرًا، فقد كان أول رئيس

لها - وهـو جـورج واشـنطن- يحكـم ثلاثة ملاييـن مواطـن و350 موظفًا عامًّـا. أما اليوم فيحكـم الرئيس الأمريكـي 230 مليـون مواطـن ويديـر ثلاثـة ملاييـن بيروقراطـي، أو موظـف حكومـيّ government employees ، كـي يكـون اللفـظ أكثـر جمـالًا. يتضـح مـن المثاليـن الأمريكـي والبريطانـي، أن موظـف الحكومـة هـو أخطـر وأهـم وظيفـة فـي الدولـة. جاءنـي أثنـاء عملـي كنائـب طاقـم تليفزيـون الدولـة لإجـراء حـوار معـي، وكان الطاقـم مكونًـا مـن سـتة أفـراد. ومـن محطـة التليفزيـون الخاصـة "مركيـزا" جـاء فـردان فقـط لإجـراء حـوار مشـابه.

السياسي والأموال

"لَيْسَ صَحِيحًا أنَّ وَاحِدًا مِنْ كُلِّ اثْنَيْنِ مِنْ رِجَالِ السِّيَاسَةِ يَتَلَقَّى رَشاوَى. بَلْ إنَّ وَاحِدًا مِنْ كُلِّ اثْنَيْنِ لَيْسَ مُرْتَشِيًا"

مؤلف مجهول

لا أحـب الكلمـات غيـر اللائقـة، مثـل: "هـذا لا يحـدث إلا عندنـا". سـلوفاكيا ليسـت اسـتثناءً فـي أي شـيء، وكل مـا يحـدث عندنـا يمكـن أن يحـدث فـي أماكـن أخـرى، فالسـلوفاك لـم يخترعـوا السـفينة البخاريـة، ولا نظريـة النسـبية، ولسـنا مـن ابتدعـوا الفسـاد، فهـو مزدهـر مـن قبـل أن تظهـر سـلوفاكيا للوجـود.

وصـل الفسـاد فـي اليونـان القديمـة مسـتويات عاليـة، حتـى إنهـم كانـوا يرسـلون الأمـوال لرشـوة "خـارون" - إلـه البـرزخ فـي العالـم الآخـر- مـع الميـت. وكانـوا يسـتخدمون عملـة معدنيـة خاصـة بالرشـاوى، ويضعونهـا تحـت لسـان الميـت. أمـا عندنـا فـلا نضـع الأمـوال تحـت لسـان الميـت، بـل نضعهـا فـي جيـوب الأحيـاء العامليـن فـي مكتـب دفـن الموتـى، حيـث يتأفـف عمـال الدفـن مـن تكفيـن ودفـن ميـت غيـر مُعَمَّـد، ولِـمَ لا وبعـض الكهنـة الكاثوليـك يشـاركونهم الأمـرَ نفسـه؟

أول الآثـار المكتوبـة عـن الفسـاد فـي جمهوريـة سـلوفاكيا الحديثـة، ظهـرت إبَّـان حكـم "فلاديميـر ميتشـيار" فـي عـام 1993. وأول ظهـور للفسـاد علـى الإطـلاق ذُكِـر فـي العهـد القديـم، فـي سـفر الخـروج، وأيضًـا فـي قوانيـن مانـو الهنديـة مـن عـام 1000 قبـل الميـلاد[14]. كمـا جـاء ذكـر للفسـاد فـي مصـر القديمـة، وبـلاد بابـل، والصيـن، واليونـان، ورومـا القديمـة. لقـد قضـى الفسـاد علـى الإمبراطوريـة الرومانيـة، وسـقطت الإمبراطوريـة، وعـاش الفسـاد. وقـد حـان الوقـت للتفكيـر: كيـف سـنباري العالـم فـي هـذا المجـال؟

وقبـل أن نحلـل علاقـة السياسـي بالفسـاد، دعنـا ننظـر إلـى علاقـة المواطـن بالفسـاد. حسـب

(14) ورد ذكر الفساد في نصوص مصرية قديمة، أشهرها "شكاوى الفلاح الفصيح"، وترجع إلى ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد، بينما كُتِبَتْ أقدم نسخة من التوراة بين عامي 1155 – 1225 ق. م. (المترجم)

بحـث أجرتـه مؤسسـة سـلوفاكيا الدوليـة للشـفافية (TIS) نجـد أن %40 (أي مـا يعـادل 1،8 مليـون مواطـن بالـغ فـي سـلوفاكيا) اعتـرف بأنـه قـدم رشـوة لأحدهـم مـرة واحـدة علـى الأقـل فـي حياتـه. وتقـول بيانـات النائـب العالـم السـلوفاكي إنـه فـي عـام 2001 تـم اكتشـاف 83 جريمـة فسـاد، وفـي عـام 2002 زاد العـدد إلـى 139، وفـي عـام 2003 وصـل إلـى 147. وحسـب الإحصـاءات لـم تكتشـف الهيئـات المكلفـة بمراقبـة القانـون إلا نسـبة %0،000087 مـن حـالات الفسـاد التـي اعتـرف بهـا مرتكبوهـا. لـدى الحكومـة وكل وزارة مـن الـوزارات قسـم خـاص بمكافحـة الفسـاد. وحسـب مؤسسـة الشـفافية السـلوفاكية يعتقـد %60 مـن المواطنيـن أن الحكومـة غيـر مهتمـة بمكافحـة الفسـاد. أنـا لا أفهـم السـبب الـذي يدفـع المواطنيـن لمطالبـة الحكومـة بحـل قضيـة الفسـاد، ونصـف السـكان البالغيـن تقريبًـا يشـارك بصـورة فعالـة فـي دعـم الفسـاد! وحسـب اسـتطلاع آخـر لنفـس المؤسسـة يعتقـد %22 فقـط مـن السـكان أن السياسـيين يتمتعـون بالأخـلاق. ولمـاذا لا يفـوز فـي الانتخابـات مـن يمثلـون نفـس الشـعب؟

تـم تقنيـن الفسـاد فـي بعـض الـدول، وأطلقـوا عليـه اسـم "مجموعـات الضغـط"، ففـي واشـنطن تـم توظيـف 67 ألـف فـرد فـي مجموعـات الضغـط، وهـو مـا يمثـل 125 موظفًـا لـكل عضـو فـي الكونجـرس الأمريكـي. لكـن لا توجـد عندنـا مجموعـات الضغـط هـذه؛ لذلـك يقـوم أعضـاء جماعـات الضغـط بتقديـم الرشـاوى بصـورة غيـر رسـمية.

إن الفاسـدين أنـاس حاسَّـة الشـمِّ لديهـم مُدرّبـة بصـورة هائلـة. يشـعرون بـكل مـن هـو على اسـتعداد لأن يكـون فاسـدًا. يمكنـكَ أن تغتسـل بأجـود أنـواع الصابـون، ورغـم ذلـكَ سيشـمون رائحتكَ.

مـن العبـث رفـض الفاسـدين؛ لأن الفسـاد هـو وقـود النمـو فـي سياسـة أي دولـة وأي بيـت. تقـول الإحصائيـات إن كل بيـت يدفـع رشـاوى بمـا يعـادل ثلـث دخله الشـهري. وحسـب الإحصائية الرسـمية عـن معـدل الفسـاد نكتشـف أن المواطـن يدفـع رشـاوى بمعـدل سـت عشـرة مـرة شـهريًّا. إذن بـدون الرشـاوى لـن تذهـب أطفالـه إلـى المـدارس، والحضانـات، ولـن يذهـب أقاربـه إلـى المستشـفيات، ولـن يحصـل علـى الـدواء مـن الصيدليـات، ولـن يحظـى بفرصـة عمـل، ولا حتـى بجنـازة إلا بعـد أن تتعفـن جثتـه، ولـن يحصـل علـى الخضـروات والفواكـه المسـتوردة. تقـول الألسـن الخبيثـة إنـكَ بالرشـوة سـتحصل علـى شـهادة تقـول إن والـدكَ قـد توفـي ثـم اسـتيقظ فـي اليـوم التالـي مـن بيـن الأمـوات، صعـد إلـى السـماوات العـلا وجلـس علـى يميـن العـرش الإلهـي. هـذه البيانـات جـاءت مـن كينيـا، البلـد الـذي يتصـدر قائمـة أكثـر الـدول فسـادًا علـى وجـه الأرض.

معدة رجل السياسة ومؤخرته

"الخِيَانَةُ مَسْأَلَةُ تَارِيخٍ"

تشارلز موريس دي تاليران

إن المعـدة بالنسـبة لرجـل السياسـة أحيانًـا أهـمُّ مـن عقلـه وقلبـه، فالسياسـي الـذي يتمتـع بذهـن متوقـد وقلـب سـليم، ولديـه معـدة ضعيفـة لا مـكان لـه فـي السياسـة. لا أعنـي بهـذا وضعـه وهـو يتنـاول الغـداء فـي بوفيـه المحطـة، فيصـاب بوعكـة صحيـة، بـل أعنـي بـه عندمـا يعجـز عـن هضـم أحـد القـرارات التـي لا يرضـى عنهـا. فعندمـا يتفاخـر النائـب، علـى سـبيل المثـال، بمـا حصـل عليـه نظيـر تخليـص رخصـة فـي إحـدى الـوزارات، وفـي اليـوم التالـي ينتقـد زميلـه علـى نفـس الأمـر أمـام كاميـرات التليفزيـون، يبـدو أن معدتـه قـد انقلبـت عليـه، فيأخـذ حبـات "إنديـارون" ثـم يقـول إن هنـاك مـا هـو أسـوأ مـن ذلـك. وعندمـا يحـدث مـا هـو أسـوأ مـن ذلـك بكثيـر، يواصـل الادعـاء والشـكوى، مـرة تلـو الأخـرى. لا ينتبـه إلـى أنـه لـم ينظـر إلـى نفسـه فـي المـرآة منـذ زمـن، وإلـى أن الـ"إنديـارون" فقـد مفعوله.

فـي اليونـان القديمـة لـم يكـن يحظـى بالمواطنـة إلا مـن يشـارك برأيـه فـي الشـأن العـام. كان شـرط مشـاركة الإنسـان فـي الشـأن العـام هـو أن يكـون هـو نفسـه ذا رأي خـاص بـه، وبدونـه لا يشـارك فـي الشـأن العـام، كان ممنوعًـا علـى العبـد أن يدلـي برأيـه، وكانـت المواطنـة قاصـرة علـى مـن يشـارك بصـورة فاعلـة. وكانـوا يطلقـون علـى المواطـن الفاعـل ذي الـرأي "المواطـن العـام"- homo politicus. كان المواطـن العـام شـخصًا يتمتـع بالحريـة، لا يخـاف مـن التعبيـر عـن رأيـه فـي المجتمـع الحـر، وكان امتـلاك رأي فـي اليونـان القديمـة سـمة ذوي العقـول والقلـوب. وبـدأ التبـرم مـن أصحـاب الآراء مـع ظهـور المسـيحية، حيـث تـم اسـتبدال الإنسـان المفكـر بالإنسـان المتديـن -homo credens. ووضعـت النظريـة المسـيحية النشـاط السياسـي العقلانـي لدولـة المدينـة اليونانيـة فـي إطـار دينـي. وعمليًّـا اختفـت الديموقراطيـة فـي العصـور الوسـطى نتيجـة تقويـة سـلطة الكنيسـة، واختفـى معهـا كل رأي باسـتثناء رأي كبـار ممثلـي الكنيسـة الكاثوليكيـة. وتنامـت ضـرورة امتـلاك معـدة جيـدة فـي العصـور الوسـطى، ولـم تعـد الجـرأة ومعهـا حريـة

التعبيـر إلا مـع حركـة الإصلاح والتنويـر البروتسـتانتية، فتضاءلـت أهميـة المعـدة فـي السياسـة لفتـرة مـا، لكنهـا اسـتردت أهميتهـا التـي كانـت عليهـا فـي العصـور الوسـطى مـع تنامـي دور الأمـوال فـي السياسـة. ومـن وقتهـا وإلـى اليـوم أيضًـا أخـذت المعـدة تتأقلـم مـع كميـة الطعـام.

المؤخـرة بالنسـبة للسياسـي الموظـف أهـم بكثيـر مـن المعـدة، فالمؤخـرة، وحسـب الإنجيـل، تعـد جـزء مهمًّـا مـن أجـزاء الإنسـان. ورغـم أن يوحنـا أكـد أنـه يعنـي بذلـك الفـم، غيـر أن الأشـياء تدخـل إلـى الجسـد مـن خـلال الفـم، ولا تخـرج منـه. والواقـع أن الفراعنـة المصرييـن قـد عرفـوا بـأن مـا يخـرج مـن الإنسـان مـن مؤخرتـه أهـم بكثيـر، فـكان لديهـم ذواقـة للغائـط. كانـوا بمثابـة خبـراء فـي تشـخيص الأمـراض، يعرفـون حالـة الملـك الصحيـة حسـب طعـم الغائـط. كانـوا لا يقلـون أهميـة عـن الأطبـاء، وكان المجتمـع يُكِـنُّ لهـم كل احترامًـا وتقديـرًا. أطبـاء اليـوم لا يتذوقـون غائـط الحـكام، والحـكام يموتـون كمـا مـات حـكام آخـرون قبلهـم. لقـد بالـغ يوحنـا فـي أهميـة النهايـة السـفلية لأنبـوب الهضـم بـكل تأكيـد.

المؤخـرة والفـم همـا نهايـة لطرفـي نفـس الأنبـوب. وإنهـا مجـرد مصادفـة أن يكـون الفـم حيـث هـو، والمؤخـرة حيـث هـي. وحالـة المؤخـرة هـي مجـرد نتيجـة لحالـة الفـم.

إن مؤخـرات الرؤسـاء فـي السياسـة ذات أهميـة كبيـرة، لكـن مؤخـرات المرءوسـين لا أهميـة لهـا. وتـزداد أهميـة مؤخـرة رجـل السياسـة بصـورة مطـردة مـع أهميـة منصبـه، فالعضـو العـادي فـي أحـد الأحـزاب لا يحتـاج عمليًّـا إلـى هـذا العضـو، لذلـك ندعـو العضـو العـادي إلـى أن يسـتثمر أموالـه فـي مجفـف الشـعر، أو فـي شـكل رأسـه، أو فـي "چـل" للشـعر كـي تنزلـق الأشـياء مـن فوقـه علـى نحـو أفضـل، لكـن لا يجـب المبالغـة فـي وضـع الـ"چـل" كـي لا تنزلـق أنـتَ نفسُـكَ. تقـول الكتـب المتخصصـة إن الشـرط الأساسـي للعمـل السياسـي هـو أن يكـون لديـكَ عقـل، ومؤخـرة. ولـم يتحـدث أحـد عـن القلـب.

"أَفْضَلُ الأَسَالِيبِ الَّتِي يُحَافِظُ بِهَا السِّيَاسِيُّ عَلَى مَاءِ وَجْهِهِ، هُوَ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى نِصْفِهِ السُّفْلِيِّ مُغَلَقًا"

مؤلف مجهول

سعادة السياسي الكبرى تتحقق عندما يشعر بالسلطة. يضع له رجال المرور مثلًا "كلابشات" على إطار سيارته عندما يقف في مكان ممنوع فيه الوقوف. وهنا تأتيه فرصته، يتصل مبتسمًا بغرفة عمليات شرطة المدينة وهو يقدم نفسه قائلًا: "أنا "سوكر" نائب في مجلس النواب السلوفاكي". يقول كلمة "نائب" عن عمد رغم أنه على ثقة كاملة بأن كل إنسان يعرفه شخصيًّا، لكنه يقولها من باب الاحتياط كي لا يدفع غرامة متوقعة. يأتي رجال المرور بعد لحظات ويزيلون الغطاء عن إطار السيارة، ويعتذرون له بكل احترام. إنها اللحظات التي فيها يدرك الإنسان أهمية أن يكون نائبًا في البرلمان. مشاعر السعادة هذه لا يمكن أن يشعر بها النواب الأثرياء في البرلمان؛ لأن رجال الشرطة يخلطون بين سياراتهم وسيارات قادة عصابات المافيا. لم أسمع بعد عن رجل شرطة وضع أصفادًا على سيارة "أودي 8" أو على أحدث موديلات سيارة مرسيدس "ميتاليك".

يصاب رجل السياسة بالسعادة أيضًا عندما:

- يثني عليه الرئيس في رسالة قصيرة بالهاتف المحمول أو شخصيًّا. في حالة الثناء عليه أمام حشد من الناس يُغْمَى عليه من النشوة.

- يحصل على مكافأة مادية.

- ينال إعجاب الجماهير، والنساء منهم خاصة.

- يرى صورة له على صفحات الجرائد.

- يستمع إلى نفسه في الإذاعة.

- يرى نفسه فوق شاشات التليفزيون.

- يسافر بالقطار مجانًا.

- يظهر في مكان جَلِيٍّ في قائمة المرشحين.

- لا يرى زميله الذي يمقته في مكان واضح للعيان.

- يتعادل مع منافسه السياسي.

رغـم أن كل النـاس تدعـي أن مولـد طفـل أو حفيـد، أو الـزواج، هـو أكبـر مصـدر لسـعادتهم، غيـر أن قمـة سـعادة السياسـي تتحقـق عندمـا يتغلـب علـى غريمـه. ويتحقـق هـذا الأمـر عندمـا نـراه يأسـى عليـه، حتـى إن السياسـي المحنـك يـذرف الدمـع أثنـاء جنـازة زميلـه الـذي اسـتطاع أن يهزمـه. وأكثرهـم حنكـة هـم مـن يذرفـون دمـوع التماسـيح، فهـم يسـعدون بحزنهـم، غيـر أن التمسـاح لا يـذرف الدمـوع حزنًـا علـى ضحيتـه، بـل لأنـه أدخـل بفمـه قطعـة أكبـر مـن حجمـه، فالجرعـة التـي يمسـك بهـا تضغـط علـى الغـدد الدمعيـة، فيعتقـد الناظـر أن التمسـاح يبكـي أثنـاء التهامـه الضحيـة.

السياسي والأسرة

"دَائِمًا مَا تُصَنَّفُ زَوْجَةُ رَجُلِ السِّيَاسَةِ دَاخِلَ الأُسْرَةِ عَلَى أَنَّهَا مِنْ طَبَقَةِ الكَادِحِين"

فريدريك إنجلز

تتصدر الأسرة قائمة اهتمامات رجل السياسة طالما تحدث عنها بصورة طيبة في وسائل الإعلام طوال الوقت. يعرف رجل السياسة أن النساء ينتخبن رجال السياسة الذين يتمتعون بحياة أسرية طبيعية. إن التواجد في المجالس السياسية، وفي رئاسة الهيئات المركزية والمحلية، وحضور اجتماعات المؤسسات الرئيسية والمؤتمرات، والتردد على النوادي السياسية والمؤتمرات الصحفية، والظهور في المناسبات الخيرية، والاشتراك في افتتاح قطاعات من الطرق السريعة، والسفر في رحلات عمل خارجية وداخلية، كلها تمنع رجل السياسة من الاستمتاع بالحياة الأسرية. وكلما خلت حياة رجل السياسة من نظام عائلي طبيعي ازداد حديثه عنها. وعندما يقترب موعد الانتخابات يُحَسِّن علاقته بأسرته، ويظهر مع زوجته في وسائل الإعلام وهما يبتسمان في وجه الكاميرات والمصورين. يسمح لهم بأن يصوروه وهو يقف في المطبخ ويغسل الأواني، وأيضًا وهو في فناء البيت يقطع الأخشاب ويرتب المنزل ويجتز الحشائش، أو يصنع النقانق في البيت. ودائمًا ما تظهر زوجته بجواره وهي مبتسمة. ويفضل أن يكون في أسرة رجل السياسة أحد المعاقين بدنيًّا، فالناس تحب أن تبدي الحزن على شخص ما.

الأسرة مهمة أيضًا كي يجد رجل السياسة سببًا للانصراف، فغالبًا ما تتخذ القرارات السياسية، أو التصويت عليها، أو أي خطب أمام الجماهير مخالفة لضميره؛ لذلك يحتاج إلى أن يجد متنفسًا. والأسرة هي المكان المثالي لهذا الهروب، فالسياسي في حاجة إلى شخص يلعنه، بما أن رئيسه قد وبخه سابقًا. الزوجة الخبيرة لا تصد زوجها السياسي، ولا تعلق بعبارات مثل: "هل وبَّخك هذا العجوز من جديد!..."؛ لأنها تعرف أن هذا قد يستفزه ويزعجه.

الـدور المهـم للأسـرة هـو إيجـاد الذرائـع نيابـة عـن السياسـي. الأسـر المحكنـة تضـع للذرائـع أرقامًـا، فأحيانًـا يحـدث ألَّا تفهـم الزوجـة إشـارات زوجهـا بعـد أن ترفـع سـماعة التليفـون، وبـدلًا مـن أن تقـول "إنـه عنـد طبيـب الأسـنان"، تقـول إنـه فـي البرلمـان، عندمـا يشـير زوجهـا إلـى فمـه، لذلـك تقـوم الزوجـات بعمـل قائمـة بالذرائـع وترقمهـا، وعندمـا يـرنُّ الهاتـف فقـط يشـير زوجهـا بإصبعـه علـى رقـم العـذر.

أخيـرًا وليـس آخـرًا، يكمـن دور الأسـرة أيضًـا فـي أنهـا تسـمح للـزوج السياسـي بـأن يشـكرها فـي وسـائل الإعـلام علـى التفاهـم، وتهيئـة البيئـة لـه لممارسـة مسـئولياته وأنشـطته، أمـا السياسـيون الذيـن يعيشـون وحدهـم فهـم مسـاكين.

"الجِمَاعُ لَا أَقْدَامَ لَهُ"

ستانو راديتش

النكاح هو أكثر الأساليب نجاحًا في مجال السياسة لتحقيق الشعبية. فلو أن رجل السياسة رفع درجة نشاطه الجنسي إلى درجة ممتاز، يمكنه أن يتوقع أن تكتب عنه الصحفية التي مارسه معها كلمات طيبة. لا يجب أن يقتصر رجل السياسة على ممارسة الجنس مع زوجته، فهذا يضعف من شعبيته، ودعم الرأي العام له؛ لأن الاقتصار على ممارسة الجنس مع الزوجة أمر يجيده أي شخص تافه. لكن أن يُمْسَك به وهو يمارسه مع سكرتيرته أو مساعدته فهذا له تأثير مختلف تمامًا. هناك مثال رائع على هذا، وهو فضيحة "وايت ووترجيت" المعروفة باسم فضيحة "مونيكاجيت". لقد اختلط الأمر على مونيكا لوينسكي، سكرتيرة الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون، وبدلًا من ممارسة الجنس الفموي بالسيجارة، مارسته مع العضو الذكري للرئيس. وعندما انتشرت الفضيحة، وألقى الرئيس بشهادته أمام لجنة الفيدرالية العليا، أكد في بادئ الأمر أنه كان غارقًا في العمل إلى درجة أنه لم يلاحظ ما تفعله مونيكا بقضيبه، وقال إن مونيكا كانت على علاقة "غير مناسبة" مع قضيبه. أصدرت اللجنة حكمها بأن "بيل" كاذب، لكنه اتضح لاحقًا بأنه كان على حق. فعندما تقوم السكرتيرة بممارسة الجنس الفموي مع قضيبكَ وأنتَ غارق في العمل من أجل صالح الوطن، فهذا أمر محمود. لكن بيل كان يلقي بشهادته وهو تحت القسم، فنجا بنفسه. ثمَّن الأمريكيون صراحته بأن تركوه في منصبه حتى نهاية مدته الرئاسية. فلو أن مونيكا مارست الجنس الفموي مع الرئيس المنشغل بمتابعة مباراة البيسبول وليس أثناء العمل من أجل صالح الأمة الأمريكية لاختلف الأمر، فكل ما في الأمر أنها قاطعته أثناء عمله من أجل صالح الشعب بشكل متكرر لمدة ستة أشهر، من نوفمبر 1995 حتى إبريل 1996. ما حدث هو أن الأمريكيين أدانوا مونيكا على الملأ، أما بيل فقد تركوه يواصل عمله في المكتب البيضاوي. يجب أن يتعلم كل مبتدئ في السياسة من قضية بيل كلينتون، ويهتم بإقامة علاقة حميمة مع سكرتيراته بصورة مسئولة. لا يجب أن تهاب هذا الأمر، فيمكنكَ أن تمارس الجنس على نحو مسئول حتى في أماكن أخرى وليس في البيت الأبيض فقط.

سجل الملك الإنجليزي "هنري الثامن" رقمًا قياسيًّا في الجنس، فقد كان لديه ست زوجات. أما المستشار الألماني "جيرهارد شرودر" فكان يملك أربعًا. ومن الوراد، نظرًا

لأنـه بلـغ السادسـة والخمسـين، أنـه قـد تفـوق علـى "هنـري"، فلديـه فضـلاً عـن ذلـك ميـزة أنـه ليـس مضطـرًّا إلـى أن يعـدم زوجاتـه.

الجنـس لا ينفصـل عـن الأمـوال، فأنـت لا تفكـر فيـه إلا عندمـا لا يكـون فـي متنـاول يديـك. وغالبًـا لا يكـون متاحًـا عندمـا تفتقـد المـال، خاصـة عندمـا يتقـدم بـكَ العمـر، ولـم تكـن قـد ادخـرت منـه شـيئًا. ومـن ناحيـة أخـرى، عندمـا يتوفـر لـكَ ممارسـة الجنـس تفكـر فـي المـال، وإن توفـر المـال تفكـر فـي الجنـس. يجـب أن أضيـف أن الجنـس فـي السياسـة عندنـا نـادر، كمـا هـو الحـال فـي الحيـاة العاديـة، فالرجـال فـي الحيـاة العاديـة لا يفكـرون إلا فـي العمـل، وفـي سـعادة المحيطيـن بهـم، هكـذا هـو الأمـر أيضًـا فـي السياسـة.

وعندمـا يحـدث أن يقيـم رجـل السياسـة علاقـة حميمـة مـع امـرأة، فـلا يشـكل هـذا أيـة مشـكلة طالمـا لـم تعـرف زوجتـه بالأمـر بالطبـع. لا تعـرف زوجتـه طالمـا لـم يصـل الأمـر إلـى الصحفييـن. وبمـا أن وسـائل الإعـلام السـلوفاكية لـم تكتشـف حتـى اليـوم أيـة فضيحـة جنسـية سياسـية، فمـن الواضـح أن الفضائـح الجنسـية لا وجـود لهـا عندنـا، ومـن المسـتحيل ألا تعـرف عنهـا مجلـة "نوفـي تشـاص" أو "بـلاص سـدوم دنـي". كانـت هنـاك محـاولات يائسـة لإثـارة أكبـر شـكوك جنسـية فـي السياسـة السـلوفاكية فـي حـق "فيتسـو" و"كالينـاك"، لكنهـا لـم تنجـح، ومـا كان لهـا أن تنجـح؛ لأن الـكل يعـرف أن واجبـات العمـل تأتـي فـي مقدمـة أولويـات "فيتسـو" و"كالينـاك"، ثـم مـن بعدهـا المـرح. إن الصـور التـي ظهـر فيهـا كلا الرجليـن بصحبـة سـيدة مجهولـة لا تؤكـد أي شـيء غيـر اعتيـادي. ربمـا كانـت غيـر عاديـة لـو أن الرجليـن ظهـرا معًـا بصحبـة تلـك السـيدة، أو بدونهـا وهمـا يتجـولان معًـا، ويمسـك كلٌّ منهمـا بيـد الآخـر. وقـد تكـون فضيحـة كبـرى لـو أن أحـد الرجليـن تأبـط ذراع "ميكـولاش دزورينـدا" أو "فلاديميـر بالكـو". بالفعـل قـد تكـون فضيحـة كبـرى أن يظهـر سياسـيون مـن أحـزاب سياسـية مختلفـة وأحدهمـا يمسـك بـذراع الآخـر. وحيـث إن لا "بـلاص سـدوم دنـي" ولا "نوفـي تشـاص" لـم يكتشـفا شـيئًا كهـذا، فيجـب أن تنـام سـلوفاكيا قريـرة العيـن لأنـه لا وجـود لشـيء كهـذا.

ترشـح فـي الانتخابـات التشـيكية عـام 1998 حـزب المبـادرة الجنسـية المسـتقلة، وحصـل علـى نسـبة واحـد فـي المئـة فقـط. فقـط واحـد فـي المئـة مـن الناخبيـن التشـيك أعطـى صوتـه لحـزب يدعـم ممارسـة الجنـس. كذلـك كشـف التشـيك عـن علاقتهـم الإيجابيـة بالبيـرة، فقـد حصـل حـزب أصدقـاء البيـرة علـى نسـبة اثنيـن فـي المئـة فقـط، لكـن لـم يسـقط التشـيك فـي العـار لأن أصدقـاء البيـرة حصلـوا علـى نسـبة مئـة فـي المئـة أكثـر مـن أصدقـاء الجنـس.

السياسيّ والخمر

"الامْتِنَاعُ عَنْ شُرْبِ الخَمْرِ أَمْرٌ جَيِّدٌ، لَكِنْ لَا يَجِبُ المُبَالَغَةُ فِي هَذَا الأَمْرِ"

مؤلف مجهول

لا يقل الكحول في السياسة أهمية عنه في الحياة العادية، فالناس تشرب في أماكن عملها، وفي المصانع، وفي إدارات التحرير، وفي المؤسسات العامة، وأيضًا في الهيئات السياسية. أكثر من ينتقد السياسيين الذين يشربون الخمر هم مواطنون يشربون الخمر. حلَّ رئيس غينيا الاستوائية "تيودورو أوبيانج نجويما" قضية معاقرة المواطنين للخمر بصورة حاسمة عندما منع فقراء بلده من شرب الكحول بحجة أن "الفقراء ليس لديهم سبب لشرب الخمور". وبالفعل، توقف مواطنو غينيا الاستوائية عن الشرب. حاول الرئيس السوفيتي ميخائيل جورباتشوف شيئًا مماثلاً في بداية "البروسترويكا"، وأدت محاولاته إلى اختفاء جميع أنواع العطور من المتاجر السوفيتية، ومن بعدها مساحيق التنظيف والأدوية التي كانت تحتوي على نسبة ما من المواد الكحولية. وعندما اختفت المواد الكحولية بدأ الروس بصورة جماعية في استنشاق الغاز المتصاعد من بنزين الحافلات؛ لأنه يحتوي أيضًا على الكحول. وعندما نقصت الغازات المتصاعدة من الحافلات تأكد المكتب السياسي أن ميخائيل جورباتشوف فقد شرعيته، فأقالوه من منصبه.

تمكن المحافظون الأمريكيون من إضافة 18 مادة إلى دستور الولايات المتحدة الأمريكية تمنع توزيع وبيع المشروبات الكحولية، ومنذ إقرار تلك المواد في الدستور والمحافظون الأمريكيون يشربون الخمور سرًّا.

تقوم كل شركة من وقت لآخر بتنظيم لقاءات وورش عمل ومنتديات لموظفيها. وكانت المنتديات تنظم حتى عند الإغريق، وكان المنتدى بمثابة وليمة يأكلون ويشربون طوال فترة انعقادها، وكان المشاركون في المنتدى يختارون رئيسًا لهم يقوم بتحديد نسب خلط النبيذ بالماء. كان اليونانيون يعتبرون شرب النبيذ الخالص من الأعمال البربرية؛ لذلك كانوا

يحتاجون إلى وقت أطول ليعتدل مزاجهم. وقتها كان الزمن يمر بطيئًا، أما اليوم فيمكننا أن نعتبر لقاء اثنين أو أكثر منتدًى. لم أسمع عن لقاء عمل لا ينتهي بتقديم الخمر، لكن غالبًا ما يقدم الخمر في بداية اللقاءات، والغداء أو العشاء، وفي الدول الأكثر تقدمًا نرى الخمور مع وجبة الإفطار. لا أدري لماذا ينظم العلماء أكثر من غيرهم تلك المنتديات؟

في بوفيه مجلس النواب السلوفاكي لا يقدمون أية خمور باستثناء كئوس بيرة صغيرة ماركة "زلاتي باشانت". لكن النواب يحاولون حل هذه المعضلة قدر المستطاع. كثير منهم يضطرون إلى تهريب الخمور إلى مبنى البرلمان، يتناولون جرعات صغيرة منه في مطعم البرلمان المسمى "برلامنتيكا"، وهو على بعد متر واحد من المدخل الجانبي إلى البرلمان، ويأخذونها معهم في بطونهم.

يتناول رجل السياسية كأسًا أو كأسين أو ثلاث كئوس عندما يجد في نفسه الحاجة إلى التحلِّي ببعض الجرأة، فالسياسي في حاجة إلى التحلي بالجرأة طوال الوقت تقريبًا، قبل لقائه برئيسه، وقبل الظهور أمام كاميرات التليفزيون، أو قبل إلقاء خطابه في جلسة مجلس النواب. السياسي ما هو إلا بشر، ينتابه المزاج العصبي، ويجف فمه قبل الظهور الرسمي. وحسب عقيدة المواطنين فهو يتناول كأسًا لقدمه اليمني، ثم اليسرى، وعلى الفور تأتيه الشجاعة.

اللافت للنظر أن إعجاب المواطنين بالسياسي لا يمنعهم منه أنه لا يشرب. من المعروف عن "فلاديمير ميتشيار" أنه لا يشرب الخمر، ورغم ذلك تقول عنه غالبية السلوفاك إنه "رجلنا المفضل رغم أنه لا يشرب".

"الشَّعْبُ السُّلوفَاكِيُّ شَعْبٌ غَبِيٌّ بِالفِطْرَة.. أُقْسِمُ أَنِّي سَأَبْقَى عَلَى العَهْد"

يان سلوتا

عندما سألوا ستالين في مدينة يالطا: لماذا لم يَدْعُ بابا الفاتيكان؟ أجاب: "كم فرقة عسكرية يمتلكها البابا؟". إن منطق القوة أقوى من منطق العقل.

نحن ننتقد السياسيين بأنهم تعوزهم الشخصية، وفي نفس الوقت لا ننظر إلى أنفسنا. إن شخصيتنا عادة لا تظهر إلا عند مواجهة السلطة، فالسلطة تؤثر على طبيعة البشر على طريقة الطرد المركزي غالبًا، أو أحيانًا العكس. فعملية السحب المركزي تؤثر على المحترفين إلى أن يتقبلهم النظام، أو يرفضهم، ثم تبدأ من بعدها عملية الطرد المركزي، والأمثلة على ذلك كثيرة، وخاصة بين الفنانين الذين تنشط جهودهم للبقاء في قمة المجد. فقد قال "بيرتولد برخت" بعد وفاة ستالين: "نَعِدُكم أننا سنحول تعاليم ستالين إلى واقع من خلال أعمالنا، وسوف نظل أوفياء لعبقريته". كما أنشد "بابلو نيرودا" قائلاً: "ستالين هو شمس الظهيرة الساطعة، ضياء الشعوب والأوطان". كما ألقى "جورج برنارد شو" بحقيبة طعامه من نافذة قطار كان يستقله أثناء رحلة له إلى روسيا في عام 1930، وقت أن كان ملايين الروس والأوكرانيين يموتون جوعًا، وقال: "من ذا الذي يرغب في أن يحمل معه خبزًا وزبدًا وهو في الجنة؟!". "كان "جان بول سارتر" متيمًا بـ "فيدل كاسترو"، وألف "سلمان رشدي" الأناشيد في مدح ديكتاتور نيكاراجوا، وأيضًا علق "جراهام جرين" والدموع تترقرق في عينيه على خطاب السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي. لم يكن أيٌّ من صناع الثقافة العالمية هؤلاء بلا شخصية. لقد آمنوا، وهل من آمن بشيء يمكن أن يكون بدون شخصية؟

انتقد "ماريان لابودا" من على المنصة في نوفمبر 1989 الزعيم الشيوعي السابق قائلاً: "لقد سرقتم منَّا وجوهنا!". فهمت من كلامه أن أحدهم يمكنه - فضلاً عن أموالك وساعة

يدك أو حتى دراجتكَ- أن يسرق وجهكَ أيضًا رغمًا عنكَ.

إن شخصية رجل السياسة لا تظهر إلا عندما ينتهي عمله بالسياسة، إنها اللحظة المناسبة التي يظهر فيها مدى ولائه للرئيس وللحزب، فتتجلى أمام الرؤساء حقيقة مُرّة بأن أكثر تابعيهم كانوا يتصنعون تلك التبعية، وما إن تتسنى لهم فرصة ألَّا يكونوا تابعين حتى يغيروا آراءهم في رئيسهم بصورة مدوية. كان القراصنة الإسكندنافيون القدامى يطلقون على أمثال هؤلاء السياسيين اسم "المسعورون". هؤلاء المسعورون كانوا قتلة، ومتعصبين، ومقاتلين مخلصين لقادتهم، لم يلجئوا يومًا إلى ارتداء الدروع، أو القمصان المحبوكة من الأسلاك. وفي يومنا هذا، هناك سياسيون مقاتلون يدينون بالولاء الشديد لقادتهم حتى يأتيهم قائد جديد.

لغة رجل السياسة

"السِّيَاسَةُ جَنَّةُ المُتَبَجِّحِين"

جورج برنارد شو

"أسير على خُطَى الحقير الذي سبقني!". هذا ما قاله ثالث رئيس للجمهورية السلوفاكية الثانية عن أول رئيس للجمهورية الثانية قبل أن يصبح رئيسًا. "إنه ابن زانية!"، هكذا نعت أحد وزراء الحكومة السلوفاكية رئيس البرلمان السلوفاكي. وقال رئيس البرلمان السلوفاكي واصفًا أحد نوابه: "ولد حقير، ابن داعرة!". يجب أن ينتبه السياسي إلى ما ينطق به، فكل كلمة منه يتلقفها الصحفيون، وربما يقول شيئًا لطيفًا في غياب الصحفيين، فيصير التاريخ فقيرًا. عليكَ أن تنتبه إلى طريقة مخاطبة الزملاء، فرجل السياسة الذي يخاطب زملاءه بعبارات مثل: "السيد الزميل العزيز"، لا ينتبه إليه أحد. لكن عندما يقول: "امْشِ من هنا يا حيوان يا قذر، يا ابن الشرموطة!" كما قالها ذات يوم رئيس الحزب الوطني السلوفاكي لأحد الصحفيين، عندها ستلفت انتباه كثير من المواطنين.

السياسيون الجديرون بالانتباه يستخدمون عبارات لا يعرفون فحواها، مثل التضخم، وإجمالي الدخل القومي، معايير معاهدة ماستريخت، والصناديق الهيكلية، والصناديق الملتحمة، والدَّيْن، والانكماش الاقتصادي، والنمو الاقتصادي، والسياسة المالية، والعملات الأجنبية، والخصخصة، والمقاصة التجارية، وعائد الأسهم، وحقيبة وزارية، وتعويم العملة، وميزان المدفوعات، الخ. يستخدم السياسيون هذه الكلمات بكل ثقة معتمدين على أن المواطنين أيضًا لا يفهمونها مثلهم.

السياسي العاقل يستخدم على الملأ لغة لطيفة وناعمة، فلا يقول إن الوزير الفلاني قد سرق، بل يقول بكل لطف: إن الوزير الفلاني متهم من بسوء استخدام سلطاته. لا يقول: إنني تقاضيت رشوة، بل يقول: لا تعليق. يطلقون على التعبيرات التي تخفف من حدة الموقف محسنات لفظية، وهي مفضلة في مجال السياسة، فعندما يقولون "إن السودان

يعانـي أزمـة إنسـانية"، فهـذا يعنـي أن مليـون شـخص قُتِـل فـي السـودان. وعندمـا يقولـون "إن البنـك قـدم قرضًـا غيـر آمـن"، فهـذا يعنـي أنـه قـدم قرضًـا مقابـل رشـوة ضخمـة. وعندمـا يقولـون "إن السـيد فلانًـا قـد أهـدر أمـوال الصنـدوق"، فهـذا يعنـي أن السـيد فـلان قـد سـرق كل أمـوال الصنـدوق. وعندمـا يقولـون: "لقـد اتفقنـا علـى مواصلـة توطيـد العلاقـات"، فهـذا يعنـي أنهـم لـم يتفقـوا علـى شـيء. وعندمـا يقولـون: "لقـد ناقشـنا القضايـا محـل الاهتمـام المشـرك"، فهـذا يعنـي أن اللقـاء كان بـلا طائـل. وعندمـا يقـول أحدهـم: "أعتقـد أننـا توصلنـا إلـى حـل يناسـب الطرفيـن"، فمعنـاه أننـا لـم نتوصـل إلـى أي حـل. وعندمـا يقولـون "إن الوضـع معقـد، لكننـا علـى الطريـق الصحيـح"، فمعنـاه أننـا لا نعـرف حـلًا لمشـكلة.

ويجـب أن أقـول هنـا دفاعًـا عـن غمـوض لغـة رجـال السياسـة، إنـه بـدون هـذا الغمـوض قـد تظهـر النزاعـات قبـل أوانهـا.

إن إتقـان اللغـات الأجنبيـة تحـدٍّ لرجـال السياسـة، فقـد كان كل مـن لا يتقـن اللغـة اليونانيـة عنـد الإغريـق يعتبـر بربريًّـا. كذلـك هـو حـال السـلوفاك، ففـي بدايـة عـام 2006 أجـرت مؤسسـة Eurostat دراسـة عـن قـدرات مواطنـي الأمـم الأوروبيـة علـى التفاهـم بلغـة أجنبيـة، وقـد تصـدر السـلوفاك هـذه الدراسـة، حيـث قـال 67 فـي المئـة إنهـم يتقنـون لغـة أجنبيـة واحـدة علـى الأقـل، واتضـح أن هـذه اللغـة هـي اللغـة التشـيكية. ولـو قـال مواطنـو صربيـا أن اللغـة الكرواتيـة لغـة أجنبيـة، ولـو أعلـن الكـروات أن اللغـة الصربيـة هـي لغـة أجنبيـة لقُضِـيَ علينـا.

إن قـدرة السـلوفاك علـى تعلُّـم اللغـات الأجنبيـة نـادرة، وتفـوق قـدرة المجرييـن، علـى سـبيل المثـال، بنسـبة مئـة فـي المئـة. فلـو أن أحـد مواطنـي جنـوب سـلوفاكيا السـلوفاك تـزوج مـن امـرأة مجريـة، فإنـه يتقـن اللغـة المجريـة بعـد عشـرة أعـوام، فـي الوقـت الـذي لا تتمكـن فيـه زوجتـه مـن نطـق كلمـة سـلوفاكية واحـدة. لا يجـب أن نأسَـى علـى عـدم إتقاننـا للغـات الأجنبيـة، حيـث إن السياسـيين السـلوفاك يضافـون إلـى قائمـة كبـار السياسـيين الذيـن لا يجيـدون اللغـات الأجنبيـة، ومنهـم المستشـار الألمانـي "هلمـوت كـول"، والرئيـس الأمريكـي "بـوش"، والرئيـس الفرنسـي "جـورج بومبيـدو"، وملـك إنجلتـرا "يـوري الأول"، وغيرهـم.

أيضًـا مـن التحديـات التـي تواجـه مواطنـي بعـض البلـدان إتقـان اللغـة الأم وليـس فقـط اللغـات الأجنبيـة. لا يجيـد الإنجليزيـة فـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة سـوى 30 مليونًـا مـن بيـن 280 مليـون شـخص، ولـو أضفنـا إليهـم 23 مليـون أُمـيّ فسـنجد أن هـذا الرقـم يمثـل الديموقراطيـة الأمريكيـة فـي أعلـى درجاتهـا، وهـي الديموقراطيـة التـي تمنـح نفـس الحقـوق المدنيـة للأمييـن

أيضًا. نجد في مدينة نيويورك مثلاً، أو ديترويت، أو ميامي أكثر من نصف المواطنين البالغين لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ورغم ذلك لا يشكو أحد. يوجد في السنغال مجموعة مؤثرة من الصوفيين الإسلاميين المتشددين (المرابطون)، هؤلاء يُكِنُّ لهم ثلثا المواطنين السنغال كل الحب، وثلثا المواطنين أميون، وكذلك ثلثا المرابطين، ويحاربون الأمية. إن غير المتعلمين في نيويورك، وديترويت، وحتى في السنغال، يحظون بميزة مقارنةً بالمتعلمين، فلا يشغلون بالهم بقراءة الكتيبات، ويستهلكون كل ما يظهر في إعلانات التليفزيون، وهذا هو المطلوب.

الفصل الثامن

اطلب النصيحة

كيف تصنع لنفسك مستقبلاً في السياسة؟

شروط العمل السياسي

"العَمَلُ فِي الحَقْلِ السِّيَاسِيِّ يَعْنِي أَنْ تَحْظَى بِفُرْصَة في التَّحَكُّم فِي مَصَائِرِ الآخَرِينَ، وتَفْقِدَ إِمْكَانِيَّةَ التَّحَكُّمِ فِي مَصِيرِكَ أَنْتَ نَفْسِكَ"

مؤلف مجهول

يشير التعبير الإنجليزي الذي يستخدم في حدائق الحيوانcarrier إلى نوع من الحمام المنزلي ذي منقار طويل وحويصله ضخمة. وفي اللغة الروسية تعني كلمة "كارير": ذلك الجزء من المستنقع الذي يستخرجون منه النباتات المتفحمة. والنباتات المتفحمة عبارة عن مادة تنشأ نتيجة تحلل الأجزاء العضوية. أما اللغة الفرنسية فتقترب كثيرًا من التعريف الدقيق لكلمة carrier. فالفرنسيون يعرفون "الكارير" بأنه تدرج وظيفي ناجح. أما الإنجليزية فهي تقدم تعريفًا دقيقًا للكلمة. فـ"الكارير" هو الشخص الذي لا تبدو عليه أية أعراض مَرضية، رغم أنه يحمل الأمراض الوراثية. الكارير من وجهة النظر الإنجليزية الفرنسية هو "تدرج وظيفي ناجح يبدو وكأنه مرض وراثي". وليس مهمًّا أن يكون الشخص المجتهد على علم به.

غالبية الناس غير راضية عن عملها، وترغب في تغييره، أما السياسي فلا يغيره تحت أي ظرف. ورغم أني لست واثقًا من أن كلمة "وظيفة" تنطبق على السياسة، وكلمة "عمل" أيضًا لا تفي بالغرض، ولا يمكن أن نطلق عليها "حرفة"، فأنا لا أتخيل سياسيًّا يُحضِر خمس زجاجات من البيرة ويجلس أمام التليفزيون مساءً بعد يوم قضاه جالسًا في البرلمان ويقول: "لقد بذلت اليوم جهدًا كبيرًا في العمل". أعتقد أن كلمة "مهنة" هي الأنسب، فصاحب المهنة هو كل رجل قادر على أن ينجز أي شيء بمقابل ماديّ.

يوجد الكثير من الشروط الواجب توافرها لممارسة مهنة السياسة بنجاح، كأن تكون ابنًا لأحد الملوك، أو القياصرة، أو الأمراء، أو أي حاكم آخر، وبصفتكَ القائد العام لجيش إحدى الدول الإفريقية تقوم بحلِّ الحكومة، أو أن يتبنَّاكَ ديكتاتور يحكم مدى الحياة. أما عندنا فيمكنكَ أن تصل إلى السلطة بأن تجدها ملقاة فوق الأرض، أو تلتزم بالنصائح التي سيأتي ذكرها في الفصول التالية.

خُيّـل لـي بنـاء علـى ملاحظاتـي أثنـاء العمـل فـي مجـال السياسـة أن الشـرط الرئيسـي للعمـل السياسـي الناجـح هـو بنـاء علاقـة فاتـرة تجـاه العمـل، وتأسـيس علاقـة فاتـرة تجـاه العمـل ليـس بالأمـر السـهل، لكـن يمكنـكَ بالتدريـب الجـاد أن تبنيهـا، وبنفـس الطريقـة يمكنـكَ أن تبنـي علاقـة حميمـة بالعمـل. الشـروط الرائعـة لبنـاء علاقـة فاتـرة تجـاه العمـل تتحقـق:

- لو أنكَ وُلِدْتَ بيدين أيْسَرين.
- أو كنت وريثًا للعرش.
- أو أن القدر وهبك عصًا سحرية وأنتَ في المهد.
- أو أن القدر منحك زجاجة خمر وأنت في مهدكَ.
- أو أن أمكَ أرضعتكَ منها بدلًا من لبن ثديها.
- لو أنكَ قضيت طفولتكَ وأنت تردد: "المجد للعمل!".
- لو أنكَ قضيت من ثماني ساعات إلى اثنتي عشرة ساعة يوميًّا تشاهد التليفزيون.
- لو أنك قضيت في البار من ثماني ساعات إلى اثنتى عشرة ساعة يوميًّا.
- لو أنكَ قضيت شبابكَ في مصحة إصلاح وتهذيب.
- لو أنكَ كنت عاملًا إبان النظام الاشتراكي الحقيقي.
- لو أنكَ كنت في حياتكَ السابقة منجلًا أو مطرقة.

لا تنخـدع عندمـا تظهـر البثـور فـي وجهـك وأنـت تفكـر فـي العمـل، سـتأتي اللحظـة التـي تبـدأ فيهـا علاقتـكَ الفاتـرة بالعمـل فـي الظهـور بشـكل واضـح ونهائـي، وربمـا تصـل إلـى السـلبية فـي مرحلـة محـددة، وهـى عندمـا تبـدأ فـي التبـول الـلاإرادي حيـن تفكـر فـي العمـل. جرَّاحـو الجهـاز البولـي فـي المجـر يطلقـون علـى هـذه الحالـة ora urinalis. وسـيقول لـكَ أي خبيـر إنهـا اللحظـة المثاليـة للدخـول إلـى عالـم السياسـة، وقـد ذكـرت المراجـع أشـخاصًا خافـوا مـن العمـل أكثـر مـن خوفهـم مـن المـوت.

الرجـل المهنـي إذن ليـس مـن نـوع الحمـام المنزلـي ذي المنقـار الطويـل الـذي يتحـرك فـي بيئـة متعفنـة، بـل هـو إنسـان يتسـلق ليصـل إلـى قمـة السـلطة. لـو وجـدت هـذا فـي نفسـكَ فافعـل كمـا يقـول الألمـان: " Drang nach der Macht"، أي انطلـق نحـو السُّـلطة. لـو كنـتَ جاهـزًا للانخـراط فـي مجموعـات مصالـح، انْـسَ حريتـكَ فـي اتخـاذ القـرارات، واحْـنِ ظهـركَ، وهنـا يمكنـكَ أن تدخـل إلـى عالـم السياسـة، فالسـلطة تفتـح لـكَ ذراعيهـا.

دور الرئيس في حياتك المهنية

"لَوْ سَأَلَكَ الرَّئِيسُ عَنْ رَأْيِكَ فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ يَرْغَبُ فِي أَنْ تَتَّفِقَ مَعَهُ فِي الرَّأْيِ"

شيستر فيلد

يلعب الرئيس دورًا محوريًّا في مسيرتكَ المهنية في العمل السياسي، كلمة واحدة سلبية منه يمكنها أن تحول مستقبلكَ إلى ماضٍ. الشرط الرئيسي لامتهان السياسة هو أن تنال رضا رئيسكَ عنكَ، وكونكَ من المفضلين لديه يتضح من سلوك زملائكَ نحوكَ إلى حد كبير، فلو تمكنت من نيل رضا رئيسك عنكَ فعليكَ أن تُظْهِر هذا على الملأ، بأن تُحَدِّث عنه في غيابه بأن تذكره باسمه الأول، كأن تقول: "فلادو"، أو "ستارو"، أو "ميكي"، أو "بالو"، أو "بيلو"، أو "روبكو"، أو صديقي الرئيس، الخ. لكن في حضوره خاطبه بصورة رسمية بأن تقول: "فلاديمير"، أو "بالو"، أو"روبرت"، أو "ميكولاش". لو خاطبكَ رئيسكَ باسمكَ الأول فسيكون هذا دليلاً دامغًا على أنه يعتبركَ من المقربين منه، ويشير أيضًا إلى أنكما قد ثملتا معًا مؤخرًا، وهذا فوز عظيم. في هذه اللحظة يبدأ الآخرون في طلب ودِّكَ. دوركَ الأساسي أن تحافظ على ودّ رئيسكَ أطول فترة ممكنة، ولو استطعت مدى الحياة.

ومن الممكن أن تخسر إعجاب الرئيس بكَ، وغالبًا لن تعرف أبدًا السبب الذي أدى إلى ذلك، لكن ستلاحظ أن الرئيس لا يرد على مكالماتكَ، ولا الرسائل النصية، ويبدأ في مخاطبتكَ بلقبكَ. إن فقدان تأييد الرئيس يعد ثاني أكبر الكوارث في أسرة رجل السياسية بعد إبعاده عن مكانة متقدمة في القائمة الانتخابية الحزبية. كل كارثة منهما على صلة قريبة بالأخرى. ففقدان استحسان الرئيس لكَ مرتبط أيضًا بالاحتقار من جانب زملاء كانوا يداهنونكَ من قبل، وقت أن كنت تحظى برضا الرئيس. لكن لا داعي لليأس، فلا يمكن التنبؤ بما سيفعله الله ولا الرئيس. حاول أن تعرف من هو الرئيس القادم، وكرر عملية استرضائه مع تجنب الأخطاء السابقة، ابدأ قبل أن يصبح المرشح لمنصب الرئيس رئيسًا بالفعل، فليس هناك ما تخسره؛ لأنك على أية حال فقدت تأييد الرئيس الحالي لكَ.

الحقيقة دائمًا لها رئيس

"الرَّئِيسُ لِعُضْوِ الحِزْبِ: لَوْ أَرَدْتُ أَنْ أَعْرِفَ رَأْيَكَ، سَأُخْبِرُكَ بِهِ!"

مؤلف مجهول

البديهيـات هـي الأشـياء المسـلَّم بهـا فـي المطلـق، ولا يختبـر أحـد مصداقيتهـا، ومـن هـذه البديهيـات أن "الأرض كرويـة"، وأن "اللـه أكبـر"، أو أن "اللـون الأزرق جميـل". مـن البديهيـات أيضًـا أن "الرئيـس دائمًـا علـى حـقّ". لـم ألتـق علـى مـدى أربـع سـنوات مـع مـا يشـير إلـى أن المديـر، أو القائـد أو الرئيـس، لـم يكـن علـى حـق. لذلـك كانـت البديهيـات بديهيـات؛ لأنهـا تسـري بـلا شـروط.

فـلا تـراودك نفسـك يومًـا أن تتجـادل مـع الرئيـس. قـد يحـدث أن تلعـب مـع الرئيـس مبـاراة كـرة قـدم فيحـرز فـي مرمـاه هدفًـا. عليـكَ أن تبتهـج وتتظاهـر بأنـه أحـرزه فـي مرمـى خصمـه، ولـو قـال الرئيـس إن تركيـا تحدهـا مـن الشـرق أفغانسـتان، فاتصـل فـورًا بالسـفارة التركيـة، واطلـب منهـم أن يسـيطروا علـى إيـران. وعندمـا يفتتـح الرئيـس الجلسـة التـي تسـبق الانتخابـات فـي مدينـة "سـيريد" بكلمـات مثـل: "أعزائـي المجانيـن"، علـى الفـور اطلـب مـن مواطنـي "سـيريد" المتجمهريـن أن يغلقـوا أفواههـم ولا يسـتفزوا الرئيـس. الرئيـس علـى حـق حتـى لـو قـال إن الأرض علـى شـكل المعيـن، أو إن الشـمس تشـرق مـن الغـرب. عليـكَ أن تصـدق كل مـا يقولـه وتؤمِّـن عليـه بـلا أي شـرط. اعلـم أن شـكل الأرض، وشـروق الشـمس، لا قيمـة لهمـا علـى الإطـلاق مقارنـة بمسـتقبلك المهنـي.

الخطـأ الكبيـر الـذي يرتكبـه أغبيـاء السياسـية، للصالـح العـام، أو محاولـة للتقـرب مـن الرئيـس، هـو أنهـم يسـتخدمون تعليقًـا علـى كلامـه عبـارة غـادرة: "إنـه كذلـك، تمامًـا كمـا قـال السـيد الرئيس، ولكنـي أحـب أن أضيـف...". هـذه العبـارة تعنـي أن الأمـر يختلـف تمامًـا عمـا قالـه الرئيـس، ورغـم أن الحاضريـن يعرفـون ذلـك، لكـن الغبـي فقـط هـو مـن يسـمح لنفسـه أن يجاهـر بهـذا الأمـر.

ممنـوع أن تزايـد علـى كلام الرئيـس، أو تسـأله، فـأي سـؤال توجهـه لـه يمكـن أن يفهـم علـى نحـو مغايـر. لا تسـأله: "مـن يحيـك لـكَ ملابسـكَ التـي تبـدو دائمًـا أنيقـة؟"، أو "أنـتَ رجـل مثقـف بالفعـل، مـا هـي المكتبـة التـي تتـردد عليهـا؟"، أو "مـاذا تفعـل لتجعـل كل السـيدات يعجبـن بـكَ؟". كل سـؤال مـن هـذه الأسـئلة يمكـن أن يفهمـه الرئيـس علـى أنـكَ تسـخر منـه.

كيف تحظى بتأييد الرئيس

"لَا أُرِيدُ أَنْ أَجْمَعَ مِنْ حَوْلِي مَنْ يُهَلِّلُ لِي. أُرِيدُ أَنْ يُصَارِحَنِي النَّاسُ بِالحَقِيقَةِ، حَتَّى لَوْ كَلَّفَهُمْ ذَلِكَ مَنْصِبَهُم"

صامويل جولدوين

لا تُظْهِر مطلقًا للرئيس أنكَ تتفوق عليه في شيء، لو كنتَ أطول منه بعشرين سنتيمترًا فامْشِ بجانبه منحنيًا، ولو كنتَ أسمن منه بخمسين كيلوجرامًا، اسحب معدتكَ كي تبدو أقل منه نحافة. ليس الأمر سهلًا، لكن طالما أردت أن تصنع لنفسكَ مستقبلًا في السياسة فعليكَ أن تتحمل الأمر. لو حدث أنَّك لا تعاني من نواقص ما، فعليكَ أن تختلق بعضها. اعرُج في مشيتكَ، بلِّل ملابسكَ، أو تظاهر بأنكَ تعاني نوبات صرع. كل هذا سيثير في نفس رئيسكَ الشفقة عليكَ. الرؤساء يحبون الناس الذين يستدعون الشفقة عليهم، قد يحدث أن يدعوكَ رئيسكَ بعد نوبة كهذه إلى أن تجلس في سيارته، وهو فوز كبير، فيراكَ على الأقل بعض أعضاء المجلس الرئاسيّ.

أوصيكَ أن ترسل لرئيسكَ كل يوم باقة زهور كي تنال إعجابه، وهو من الأساليب الناجعة، لكن احترس من أن ترسل له وردًا كي لا يعتقد أنكَ متيم به. الموقف قد يختلف لو كان الرئيس مثليًّا، فهذه حالة لا يمكن تخيلها في سلوفاكيا. على أي حال لا ترسل باقات الزهور إلى زوجة الرئيس، فقد يفسر الأمر على نحو خاطئ. إن إرسال الزهور إلى الرئيس مفيد له؛ لأنه يأخذها إلى زوجته التي في المقابل تعفيه من بعض الأعمال المنزلية.

اكتب قصيدة عصماء في حق الرئيس. لو لم تكن تتمتع بموهبة في نظم الشعر، الجأ إلى الأشعار الكلاسيكية. على سبيل المثال:

أنا من يشتاق إلى الجمال

أَنْشُدُ الحُسْنَ.. سعيدُ

وروحي في ذاك الصَّدَى

وعالمي كله مُوصَدُ

يهل عليَّ من أعالي تاترا

ومن نيران السماوات يطير

هو رب هذه العوالم يرأسني

ويومئ نحوي من مئة حياة

هو المركز، والأساس، والسماء

هو رئيسي، وبهجة الحياة

هذه القصيدة قد عُدِّلَتْ من قبل لصالح رئيس آخر. لو لم تتمكن من كتابة قصيدة، ولو لم تسعفك القصائد الكلاسيكية، حاول باستخدام النثر أن تنال إعجابه. أحرز نجاحًا في جمع الأوراق القديمة، وانسب الفضل في ذلك للرئيس، تأكد من باب الاحتياط من أنه لم يشارك هو الآخر في جمع الأوراق القديمة، فلو شاركَ، فعليكَ أن تجمع ما يقل وزنه عمَّا جمعه هو.

لا تُلْقِ النكات في حضرة الرئيس. لو حاولت أن تتندر حاول أن تفسد النكتة، وأعرب في بدايتها عن مضمونها. اعرق، واسعل، واضرب على جبينكَ لتثبت أنكَ لا تتذكر شيئًا. من المؤكد أن الرئيس سوف يلهو بكَ، وسيبدأ هو نفسه في إلقاء النكات. لو أنه أخبر عشرة مرات عن مغزى النكتة، أو لو أنكَ قد سمعتها من قبل مئة مرة، وخمسين مرة منه هو شخصيًّا فتَلَوَّ فوق الأرض من الضحك، حتى لو لم تكن هناكَ أرض قريبة تتلوَّى عليها، واصرخ من وقت لآخر، وقل: "أنا لم أضحك في حياتي كما ضحكت الآن!"، والأفضل هو أن تظل تتلوى من الضحك لمدة ساعة بعد آخر نكتة قالها.

الخطأ الذي لا يغتفر هو أن تُفصح عن مغزى النكتة قبل أن يقولها الرئيس، ففي هذا نهاية حياتكَ المهنية. لا يجوز عند سماع النكات التي يلقيها الرئيس المثل القائل: "من يضحك أخيرًا يضحك كثيرًا". فقد يعتقد الرئيس أنكَ لم تفهم النكتة، أو ربما أسوأ من هذا، أن النكتة لم تعجبكَ؛ لذلك لا تتوقف عن الضحك قبل الآخرين، كذلك احذر من أن تبدأ الضحك في وسط النكتة، فقد يعتقد الرئيس أن النكتة قديمة، وأنك تسخر منه. إن حياتكَ

السياسية قد تنتهي بمجرد أن تقول له: "أنا أعرف هذه النكتة".

تحـرك علـى مقربـة مـن الرئيـس، فهـو يحتـاج فـي كل لحظـة أن ينظـف شـيئًا مـا. كـن مسـتعدًّا دائمًـا بخرقـة فـي يـدكَ تعطيهـا لـه، فلـو حـدث ولـم تكـن تحمـل فـي يـدكَ خرقـة، لا قـدر اللـه، أعـطِ للرئيـس معطفـكَ، ولـو لـم تكـن ترتـدي معطفًـا، فـلا تتـرد واخلـع قميصـكَ. ولـو لـم تكـن ترتـدي قميصًـا اخلـع التـي شـيرت، أو ملابسـك الداخليـة. لا يمكـن أن أوصـي بأكثـر مـن ذلـك، وأقـول لـكَ إنـكَ يمكـن أن تقـوم بجسـمكَ مقـام الخرقـة. فـي الواقـع أن هـذا أمـر كريـه إلـى درجـة أن الإنسـان لا يمكنـه أن يعتـاد عليـه، لكـن قـرار أن تكـون بمثابـة خرقـة للرئيـس أعتبـره قـرارًا شـخصيًّا.

لـو التفـت إليـك الرئيـس بعـد نصيحـة خالصـة النيـة، وقـال لـكَ موبخًـا: "هـل جننـت؟!".. الإمكانية الوحيـدة لكـي تنجـو بنفسـكَ هـي أن تُجَـنَّ بالفعـل، عندهـا فقـط يمكـن للرئيـس أن يعفـو عنـكَ، ولكـي يكـون أداؤك مقنعًـا اخطـف الهاتـف مـن يـد الرئيـس واغمسـه فـي المسـتردة. أو لـو وبخـكَ وأنتمـا فـي مطعـم البرلمـان، اطلـب وجبـة مضاعفـة واصـرخ بأنكمـا "الأختيـن الحلويـن". لـو لاحظـت أن هـذا المشـهد لـم يقنـع الرئيـس، اطلـب مـن طبيـب شـهير أن يعطيـكَ شـهادة بأنـكَ مريـض وفـي حالـة متأخـرة مـن المـرض. فلـو لـم ينفـع كل هـذا، فأفضـل لـكَ أن تمـوت، فدائمًـا مـا يكـون المـوت أفضـل مـن ألَّا تحظـى برضـا الرئيـس.

كيف تغني مع الرئيس؟

"لا يُهِمُّ إِنْ كَانَ الرَّئِيسُ يُجِيدُ الغِنَاءَ أَمْ لَا. اصْمِتْ وَهُوَ يُغَنِّي!"

المؤلف

غالبًا ما يحدث أن تنتاب الرئيس رغبة في الغناء بعد إنجاز مهمة عمل ناجحة. لا يحدث هذا أثناء اجتماع الحكومة أو البرلمان، بل مع الأصدقاء في إحدى حانات النبيذ. الرؤساء غالبًا لا يجيدون الغناء، رغم أنهم يغنون بحماس وسعادة كبيرة عندما يرون أن المستمعين من حولهم سعداء بالغناء، فيعلو صوتهم كلما شربوا المزيد من النبيذ. الغبي فقط هو من يفكر في أن ينبه الرئيس إلى أن صوته غير مقبول. والغبي فقط هو من ينضم إلى الرئيس محاولًا مساعدته. إنها غلطة كبيرة، خاصة عندما يضع الرئيس ورقة بقيمة خمسة يورو على جبين عازف الكمان. ليس هذا بالمبلغ الكبير، لكن الرؤساء عادة لا يحملون معهم أكثر من ذلك، فلا تفكر أنتَ بأن تضع على جبينه ورقة بقيمة عشرة يورو. من العبث أن تسعى إلى مساعدة الرئيس؛ لأن الرئيس الذي لا يملك أذنًا موسيقية لا يعرف أنه يغني على نحو سيئ.

لو حدث وواصل الرئيس الغناء، إلى درجة أنه اتكأ عليكَ بصورة ودية، خاصة عندما تأخذ الخمر بأوصاله، ممنوع أن تنصرف، حتى لو انفجرت مثانتكَ، فالجميع يحسدكَ على وقوفك أسفل يد الرئيس المنبسطة في هذه اللحظة. لو اعتقدت أن مثانتك لن تتحمل أكثر من ذلك، فلا تصدق. ستتحمل. فلو أنكَ انصرفت فسيأخذ مكانك على الفور أحد الحاسدين، لذلك اترك مثانتك تنفجر، هذا أفضل لكَ. ستموت مثل "تيخو دي براهي"، لكنكَ ستنال تقدير الرئيس.

زار القيصر "نيرون" في عام 66م الألعاب التي كانت تنظم في مدينة "كورينتي" وشارك في مسابقة الغناء. قيمت لجنة التحكيم أداءه بصورة موضوعية، واعتبرته الأفضل، وحصل على المركز الأول بدون منازع، لكن أحد منافسيه نال تصفيق أكثر شدة، ولم يكن

مـن اللائـق أن يفعـل معـه المشـاهدين هـذا. ولـو أراد لعثـر علـى كل مـن صفـق وأعدمـه. لكـن ربمـا اسـتغرق هـذا الأمـر وقتًـا طويـلاً، فأمـر بقتـل ذلـك المغنـي المسـكين. يمكـن أن يأمـر الرئيـس بقتلـكَ سياسـيًّا فـي أي وقـت طالمـا غنيـت علـى نحـو أفضـل منـه. ولـو كان صوتـكَ أسـوأ مـن صوتـه فسـيغضب، ولـو كان أفضـل منـه فسـيزيد غضبـه؛ لذلـك لا تغامـر، ولا تغـنِّ مـع الرئيـس علـى الإطـلاق.

كيف ترقص مع زوجة الرئيس

"أَنْ يَجْلِسَ الرَّئِيسُ فَوْقَ زَوْجَتِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَنَامَ عَلَيْهَا"

ستانو راديتش

لـو حـدث، لا قـدر اللـه، أن ضاقـت السـبل، ولـم يكـن أمامـكَ سـوى الرقـص مـع زوجـة الرئيـس في إحـدى الحفـلات الحزبيـة الراقصـة، فعليـكَ أن تـدوس علـى أصابعهـا، وأن ترقص مثـل الـدب الجليديّ، أو أن تنزلـق وتجرَّهـا معـكَ وأنـتَ تسـقط فـوق حلبـة الرقـص. فبهـذا تحـول دون أن تقـول زوجـة الرئيـس وهـي فـي أحضـان زوجهـا بعـد انتهـاء الرقـص معـكَ: "السـيد "كوفاتـش" راقـص ماهـر". إنهـا اللحظـات التـي يـدب الأدرينالـين والعصـارة الصفـراء فـي جسـده، ويفتـح حارسـه الشـخصي جـراب بندقيتـه التـي يحملهـا فـي جيبـه. علـى العكـس، يسـعد الرئيـس جـدًّا عندمـا يسـحق "كوفاتـش" الأبلـه قـدم زوجتـه، وتفـوح منـه رائحـة الثـوم. لا شـيء يسـعد الرئيـس أكثـر مـن أن تقـول لـه زوجتـه بأنـه هـو أفضـل الراقصـين علـى الإطـلاق. وعندمـا يعـود إلـى طاولتـه بعـد الرقـص لا تلـح عليـه بـأن ينضـم إلـى مسـابقة "Let´s dance".

لا تتحـدث مـع الرئيـس، تحـت أي ظـرف بصيغـة الملاطفـة، حتـى ولـو فعلهـا هـو معـكَ، اسـتمر بـكل إصـرار فـي مخاطبتـه بصيغـة الاحتـرام. ولـو قـال لـكَ بإلحـاح: "أنـا منزعـج مـن الصيغـة الرسـمية التـي تخاطبنـي بهـا"، عندهـا خاطبـه بـدون تكلُّـف. حـدث لأحـد العامـة فـي اليونـان القديمـة أنـه ألقـى التحيـة علـى سـيناتور كبيـر، وقـال لـه: سـيرڤوس[15]! فأمـر السـيناتور فـي اليـوم التالـي بإعدامـه؛ لأن كلمـة "سـيرڤوس" تعنـي العبـد، وهـذا مـا لـم يعرفـه ذلـك المواطـن البسـيط، لأنـه مـن أصـول نمسـاوية، مـن فيينـا، والتحيـة بهـذه الكلمـة هنـاكَ أمـر طبيعـيّ تمامًـا.

---

(15) تحية شائعة بين مواطني سلوفاكيا والنمسا والمجر، بمعنى: مرحبًا، أو كيف حالكَ! (المترجم).

كن أول من يصفق

"احْرِصْ عَلَى احْتِرَامِ مَنْ تُقَابِلُهُم وأَنْتَ فِي طَرِيقِ الصُّعُودِ، فَرُبَّمَا تَلْتَقِي بِهِم وَأَنْتَ تَهْبِط"

ويلسن ميزنار

إنهـا ميـزة كبيـرة أن تكـون أول مـن يصفـق، فبذلـك تضـع الآخريـن فـي موقـف التابعيـن لـكَ. وسيعتقد الرئيس أنـه لـولاكَ لمـا شـرع الآخـرون فـي التصفيـق. يكتنفـه مثـل هـذا الاعتقـاد حتـى لـو بـادرت فـي التصفيـق فـي كل مـرة. لا تتأخـر فـي التصفيـق، فهـذا غيـر مأمـون العواقـب. أن تصفـق قبيـل أن يبـدأ الرئيـس فـي إلقـاء خطابـه يعـد أمـرًا خطيـرًا، فالقاعـدة التـي تنطبـق فـي المسـرح، هـي نفسـها التـي تنطبـق فـي السياسـة، فالتصفيـق قبـل بدايـة العـرض يعنـي صفعـة للمتحـدث. يمكـن أن يحـدث أن ينضـم إليـكَ متحمسـون آخـرون، ثـم تتصاعـد بعدهـا عاصفـة مـن التصفيـق قبـل أن يبـدأ الرئيـس خطابـه. القضيـة هـي أن تصفـق بعـد الخطـاب، لا قبلـه. إنـه أمـر يشـبه التصفيـق أثنـاء حفـل موسـيقى كلاسـيكية. المحترفـون يعرفـون أن أوقـات الاسـتراحة بعـد انتهـاء فقـرات الحفـل المختلفـة ليسـت بغـرض التصفيـق، لكنهـا خصصـت كـي يتمكـن العازفـون مـن إجـراء بعـض المكالمـات، أو علـى الأقـل كـي يتمكنـوا مـن تجفيـف العـرق علـى جبينهـم.

بعـد الانتهـاء مـن إلقـاء خطابـه يغـادر الرئيـس منصـة الخطابـة ويتوجـه إلـى الطاولـة المخصصـة لـه. أنصحـكَ بـأن تبـدأ التصفيـق فـي اللحظـة التـي يقـول فيهـا الرئيـس: "أشـكركم علـى حسـن استماعكم!". لـو حـدث وسـبقكَ أحدهـم، فيمكنـكَ أن تعـوض ذلـك، فتصـرخ: تصفيـق حـادّ! الرؤسـاء يحبـون سـماع ذلـكَ. لـو سـبقكَ أحدهـم وقـال هـذه الجملـة قبلـكَ، فمـا زال أمامـكَ أن تشـرع فـي عمـل "الأمـواج المكسـيكية". لا تفعلهـا إن كان المؤتمـر منعقـدًا فـي صالـة للسـينما. بعـض الرؤسـاء ينظمـون لقاءاتهـم فـي اسـتاد ملاعـب كـرة القـدم التـي تمـارس فيهـا الأمـواج المكسـيكية، وصرخـات "تصفيـق حـاد!".

لا تفـوِّت فرصـة التصفيـق أثنـاء إلقـاء الرئيـس خطابـه. أوصيـكَ أن تقـوم بهـذا التصفيـق

كلمـا حانـت اللحظـة المناسـبة لذلـك. وتحيـن كلمـا ارتشـف الرئيـس بعـض المـاء مـن كأسـه، أو يلتقـط أنفاسـه، أو يقلـب الورقـة، أو يبحـث عـن نظارتـه التـي سـقطت منـه. لكـن لـو مـال الرئيـس فانتظـرْ لجـزء مـن الثانيـة حتـى تتأكـد مـن أن الأمـر لا يتعلـق بأزمـة مـا، فلـن يكـون مـن المناسـب أن تسـتدعي تصفيقًـا حـادًّا بينمـا الرئيـس يتعـرض لأزمـة قلبيـة. لـو مـات الرئيـس وهـو خلـف منصـة الخطابـة فقـد يتهمونـكَ بأنـه مـات هلعًـا لأنـكَ بـدأت التصفيـق فـي اللحظـة غيـر المخصصـة لذلـك، فالرؤسـاء يتفقـون مـع محفـز التصفيـق علـى الأوقـات التـي يجـب أن يسـتدعوا التصفيـق عندهـا، حيـث يكتـب أسـفل تلـك الفقـرات كلمـة "تصفيـق". الرئيـس يعـرف، حسـب الأقـواس، متـى صفقـوا لـه علـى عكـس الاتفـاق، ويكتشـف هـذا علـى الفـور. الرؤسـاء ضعـاف النفـوس الذيـن يخشـون مـن محـاولات الاغتيـال (فمحـاولات الاغتيـال تتـم غالبًـا لحظـة التصفيـق الحـاد)، يمكـن أن يقضـوا نحبهـم أثنـاء التصفيـق غيـر المتفـق عليـه؛ لذلـك فهـم يختـارون رجـلاً ذا ثقـة ليكـون محفـزًا للتصفيـق مـن قسـم الإعـلام.

إن نهايـة التصفيـق لا تقـل أهميـة عـن بدايتـه، فعدمـا تعـج قاعـة المؤتمـرات بالتصفيـق المتواصل بعـد انتهـاء الخطـاب، فـلا تكـن أول مـن توقـف عـن التصفيـق، فقـد يلاحـظ الرئيـس ذلـك. ولا أوصيـكَ بـأن تفعـل هـذا حتـى ولـو كنـت فـي اسـتاد كـرة القـدم الـذي يتسـع لعشـرين ألـف شـخص. إن الرئيـس الجيـد يعـرف كل مـا يـدور فـي كل مـكان. لا تتوقـف عـن التصفيـق إلا بعـد أن يغـادر الرئيـس القاعـة، وإلَّا قـد يفسـر تصفيقـكَ المتواصـل علـى أنـه دليـل سـعادة مـن انصـراف الرئيـس. ربمـا أنـه لـن يسـمع تصفيقـكَ بعـد أن ينصـرف، لكـن سـيعرف بذلـك بـكل تأكيـد.

كيف تشتهي السلطة

"عَلَى جُثَّتِي"

نقش على مقبرة سياسيّ ذي مبادئ

ليس اشتهاء السلطة بالأمر البسيط كما يبدو من الوهلة الأولى. أساس اشتهاء السلطة هو ألَّا يعرف به أحد. عليكَ أن تعرف بأنكَ لست وحدكَ من يشتهي السلطة، وفي الوقت نفسه لا يجب أن تعتبر اشتهاء السلطة أمرًا بسيطًا. احترس، وتحكم في نفسكَ حتى لو كنت ترغب في السلطة إلى حد الجنون، فمن السهل اكتشاف الشخص الطامع في السلطة، ضعيف التحكم في تصرفاته، حيث تجده مثلاً ينقضُّ بلهفة على الهاتف عند سماع صوته، على أمل أن تكون اللحظة قد حانت.

هذه اللحظة قد تعني أن يكون الرئيس قد قرر منحكَ وظيفة نائب رئيس نادي الحزب، أو نائب رئيس الحزب، أو على الأقل رئيس أمانة فرعية. المناصب المذكورة، حسب لائحة كل حزب، يتم توليها بالانتخاب، لكن يتم التشاور بشأن الترشح لها مع الرئيس. فلو اختاركَ الرئيس، فغالبًا سيكون أول من يرغب في إبلاغكَ بهذا الخبر السعيد، لكن عليكَ أن تقبل العرض بدون إظهار أي حماس، وترد بنغمة وكأنكَ تقول: "ما هذه الأمور التافهة التي تزعجونني بها؟!". هذا أمر في غاية الأهمية، لأنه قد يكون على مقربة منكَ أحد مشتهي السلطة المنافسين، وقد يفهم من علامات سعادتكَ أن هناكَ شيئًا ما يحدث.

أفضل الأوقات للاشتهاء هي قبل الطعام. لا أريد بهذا أن أقول إنه لا يمكن اشتهاء السلطة بعد الطعام. عرفت إنسانًا كان يشتهي السلطة حتى في نومه. عرفت باشتهائه للسلطة من الفراش المبلل فوق سريره عندما يصحو من نومه كل صباح. يُعَدُّ التبول أكثر أعراض اشتهاء السلطة الأهوج. الرجل الذي يشتهي السلطة يتبول لا إراديًّا عندما يحلم بتنصيبه رسميًّا رئيسًا للبلاد أو للحكومة. وإن حدث له هذا فمن الضروري أن تتحدث في الأمر مع زوجته؛ لأن من واجبات الزوجة أن تدعم زوجها وهو يلتمس السلطة دون أن يلاحظه أحد.

لـو تكـرر التبـول الـلاإرادي لديـكَ فـلا تفكـر فـي زيـارة الطبيـب، رغـم أن هـذه مشـكلة، فالرجـل الـذي لا يَقْـوَى علـى بولـه، مـن الصعـب أن يقـوى علـى السـلطة.

الثناء على النفس لا يضُرّ

"عَلَيْكَ أَنْ تَبْدُوَ أَكْبَرَ مِنْ سِنِّكَ. فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُصْبِحَ الإِنْسَانُ غَبِيًّا بِهَذِهِ السُّرْعَة"

مؤلف مجهول

أكثر ما يكره الرئيس هو أن يمتدح مساعديه أحدٌ غيره، حتى لو امتدحوا أنفسهم بأنفسهم. أثناء عملي في السياسة الذي امتد لأربعة أعوام كنت من تعساء الحظ الذين لم يمتدحهم الرئيس يومًا. وأتفهم جيدًا الدوافع الكامنة وراء امتداح شخص لنفسه، لكني أرى أنه من الغباء أن يمتدح الشخص نفسه، حتى لو كان ذلك في غياب الرئيس. قد أحل هذه المعضلة بأن أرتدي في البيت أفضل حُلَّة، وأضع على سترة بزتي بعض الأوسمة الرسمية التي اشتريتها من السوق، وأهنئ نفسي على حصولي على قلادة ما، أعدد كل مزاياي بهذه المناسبة، أتذكر أني كنت في غاية السعادة عندما منحت نفسي وسام لينين. اشتريت بعض الأوسمة بمئتي كرون من سوق للأنتيكات في مدينة "تشيرني كامن"، لم يكن وسام لينين هو سبب سعادتي الغامرة، لكن لأنني اشتريته بسعر بخس لم أرَهُ من قبل. علقت على لوحة الحائط في منزلي كل التعبيرات الإيجابية التي تتحدث عني، وكنت قد طبعت تلك العبارات الإيجابية بخط منمق كي تبدو على الحائط في صورة جميلة.

إن امتداح الذات يسبب نوعًا من الراحة، ويمنح الإنسان ثقة بالنفس. أنصحكَ بأن تثني على نفسكَ مرتين كل يوم على الأقل، وخاصة بعد الحلاقة، لأن وجهكَ عندها يبدو في صورة أكثر حيوية، ومفعمًا بالآمال. اجعل من نفسكً سياسيًّا نموذجيًّا، وأنت على ثقة بأن كل مقولة تكررها باستمرار ستصبح حقيقة. اصنع لنفسكَ نظامًا من مقولات امتداح الذات.

لو رأيت أن امتداحكَ لنفسكَ أمر غبيّ، استأجر مدّاحًا. إنها مهنة تشبه مهنة محفز التصفيق في برنامج "سبعة، شركة محدودة"، أو في برنامج "ديريش"، أو برنامج "الأذكياء يمتنعون". ففيها يقوم قسم الإنتاج بتحديد الوقت الذي يصفق فيه المشاهدون. وطالما لا ينزعج أستاذ الفكاهة الشهير من أن الناس يضحكون على نكاته بناء على

تعليمـات، فلِـمَ تنزعـج أنـتَ مـن هـذا؟ قـام أحـد السياسـيين فـي مدينـة "باڤاريـا" بتأسـيس شـركة تحــت اســم "لوبيــراي" (وترجمتهــا "المديــح")، إنهــا شــركة تؤجــر أناسًــا يمتدحونــكَ، ويعملــون بالســاعة.

لـو أنـكَ امتدحـت نفسـكَ فأعلـم بأنـكَ لسـت جـزءًا مـن مكائـد تحـاك ضـدكَ، فامتـداح الـذات دائمًـا مـا يكـون صادقًـا. درِّب نفسـكَ علـى امتـداح نفسـكَ كـي تكـون مسـتعدًّا للحظـة التـي يمتدحـكَ فيهـا الآخـرون.

متى تنفجر في الضحك

"عِنْدَمَا تَضَعُ آخِرَ حَفْنَةِ طِينٍ عَلَى قَبْرِ زَمِيلِكَ الَّذِي حَصَلَ عَلَى مَقْعَدٍ فِي البَرْلَمَان، وَكَانَ يَسْبِقُكَ فِي التَّرْتِيب"

مؤلف مجهول

من الناحية الإنسانية يمكن تفهُّم حزن مرشح ما، حالَ ترتيبُه في القائمة بينه وبين عتبة البرلمان، كذلك يمكن فهم سبب سعادته عندما يدخل إلى البرلمان بفضل سوء حظ زميله. لكن هذا لا يستوجب أن نفرح له على الملأ، فلو جعلكَ هذا تسقط على الأرض من الضحك وأنتَ في البيت فهذا شأنُكَ. لا يجب أن تقلل من شأن نوبات الضحك في المواقف التي تستحق ذلك بجدارة. أحذرك من أن تضحكَ بصوت عالٍ وأنت في المبولة وقد رأيت، بدون قصد، عضو رئيسكَ. إن الانفجار في الضحك هام للغاية عندما يحكي رئيسكَ النكات. أقصد هنا الانفجار الإيجابي في الضحك، وليس الضحك الساخر. فمن الممكن أن يغضب الرئيس الذي يتناثر منه رذاذ البول، وأسوأ شيء أن يغضب رئيس يتبول.

يجب ألَّا تأخذ كلمة "انفجار" بصورة حرفية، وتأخذ معكَ مواد متفجرة في كل مرة تلتقي فيها بالرئيس وتتوقع أنه سيلقي فيها النكات. إن إلقاء النكات يأتي بصورة عفوية؛ لذا عليكَ أن تكون مستعدًّا دائمًا. عليكَ قبل اللقاء، أو الاجتماع، أو جلسة يحضرها الرئيس، أن تفرج فمكَ أمام المرآة بحيث لا ترى عينيكَ قدر المستطاع. وإن لم تُوفَّق في هذا فاستخدم وسيلة مناسبة، مثل طفاية سجائر، أو منبّه، أو مصباح كهربائي، أو تمثال نصفي للرئيس. يجب أن يكون المدخنون على حذر كي لا تتحول انفجارات الضحك إلى نوبة من السعال. لو كان الرئيس من المدخنين، وانتابته نوبة من السعال، يجب أن يتضامن معه غير المدخنين، فيسعلوا مثله، لكن لو بادر مدخنون بانفجارات الغضب، فعليهم أن يبتعدوا عن الرئيس لمسافة لا يمكن أن يصله منها تقيؤهم.

لو كنت تعتقد أن بعض زملائك يستطيع أن يقوم بانفجارات الضحك بعد سماع نكات

الرئيـس بصـورة أفضـل منـك (سـتعرفهم عندمـا تجـد الرئيـس يلكمهـم علـى صدورهـم بطريقـة لطيفـة) فلـن يكـون أمامـكَ إلا أن تبنـي طريقـة أفضـل فـي التعبيـر عـن ثنائـك علـى نكتـة الرئيـس، ألا وهـي التلـوي مـن الضحـك، والانتقـال إلـى حالـة مـن التشـنجات الشـديدة. إن الوصول إلـى التلوي مـن الضحـك مـع التشـنجات الختاميـة ليـس بالأمـر الهيـن. فلـن تجـد حولـك مـن يحكـي النـكات بطريقـة رائعـة علـى هـذا النحـو غيـر الرئيـس، لذلـك ليـس فـي إمكانـكَ التـدرب المسـبق علـى أمـر كهـذا. يجـب أن تختـار أسـاليب بديلـة، وهـذه وصفـة لتشـنجات آمنـة: حبـة كمثـرى، وحبـة تفـاح، وفاصوليـا، وخيـارة، ومخلـل كرنـب، وشـطة، وفـول سـوداني، وزبيـب، ونبيـذ أبيـض، وفـودكا، وثـوم. تأكلهـا كلهـا مـرة واحـدة، فلـو لـم تملـكَ نقـودًا لشـراء كل هـذه الأشـياء فاطلـب حسـاء كرشـة فـي مطعـم بمحطـة "جيلينـا"، عندهـا سـتضحكُ حتـى تتبـرز علـى نفسـكَ.

كيف تُحوِّل الجحيم إلى جنَّة؟

"حَاوِلْ أَلّا يَكُونَ الجَحِيمُ مَصْدَرَ سَعَادَتِكَ، بَلِ السَّمَاء"

مؤلف مجهول

أن يكـون الجحيـم مصـدرًا للسـعادة، فهـذا أمـر لا يتعلـق بأعضـاء حـزب الحركـة المسـحية الديموقراطيـة، فاللـه هـو مصـدر سـعادة هـؤلاء، ربمـا لأنـه لا يعلـم بأفعالهـم الخبيثـة، وربمـا أن اللـه لا يعتبـر تفتيـت الائتـلاف عمـلًا خبيثًـا. أعتقـد أنـا شـخصيًّا أن اللـه عالـم بـكل الأعمـال الخبيثـة، ويتابعهـا باندهـاش، تمامًـا كمـا كان "ليونـاردو دافنشـي" يتابـع علـى مـدى أعـوام طويلـة أحـد اللصـوص وهـو يسـرقه. كتـب عـن هـذا "ليونـاردو"، وقـال: "تكملـة، فـي الثانـي مـن إبريـل سـرق "سـالاي" لوحـة رسـم بقيمـة 12 قطعـة فضيـة، ثـم باعهـا واشـترى بثمنهـا حبـات حلـوى بطعـم الينسـون. يـا لـه مـن لـص كـذاب وعنيـد وتافـه. أنـا أراقبـه علـى أنـه ظاهـرة طبيعيـة، وأحبـه رغـم كل مـا يفعلـه". كان الجحيـم مصـدر سـعادة "سـالاي"، لأنـه عـاش فـي كنـف رجـل كريـم. لا أعـرف إن كان اللـه يعتبـر حـزب الحركـة المسـيحية الديموقراطيـة ظاهـرة طبيعيـة، لكـن مـن المؤكـد أنـه يحبـه. كان دور "سـالاي" أن يخـون سـيده، فيسـامحه اللـه علـى ذلـك.

إن الجحيـم هـو مصـدر سـعادة رجـال السياسـة الذيـن يسـتحقون هـذا. نشـرت وكالـة الأنبـاء السـلوفاكية فـي الثانـي مـن فبرايـر عـام 2001 تقريـرًا يقـول: سـافر رئيـس الحكومـة السـلوفاكية "ميكـولاش دزوريـنـدا" إلـى الولايـات المتحـدة الأمريكيـة فـي زيـارة عمـل تسـتغرق أربعـة أيـام، يلتقـي خلالهـا بالرئيـس الأمريكـي الجديـد جـورج بـوش... إلـى آخـره.". عندمـا قـرأت الخبـر انتابتنـي السـعادة مـن أن لقـاء رئيـس الحكومـة السـلوفاكية بالرئيـس بـوش بعـد أيـام قليلـة مـن انتخابـه يعـد حدثًـا رائعًـا. وبالفعـل، التقـى الرجـلان، تقريبًـا. أو كمـا صـرح رئيـس الـوزراء بعـد عودتـه: "فصلنـي عنـه ثلاثـة أمتـار" أثنـاء حفـل الاسـتقبال الـذي نظمـه علـى شـرف بعـض المئـات مـن الضيـوف. كان الجحيـم (أو بـوش) مصـدرًا لسـعادة رئيـس الـوزراء؛ لأن مـا فصـل باقـي رجـال السياسـة الأوروبييـن عـن بـوش يتـراوح بيـن 4,6 و 5,3 و5,8، متـر. واقتـرب أحـد رؤسـاء الـوزراء علـى مسـافة 7,6 متـر، فلـم يكـن مـن المحظوظيـن.

لـو كنـتَ عضـوًا فـي حـزب شـيوعي، فـلا يمكنـكَ أن تركـن إلـى أن السـعادة التـي يكـون الجحيـم مصـدرًا لهـا سـتأتيكَ تلقائيًّـا، وعليـكَ أن تبحـث عنهـا بحيـث تبـدًا بالإيمـان بهـا. يجـب أن يؤمـن الشـيوعيون بصفـة خاصـة بالسـعادة فـي المجتمـع الـذي يحظـى فيـه الشـيوعيون بجانـب أحـزاب أخـرى بفرصـة الوصـول إلـى السـلطة. وليـس الشـيوعيون وحدهـم مـن عليـه الإيمـان بهـا، بـل كل مـن يسـعى إلـى النجـاح فـي السياسـة. لـو كنـتَ تعتقـد أن نصيبـكَ مـن السـعادة غيـر كافٍ، تجـوَّلْ فـي القـرى والمـدن السـلوفاكية علـى أمـل أن تلتقـي بأحـد عمـال صيانـة المدافـئ، ولـو لـم تلتَـقِ بـه اشـترِ سـيارة قديمـة وسـافر بهـا علـى مهـل فـي أرجـاء سـلوفاكيا، ربمـا تظهـر أمـام سـيارتكَ قطـط سـوداء، ففرصتـكَ فـي أن تظهـر أمـام سـيارتكَ قطـة سـوداء أكبـر بكثيـر مـن مقابلـة عامـل صيانـة المدافـئ. لـو لـم تجـد قطـة سـوداء، فمـا زال هنـاكَ أمـل أن يسـقط أحـد مـن فـوق دراجتـه تحـت عجـلات سـيارتكَ، وفـي أسـوأ الأحـوال قـد تصطـدم بعربـة أحـد الغجـر الذيـن يسـرقون أغطيـة قنـوات الصـرف الصحـي. سـتكون محظوظًـا لأنـكَ ستسـقط فـي إحـدى الفتحـات العاريـة بـدلًا مـن أن تصطـدم بعربـة الغجـري.

كيف تتحلل من الرهان على أمر ما؟

"مَنْ لَا يُجِيدُ الكَذِبَ فَلَا مَكَانَ لَهُ فِي السِّيَاسَة"

مؤلف مجهول

من الضروري في السياسة أن تؤكد أمرًا ما بلا توقف، ومن لا يفعل ذلك في السياسة فهو رجل غير كفء، وستتساءل الناس باستمرار عما يفعله رجل في السياسة وهو لا يؤكد أمرًا ما على الدوام، لذلك أكِّدْ! لكن احترس من المبالغة في ذلك. إن آلة الكمان تدعم الموسيقى، والسياسة أيضًا. إن السياسي الذي يؤكد على الدوام أنه رجل سعيد الحظ يستدعي لدى المستمعين رد فعل سلبيًّا، فالإنسان الذي يعبر عن سعادته مرارًا وتكرارًا لا يمكن أن يكون طبيعيًّا. الناس على علم بأن من يعمل بالسياسة دائمًا أشخاص غير أسوياء، لكن هذا لا يستوقفهم، بل ما يستوقفهم هو أن يكونوا سعداء.

من الأقوال الصلبة التي لا تتغير في السياسة: "إننا سنرفع المرتبات بنسبة مئة في المئة"، أو "المسرح القومي السلوفاكي سيصبح مؤسسة ربحية"، أو "سنصل نهر "أودرا" بالدانوب"، أو "سنحقق الخطط بكل سعادة"، أو "سنصل إلى نهاية كأس العالم في كرة القدم". لا ينزعج الناس عندما يؤكد رجل السياسة أمورًا عبثية، لكن ينزعجون من أنه يجزم بها أمامهم، فلو صرح بها أمام آخرين غيرهم، فسوف يسعدون بها، فالناس تحب أن يستغبي أحد مجموعةً ما.

احرص على التأكيد على الأشياء بصورة منطقية، لكن لا تكن واقعيًّا بلا داعٍ كأن تقول مثلًا: "لن تقوم حكومتنا بزيادة المرتبات مليمًا واحدًا". فهذا ليس قولًا أخيرًا، وتزعج به المستمعين بلا طائل. فلو كان الأمر يتعلق بزيادة المرتبات، فقل: "سنفعل كل ما وسعنا كي نرفع مرتباتكم بناءً على احتياجات سوق العمل الذي يتأثر في الوقت الراهن بمعدل زيادة المرتبات الفعلية، وهو المعدل الذي يتأثر بعلاقة الحد الأدنى للمرتبات وأسعار المنتجات الاستهلاكية والخدمات". مثل هذه الأقوال لا تزعج أحدًا لأنه لا يفهمها، ولن يعترف أحد بأنه لا يفهم؛ لذلك يقدِّر الناسُ السياسيين الذين يؤكدون أمورًا مبهمة.

كفّ عن انتقاد الآخرين

"النَّاقِدُ مِثْلُ الرَّجُلِ المَخْصِيِّ، يَعْرِفُ كَيْفَ تُصْنَعُ الأشْيَاءُ، لَكِنَّهُ عَاجِزٌ عَن الإتْيَانِ بِهَا"

بريندان بيهان

لا تنسَ أنكَ تسعى إلى بناء مستقبل سياسي، أيًّا كانت وجاهة النقد الذي توجهه. السياسي الحقّ هو الذي لا يعرف الفرق بين الحقيقة والكذب، لو وصلت إلى هذه الدرجة فلن تعرف ما المقصود بعبارة تأنيب الضمير، فالأمور لا تختلف كثيرًا، فلن يحبكَ الناس لو كذبت عليهم، وسيكرهونكَ أكثر لو قلت لهم الحقيقة، فقل الحقيقة في أضيق الحدود، وعندها ستعرف متى ستضطر إلى الكذب. إن هذه المواقف في السياسة كثيرة، تمامًا كالمواقف التي تضطر فيها إلى قول الحقيقة. لا تنزعج من الكذب، فقد قال العظيم فولتير: "إن الكذب في السياسة لا يعد خطيئة طالما لم يتأذَّ منه أحد، وهو في هذه الحالة فضيلة". وينطبق الأمر نفسه في الحياة العادية، فالكذب يشبه معاقرة الخمر، دائمًا ما تستغرق في النوم بعده. يستوي في النقد أن تقول الحقيقة أو تكذب، فنحن لا نحب أن ينتقدنا أحد سواء كان نقدًا مُبرَّرًا أو غير مُبرَّر.

النقد هو رغبة غامضة من أغبياء السياسة في قول الحقيقة، يسوقهم في ذلك شعور بأن هناك من يهتم بالحقيقة.

ورغم ذلك دائمًا ما كان النقد مطلوبًا، لكن لَسْتَ مضطرًا إلى أن توجهه بنفسكَ. تخيَّرْ أشخاصًا ضعفاء توجه إليهم سهام نقدك. الشباب بصفة خاصة مستعدون لتقبل الانتقاد. وعندما تعثر على شخص كهذا ابحث عن اثنين غيره كي يصفقوا له. حينما ترى أن الرئيس قد انضم إليهم، فأسرِع نحو الرجل الناقد، واخبط على كتفه.

من الخطورة توجيه النقد في الحزب "ب" الذي تكوَّن بعد انشقاقه عن الحزب "أ". فلا توجه نقدًا إلى الحزب "أ"؛ لأن الحزب "ب" غالبًا ما يتشكل من أعضاء سابقين في الحزب "أ"، وقد انفصلوا عنه لأنهم لم يحققوا فيه موقعًا متميزًا في قائمة الترشيحات، وليس

لأنهـم يختلفـون عنـه فـي أفكارهـم (أو أن أفكارهـم أفضـل مـن أعضـاءه الحـزب "أ")، لذلـك فهـم شـديدو الحساسـية فيمـا يتعلـق بحزبهـم السـابق، ولا يعرفـون متـى سـينضم إليهـم باقـي أعضـاء الحـزب "أ"، أو متـى سـيعودون هـم أنفسـهم إليـه.

لا تنزعـج عندمـا ينتقـدكَ زميـل غيـر ذي قيمـة عـن أشـياء أقـل سـوءًا ممـا فعلـه هـو نفسـه، لا تشُـكَّ فـي أنـه قـد كلـف شـخصًا آخـر بتوجيـه الانتقـاد إليـكَ، فالآخـرون يفضلـون توجيـه سـهام النقـد إلـى غيرهـم بـدلًا مـن أن يراجعـوا أنفسـهم.

كيف تُجمِّل ماضيكَ؟

"إِنَّ المُنْشَقِّينَ السّلُوفَاك شَأْنُهُم شَأْنُ المُؤيِّدِينَ، يَزْدَادُ عَدَدُهُم مَعَ الوَقْت"

المؤلف

الأوطان الكبيرة في أوقات غياب الحرية تتصرف دائمًا مثل قُطّاع الطرق، أما الأوطان الصغيرة فتتصرف مثل العاهرات، فما عساها أن تفعل أمةٌ صغيرة ترغب في الحياة؟ أرى شبابًا صغارًا لم يعايشوا أوقات غياب الحرية، أراهم يهزون رءوسهم استياءً من التصرفات النفعية ممن انحنت ظهورهم، وتقعقعت أسنانهم، ولازموا الصمت، وأذعنوا. عند النظر إلى الماضي دائمًا ما نجد أكثر المتسامحين ممن لم يعيشوه، أو لم يشاركوا في صنعه.

فلو كنت تنوي الانخراط في السياسة فعليكَ أن تتوقع أسئلة حول ماضيكَ. السؤال عن الماضي سمة الأنظمة الديموقراطية والديكتاتورية على السواء، الفرق الوحيد أن الأنظمة الديكتاتورية تستقصي عن أصلكَ حتى العرق الخامس، أما في النظم الديموقراطية فلا يسألونكَ إلا عن نفسكَ.

فلو صرتَ سياسيًّا فعليكَ أن تجهّز صيغًا مختلفة للحديث عن ماضيك بصفتكَ شخصية عامة، قم بإعداد تلك النسخ بكل حرص كي لا تخلط بينها. لو لم يتغير النظام فتكفيكَ صيغة واحدة، لكن عليكَ أن تحرص على كل تفاصيلها؛ لأنكَ يجب أن تدافع عنها. أسوأ ما في السير الذاتية أنها تُقدَّم للرأي العام بصيغ مختلفة، حسب الحاجة.

لا تتعجل وأنتَ تُجمّل صورة ماضيك، انتبه لكل خطوة تقوم بها لتجميل صورتكَ، وراقب مَن حولَكَ كي تتأكد من أنه لا يرى ما تقوم به. لو كنت ممثلاً أو ممثلة، وحصلتِ على لقب ممثلة قديرة فلا تكتبي بأن عضويتكِ في الحزب كأحد الكوادر الثقافية في لجنته المركزية كانت شرطًا للحصول على مثل هذا اللقب كي تتمكني من الحصول على مكافأة مادية تعادل ضعف الدخل السنوي لأي عامل عادي، والتردد على المصحات التابعة للدولة بدون مقابل.

لو تأكدت من أن مَن حولَكَ لا يلاحظون أي شيء، فقم بإضافة المزيد، لكن حذار من أن تقول إنكَ كنت تكره الشيوعيين إبان النظام القديم، بينما يعرف كل أعضاء اتحاد الكتاب أنكَ

كنت ترأس الاتحاد. من الأفضل أن تكتب مقالات لصالح ملهى ليليّ يناهض الشيوعيين، ويديره الرئيس السابق للجنة المركزية لحزب الاتحاد السوفيتي الشيوعيّ. فلو تمكنت من هذا، فشارك في الاحتفالات بعيد ميلاد "فاتسلاف هافِل". إن المشاركة في الاحتفالات بأعياد الميلاد تعطي انطباعًا بأن الضيف والمُضيف شخص واحد. فقد شارك في الاحتفال بعيد الميلاد السبعين لـ"فاتسلاف هافِل" في السابع من أكتوبر 2006 ما يقرب من مئة مواطن. وكان من بين الضيوف ممثلون ومطربون من الكوادر الفنية الشيوعية السابقة. مثلاً الزعيم السابق لـ"اللجان الشعبية"، والزوجة السابقة لأحد كبار النصّابين، ونصّاب آخر كبير حضر شخصيًّا، وهو الرئيس السابق لقسم الدراسات اللينينية- الماركسية، وصحفيون كانوا يحتفون في عصر الشيوعية بالقوة المحركة للحزب الشيوعيّ، وصحفيّ كان يهاجم "هافِل" بقلمه في كل مناسبة. لم ير "هافِل" غالبية المناضلين ضد النظام الشيوعيّ رؤية العيان إلا بعد نوفمبر 1989.

لو لم ينتبه أحدهم إلى هذا أيضًا فعليكَ أن تواصل تحسين صورتكَ بلا هوادة. قد يساعدكَ أن تتظاهر بأنكَ لم تسمع من قبل عن الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي، حتى لو كنت قضيت فيه نصف حياتكَ.

أكبر الأمثلة على عملية تجميل الماضي جاءت من شاعر سلوفاكي معروف، وكاتب مقالات، ومترجم، وأيضًا من "المزايدين"، فقد وجه إلى "مارتا كوبيشوفا"، أيقونة "ربيع براغ" سؤالاً عن رأيها في الفنانين الذين وقَّعوا إعلان اتحاد الفنانين في عام 1977، المعروف بـ"إعلان ضد الميثاق". في الواقع لم تنزعج "مارتا كوبيشوفا" ولا المواطنون العاديون من ذلك الإعلان، فقد عاشوا جميعًا في مجتمع كان الرياء فيه نموذجًا، لكن ما أزعجهم هم المزايدون الذين عبروا عن تضامنهم بالتوقيع مرتين على الإعلان، من باب الاحتياط، وأضافوا على التوقيع عبارة تقول: "إننا على قناعة بأن السنوات القادمة هي لصالح سياسة القوة الرائدة للمجتمع الاشتراكي وحزب تشيكوسلوفاكيا الشيوعيّ".

أكثر ما يصيب الإنسان بالإحباط هو أنه يرغب في أن يثبت للجميع أن ماضيه لم يكن بهذه الدرجة من السوء، ثم تكتب عنه صحفية- دُمْيَة، فيأتي رئيس المؤسسة الحكومية، ويحول بينه وبين رغباته، مخالفًا بذلك القانون. فهو يدافع عن نزاهة مؤسسته القائمة على ادعاءات جهة مُجْرِمَة. إن منع إنسان ما من أن يثبت الكذب البيِّن للجهة أو الهيئة المجرمة لا يختلف عن تأكيد أحدهم بأن هذه الهيئة المجرمة على حقّ. وكما نرى، يمكن تجميل الماضي، طالما وُفِّقت في هذا، حتى ماضي تلك الصحف التي هي على حقّ.

كيف تبدو في منتهى الجدية؟

"قَلِّدْ قَادَةَ حزب الحركة المسيحية الديموقراطية!"

المؤلف

يتظاهر الإنسان بالموت بصورة متقنة عندما يكون ميتًا، وطالما عجزت غالبيتنا عن التظاهر بالجدية حتى بعد الموت، فمن الضروري أن نتعلم التظاهر بالجدية والصرامة في الحياة. إن التظاهر بالجدية والصرامة في الحياة لا يخلو من مزايا، تفوق مزايا التظاهر بالجدية بعد الموت. إن غالبية سكان سلوفاكيا، إضافة إلى قادة حزب الحركة المسيحية الديموقراطية باستثناء زعيمه "فيركا ميكلوشكا"، على قناعة بأن الحياة في الجنة تسيطر عليها البهجة، أما الجادُّون الصارمون فمصيرهم النار.

من تعلم منَّا أن يتظاهر بالجدية الشديدة يعرف أن الأمر ليس سهلًا، جُبِل الإنسان على الابتسام في أغلب الأحيان، وهو تصرف ينم عن أنه سعيد، لكن لا أحد يصدق الإنسان السعيد المبتسم، ومشكوك في أمره غالبًا؛ لذلك عليكَ قبل الانخراط في السياسة أن تدرب نفسكَ على أن تبدو جادًّا وصارمًا. انظر إلى نفسك في المرآة كثيرًا، لتتابع كيف تتغير ملامح وجهكَ، لو رأيت بعد مرور شهرين أنكَ تبتسم أحيانًا، علق فوق سريركَ صورة فوتوغرافية كبيرة لحَماتِكَ. لو لم تساعدْكَ هذه الحيلة، اصنع جوًّا من الرعب: اترك الماء يقطر من الصنبور، لا تزيّت الأبواب، وشغل فيلم "الساحرة الأخيرة"، أشعل شمعة وضع أمامكَ صورة أحد قادة حزب الحركة المسيحية الديموقراطية. ضع أسفل مقعدتكَ أسطوانة خشبية بها مسمار. لو لم تَبْدُ جادًّا وصارمًا بعد كل هذه الحيل، فما زالت أمامكَ فرصة أخيرة. قم بزيارة إحدى مشارح الجثث أثناء الليل سرًّا. لا تنسَ، بالطبع، أن تأخذ معكَ كشّاف بطارية. تفحص وجوه الموتى، وعندها ستعرف شكل وجهكَ الذي تنشده.

لا يكفي أن تعرف كيف تتظاهر، لكن عليكَ أن تعرف متى وأين. قد يكون من الخطأ ألَّا تتظاهر بالجدية والصرامة وأنت في النعش، فعندها قد يعنفونكَ على أنكَ غادرت العالم

والسياسة وحزبَكَ وأنت سعيد.

إن السياسـي الـذي لا يتظاهـر بالجدية الشـديدة، بـل بالسـعادة الغامـرة، محكـوم عليـه بالفشـل، فالمواطنـون لا يحبـون السياسـيين السـعداء؛ لأنهـم يعطـون انطباعًـا بأنهـم يسـخرون منهـم. يُعَـدّ السـلوفاك مـن أكثـر شـعوب الاتحـاد الأوربـي تشـاؤمًا. نحـن متشـائمون إلـى درجـة أن غالبيتنـا تنظـر إلـى بعضهـا فـي شـكّ أثنـاء مرورهـا فـي شـارع ذي اتجـاه واحـد. أعـرف رجـلًا متشـائمًا ينـزع لمبـات الكهربـاء، ويفـرغ المـاء مـن كل الأحـواض، بمـا فيهـا حـوض الأسـماك، ويغلـق النوافـذ صبـاح كل يـوم، وقبـل انصرافـه إلـى العمـل. كثيـر منَّـا يضـع شِـبَاكًا علـى النوافـذ والشـرفات التـي توجـد بالطابـق الأرضـي خوفًـا مـن اللصـوص. لقـد بالغنـا فـي الأمـر إلـى درجـة أننـا نضـع شِـبَاكًا علـى نوافـذ الزنزانـات خوفًـا مـن اللصـوص. مـن الواضـح أن مسـألة أن تكـون جـادًّا إلـى درجـة كبيـرة لهـا أهميـة خاصـة لـدى رجـل السياسـة فـي بلدنـا.

كيف تعطي انطباعًا بالأهمية؟

"لَا تَلْعَنْ "دزُورِينْدَا" و"مِيتْشِيار"، "وفِيتْسُو" وَتَتّهِمهُم بِأنَّهُم السَّبَبُ. يُمْكِنُكَ أَنْ تَخْتَارَ شَخْصًا آخَرَ. أَنَا عَلى سَبِيلِ المِثَال"

المؤلف

المواطـن الـذي يعـرف كيـف يعطـي انطباعـًا بأنـه شـخص مهـم، لديـه فرصـة فـي النجـاح فـي العمـل السياسـي، وتزيـد فرصـة مـن يسـتطيع التظاهـر بأنـه الأهـم علـى الإطـلاق. إن القـدرة علـى التظاهـر بأهميـة شـخص مـا، مثلـك أنـتَ، تكمـن فـي أنـكَ تعطـي انطباعـًا وكأنـكَ رئيـس الحـزب، أنـتَ لا غيـرك. أمّـا "ميكـي"، و"فـلادو"، و"روبـو"، و"بيـلا"، و"بالـي" أو "يانـو" فهـم مجـرد دُمـى تحركها بيـدك. تعلـق علـى تصريـح رئيـس الحـزب بطريقـة يفهـم منهـا الآخـرون بأنَّـك مـن يقـف وراءهـا، والرئيـس مجـرد شـخص يلقيهـا. تخـرج منـكَ مثـل هـذه التعليقـات وكأنهـا غيـر مقصـودة، لا تَصُغْهـا أبـدًا علـى أنهـا تصريـح لوسـائل الإعـلام، فقـد يعـرف الرئيـس أنـكَ تعتبـر نفسـك أكثـر حكمـة منـه، وقـد يـؤدي هـذا إلـى عواقـب وخيمـة عليـكَ، فلـو صـرح الرئيـس بأنبـاء تُسـعِد الشـعب، عليـكَ أن تنشـر بيـن الصحفييـن مـا يفيـد: "لقـد تناقـش معـي بهـذا الخصـوص". لـو أراد الصحفيـون أن يعرفـوا تفاصيـل أكثـر، ارسـم علـى وجهـك الجديـة والصرامـة (كمـا سـبق وتحدثنـا فـي الفصـل السـابق عـن هـذا الأمـر) وقُـل باقتضـاب: "لا يمكننـي أن أعلـق علـى الأمـر أكثـر مـن هـذا". أنـت الوحيـد بالطبـع الـذي يعـرف أن "مناقشـة الرئيـس" كانـت عبـارة ثـلاث رسـائل نصيـة قصيـرة. كانـت رسـالتكَ الأولـى تقـول: "هـل عنـدكَ وقـت لمقابلتـي؟"، والرسـالة الثانيـة كانـت مـن الرئيـس، تقـول: "لا تزعجنـي!"، وجـاءت الرسـالة الثالثـة منـكَ: "أردت فقـط أن أخبـركَ بأننـي سـأدعم أي قـرار سـتتخذه".

عندمـا تتحـدث عـن رئيـس الحـزب أو رئيـس الجمهوريـة أو البابـا وأنـت وسـط مجموعـة، فمـن الممكـن أن تقـول بمـرح: "فـي آخـر مـرة التقيـت بـ"روبـو" (تعنـي بذلـك رئيـس الحـزب)، "بالأمـس اتصـل بـي "بينيـو" (تعنـي بذلـك القديـس بنديكـت الخامـس عشـر)، أو "لـن تصدقـوا، لكنـي كنـت ألعـب الهوكـي مع"إيتشـو" (تعنـي بذلـك رئيـس الجمهوريـة). عليـكَ أن تنتبـه أثنـاء

الحديـث عـن رئيـس الجمهوريـة، كـي لا تناديـه باسـم "إيفـان"، لأنـك قـد تعطـي انطباعًـا أنـك لا تحترمـه بالقـدر الكافـي.

أعظـم طريقـة تتبعهـا لكـي تعطـي انطباعًـا بالأهميـة هـو أن تظهـر فـي سـيارة الرئيـس، فالنـاس يرحبـون بالرئيـس وهـو فـي طريقـه إلـى مـكان مـا، وكلمـا ازداد عـدد المرحبيـن زادت فرصتـكَ فـي انتشـار خبـر تواجـدك مـع الرئيـس فـي سـيارته داخـل الحـزب. إن ركـوب السـيارة مـع الرئيـس حلـم كل إنسـان، ولا حـظَّ للنسـاء فـي السـفر مـع الرئيـس، فالرئيـس العاقـل لا يتـرك امـرأة ترافقـه فـي السـيارة، فلـو قـرر السياسـي أن يأخـذ معـه امـرأة فـي رحلـة عمـل خارجيـة فلـن تكـون بالضـرورة زوجتـه؛ لأن الصحفييـن سـيعلنون الخبـر فـورًا، فينزعـج الشـعب لأن الرئيـس يأخـذ زوجتـه معـه فـي رحلاتـه الخارجيـة الممولـة مـن أمـوال دافعـي الضرائـب.

لـو لـم تتمكـن مـن الظهـور فـي سـيارة الرئيـس، فحـاول أن تسـتدرجه ليشـارك فـي سـباق للدراجـات، فهـذه الإمكانيـة واردة طالمـا ركـب الرئيـس دراجـة مخصصـة للرجـال. فـي حالـة كـون الرئيـس امـرأة فهـذه الإمكانيـة تسـقط.

الهاتـف المحمـول مـن الوسـائل الفعالـة فـي إظهـار الأهميـة، فالرئيـس المحتـرم عندمـا يظهـر فـي احتفـالات أعيـاد الميـلاد أو رأس السـنة، غالبًـا مـا يعطـي هاتفـه المحمـول لمديـر مكتبـه لكـي يبعـث بمئـات الرسـائل إلـى أعضـاء حزبـه، وغالبًـا مـا يكـون نصهـا: "أتمنـى لكـم أعيـادًا مجيـدة، وهادئـة. المخلـص...". احفـظ مثـل هـذه الرسـائل فـي هاتفـكَ، وأظهرهـا للأصدقـاء والمعـارف فـي اللحظـة المناسـبة.

كيف تكون سريع النسيان؟

"لَا تَنْزَعِجْ مِنَ الشَّيْخُوخَةِ، فَلَنْ تَعْرِفَ بِهَا عِنْدَمَا تُدَاهِمُكَ"

بيل كوسبي

أسـرع وسـيلة للنسـيان هـي عندمـا لا يكـون لديـكَ مـا تنسـاه، مـن المؤكـد أنـكَ شـعرت بهـذا مـن قبـل عندمـا أردت أن تقتـرض أمـوالاً مـن أحدهـم، فأجابـكَ قائـلاً: انْـسَ هـذا الأمـر! مثـل هـذا النسـيان خـالٍ مـن أيـة مغامـرات؛ لأنـكَ - علـى أسـوأ تقديـر- سـوف تحصـل علـى الأمـوال من شـخص آخـر. الأسـوأ مـن هـذا عندمـا تعـرف شـيئًا لـم تكـن فـي حاجـة إلـى معرفتـه، كثيـرًا مـا يحـدث أمـر كهـذا فـي العمـل السياسـي؛ لأن السياسـيين - خاصـة صغارهـم- يحبـون التفاخـر أمـام السياسـيين الأصغـر منهـم بمـا علمـوه مـن سياسـيين مرموقيـن، وعندمـا يعلـم هـؤلاء المرموقـون بالأمـر، يُصِـرُّون علـى أن "تنسـاه". أسـعد النـاس حظًّـا فـي السياسـة هـو مـن لا يعلـم شـيئًا، فلـو أن وزيـر الخارجيـة السـلوفاكي السـابق كان قـد عـرف فـي بدايـة فبرايـر 2007 مـن وزيـر الخارجيـة الثرثـار الـذي سـبقه، بـأن الاسـتفتاء الصربـي حـول كوسـوفو كان فاشـلاً لَمَـا أخبـر النـواب بـه، ولـو أن النـواب السـابقين لـم يعرفـوا لمـا أخبـروا الصحفييـن، والصحفيـون بدورهـم، وهـذا طبيعـي، أعلنـوا الخبـر؛ لأن هـذا هـو دورهـم، واضطـر وزيـر الخارجيـة الصربـي إلـى نفـي الأمـر، وكان كل ذلـك بـلا طائـل لأن المشـاركة فـي الاسـتفتاء الصربـي آخـر مـا يهـم مواطنينـا، وأقـل منـه اهتمامهـم بالاسـتفتاءات التـي تتـم علـى أرضنـا.

كلمـا عرفـت أكثـر صـارت حياتـك أكثـر تنوعًـا، وأيضًـا مليئـة بالمخاطـر؛ لذلـك عليـكَ أن تتبنـى فـي أقـرب وقـت النظـام القائـل: لـم أرَ شـيئًا، ولـم أسـمع شـيئًا. جوهـر هـذا النظـام هـو أن تكـون عينـاك فـي كل مـكان، تسـمع كل شـيء، لكـن تتظاهـر بأنـكَ لـم تـرَ ولـم تسـمع أيّ شـيء. أكـرر، فقـط تدَّعـي هـذا؛ لأنـكَ لـو لـم تعلـم شـيئًا بالفعـل فلـن تقنـع أحـدًا بأنـكَ تأخـذ العمـل السياسـي مأخـذ الجـد. السياسـي الـذي لا يملـك معلومـات ليـس لديـه أي فرصـة للنجـاح فـي السياسـة. وأيضًـا عليـكَ أن تتظاهـر بالنسـيان. تَذكَّـرْ كل شـيء، لكـن تظاهـر بأنـكَ لا تتذكـر أي شـيء. ادِّعـاء النسـيان لـه أهميـة حقيقيـة فـي أوقـات الأزمـات، مثـل الثـورات أو الانتفاضـات، وهـذا لـن يؤثـر

عليكَ، لأنك لو كنت سياسيًّا حقيقيًّا فلن تذهب إلى القتال في الجبهة، ودائمًا ما ستجد من ترسله بدلًا منك.

لو صار أحد خصومكَ عضوًا في الحكومة، أو في الائتلاف الحاكم، فعليكَ أن تلقي جانبًا كل ما تعرفه عنه، لكن ليس إلى الأبد، لأن عدوك الحالي يمكن أن يتحول بعد الانتخابات إلى صديق، وبعدها ستنفعكَ المعلومات التي تعرفها عنه.

كيف تزيف الحقائق؟

"بَعْضُ أَفْرَادِ الثَّوْرَةِ المُضَادَّةِ رَاحُوا يَسُبُّونَ الجُنُودَ السّوفْيِيت فِي أغُسْطُس عَامَ 1968. أمَّا غَالِبِيَّةُ التشيك والسُّلوفَاك فاسْتَقْبَلُوهْمْ بِالخُبْزِ والمِلْح"

فاسيل بيلاك

غالبًا ما يتلاعب السياسيون بالحقائق لتصبَّ في صالحهم، رغم ذلك هناك أمثلة على النقيض من ذلك، فقد اعترف رئيس روسيا البيضاء "أليكسندر لوكاشينكو" ذات يوم بأنه زوَّر نتائج الانتخابات الرئاسية الأخيرة بغرض الوصول إلى نتائج يُرْضِي بها الغرب عندما غيَّر نسبة من صوتوا له وخفضها من 93 إلى 86 في المئة.

لا تقبل الحقائق التي تقدمها لكَ وسائل الإعلام وتتحدث عن فشلكَ، وأيضًا لا ترفضها؛ لأن وسائل الإعلام تحتفظ في جعبتها بالدلائل التي قد تقضي عليك. ببساطة حوِّل الرذائل التي تتهمك بها وسائل الإعلام إلى فضائل. أقدم أمثلة على من خلال تجربتي في مجال السياسة:

الرذيلة: أنتَ لا تعرف أية لغة أجنبية!

الفضيلة: نحن نتحدث في سلوفاكيا باللغة السلوفاكية.

الرذيلة: أنت وقح للغاية.

الفضيلة: لا أختلف عنكم، فأنا واحد منكم.

الرذيلة: أنتَ كاذب!

الفضيلة: الكاذبون أيضًا يحق لهم أن ينتخبوا نوابًا يمثلونهم في البرلمان.

الرذيلة: لقد أمسكوا بكَ مع عشيقتكَ.

الفضيلة: كان عليكم أن تنتخبوا البابا ليمثلكم في البرلمان!

الرذيلة: في مجلس النواب السلوفاكي أنتَ تضغط على الزر الخطأ.

الفضيلة: تقصدون زر الإنسانية.

الرذيلة: لقد أمسكوا بكَ وأنت تسرق من متجر "بيلا" زجاجة بيرة ماركة "جيمار".

الفضيلة: لقد صرفت آخر ما معي في شراء "نوتا بينا [(16)]".

الرذيلة: لا أعتقد أني ثمل للغاية. لكن سحقًا للمجريين، انكح نفسكَ أيها الصبي الخائب! نحن هنا سلوفاك من نسل المسيح. لا تكن حيوانًا!

الفضيلة: كانت زوجتي الأولى مجرية (حسب ما قاله "يان").

الرذيلة: فليناموا في مجارير المصارف، أو يغتسلوا بأقرب كومة خراء.

الفضيلة: هذا لا ينطبق سوى على أهل منطقة "جيلينا" الذين لم ينتخبونني (حسب ما قاله "يان").

الفضيلة: كان يجب أن تدير مراحيض عامة، على أكثر تقدير، فهي لم تتمكن من عمل أي شيء على مدى عشرين عامًا ولا حتى رخصة قيادة سيارة.

الفضيلة: بإمكاني أن أتحدث كيفما أشاء عن نائبتي (حسب ما قاله "يان").

الرذيلة: لا أصدق كلمة واحدة مما يقوله "ميتشيار"، فلو أنه نام في التابوت ميتًا لوضعت مرآة أسفل أنفه للتأكد من أنه بالفعل ميت.

الفضيلة: إنه رئيس حزب يشاركنا الائتلاف؛ لذلك أنا أحترمه وأُجِلُّه (حسب ما قاله "يان").

حصل أكثر السياسيين شعبية في تاريخ سلوفاكيا على نسبة 42 في المئة، فلو كنت تحب أمثال هؤلاء السياسيين فعليكَ أن تؤكد بأنه من أفضل السياسيين في سلوفاكيا، ولو لم تكن تحبه فقل بكل بساطة إن غالبية الشعب – أي ستين في المئة منه – لا تحبه.

لو كانت عملية تزييف الحقائق لا تروقكَ، فلا تيأس، فعندما يحملونك إلى حبل المشنقة في الجليل، فهنيئًا لكَ، فهذا المكان يُطِلُّ على منظر رائع في مدينة القدس. عندما تتمكن من إقناع مَن حولك بأن بيلاطس البنطي ليس من صلب المسيح، لكن المسيح هو من صلب بيلاطس البنطي، فأنت تقترب من الكمال. وهذه حقيقة. إنها أفضل مرحلة من مراحل تزييف الحقائق، ولا يقدر عليها إلا أفضل الأفضلين.

---

(16) مجلة غير دورية تباع لدعم المشردين وأطفال الشوارع. (المترجم)

كيف تنجح في إخفاء ما يدور في رأسك؟

"خَيْرٌ لَكَ أَنْ تُمْسِكَ لِسَانَكَ، وَتَتْرُكَ الآخَرِينَ يَظُنُّونَ أنَكَ غَبِيٌّ، مِنْ أَنْ تَتَحَدَّثَ وَتُثْبِتَ لَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى حَقّ"

نورمان تيبيت

الجنس هو أكبر مصدر للسعادة في حياة غالبية البشر، باستثناء المثقفين، كما يقول البعض. وكما يقول "هوكسلي" إن هؤلاء يعتبرون التفكير أكبر مصدر لسعادتهم. أنا لست من المثقفين، ورغم ذلك أجد سعادة في التفكير، رغم أنه نشاط لا ضرورة له في العمل السياسي. لو عرف من حولك أن هناك شيئًا يدور في رأسك فيمكنك أن تضع نفسكَ في موقف غير مأمون العواقب. إذا أردت أن تستعرض معارفكَ، فاذهب واعمل في أحد أقسام أكاديمية العلوم، أو في الجامعة، أو كن أديبًا، أو فيلسوفًا، أو حتى مدرسًا. من يذهب للعمل في السياسة لا يرغب في الاستعراض بمعارفه الفكرية. الإنسان يدخل إلى مجال السياسية ليستعرض بما لديه من قوة.

وقد عبر عن ذلك بكل دقة "سِلفستر ستالوني"، قدوة الرجال في العضلات المفتولة، عندما قال: "إن أولوياتي تنصبُّ على القوة البدنية، ولا ينتظر الناس مني أي قدرات عقلية، فلما أخيب ظنهم؟".

وكي تبدو غبيًّا على نحو مقنع، ولكي تنجح في هذا فعليكَ:

- ألا تستخدم كلمات أجنبية.

- ألا تتعلم من الآخرين.

- ألا تتفاخر بما قرأته في حياتك من كتب.

- أن تتعجب من كل كلمة تافهة يقولها أحد السياسيين العاديين.

- ألا تتفاخر بعلاقاتكَ بالمثقفين.

- أن تنفـي، وتنفـي، وتنفـي لـو أمسـك بـك أحـد وأنـت خـارج مـن نـادي الكُتّـاب، قـل إنـكَ دخلـت لقضـاء حاجتـك فـي الحمـام، أو لأن براتسـلافا لا توجـد بهـا مراحيـض عامـة.

- ألا يـراك أحـد فـي المسـرح، أو الحفـلات الموسـيقية، ومـن بـاب الاحتيـاط، البـس شـعرًا مسـتعارًا حتـى لـو شـعرت بالحـر وأنـت تلبسـه. لـف وجهـكَ بربـاط، وتظاهـر بـأن وجهـك منتفـخ مـن أثـر عطـب سِـنّ مـن أسـنانكَ.

- عندمـا تدخـل إلـى المصعـد فـي أحـد الفنـادق، ابـدأ فـي إخـراج الأشـياء مـن حقيبتـكَ وتظاهـر بأنـك فـي الغرفـة.

هـذه وغيرهـا مـن الحيـل الناجعـة تجدهـا فـي الفيلـم الأمريكـي "Borat"، إنـه دليـل مثالـي يسـاعدك كـي تجعـل مـن نفسـكَ رجـلاً غبيًّـا. أسـعد الآخريـن الذيـن لا يقـوون علـى كتمـان معارفهـم ببواطـن الأمـور.

أعـرف أنـه مـن السـهل علـى الإنسـان أن يقـول أحيانًـا شـيئًا ذا قيمـة، لكـن لـو كنـتَ ترغـب فـي بنـاء مسـتقبلكَ السياسـي فـلا تـدَّعِ البطولـة، وسـيحبكَ النـاس. مـن المناسـب قبيـل الانتخابـات أن تجعـل مـن نفسـكَ "واحـد مننـا".

كيف تسترضي الآخرين؟

"الغَبِيُّ لا يُسَامِحُ وَلَا يَنْسَى، والسَّاذَجُ يُسَامِحُ وَيَنْسَى، والعَاقِلُ يُسَامِح وَلَا يَنْسَى"

توماس ساز

التصالح هو سمة أصيلة في الشعب السلوفاكي، إنها أقوى وسائل التواصل التقليدية بين السلوفاك. تحتوي اللغة السلوفاكية على مجموعة كبيرة من عبارات الاسترضاء: "انت زعلان مني؟"، "ما يكونش قلبكَ اسود"، "احنا ولاد النهاردة"، "اللي حصل حصل"، "خلي قلبك أبيض"، وغيرها. كل نزاع أو مشادة أو عراك ينتهي بتناول كئوس البيرة كي يتصالح طرفا النزاع، والحانة هي المكان التقليدي للتصالح، وهي أيضًا المكان التقليدي لنشوب النزاعات. الشرط الرئيسي للتصالح هو ألَّا تقتل غريمكَ، فعندها يصعب التصالح، والأصعب منه أن تتصالح مع غريمكَ بعدما تطعنه بسكين المطبخ، فينتهي بكَ الأمر خلف القضبان. تذكَّرْ أن اللعبة التي تتصاعد بعملية التصالح يجب أن تكون حسب بقواعد محددة، فسكين المطبخ الذي تنوي استخدامه، إن تطلب الأمر ذلك، يجب أن تشحذه بحيث يدخل إلى ظهر غريمكَ على مرتين، فقد تُغيِّر رأيك في المرة الثانية تحت تأثير تحكمك في نفسك أنت وغريمك. لو حدث وسببت لغريمكَ جرحًا جعله على شفا الموت، افعل كل ما في وسعكَ كي تتصالح معه قبل أن يلقى حتفه؛ وإلَّا ستظل تعاني مدى الحياة تأنيب الضمير؛ لأن العالم خسر رجلًا لم تتصالح معه.

إن التصالح له تقاليد قديمة في عالم السياسة، فقد تصالح الملك "هنري السادس" مع الإنكشاريين، واليوركيين، فظهر التيودوريون جراء هذا. كما تصالح روميو وجولييت مع المونيكيين والكابوليتيين، فظهرت مأساة شكسبير المعروفة. تصالح "يان سلوتا" مع "آننا ماليكوفا بيلوروسوفا"، فظهر الحزب الوطني السلوفاكي للمرة الثالثة.

كيف تطعن بسكين في الظهر؟

"أيًّا كَانَتْ سُرْعَتُكَ فَلَنْ تَكُونَ أَسْرَعَ مِنْ طَلْقَةِ الرَّصَاص"

عيدي أمين

رغم أن الأمر مفهوم، لكنني سأكرر من باب الاحتياط أن الطعن بالسكين يكون في الظهر بشكل أساسيّ. يحظى مصطلح "يطعنه بسكين في ظهره" بمعنى مختلف في مجال السياسة، يختلف عن معناه الذي يتضمن أن تقتل شخصًا بصورة حقيقية، إنه يعني أن تخدع أحدًا، أو تخونه، أو تغدر به. من يطعن منافسه السياسي بسكين في ظهره هو رجل دائمًا ما كانت تربطه به علاقة صداقة في أغلب الأحيان. الشرط الرئيسي لأن تطعن في الظهر بنجاح هو العناق الحميم المخلص، ولو لم يثق فيك منافسك لما أقبل على معانقتكَ. إن الطعن في الظهر ليس كتدبير المكائد، فتدبير المكائد عملية طويلة، في حين يعني الطعن في الظهر نهاية حتمية للمطعون. السياسي لا يطعن في الظهر بشخصه، إنه يستأجر أشخاصًا يسهل التخلص منهم بعد إنهاء المهمة.

من اللافت للنظر عند الطعن في الظهر أن الأشخاص المستهدفين من قِبَل شخصٍ ما غالبًا ما يكونون على علم بما سيحدث، ورغم ذلك يواصلون معانقة القاتل المحتمل، إنه قدرهم. إن القتيل المحتمل (أو في الغالب المغدور) رغم ذلك لا يريد أن ينتبه إلى التحذيرات المتتالية من أن الرجل الذي يحذرونه منه يمكن أن يغدر به، وأحيانًا تأخذه العزة بالنفس إلى دفع الخوف من حشرة حقيرة، وينسى أن أكبر السياسيين قُضِي عليهم منذ أيام الإغريق دائمًا على يد حشرات حقيرة، وكان الخدم الذين طعنوهم في ظهورهم يتفاخرون بما فعلوا، ومثال على ذلك القيصر و"بروتس".

يا رؤساء الأحزاب، ورؤساء الجمهورية، وأيها الملوك، والقياصرة، وغيرهم من الحكام! انتبهوا إلى أكثر الناس موالاةً لكم! لو ظهر بجوارك من يدين لك بالولاء، فاسْتَدْعِ على الفور حارسك الشخصي كي يتفحصه بدقة. أُقْسِم لكَ أنهم سيجدون معه سكينًا.

كيف تفتري على الأصدقاء والأعداء؟

"أَنْ يَقِفَ العَدُوُّ مَعَكَ فِي خَيْمَةٍ وَاحِدَةٍ وَيَتَبَوَّلَ مِنْهَا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَقِفَ خَارِجَ الخَيْمَةِ وَيَتَبَوَّلَ فِيَها"

ليندون باينس جونسن

من السهل تشويه سمعة الأصدقاء؛ لأنه أمر يتوقعه منك كل إنسان، إنه أضمنُ لكَ من ذمّ الأصدقاء، فالسياسي يستغل كل فرصة ممكنة للقدح في عدوه. هذه التجربة سوف تفيده عندما يضطر إلى تشويه الأصدقاء. وبما أن ذم الأعداء يبدو أكثر سهولة من ذم الأصدقاء، قد يعجب به السياسي المرتقب. لكن عليه أن يحذر؛ لأنه قد يحدث أن يصل إلى موقف يُتهم فيه بأنه غير قادر على ذم الأعداء. لا يقدر على ذم الأصدقاء إلا الأشخاص الأقوياء، فأي شخص جبان بمقدوره تشويه سمعة عدوه. لكن من العبث الكف عن ذم العدو، فهو يثني على ذلك عندما يصير صديقًا لكم.

يجب أن يكون الذم مقنعًا، فمن المعيب أن تقف أمام كاميرات التليفزيون وتؤكد أن أحدهم لا يشرب الكحول بينما هو يقف متكئًا عليكَ وغير قادر على أن يقف على قدميه. بمثل هذا الذم لا يمكنكَ أن تحصل على الشعبية المرجوة. ولا يكون مقنعًا أن تقدح في امرأة جميلة، فكل من يذم امرأة جميلة يعجب بها في قرارة نفسه، لكنه عاجز على أن يعترف بذلك، فهو يبحث فيها عن شيء سلبيّ كي يرضي غروره البائس. إن الرجل الواثق من نفسه لا يسمح لنفسه بأن يخوض في سيرة امرأة جميلة. يمتدح عقلها، وشكلها، وثقافتها، وذكاءها الفطري. الرجل النبيل لا يقول الحقيقة في وجود سيدة جميلة، حتى ولو كانت من حزب آخر. تقول "صوفيا لورين"، أيقونة الجمال الأنثوي: "النساء الجميلات تحظين بمكانة خاصة لدى الرجال أكثر من النساء العاقلات. كثير هم الرجال الأغبياء، وقليلون منهم معدومو النظر".

يكثر ذم الأصدقاء كما يكثر ذم الأصدقاء. يجب عند ذمك لأصدقائك أن تكون يقظًا، فلا

تقدح فيهم إلا في حضرة أصدقاء حقيقيين. أما الأصدقاء الحقيقيون فلا تذمهم إلا في حضرة أصدقائك المقربين. ولا تذم أفضل أصدقائك إلا في حضرة النخبة المنتخبة من أصدقائك، فلو أنك سببت أحدهم في حضرة أصدقائك المقربين، فهذا يضمن لك أن يعرف الجميع بما قلته. لكن عليكَ أن تؤكد لأصدقائك المقربين أنهم من أفضل الأصدقاء لديكَ، ولكي تؤكد على هذه الصداقة المتينة يمكنكَ أن تستخدم عبارات مثل: "أنتَ أفضل صدقك لي"، فلو ساروك شعور بأنه لا يصدقكَ، فيمكنك أن تؤكد على ما قلته بعبارة: "يا لها من سعادة أن تكون أفضل أصدقائي". فأنت تقرض أصدقائك المقربين الأموال، ولا تسألهم عنها. إن إقراض الأموال من أفضل موضوعات القدح في الأصدقاء، وهي حالة مستحقة فقط لمن لا يعيد ما اقترضه.

من أفضل الطرق التي تحول دون علمكَ بأن أحدهم يذمكَ، الذم غير المسمَّى. ستعرف أن أحدهم ذمكَ دون أن تعرف من هو عندما يبدأ أصدقاؤك في تجنبك الحديث معكَ. لكن لا تنزعج، عليكَ أولًا أن تتأكد من أنكَ لم تسقط في الوحل. فلو كانت رائحتكَ طيبة، وما زالوا يتجنبونكَ فهذا دليل سوء وإشارة إلى أن أعداءك وأصدقاءك يسعون إلى النَّيْل منك. الأوائل منهم ينهشون في سيرتكَ، والآخرون ينقلون إليكَ ما يقولونه. لكن لا تحزن؛ لأن الأمر قد يكون بالعكس. الأمر يتوقف عليكَ.

كيف لا تتدخل فيما لا يعنيكَ؟

"لا تُعَلِّلْ أَيَّ شَيْءٍ مَهْمَا كَانَ الأَمْرُ، فَأَصْدِقَاؤُكَ لَيْسُوا فِي حَاجَةٍ إِلَى ذَلِك، وَسَيَتَفَهَّمُ أَعْدَاؤُكَ الأَمْر"

بنيامين دزرائيلي

من العادات الحمقاء أن تطفئ نارًا لم تطلْكَ، وهي عادة متأصلة فينا. فقد جاء في وثائق مقاطعة "تشيرني كامن" التي تعود إلى عام 1556 أنه: "... لو رأى أحدكم نارًا ولم يشارك في إطفائها فسوف يدفع لسيِّدِه قطعتين من الذهب، يئول ثلثها إلى ملكية المقاطعة. ولو أن جارك القريب جذبك، وسحبك، وصرخ فيك كي تذهب لتطفئ نارًا ولم تذهب، فسيكون مثله مثل مأمور أبلغ عن حريق، وستدفع قطعتين من الذهب، يذهب ثلثها لمن أطفأ الحريق والثلث الآخر للمقاطعة، ونصفها للسيد".

يتضح من نص هذا القرار أن إطفاء الحريق ليس الخيار الأفضل، والأفضل منه أن تشعل حريقًا، ثم تعلن عنه، وتستدعي الآخرين لإطفائه.

لا تتدخل أبدًا فيما لا يعنيكَ، لكن عندما يتملكُكَ شعور بأن الوقت قد حان كي تتدخل، فاعمل ميِّتًا، وابتعد، واطرح الأخلاق جانبًا، واطلب إجازة مدفوعة الأجر أو غير مدفوعة الأجر، أي شيء، المهم ألَّا تورط نفسكَ في عمل غير محمود العواقب. عليكَ أن تنتظر حتى تهدأ العاصفة، فكل الأوقات العاصفة تمر. ومن أكثر الأمور فائدة في تطبيق تقنية عدم التدخل التالي:

- أن تخبئ رأسك في القش.
- أن تختبئ عند أحدهم.
- أن تهرب عند أُمِّكَ.
- أن تطمر نفسك وسط جسر إسمنتي على الطريق السريع.
- أن تقول: أنا لا أعرف شيئًا، أنا مجرد عازف موسيقى.
- أن تدخل أسفل تيار ماء ضعيف.

- أن تشعل حريقًا آخر صغيرًا.

تعد مواقف القوى العظمى تجاه ألمانيا النازية أكبر مثال في السياسة الدولية على تطبيق المثل القائل: "لا تتدخل فيما لا يعنيك". فقد امتنعت القوى الغربية عن الاحتجاج على الخطاب المتصاعد المعادي للديموقراطية في ألمانيا بعد وصول هتلر إلى السلطة، بل وسعت إلى الاستفادة من جرأته في معارضة الشيوعيين السوفييت؛ لذلك تظاهرت تلك القوى بأن الأمور في ألمانيا على ما يرام، وبلغت هذه الفلسفة أوجها في مؤتمر ميونخ عام 1938 حيث طبقة بريطانيا العظمى وفرنسا الشعار القائل: "لا تتدخل فيما لا يعنيك". ورغم أنهم قد تمكنوا من نزع فتيل الحرب الذي ظهر، لكن في مقابل كثير من الضحايا.

ومن المواقف المُكمِّلة لفلسفة "لا تتدخل فيما لا يعنيك"، ألَّا تتدخل حتى فيما يعنيك. يجب أن تعرف أن أهم شيء في التدخل هو أنه يختبئ خلف ظهرك من كان عليهم أن يتصدروا الصفوف، لكنهم لأسباب معرفة امتنعوا عن التدخل. عادة لا يتدخل إلا من يتمتع بميل غريب وشاذ نحو العدالة.

عند التدخل في أمرٍ ما تَوَقَّعْ شيئين: أن تنجح في مسعاكَ، أو تحرق نفسكَ. ولن تخرج من تورطكَ في الأمر خاليٍ الوفاض. فلو أنكَ أطفأت نارًا فعليك أن تتوقع أنها ستشب عما قريب في مكان آخر، عندها سيتوقع كل من حولكَ أن تكون أوّل من يبادر في إطفائها؛ نظرًا لخبرتكَ في هذا الأمر. لو أنكَ لم تبادر في إطفائها، واحترق البيت، لا قدر الله، فستتحمل أنت وزر ذلكَ.

عندما تضطر إلى أن تتدخل سيظهر قادة يجيدون مثل هذه المواقف، ويتمتعون بالاحترام الكافي، لكن المشكلة هي أنهم يغضبون الناس بمواقفهم هذه أكثر مما يسعدونهم. يغضبونهم لأنهم لم يُظْهِروا نفس الشجاعة في المواقف الحرجة. وعندما ينتهي الأمر يظهر الجبناء، وهدفهم الوحيد هو أن يُنَحُّوا ذلك الرجل المقدام لأنهم لا يمكنهم أن يقفوا معه جنبًا إلى جنب. كان المسيح خير مثال على الرجل الذي يتدخل فيما لا يعنيه، في كل مكان يذهب إليه، وانتهى أمره كما انتهى.

غالبًا ما يحدث أن تطفئ نارًا لا تطالكَ، فتشب بعدها في بيتكَ أنت شخصيًّا. قبل أن تضيع وقتك بإطفاء حريق الآخرين فكر في بيتك الذي يحترق؛ لأن معظم الغرباء الذين تساعدهم لن يساعدوكَ في إطفاء حريق بيتك، وتأكد أن من ساعدته كي ينقذ بيته لن يأتي لمساعدتكَ في بناء بيتكَ الذي احترق.

متى يكون لديك وجهة نظر؟

"كَثِيرُونَ هُمْ مَنْ يَرْغَبُونَ فِي التَّعْبِيرِ عَنْ آرَائِهِم الخَاصَّةِ، وَقَلِيلُونَ مَنْ يَتَقَبّلُونَ صَفْعَةً عَلَى وُجُوهِهِم بِسَبِبِ هَذِهِ الآرَاء"

المؤلف

إن طريقكَ إلى جهنم أن تكون صاحب رأي في السياسة. أفضل طريقة تحقق بها نجاح في السياسة هي أن تكون بلا رأي. عندما تكون بلا رأي فأنت في مأمن من أن يكون رأيكَ خطأً. والرأي الخاطئ هو الرأي الذي يختلف مع رأي الرئيس. لكن لو أردت أن تخاطر برأيك، فتأكد أولًا من أنكَ تمتلك وظيفة أو وظيفتين احتياطيتين. إن من لديه رأي في العمل السياسي يثبت أنه يفتقد الواقعية. إن السياسي الطبيعي لا يقول رأيه إلا بعد أن يقول رئيسه رأيه. لا تستسلم أبدًا لدعوة خبيثة من رئيسكَ كي تعبِّر عن رأيك، مهما حصل. لا تفصح أبدًا عن رأيكَ حتى لو هددوكَ بالتعذيب أو الإعدام. بعض الرؤساء يزعجون المبتدئين في السياسة أحيانًا بأن يمتنعوا عن التصريح بآرائهم عمدًا. يراوغونهم، ويستفزونهم محاولة منهم أن يسمعوا رأي من يرأسونهم قبل التصريح برأيه الخاص.

لقد عالج أحد السلاطين الأتراك قضية التصريح بالآراء الإيجابية بطريقة مثالية، عندما أمر بعمل نافذة في جدار الغرفة في البيت يلتقي فيها وزراؤه. كانت نافذة صغيرة، لكنها كافية لأن يجلس وقتما يشاء في الغرفة المجاورة ويسترق السمع إلى ما يقوله وزراؤه. كانت صالة الاجتماعات مبطنة بطبقة من الجرانيت النادر؛ لذلك كان الصوت يأتيه نقيًّا، وكان هذا أمرًا جيدًا لأن الوزراء لم ينطقوا بأي كلمة خبيثة في حق السلطان.

في حالة انزلق لسانكَ وأعربت عن رأيك، انْفه على الفور. لو قررت لأسباب غامضة أن تعبر عن رأيكَ صراحة، فعليكَ قبلها أن تصرح بأنكَ لا تؤيد هذا الرأي. عندما قدم نائب المعارضة "تيبور ميكوش" ذات يوم اقتراحًا بإقالة وزير التعليم، قلت له: "إنه اقتراح وجيه لكنني لا أتفق معه".



لا أنصـح علـى الإطـلاق أن تتبـادل الآراء مـع الرئيـس، أو أحـد مـن حاشـيته؛ فتبـادل الآراء هـذا سـيتبعه اسـتبدال الشـخص الـذي تبـادل الآراء.

"المُبَرِّرَاتُ الكَثِيرَةُ أَكْثَرُ إِقْنَاعًا مِنْ مُبَرِّرٍ وَاحِد"

ألدوس ليونارد هوكسلي

إن المبرر الجيد أهم من حقيقة منخفضة الجودة. من أكثر المبررات سوءًا، هو الطقس، والحضور المفاجئ لأم الزوجة، أو موت الجدة. لكن المبررات المثالية تكون من نوعية: "النقص في الفضيلة". لقد قتل الأمريكيون غالبية الهنود الحمر، ونقلوا من نجا منهم إلى أكثر من 300 مستوطنة، وسمحوا لهم في تلك المستوطنات بالاتجار في السجائر والكحول، فأعجب الهنود بالأمر، وأدمن كثير منهم الخمور، وبدأ علاجهم من أموال دافعي الضرائب الأمريكيين. اتضح أنه لو كان الأمريكيون أصحاب مبادئ لما واجهوا مثل هذه المشكلات، لقد تسببوا فيها "النقص في الفضيلة". أكثر المستعمرات ربحية كانت مستعمرة "أباتشي" في "نيو مكسيكو"، فقد كانوا يهربون السجائر والكحول بطريقة ناجحة، واعتقد الأمريكيون أن الهنود سعداء في مستعمراتهم.

إن الأعذار المتواصلة تصنع لكَ صورة عظيمة، فعندما يتطلب الأمر عمل شيء ما فلن يلجئوا إليكَ؛ لأنهم سيتوقعون أنكَ سوف تقدم الأعذار. أهمية تقديم الأعذار والمبررات لا تظهر لحظة النجاح في صورة "تهرب" من حدث ما، بل في نظرة من حولكَ إليكَ.

من الضروري إعداد الذرائع المختلفة لكل المواقف. لا تناسب رجل السياسةَ أعذارٌ من قبيل: "لقد تأخرت الحافلة". لن يصدقكَ أحد؛ لأنه لم يظهر حتى الآن سياسي يركب الحافلات (مرة واحدة رأيت فيها "دوشان تشابلوفيتش"). كذلك لا تفيد ذرائع مثل: "لقد تأخرت لأن بابا الفاتيكان كان معي على الهاتف". لكن عليكَ أن تقول: "لقد كنت أجري محادثة هاتفية في غاية الأهمية لشعبنا بأكمله".

- "لقد أخطأت في التصويت، لأني كنت أكتب رسالة نصية".

- "لقد تجمع حولي المواطنون، سعداء بوجودي، فلم أتمكن من تركهم".

- "حدث ثقب في إطار سيارتي".

- "أُصِبت بحمَّى".

- "ماتت أمي".

- "انقطعت عنا المياه، ولم أتمكن من الاغتسال".

- "أصبت بنوبة إسهال".

- "أنا نائب جديد، فبحثت طويلًا عن مقر البرلمان".

- "لقد زلت يدي" (أثناء التصويت الخطأ).

- "لقد داهمتنا مياه الفيضان، وجرفت المرفأ والسيارة".

- "تعرضت لحادثة سير".

- "اشتعلت النيران في منزل جاري، وكنت أساعده في إطفائها".

- "اشتعلت النيران في بيتي، ولم يساعدني جاري".

- "حدث زلزال في شارعنا".

- "لم أعثر على نظارتي" (أو مفاتيح السيارة، أو الهاتف المحمول، أو محفظة النقود).

- "سقطت مفاتيحي في البالوعة".

إن تقديم الأعذار ينفع طالما كنت واثقًا من عدم وجود شهود على ما حدث، وإن كان قد حدث بالفعل. فعندما تقول إنك قد تخلف عن التصويت لأن صهرك قد انقلب به القارب، فعليكَ أن تتأكد أولًا من أن صهرك هذا قد لقي حتفه غرقًا. لو لم تكن واثقًا فعليكَ أن تتحلى بالشجاعة وتعترف بأنكَ لم تعثر على مكان في جراج البرلمان لتتركه فيه سيارتكَ.

الخيانة أحيانًا تفيد

"الشَّرْطُ الأَسَاسِيُّ لِلصِّرَاعِ مِنْ أَجْلِ الشَّرَفِ هُوَ أَنْ تَكُونَ شَرِيفًا"

المؤلف

إن الوفاء بالعهود يكون نافعًا عندما تكون قواعد اللعب نزيهة. وبما أن السياسة مجال عمل لا تنطبق فيه قواعد اللعب النزيه ولا حتى مبادئ العمل النزيه، فلا تنتظر في هذا المجال أن يفي أحد بعهوده، ولو التزم أحد المشتغلين بالعمل السياسي بكلمته فقد يسبب فوضى عارمة. إن النكث بالعهود جزء لا يتجزأ من طبيعة العمل السياسي.

الغدر يكون على ثلاث مراحل:

1. عدم الثبات على عهد.
2. الخيانة.
3. القتل السياسي.

لا توجد عمليات القتل السياسي في السياسة الحديثة إلا عندما نعرف بها بشكل موثق. فلم يكن من الطبيعي إخفاء مقتل "جون كينيدي"، أو "أنور السادات"، أو "ألولف بالم"؛ لأنهم قتلوا أمام أعين الناس. وسيكون من الهزل أن تقنع الرأي العام الأمريكي أن سيارة "كينيدي" قد أسرعت نحو رصاصة انطلقت من طائرة تمر صدفة فوقها. الأمر مختلف عندما يحدث هذا دون وجود دليل. يعد استخدام السيارات من الأساليب الحديثة للقيام بعمليات القتل السياسي، يمكن التذرع خلالها بأن السيارة قد انزلقت أو أن المحرك قد تعطل. لن يعرف أحد كيف مات "أليكسندر دوبتشك"، أو "روبرت ريمياش"، وإن كانا قد لقيا حتفهما لخطأ شخصي، أو بأيادٍ أجنبية، كما لن يعرف أحد ما هي تلك الأيادي الأجنبية التي تسببت في مقتلهم. لكن لا يجب أن نتوقف كثيرًا عند هذا الأمر؛ لأن هناك فريقًا من خيار المحققين الأمريكيين يجري تحقيقًا في مقتل "كينيدي" على مدى ما يقرب من

خمسين عامًا، ويؤكد الفريق على الدوام بأنه على وشك التوصل إلى نتائج هذا التحقيق.

في عملية الغدر السياسي تأتي الخيانة في المركز الثاني بعد النكث بالعهود، ويحتل القتل المركز الثالث. إن وسائل الغدر كثيرة، ويمكن أن يغدر أي شخص بأي شخص، فقد خانوا المسيح، والقيصر، والبلد، والناخب، والأفكار، والثورة، والمثل العليا، ويمكننا أن نخون حتى أنفسنا. لم يعد الغدر محفوفًا بالمخاطر كما كان من قبل، فقد كانت خيانة حاكم البلاد في العصور الوسطى تنتهي بالتمثيل بالجسد أو بالغرق، وكان الخونة يكافَئون بالعطايا السخية كما يحدث اليوم، لكنهم لا يحصلون على الذهب أو الفضة، بل يعيَّن الخونة في الإدارات الرقابية، أو في رئاسة مجالس إدارة الشركات التي يتمتعون فيها بنفوذ يصب في صالح تلك الشركات.

"لَوْ لَمْ تُعْجِبْكَ مَبَادِئي، يَكْفِينِي أَنْ تَقُولَ لِي هَذَا، فَعِنْدِي مَبَادِئُ أُخْرَى أَعْرِضُهَا عَلَيْكَ"

جروشو ماركس

مجازفة كبيرة أن تذهب إلى سوق السياسية بجلد رقيق. قدم أحد النواب المستقلين مثالًا على امتلاك الجلد الثخين في المدة الانتخابية الثالثة، فقد انتظر أن يضعه حزب بعينه من أحزاب الائتلاف الحاكم على قوائمه الانتخابية، فقام وزير الصحة القادم من ذلك الحزب بإجراء عملية إصلاح موسعة، وكأنه فعل ذلك عن عمد. وذات يوم احتج جمهور من المواطنين الغاضبين على تلك الإصلاحات الجذرية أمام البرلمان. أدرك النائب أن صوت الناخب الغاضب له نفس الأهمية مثل صوت الناخب غير الغاضب، فاندسَّ وسط المحتجين وراح يردد معهم: "يسقط "زايتست"!" (وهو اسم وزير الصحة وقتها)، أو "لا للرسوم على الأدوية!"، ثم دخل نائبنا هذا إلى القاعة، وراح في مداخلته يدعم خطوات الإصلاح الذي قام به الوزير، وأنهى المداخلة قائلًا: "أدعم بشدة فرض رسوم على الأدوية".

مثال آخر على الجلد الثخين قدمه نائب كان معنيًّا بقضية الأمن في أحد الأحزاب المعارضة وقت أن أرسل الائتلاف الحاكم فريقًا من المهندسين إلى العراق. انتفض النائب معارضًا إرسال الفريق إلى العراق وقال معلِّلًا: "إننا بإرسالنا فريقًا إلى العراق ندعم القوى الإرهابية الإسلامية، وهذا سيضعف موقفنا على الصعيد الدولي، ولا تربطنا بالناتو أي التزامات أخلاقية، كما أن الشعب العراقي لن يكون ممتنًّا لنا، فهو لا يعرف بوجود دولة سلوفاكيا، فلو أرسلنا فريقنا فنحن نهدد أمن سلوفاكيا، وسوف يتكلف هذا 150 مليون كرون سنويًّا من أموال دافعي الضرائب، فضلًا عن أن الجنود هناك لا يفعلون شيئًا". بعدها انضم النائب المعارض إلى حزب آخر من أحزاب الائتلاف وقال الكلمات التالية بخصوص إرسال جنودنا إلى العراق: "إنه لأمر جيد أن يشارك جنودنا في حرب العراق، فنحن بذلك نساعد على إضعاف الإرهاب الإسلامي، وندعم الموقف الدولي لبلدنا، إنه التزام أخلاقي منَّا تجاه الناتو، كما أن الشعب العراقي سيكون ممتنًّا لنا، وسندعم بذلك أمن سلوفاكيا. كما أن

150 مليـون كـرون يعـد مبلغًـا هزيـلاً مقارنـة بمئـات الأرواح العراقيـة التـي سـننقذها". إن تلـك الحجـج التـي أوردهـا لا تخلـو مـن منطـق، لكـن القضيـة هـي لصالـح مـن سيسـتخدمها. الهـدف الأكيـد هـو المصلحـة الشـخصية.

الشـرط الأساسـي فـي العمـل السياسـي هـو التحصـن ضـد البيئـة المحيطـة، والسـير قدمًـا إلـى الأمـام لتحقيـق الأغـراض الشـخصية. إن فـرس النهـر هـو الحيـوان الـذي يجـب أن يتخـذه الشـخص السـاعي إلـى بنـاء مسـتقبل سياسـي مثـالًا لـه؛ وذلـك لعـدة أسـباب: فهـو يكـره النـور، ويعشـق الميـاه العكـرة، ولا يشـعر بالسـعادة إلَّا وهـو غـارق فـي الوحـل، وكلمـا كان الوحـل قـذرًا شـعر بمزيـد مـن الأمـان والسـعادة.

وبعـد أن يجـف الجلـد الثخيـن فـي الشـمس يصيـر صلبًـا إلـى درجـة أنـه يمكنـكَ أن تشـحذ فوقـه أحجـار المـاس، فالمـاس – كلمـة يونانيـة تعنـي الصلـب الـذي لا يتغيـر– يَقْـوَى علـى شـيء وكل شـخص، باسـتثناء الجلـد الثخيـن. احصـل علـى ماسـة، واجعـل زوجتـكَ تشـحذها فـوق جسـدكَ. لـو نجَحَـت، ادخـل إلـى عالـم السياسـة، ويمكنـكَ أن تعطـي الماسـة لزوجتـكَ الماسـة، فبالتأكيـد سـتجني أمـوالًا كثيـرة لتشـتري بهـا ماسـة غيرهـا.

انْسَ الانفعالات!

"يَجِبُ أَنْ يَكُونَ قَلْبُ الإنْسَانِ كَالحَجَرِ كَيْ لَا يَنْفجِرَ مِنَ الضَّحِكِ عِنْدَ قِرَاءَةِ مَأسَاةِ "مَوْتِ نِيلِّلي الصَّغِيرَة"

أوسكار وايلد

لـو تعرضـت لموقـف عرفـت منـه أنهـم طـردوكَ مـن البرلمـان، أو أقالـوكَ مـن وظيفتـكَ، فـلا يجـب أن تُظهـر حزنـكَ علـى المـلأ، تحـت أي ظـرف، فالجميـع يترقـب هـذه اللحظـة. علـى العكـس، أظهـر قـوة شـخصيتكَ واضحـك! إن إظهـار الانفعـالات فـي السياسـة تصـرف لا طائـل منـه، ففـي حيـن يكـون البـكاء فـي الحيـاة العاديـة أثنـاء جنـازة قريـب لـكَ تصرفًـا مقبـولًا، فـي السياسـة لـن يقتنـع أحـد أن نائـب الرئيـس أن قـد يـذرف الدمـع فـي جنـازة رئيسـه الـذي سـيحتل مكانـه فـي اليـوم التالـي.

لـو تحكـم شـيوعي سـابق، ورجـل معتـرف بـه دوليًّـا فـي الوقـت الحالـي علـى أنـه معـادٍ للفكـر الشـيوعي اللينينـي، فـي انفعالاتـه، لَمـا كتـب فـي عـام 1953، وبعـد وفـاة "سـتالين" و"جوتوالـد" بوقـت قصيـر هـذه القصيـدة العاطفيـة المؤثـرة:

اجتمعَا كاجتماع شقيقين

كأبٍ وأبيه

كلاهما يتبع الآخر

الرفيق "جوتوالد مع الرفيق "ستالين"

يا شعب السوفييت، جَمَعنا حزننا معًا

ولن يؤثر في حبنا أحد

جمعَا بيننا في حياتهما

ووصلًا بيننا حتى في مماتهما وإلى أبد الآبدين

اليوم يندم صاحب هذه القصيدة على كتابتها، ويندَى منها أيضًا جبين الشعر.

لا يفيد مستقبلَك السياسيَّ أن ترقص من السعادة عندما يعلن المسئول عن التصويت السريّ في مجلس النواب السلوفاكي أن المرشح الذي أجبروكَ على التصويت له، ضد إرادتكَ، لم يتم اختياره. إن إظهار العواطف أمام كاميرات التليفزيون أو ميكروفون الإذاعة قد يكون عملًا يتوقف عليه مصير السياسي الذي تقوده عواطفه، فالصحفيون يتأهبون لكل لحظة يشعرون فيها بأن رجل السياسة مفعم بالمشاعر الجياشة، ويحتاج إلى أن يعبر عنها. لكن عليه أن يكون قويًّا، يجيد التحكم في مشاعره. قويّ، لكن عاطفي حسب الحاجة، بصورة غير مباشرة وغير ملحوظة.

إن العواطف الإيجابية خطيرة، شأنها شأن العواطف السلبية، فمثلًا لو أنكَ تشقلبت في الهواء، وشددت شعركَ من السعادة عند قدوم رئيسكَ لحضور الاجتماع، فسوف تكون رغم ذلك محل شكّ، كما لو أنكَ رحبت برئيسك وأنت ترفع علمًا أسود. البكاء هو أسوأ مظاهر التعبير عن المشاعر؛ لأنكَ وأنت تفعل لا تعرف إن كان البكاء من فرط السعادة أم الحزن؛ لذلكَ يفضَّل ألَّا تشارك في فعالية وأنت غير متأكد من أنكَ لن تتحكم في مشاعرك.

لا تثق في أحد، وخاصة الأصدقاء

"لَا تَثِقْ فِي صَدِيقِكَ الَّذِي يَقُولُ لَكَ إِنَّهُ سَيِّدٌ فِي بَيْتِه، فَهُو غَالِبًا يَكْذِبُ كَمَا يَكْذِبُ فِي أُمُورٍ أُخْرَى"

مؤلف مجهول

كان الفكـر السـائد فـي النظريـة اللينينيـة هـو: تعلـم، وتعلـم، ثـم تعلـم. أمـا فـي أمـور الديـن فالأمـر هـو أن: تؤمـن، وتؤمـن، ثـم تؤمـن. وفـي السياسـة: لا تثـق فـي أحـد، لا تثـق فـي أحـد، لا تثـق فـي أحـد. ليـس مهمًّـا، لا فـي الديـن ولا فـي السياسـة إن كنـت مؤمنًـا أم لا، المهـم هـو أن تتظاهـر بأنـكَ مؤمـن. لـو لـم تكـن مؤمنًـا باللـه، فهـذه ليسـت مشـكلة، لكـن المهـم هـو أن تؤمـن بـأن بابـا الفاتيـكان هـو خليفـة اللـه علـى الأرض، وأنـه عندمـا يرضـى عنـكَ رئيـس الكهنـة "سـوكول" فقـد ضمنـت مكانـكَ فـي الجنـة.

المهـم فـي السياسـة هـو ألَّا تثـق فـي أحـد، لكـن تظاهـر بأنـكَ تثـق فـي كل إنسـان، عندهـا سـيحبكَ الجميـع، فالنـاس تحـب مـن يثـق بهـا، فالأشـخاص سـريعو التصديـق ينالـون ثقـة الآخريـن مـع الوقـت، وهـو مـا يمكِّنهـم مـن معرفـة أخبـار لـم يكونـوا ليعلموهـا لـو أنهـم لـم يُظهـروا علـى المـلأ ثقتهـم فـي غيرهـم.

لكـن حـذارِ أن تفعـل وأنـت فـي زيـارة لصديـق لـكَ دعـاكَ إليـه فجـأة وبـلا سـبب. إن اللحظـة الفاصلـة تحيـن عندمـا يقـدم لـكَ صديقـكَ كـوب الشـاي، مـع اعتـذار منـه. لـو لـم تكـن متأكـدًا، وأنـت عنـده، إن كان يراقبـكَ، أو يتأكـد مـن أنـكَ قـد ارتشـفت شـيئًا مـن كـوب الشـاي، فيمكنـكَ أن تشـرب بعضـه بـكل اطمئنـان. فلـو أنـكَ وضعـت الـكأس فـوق فمـكَ وشـربت منـه رشـفة رمزيـة فلـن تصـاب بالتسـمم حتـى لـو كان الشـاي مسـممًا، فقـد يفهـم صديقـكَ أنـكَ لا تثـق فيـه، ومثـل هـذا التشـكك قـد يـؤذي علاقتـكَ بـه بصـورة كبيـرة؛ لذلـك اشـرب برويَّـة. إنـه الأسـلوب الوحيـد الـذي تتأكـد بـه مـن أن صداقتكمـا سـتبقى قويـة إلـى الأبـد.

النـاس عـادة تتشـكك فـي كل شـيء، ويمكنـكَ أن تجـرب هـذا بنفسـكَ. حـاول أن تنبـه صديقـكَ

وأنتما تمران بأحد الأسوار بأنه قد تم دهانه مؤخرًا، وضع يدكَ على السور. لن يصدقك، وسيتصرف كما يتصرف عندما تخبره بأن الشاي قد صار باردًا، حيث يرتشف من كأس الشاي بكل تشكك.

عندما تتعامل مع الأشخاص الذين احترفت الكذب، لا يمكن أن تعرف منهم متى يقولون الحقيقة. لقد عيَّن "نابليون" في جناحه الأيسر وهو في "واترلو"[17] "مارشالًا اعتاد أن يكذب عليه في السابق. وعندما أخبره في ظهيرة الثامن عشر من يونيو عام 1815 بأن البروسيين يهاجمون من جهة اليمين بقيادة "بلوشر"، لم يصدقه نابليون؛ لأنه قبل ذلك بيوم شتت شمل البروسيين في منطقة "ليجينا". غير أن البروسيين تجمعوا من جديد، ثم أغاروا على الفرنسيين بقوة قوامها ستون ألف رجل. لو أن "نابليون" قد صدق المارشال، لتغير التاريخ. فقد تسبب انعدام الثقة في هزيمة "نابليون" هزيمة منكرة.

يجب أن تنتبه كثيرًا إلى الأصدقاء الذين يستخدمون عبارات مثل: "هذا سرٌّ بين وبينكَ"، "أصارحكَ القول"، "أقسم لكَ بأولادي"، "أعدم وظيفتي لو لم يكن ما أقوله حقيقة، أو أصاب بشلل، أو يتساقط شعري"، إلى آخره. لو استخدم صديقكَ مثل هذه العبارات، فاعلم أنه لا يصدقكَ القول، ولو واصلت تصديقه، فستكون قد جنيت على نفسكَ.

---

(17) مدينة في بلجيكا، انهزم عندها نابليون هزيمة منكرة (المترجم).

لا تفصح عن نواياك

"أَغْلِقْ فَمَكَ مِنْ فَضْلِك، أُرِيدُ أَنْ أَرَى بَاقِيَ وَجْهِك"

مؤلف مجهول

هنـاك الكثيـر مـن الأسـاليب التـي تسـاعدك علـى عـدم البـوح بنوايـاك. مـن بـاب الاحتيـاط، نَـمْ قبـل أن تقـرر أن تصـرح بمـا تنـوي فعلـه، لكـن لا تنـم بالمعنـى الحرفـي للكلمـة، بـل تظاهـر بأنـكَ نائـم. سـيطر علـى الموقـف، واسـمع لـكل مـا يقـال، ولـن يسـألكَ أحـد عـن أي شـيء. لـو لـم تتمكـن مـن التظاهـر بالنـوم، فاسـتغرق فـي النـوم بالفعـل، لكـن انتبـه كـي لا تتكلـم وأنـت نائـم، فقـد تفصـح عـن نوايـاكَ، وعمَّـن صوتـتَ لصالحـه أثنـاء الاقتـراع السـريّ.

غالبيـة السياسـيين لا يسـتطيعون التحكـم فـي أنفسـهم، ويفصحـون عمـا ينتوونـه. إن التصريـح بالنوايـا مـن المظاهـر الشـائعة، خاصـة قبيـل الانتخابـات، عندمـا يتحـدث أمـام العالـم عـن الأسـباب التـي دفعتـه ليكـون نائبًـا.

إن خطـورة التصريـح بالنوايـا الحسـنة تكمـن فـي أن أحدهـم قـد يزايـد عليـكَ فيهـا بعـد أن تصـرح بهـا، وعندمـا يتحقـق شـيء مـن نوايـاكَ الطيبـة، سـيقول مـن زايـد عليـكَ إنـكَ سـرقت منـه أفـكاره. السـرقات تحـدث للبيـوت الريفيـة، والشـقق، والمقابـر، ومحصـول البطاطـس، والكنائـس، والبنـوك، أو لمقـرات الأحـزاب. وفـي حالـة التلبـس تعـرِّض نفسـكَ للعقـاب، لكـن لا يعاقَـب أحـد علـى سـرقة برامـج الأحـزاب. تتعـرض هـذه البرامـج للسـرقة لأن الأحـزاب السياسـية تصـرح بنواياهـا الحسـنة مسـبقًا، سـعيًا سـخيفًا منهـا فـي نيـل رضـا المواطنيـن، وتنسـى أن المواطنيـن لا يقـرءون البرامـج الحزبيـة، بـل يقرأهـا العاملـون فـي الأحـزاب السياسـية المنافسـة. يقرءونهـا بغـرض واحـد، وهـو سـرقة الأفـكار الجيـدة وتعديلهـا، ثـم تقديمهـا علـى أنهـا أفكارهـم. السياسـة مليئـة بحـالات سـرقة الأفـكار والنوايـا الطيبـة. ومـن المسـتحيل أن يتبيـن المواطـن مـن أن فكـرة زيـادة قيمـة المعاشـات، أو الضرائـب، أو الأجـور قـد جـاء بهـا أولًا الحـزب ألـف، أو الحـزب بـاء، أو الحـزب جيـم. لـو أنـكَ أعلنـت عـن نوايـاكَ أو نوايـا حزبـكَ دون قصـد فلـن يحـدث شـيء، فالنـاس لـن يصدقـوك علـى أي حـال.

كيف تدرب نفسكَ على الخطابة؟

"يَبْدَأُ العَقْلُ البَشَرِيُّ فِي العَمَلِ مُنْذُ لَحْظَةِ وِلَادَتِكَ، وَيَتَوَقَّفُ عِنْدَمَا تَبْدَأُ فِي الحَدِيثِ أَمَامَ الجُمْهُور"

ليون جاسيل

الخطابة شرط رئيسيّ للنجاح في الحياة السياسية. السياسي الأصم لا يفهمه أقرب المرقبين إليه، وهي أمه. وكلما كنت صاخبًا وأنتَ تخطب، كان ذلكَ أفضل. ليس صحيحًا أن الخطابة فن، الفن هو تتحدث في المكان والوقت الصحيحين. دعا "يوسف جوبلز" إلى مؤتمر جماهيري في إحدى الصالات الرياضية بمدينة برلين في يوم استسلام الجيش الألماني السادس المحاصر في مدينة "ستالينجراد"، في 1943/2/18، وعندما أضحت هزيمة الفيلق الألماني في إفريقيا بالقرب من طرابلس محققة لا محالة. تمكن من استدعاء الجماهير التي حضرت لكي تصيح بغضب: "نريد حربًا شاملة!". كان الفرق كبيرًا بين المطالبة بحرب شاملة في حالة رياضية دافئة، بينما درجة الحرارة ثلاثون تحت الصفر في مدينة "ستالينجراد". انتبه "جوبلز" إلى هذا الأمر، وعندما انبعث الابتهاج من الصالة الرياضية، وصيحات الحماس والدعوة بالمجد للزعيم والإمبراطورية، و"زعيمنا المفدّى"، فكتب في يومياته قائلًا: "إنها ساعة الأغبياء. لو طلبتُ وقتها من ذلك الجمهور الثائر أن يلقي بنفسه من الطابق الثالث بالصالة الرياضية لفعل".

إن إثارة الحماس في الجمهور يُعَدُّ قمة نجاح الخطيب المفوَّه. لا تحاول أن تثير حماس نواب المجلس الوطني السلوفاكي إلى درجة تجعلهم يقفزون من شرفات مبنى البرلمان، فهذه الشرفات لا يمكن فتحها. حاول أن تكون مقنعًا. درب نفسكَ على هذا، فالتدريب هو الوسيلة الوحيدة. فالقرنبيط مجرد كرنب تدرب جيّدًا ليصبح كذلك.

تتلخص أزمة الخطباء المفوهين من رجال السياسية في مشكلتين: الأولى هي أن السياسي لا يعرف كيف يبدأ، والثانية أنه لا يعرف كيف ينتهي. السياسي الذي يتجرأ على الخطابة غالبًا ما يكون معجبًا بنفسه إلى درجة أنه لا أمل في أن ينهي خطابه، لا يفيده

حتـى مغـادرة كل المسـتمعين للصالـة، ولا حتـى شـخير بعـض الحاضريـن؛ لذلـك فالنـاس تحـب السياسـيين الذيـن لا يعرفـون كيـف يبـدءون خطبهـم.

الخطيـب المثالـي هـو الـذي يتقـدم إلـى منصـة الحديـث ويلقـي التحيـة علـى الحاضريـن، ويقـول إن خطبتـه ستسـلم لهـم مكتوبـة؛ لذلـك لـن يضيـع وقتهـم فـي قراءتهـا. أسـوأ الخطبـاء هـو مـن يلقـي خطابًـا، يقـرؤه معـه الحاضـرون فـي نسـخته المكتوبـة التـي وزعهـا عليهـم فـي وقـت سـابق. القاعـدة هـي أن تتحـدث بأسـرع مـا يمكـن، والأفضـل منهـا ألَّا يفهمـكَ أحـد، فلـن يعتـرف أحـد بأنـه لا يفهـم شـيئًا. اسـتطاع الزعيـم الكوبـي "فيـدل كاسـترو" أن يتحـدث وهـو فـي شـبابه لمـدة ثمانـي سـاعات بـدون توقـف. مـن المؤكـد أنـه كان سـيفوز فـي المسـابقة المعروفـة التـي نظمتهـا محطـة "فـان راديـو" الإذاعيـة، والتـي يكـرر فيهـا المسـتمعون خـلال عشـر ثـوان جملـة مـن قبيـل "سـورجون[18]، راعـي دوري الهوكـي"، ومـن يكـرر هـذه الجملـة أكثـر مـن غيـره يحصـل علـى هديـة. لكنـه، علـى عكـس رجـل السياسـة، يجـب أن يقـول الجملـة بطريقـة مفهومـة لـدى المسـتمعين. أعتقـد أن الثـورة الكوبيـة كانـت سـتختلف لـو أن قائدهـا راح يكـرر خـلال السـاعات الثمانـي جملـة: "سـورجون، راعـي دوري الهوكـي".

لكـن يجـب أن تنتبـه إلـى الخطـب المكتوبـة، وخاصـة تلـك التـي يكتبهـا أحـد غيـركَ، وتحديـدًا التـي يكتبهـا لـكَ أصحـاب المصالـح. أعـرفُ هـذا الموقـف جيـدًا مـن خبرتـي الشـخصية، فقـد كنـتُ صاحـب مصلحـة فـي صناعـة الدخـان. كنَّـا معنييـن بـألَّا يرفعـوا أسـعار الضرائـب علـى السـجائر القصيـرة؛ لذلـك تواصلنـا مـع نائـب كبيـر فـي البرلمـان، وطلبنـا منـه أن يلقـي خطابًـا قصيـرًا فـي قاعة مجلـس النـواب، ويذكـر فيـه بعـض الأمـور المتخصصـة. كتبـت لـه الخطـاب بنفسـي، ولكـي تكـون كلمتـه جديـرة بالاهتمـام وضعـت لـه بعـض الأقـواس، وكتبـت فيهـا ("يمكنـك هنـا أن تقـول بكلماتـكَ الخاصـة شـيئًا طيبًـا عـن التدخيـن"... "اذكـر هنـا خبرتـكَ الشـخصية مـع الاضطهـاد وخلافـه"). لـم يكـن السـيد النائـب مـن الخطبـاء النابغيـن، وبـدا منفعـلًا، فقـرأ مـن الورقـة التـي كانـت تهتـز فـي يـده، قـرأ كل شـيء، إلـى أن وصـل أول قـوس وقـال: "... بيـن قوسـين، يمكنـك هنـا أن تقـول بكلماتـكَ الخاصـة شـيئًا طيبًـا عـن التدخيـن"...، "اذكـر هنـا خبرتـكَ الشـخصية مـع الاضطهـاد وخلافـه". لحسـن الحـظ لـم يلاحـظ أحـد الأمـر، ولا هـو نفسـه. تجربـة أخـرى مـع خطيـب عصبـي خضتهـا عندمـا كنـت نائبًـا فـي البرلمـان. علـى مـا يبـدو أن زميـلًا لـي كتـب خطـأً نفـس الصفحـة مرتيـن. ومـرة أخـرى لـم يلاحـظ ذلـك أحـد، باسـتثناء مسـجلي الجلسـة. أنـا وحـدي مـن انتبـه إلـى ذلـك، فقـد كنـت أقـرأ الجرائـد وقتهـا فـي صالـة المداولـة.

---

(18) صنف من البيرة السلوفاكية (المترجم).

"يُمْكِنُكَ بِسَهُوَلَة أَنْ تَجْعَل أَيّ شَخْصٍ يَبْكِي بِاسْتِعْمَال قُنْبُلَة مُسَيّلَة لِلدّمُوع"

المؤلف

أو أن تسقط من الطابق السادس وسط الناس وأنت تحمل على ظهركَ كيسًا من البصل. كل إنسان في مقدوره أن يؤثر في المستمعين أو المشاهدين، لكن برنامج "لَديكَ رسالة بريدية" أو السياسيون الذين يتمتعون بهذه المهارة، وحدهم من يصل بالناس إلى درجة البكاء. من أكثر الأساليب تأثيرًا في الناس هو أن تستعرض كرمكَ على الملأ. نظِّم فعالية خيرية، وادع التلفزيون للحضور. أكثر ما يبكي الناس هو متابعتهم للسياسي وهو يوزع شيكات بقيمة ثلاثة آلاف يورو على أم لثمانية أطفال، أو يزور مستشفى بها ضحايا كارثة حدثت في أحد المناجم، أو عندما يحمل السياسي مجرفة في يده، ويذهب لإلقاء القمامة في حي يسكنه الغجر. أما في برامج "الشوبيزنس" فأكثر ما يؤثر في المواطنين عندما تظهر فيه بصورة منتظمة مذيعة في محطة تلفزيونية شهيرة تشكو من أن زوجها قد ظلمها، هو الزوج الذي ارتبطت به بعد أن رافقت خمسة عشاق قبله، ثم استبدلتهم بذلك الزوج، الذي استبدلته سريعًا بعشيق آخر. تبدأ فقرتها بهذه الكلمات: "أنا لا أريد أن أناقش مشاكلي على الملأ".

أكثر ما يؤثر في المواطنين بعد هذه المذيعة هو عندما يتأكدون أن السياسيين يأخذون مشاكلهم بكل جدية. لقد تأثرت جمهورية التشيك بالكامل إلى درجة ذرفت فيها الدموع بسبب "ستنانيسلاف جروس"، الشاب الوسيم الطموح، عضو الحزب الديموقراطي الاشتراكي. إنه نوعية من السياسيين الذين يفضلهم الناس، لأنهم يُسلّونَهم طوال الوقت. لم يعرف أحد يومًا ما مصدر أكثر من أربعة ملايين كرون تشيكي اشترى بها شقة فخمة، ومن أين جاءت زوجته بستة ملايين كرون تشيكي لشراء منزل. عجزوا أيضًا عن تفسير علاقتهم بسيدة تدعى "باركوفا"، وهي امرأة تدير صالون عام "للتدليك". رغم أن "جروس" أطلق حملة على لوحات الاعلانات قبل انتخابات 2002 تحت شعار: "أنا ديموقراطي

اشـتراكي، وجـاد فيمـا أقولـه". وسـجلت هـذه الحملـة كواحـدة مـن أكثـر الحمـلات التـي سـالت لهـا دمـوع الشـعب علـى مـر التاريـخ بعـد حملـة الجنـدي الطيـب "شـفيك" مـن "بوتيـم" إلـى "بودیایوفیتسـا". ورغـم أن الناخبيـن مـن مناطـق جـاءت منهـا شـخصيات مثـل "هاشـيك"، و"شـفيك"، و"كلابـزوب"، و"بوريـان"، و"مارفـان"، و"منشـيك"، وسـوفالك، و"أوليـرش" قـد اعتـادوا علـى التهريـج القـوي، إلا أن "جـروس" جعلهـم يضحكـون كمـا لـم يضحكـوا مـن قبـل. لقـد علـت نوبـات الضحـك فـي كل أرجـاء التشـيك إلـى درجـة أن "جـروس" قـرر إيقـاف تلـك الحملـة. لأسـباب صحيـة، علـى مـا يبـدو. فبصفتـه سياسـي علـى قـدر مـن المسـؤولية لـم يرغـب فـي المخاطـرة، وجعـل مثانـة غالبيـة التشـيك تنفجـر مـن الضحـك. لـو أردت أن تؤثـر فـي النـاس إلـى درجـة البـكاء لا تقـل لهـم يومًـا أنـكَ جـاد فيمـا تقولـه. فـلا شـيء أكثـر إهانـة للسياسـي مـن أن يسـقط الوطـن كلـه علـى بطنـه مـن الضحـك عندمـا يذكـر اسـمه مقترنًـا بكلمـة الجديـة هـذه.

كيف تقتنص اللحظة المناسبة

"لَقَد عَثَر السّلُوفَاك فِي ثَوْرَة نُوفَمْبِر 1989 عَلَى اللّحْظَة المُنَاسِبَة عِنْدَمَا لَمْ يَظْهَر بْالقُرْبِ مِنْهُم عَدُوٌ آخَر غَيْر السّلوفَاك أَنْفُسِهِم"

المؤلف

من المهم أن تكون في المكان المناسب وفي الوقت المناسب. والأهم منه أن تكون وقت وقوع الجريمة في مكان آخر. في روما القديمة كان تعبير alibi يعني: في مكان آخر. على رئيس الحزب الذي يشارك في الائتلاف الحاكم أن يكون في مكان آخر أثناء التصويت على الثقة في الحكومة، لأنه يعرف أن الآخرين سيتولون الأمر نيابة عنه، كما فعل نائبان معرضان من الحزب الديموقراطي الاشتراكي في التشيك عندما تغيبوا أثناء التصويت على الثقة في الحكومة الائتلافية اليمينية، وهو ما مكن أعضاء المجلس من إعلانه ثقتهم في الحكومة.

من الضروري أيضًا أن يكون جميع الأشخاص المعنيين حاضرين في اللحظة المناسبة. بعدها يمكنكم أن تحصلوا على النتائج المرجوة. فقد عثر السياسي "يوسف فاجنر" من الحزب التشيكوسلوفاكي الديموقراطي الاشتراكي على اللحظة المناسبة في اجتماع المجلس، عندما انتظر أن يقترب منه أحد زملائه وهو "فاتسلاف جروليخ"، وزميل آخر وهو "كارل ماخوفيتس". فصفع "فاجنر" زميله "جروليخ" ورآه "ماخوفيتس". فعلم الناس بما حدث لـ"جروليخ" بفضل موهبة "فاجنر"، ليس هذا فقط، بل وصلت الأخبار إلى أعلى مستوى في حزب الديموقراطيين الاشتراكيين. ثم تولى سياسي آخر من نفس الحزب وهو "فلاديدير شبيندلا" الإبلاغ عن كل تفاصيل الصفعة، وعن وقعها وتبعاتها. انتهت عملية "فاجنر يصفع، وجروليخ يتلقي الصفعة، وماخوفيتس ينشر الخبر، و شبيندلا يستقصي" بالنجاح لجميع الأطراف المشاركة. فأصبح "يوسف فاجنر" رئيسًا للجنة الميزانية في البرلمان بعد الانتخابات، وترأس "فاتسلاف جروليخ" لجنة المناطق، و"كارل ماخوفيتس" لجنة الزراعة، و "فلاديمير شبيندلا" صار رئيسًا للجنة الاجتماعية.

أفضـل وقـت تعيـش فيـه اللحظـة المناسـبة عندمـا يقتـرب مصـور مـن وسـيلة إعـلام معاديـة.

كل وسـيلة مـن وسـائل الاعـلام معاديـة، لذلـك عليـكَ أن تكـون متيقظًـا علـى الـدوام. مـن الخطـأ أن تشـرب كأسًـا صغيـرًا مـن الكحـول، ثـم تجلـس بعدهـا خلـف عجلـة قيـادة السـيارة. عليـكَ أن تجلـس فـي السـيارة أولًا، ثـم تشـرب الكحـول بعدهـا كمـا تريـد. ومـن بـاب الاحتيـاط، انظـر إلـى المقعـد الخلفـي لتتأكـد مـن أن أحـد المصوريـن المعاديـن لـكَ لا يجلـس هنـاك.

أهمية التنس والجولف والصيد في العمل السياسي

"يَلْعَبُ التّنِس والجُولْف دَوْرًا كَبِيرًا فِي مُسْتَقْبَلكَ السّياسِّي طَالمَا حَرِصْتُ عَلَى أَنْ يَهْزِمَكَ رَئِيسُكَ فِي كُلّ مَرّة"

المؤلف

لقد انتهى الزمن الذي كانت فيه السيرة المهنية تُبنى بفضل الأصدقاء الذين تلعب معهم كرة القدم، أو الطائرة، أو السلة، أو تنس الطاولة، أو الذهاب معهم في نزهات، أو لصيد الأسماك. انتهت بلا رجعة. لقد فقد مثل هؤلاء الأصدقاء من عصور الرياضة الجماعية تأثيرهم بمرور الأيام، ويجب عليهم، سواء رغبوا في ذلك أم لم يرغبوا، أن يتجهوا نحو الجولف أو التنس. إنها رياضات تسمح لكَ بتبادل الأحاديث وأنت تلعبها. الفرق بين السياسيين لاعبي كرة القدم، والسياسيين لاعبي التنس يكمن في أن السياسيين لا يجيدون لعب كرة القدم، ويذهبون فقط لمشاهدتها. بينما يمكنهم أن يلعبوا التنس، حتى وإن لم يعرفوا كيف يلعبوه. إنه نوع من الرماية أو اللعب بالكرة لمسافة بعيدة. يمكنكَ أن تلعب الجولف وأنت سكران، على عكس التنس. وهي مسألة هامة بالنسبة لبعض السياسيين. فليس مهمًا وأنت تلعب الجولف أن تبذل مجهودًا بدنيًا، بل أن تصيب الهدف. لو لم تصيب الهدف، فإن الحجة المقبولة هي أنكَ لم تشرب الكمية المناسبة من الكحول. لو رغبت عن الحركة أثناء ممارسة لعبة الجولف فلا شيء في ذلك. هناك أشخاص يأخذونكَ فوقك العربة، ويضربون الكرة نيابة عنكَ لو أردت. كانوا في إنجلترا يحملون في عربة الجولف أشخاصًا عاجزين تمامًا عن الحركة، ومربوطين فوق سرير المستشفى. كانت غالبيتهم من لاعبي جولف سابقين، غالوا في ممارسة اللعبة.

إن الجولف والتنس رياضتان جاءتا إلينا من الغرب. هذا لا يعني أن كرة القدم أو الهوكي جاء إلينا من الشرق، لكنهما رياضتان شائعتان عندنا. ظهرت لعبة الجولف والتنس عندنا منذ وقت غير بعيد. لذلك فإن العادات الاجتماعية المرتبطة بالجولف لم تظهر عندنا إلا مؤخرًا.

لو أردت أن تبني مستقبلًا مهنيًا في السياسة فتأكد من أن رئيسكَ أو وزيركَ يلعب الجولف أو التنس، أو حتى يمارس هواية الصيد. تأكد أيضًا من قواعد هذه الرياضات. فمن

الغبـاء أن تأتـي للصيـد وأنـتَ تحمـل عصـا الجولـف، وترشـق الـدب بكـرة الجولـف، أو تطـارده بمضـرب التنـس.

لـو لـم تجـد رئيسـكَ فـي مكتبـه قبـل الظهيـرة فغالبًـا سـيكون لاعـب تنـس أو جولـف. إن الرؤسـاء والـوزراء عـادة مـا يلعبـون الجولـف فـي أوقـات العمـل. لكـن ليـس قاعـدة أن كل مـن يلعـب الجولـف أو التنـس يكـون رئيسًـا أو وزيـرًا. لـو كنـتَ تعـرف هـذه الأنـواع مـن الرياضـة، فإمكانـكَ أن تشـاركهم إياهـا بـكل سـهولة. لـو لـم تكـن تجيـد لعـب التنـس، اعـرض علـى رئيسـكَ أن تجمـع لـه الكـرات. لـو كنـت تجـاوزت السـتين فاحتـرس مـن آلام أسـفل الظهـر وأنـت تجمـع الكـرات. عليـكَ أن تنتبـه إلـى هـذه الآلام سـواء أثنـاء لعـب الجولـف أو الصيـد. لـو لـم تفعـل فقـد يحـدث أن "تقفـش" عظامـكَ وأنـت محنـي، وتظـل هكـذا إلـى الأبـد. إنـه موقـف غيـر لطيـف، لأن كل مـن سـتلتقي بـه وأنـت علـى هـذه الحالـة سـيعرف أنـكَ كنـت تلعـب الجولـف، وغالبًـا لا تجيـد هـذه اللعبـة. انتبـه أيضًـا كـي لا يباغتـك تصلـب العظـام وأنـت ترمـي كـرة التنـس. فلـن يكـون شـعورك طيبًـا لـو ظهـرت لمـدة أسـبوع أو أسـبوعين ويـدكَ مرفوعـة. يتضـح مـن متابعـة السياسـيين لاعبـي الجولـف والتنـس، والتـي اسـتمرت لفتـرة طويلـة، أنـه ليـس مهمًـا أن تجيـد هـذه الألعـاب. المهـم هـو أن تكـون موجـودًا أثنـاء لعبهـا. فـي الوقـت المناسـب ومـع الشـخصيات المناسـبة.

يجـب أن أذكـر بعـض الأمـور الخاصـة بهوايـة الصيـد. يجـب أن تعـرف قواعـد مثـل هـذه الهوايـة نسـبيًا. أنـا لا أتحـدث عنهـا بوصفهـا رياضـة، لأن القتـل ليـس رياضـة، لكنـه متعـة. شـرط المشـاركة فـي الصيـد هـو أنـكَ ترغـب فـي قتـل حيـوان، وليـس قتـل أحـد المقربيـن منـكَ. هـذا مـا لـم تكـن تعتبـر هـذا القريـب حيوانًـا. لا تحـاول قتـل نفسـك، فربمـا تفشـل. حـاول هـذا فـي عـام 2005 أحـد الـوزراء، وانتهـى بـه الأمـر بإصابـة مجهولـة فـي سـاقه. يقـال إنهـا كانـت أفضـل مـرة صـوب فيهـا علـى هـدف مـا بنجـاح.

مـا يميـز الصيـد أنـكَ لسـت مضطـرًا إلـى إجـادة التصويـب، ورغـم ذلـك تصيـر عضـوًا فـي نـادي الصيـد. مثـل هـؤلاء الأعضـاء الذيـن لا يجيـدون الصيـد، ويسـتغلونه لكـي يتدربـوا على حفـلات الصيـد الراقصـة، أو علـى إطعـام الحيوانـات فـي شـهور الشـتاء، أو التـدرب علـى التعامـل مـع الأهـداف المتحركـة. أن تكـون هدفًـا متحـركًا أمـر غيـر مأمـون العواقـب، لكـن لـو جاءتـكَ طعنـة مباشـرة مـن رئيسـكَ أو وزيـركَ فهـذا يعنـي أن مسـتقبلكَ المهنـي قـد صـار مضمونًـا. لذلـك اهجـم أثنـاء الصيـد علـى مرمـى نيـران رئيسـك بـلا خـوف. ولا تيـأس إن لـم يصبـكَ رئيسـكَ فـي أول مـرة. اسـأل نفسـكَ فـي البيـت وأنـت تقـف أمـام المـرآة إن كنـت لـم تتحـركَ بالقـدر الكافـي. فلـو أن رئيسـكَ لـم يصـب الهـدف فسـتكون أنـتَ المسـؤول.

متى وكيف تكون فاسدًا

"أَتَمَنّى لِنَفْسِي قَلِيلًا مِنَ الفَسَاد وَمَزِيدًا مِنْ فُرَص المُشَارَكَة فِيِهِ"

بريلانت

إن ممارسـة الفسـاد بصـورة جيـدة فـن لا يقـل أهميـة عـن فـن الطبـخ. يجـب أن أقـول إن دور السياسـي ليـس ارتـكاب أعمـال فاسـدة بـل أن يكـون شـريكًا فيهـا. فـدور الطاهـي ليـس تنـاول الطعـام، بـل طهيـه. لـن نتنـاول تقنيـات تقديـم الرشـاوى. فلـو أنـكَ رجـل سياسـة فسـيقوم الآخـرون هـم برشـوتكَ. انتبـه إلـى هـذا الأمـر، ولا تهـرول إلـى طبيـب الأسـنان، وأنـت تحمـل لـه فـي كل مـرة علبـة قهـوة أو زجاجـة نبيـذ. ليسـت كل الأماكـن مناسـبة للممارسـة الفسـاد، إلا فـي حالـة واحـدة، وهـي أن تأخـذ، لا أن تعطـي. عندمـا تتلقـى رشـوة لا تأخذهـا أمـام كاميـرات الشـرطة السـرية، أو فـي وجـود مخبـر شـرطة، لا قـدر اللـه. فقبـل أن يقـدم لـكَ أحدهـم ظرفًـا اطلـب منـه تحقيـق الشـخصية. فلـو رأيـت أن تحقيـق الشـخصية بـه عبـارة: مخبـر شـرطة فـلا تأخـذ منـه شـيئًا. احتـرس مـن هـؤلاء خاصـة فـي منطقـة "راتشـا"، ومدينـة "كوشيتسـا"، و"تشادسـي"، و"فيلـكا ميـدرو"، و"دافينسـكا نوفافيـس"، وأيضًـا فـي اتحـاد كـرة القـدم السـلوفاكي.

يؤكـد المواطنـون أن المشـاركة فـي الفسـاد هـي الدافـع الرئيسـي لـكل مـن يقـرر أن يدخـل إلـى عالـم السياسـة. لكـن لا أحـد يعتـرف بهـذا الأمـر صراحـة. الـكل يؤكـد أن كل النـاس تأخـذ رشـاوي إلا هـو. المشـكلة هـي أحـد لا يصدقـه. فرفـض الرشـاوي أمـر غيـر منطقـي ولا طائـل منـه. أعـرف هـذا، فأحيانًـا كنـت أصـاب بالاكتئـاب وأنـا أرى نفسـي لـم أتلـق سـنتًا واحـدًا علـى سـبيل الرشـوة. لـم أكـن مكتئبًـا مـن أننـي لـم أتلـق رشـاوي، بـل مـن أن الجميـع يعتقـد أنـي أتلقـى رشـاوي. حـدث ذات مـرة أن أقنعـت بعـض الشـباب فـي حانـة فـي منطقـة "بريـزوف" بأننـي لـم آخـذ سـنتًا واحـدًا رشـوة. وكانـت النتيجـة أنهـم انصرفـوا مـن عنـد الطاولـة التـي أجلـس عليهـا. ربمـا كان رد فعلهـم أفضـل لـو أننـي أخبرتهـم أنـي مصـاب بالإيـدز. ثـم راحـوا يشـيرون علـيَ مـن ركـن الحانـة المقابـل، ويسـبونني بعبـارات بذيئـة – مثـل غبـي، ومجنـون، وعيّـل خـو...ل، الـخ. لـم يسـتطيعوا أن يفهمـوا السـبب الـذي دعانـي للانخـراط فـي العمـل السياسـي، عندمـا قلـت لهـم بصـوت منخفـض، وأنـا

أكاد أذوب مـن الحيـاء، إننـي أردت أن أقـوم بعمـل نافـع انتابتهـم نوبـة مـن الضحـك الهسـتيري، إلـى درجـة أنهـم اسـتدعوا عربـة الإسـعاف لإنقـاذ أحدهـم مـن نوبـة الضحـك. وانتهـى الأمـر إلـى أنهـم طردونـي مـن الحانـة، ليـس هـذا فحسـب، بـل مـن القريـة كلهـا، وراحـوا يصيحـون مـن خلفـي، ويطلبـون منـي ألا أظهـر هنـاك مـرة أخـرى. فهـم ليسـوا فـي حاجـة إلـى أن يـروا مزيـدًا مـن الأغبيـاء.

هنـاكَ أيضًـا سياسـيون لا يمكـن رشـوتهم. إنهـم أنـاس محبطـون بشـدة، لأن المواطنيـن يعتبرونهـم شـواذ. سـألت ذات مـرة أحـد المسـتمعين أثنـاء حديـث إذاعـي، وكان ذلـك المسـتمع قـد وصمنـي بكلمـة كاذب، مـا السـبب الـذي قـد يدفعـه إلـى الانخـراط فـي العمـل السياسـي، فأجابنـي بـدون تـردد: "كـي أسـرق". اللافـت فـي الأمـر أنـه مـن بيـن عشـرة مسـتمعين علقـوا علـى حـوار ذلـك الرجـل، أن سـبعة منهـم أثنـوا علـى صراحتـه. لكنهـم سـخروا مـن صراحتـي، وأنـا أقـول إنـي لـم أدخـل عالـم السياسـة بغـرض الثـراء. لا تعتـرف أبـدًا أنـك سـرقت. فسـيعتبرونكَ غبيًـا. لكـن لا تنفـي أن تكـون لصًـا، فأيضًـا سـيعتبرونكَ غبيًـا.

إن اللصـوص الحقيقييـن، ودافعـي الرشـاوي فـي وضـع أفضـل مـن هـذا بكثيـر. مـن السـهل الحصـول علـى أدلـة علـى السـرقة، أسـهل بكثيـر مـن أدلـة علـى عـدم السـرقة، وهـو الدليـل غيـر المباشـر والوحيـد، علـى أنـكَ سياسـي شـريف، وأنـك لـن تبقـى فـي السياسـة.

كيف تحافظ على مظهرك الجيد

"تُحَاوِل النّسَاء أَنْ تَبْدُو جَمِيلَة، لِأَنّ الرّجَال يَرَوْنَ أَكْثَر مَمّا يُفَكّرِوُنَ"

مثل يهودي

تؤكـد "إيڤيتـا راديتشـوفا" أن ثقافـة الشـخص تُقـاس حسـب الهيئـة التـي يظهـر بهـا. لسـت متأكـدًا مـن أن ثقافتهـا قـد ازدادت بعـد انصرافـي مـن الحيـاة السياسـية السـلوفاكية. يقـول البروفيسـور الأسـترالي "ليـج" إن رئيـس الـوزراء المحافـظ "جـون هـوارد" الـذي يوجـد فـي السـلطة منـذ عشـرة أعـوام يعـد واحـدًا مـن أقبـح أربعـة سياسـيين اسـتراليين. بـل أكثرهـم قبحًـا، حسـب الخبـراء الأسـتراليين، هـو النائـب العمالـي "ديـك آدمـز"، الـذي ظـل فـي البرلمـان علـى مـدى خمسـة فتـرات انتخابيـة. ورغـم اختـلاف البروفيسـور "ليـج" مـع "إيڤيتـا" لا يمكـن اعتبـار الجلـوس بجـوار زميـل ذي رائحـة كريهـة أمـرًا طيبًـا، خاصـة أن رائحتـه هـذه لا تظهـر فـي الصـور الفوتوغرافيـة.

كانـت القـدرة علـى الابتسـامة السـاحرة شـرطًا هامًـا للعمـل فـي الوظائـف فـي الصيـن القديمـة. فلـو أردت أن تبنـي مسـتقبلًا سياسـيًا، عليـكَ أيضًـا أن تبتسـم. لا أعنـي أن تبتسـم فـي وجـه كل إنسـان كـي لا تتحـول الابتسـامة إلـى تبوزيـة أو، لا قـدر اللـه، سـخرية. ابتسـم بتحفـظ.

الحفـاظ علـى المظهـر الجيـد يتطلـب التـردد علـى صالونـات التجميـل، والكوافيـر، وارتـداء بـدلات تحـاك حسـب الطلـب مـن أشـهر مصممـي الأزيـاء. لـو رأيـت أن مـا قلتـه للتـو لا يكفـي، فأضـف إليـه صالـون "الباديكيـر والمانيكيـر" وشـفط الدهـون. هـذه الوصايـا تخـص النسـاء السياسـيات والشـواذ جنسـيًا. أمـا السياسـيين الذيـن ليسـوا نسـاءً أو شـوذًا فـإن أمرهـم سـهل. عليهـم أن يصبغـوا شـعرهم، ويحلقـوا تحـت إبطهـم سـرًا. وأن يتظاهـروا أن شـعرهم كان أسـودًا منـذ صغرهـم. السياسـي الـذي يصبـغ شـعره عليـه أن يعتـرف بذلـك قبـل أن يكتشـفه الصحفيـون. الصحفيـون الـذي يصبغـون شـعرهم هـم مـن يسـعى إلـى الكشـف السياسـيين الـذي يفعلـون الأمـر نفسـه.

تعد صالونات تلوين البشرة "سولاريوم" من أفضل وسائل تحسين المظهر. لا أنصح بمراكز اللياقة البدنية إلا لمن يرغب. فليس من اللائق أن يمارس السياسي الرياضة، فلا يليق بكَ أن تبدوا نحيفًا، ويظن الناس أنكَ لا تملك أموال كافية. يؤكد التاريخ أن السياسيين النحفاء لم يعمروا كثيرًا في السياسة. الاستثناء الوحيد كان "غاندي" الذي أطلق عليه الرصاص مسلم بدين، فأصابه رغم نحافته الشديدة.

عليكَ أن تكون في أبهى صورة خاصة عندما يلتقطون لكَ صورًا، أو يصورونك بكاميرات التلفزيون. اهتم بمظهرك خاصة وهم يلتقطون لكَ صورًا من شرفة المطعم وأنتَ تتبول. لو شعرت أن وجهكَ يبدو جميلاً، ورغم ذلك تود أن تظهر صوركَ في الجرائد ولو مرة واحدة، ضع نقابًا على وجهكَ. أقل الناس إيمانًا يمكنهم أن يضعوا على وجوههم رقائق خشبية أو قطعة من البلاستيك. استعمل هذه الطريقة أيضًا عند المشاركة في مداولات مجلس النواب إن أردت ألا يعرفك المواطنون وأنت تسير في الشارع.

لا تعترف بإخطائك مهما كان الثمن

"أَنَا شَخْصٌ مُثِير لِضّحِكِ، لَكِنّكُم لَا تَجْرُؤونَ عَلَى السّخْرِيَة مِنّي"

چورج أورويل

اعترف "ميخائيل جورباتشوف" في عام 1989 بأن الغزو السوفيتي لتشيكوسلوفاكيا كان خطًأ. واقترح "أليكسندر دوبتشك" على "برجينيف" أن يعترف بهذا الخطأ في 23 أغسطس عام 1968. أراد أيضًا أن يكتب "برجينيف" هذا الاعتراف في مذكرة. لكن "برجينيف" تخلص من "دوبتشك" ومن رأيه. من السذاجة أن تطلب من الذئب أن يعترف بأن ما فعله كان خطًأ.

لو اعترف الإنسان العادي بالخطأ فالناس تعتبره رجلاً صريحًا، أما لو اعترف السياسي بالخطأ فيعتبرونه مجنونًا. كُن عاقلاً!

الطالب الذي لم يحضر الامتحان قد يعترف بخطئه فقط كي يحصل على فرصة ثانية. أما السياسة فلا توجد بها فرصة ثانية. لذلك لا تعترف بأي شيء. حتى لو قدموا دليلاً على أنكَ في عام 2006 كنت تخاطب مطران الكنيسة بلقب "أيها الرفيق المحترم"، أو أنكَ خاطبت صاحب القداسة بابا الفاتيكان، بلقب جلالة البابا. إن من يعترف بالخطأ كمن يعترف بالخيانة. ربما سيغفرون لكَ، لكنهم لن يثقوا فيكَ بعدها، وستكون مصدرًا لسخرية الرأي العام. الناس تفضل السياسي الذي يكذب وينكر أنه يكذب، أكثر من السياسي الذي يعترف بالخطأ. إن الاعتراف بالخطأ ضعف. ورغم أن الاعتراف بالخطأ يعد إشارة طيبة، لكنه يطيح بمصداقيتكَ. ولا يمكن أن تعترف بالخطأ لمرة واحدة، فلو أنكَ اعترفت به مرة، عليكَ أن تكررها. إن الاعتراف المتواصل بالخطأ يستدعى التساؤل التالي – لماذا هذا الغبي موجود أصلاً في السياسة؟ فلو اعتبرت نفسكَ غبيّا، فلن تكون سوى مسألة وقت حتى تعترف بأنكَ كذلك بالفعل. لذلك انكر، وانكر، وانكر، تمامًا كما تفعل مع زوجتكَ، الأمر لا يختلف عن ذلك في السياسة. لو أنكَ اعترفت لزوجتكَ بشيء لم يكن عليكَ أن تعترف به،

ستغفر لـكَ فـي العلـن، لكنـكَ لـو نظـرت إلـى امـرأة أخـرى، فدائمًـا مـا سـترى فـي عينيهـا ذلـك التعبيـر الـذي لا يمكـن وصفـه، التعبيـر الـذي يبحـث عـن سـلاح ليضربـكَ بـه.

كيف تحفر مقابر سياسية

"الأَصْدِقَاءُ يَأْتُونَ وَيَرْحَلُون، أَمّا الأَعْدَاء فَبَاقُون"

أوسكار وايلد

لا يكـون حفـر مقبـرة لغيـركَ مفيـدًا إلا عندمـا يكـون لديـكَ مـن تدفنـه فيهـا. لـو وُجِـد مثـل هـذا الشـخص فعليـكَ أن تحفـر مقبـرة كبيـرة. ليسـت كالمقبـرة التـي حفروهـا للزعيـم السـوفيتي "ليونيـد بريجنيـف" فـي نوفمبـر 1982. فقـد كانـت الأرض متجمـدة مـن الثلـوج، ولـم يرغـب حفـارو القبـور فـي عمـل المقبـرة. لذلـك حفـروا واحـدة، وعندمـا أحضـر الجنـود نعـش "بريجنيـف" اكتشـفوا أنـه أطـول مـن المقبـرة التـي حفروهـا. فلـم يفعلـوا سـوى أن وضعـوا النعـش فـي الحفـرة مائـلاً. المؤسـف فـي الأمـر أن العالـم بأسـره تابـع هـذا فـي نقـل حـي مباشـر. مـن وقتهـا وحفـارو القبـور السـوفييت يراعـون هـذه الأمـور بـكل صرامـة. وهـذا مـا أثنـى عليـه خلفـاء "بريجنيـف"، منهـم "أندروبـوف"، و "تشـيرنينكو". لكـن مصيـر أحـد مذيعـي التلفزيـون السـوفييت كان سـيئًا عندمـا فقـد أعصابـه لأن كبـار ممثلـي الاتحـاد السـوفيتي العجائـز راحـوا يموتـون واحـدًا تلـو الآخـر، وعندمـا توفـي "تشـيرنينكو" بـدأ أخبـار التلفزيـون بهـذه الكلمـات: "أعـزاءي المشـاهدين، ربمـا سـتضحكون مـن ممـا سـأقوله، لكننـا مُنينـا بحادثـة أخـرى مؤسـفة...". لـم تكـن هـذه المـرة الأخيـرة الـذي ظهـر فيهـا ذلـك الرجـل فقـط، بـل كانـت أيضًـا الدليـل الأخيـر علـى مـوت مذيـع موتًـا سياسـيّا. لذلـك لا تحفـر مقبـرة سياسـية كبـادرة علـى السـعادة قبـل الأوان، أو حـزن علـى مـوت مـن سـبقوكَ.

السياسـي المسـتهتر يمكنـه أن يحفـر مقبـرة سياسـية لنفسـه شـخصيّا. آمـن وسـيلة لعمـل مقبـرة سياسـية هـي أن تسـعى جاهـدًا لعمـل الخيـر، وأن تكـون نافعًـا للمواطـن. فعاجـلاً أم آجـلاً سـتثير حفيظـة زملائـك، والمواطنيـن أيضًـا. فالمواطـن ينتظـر منـكَ أن تظهـر أمامـه فـي أضيـق الحـدود الممكنـة.

عندمـا تحفـر قبـرًا يجـب أن تكـون حـذرًا إلـى أقصـى درجـة ممكنـة. فذلـة صغيـرة مـن شـأنها أن تلقيـكَ فـي الحفـرة مـع المتوفـي. فـلا تقتـرب كثيـرًا مـن عامـل الدفـن، ولا حتـى وهـو يضـع ألـواح الخشـب علـى المقبـرة.

مخاطر العادة

"دَائِمًا مَا أَرْتَاب كُلّمَا الْتَقَيْت سِيَاسِيّا يَرْغَبُ فَي أَنْ يَكُونَ مُفَيدًا "

مؤلف مجهول

اعتياد الأشياء في السياسة أمر خطير، خاصة عندما تكون خدمت في الحياة المدنية فترة طويلة. فقد اعتدت في الحياة المدنية أن تتحدث بصيغة ضمير المتحدث في المفرد. ولو أن أحدهم سألكَ: "ما رأيكَ في هذا الأمر؟" قد تجيبه قائلًا: "أعتقد، رأيي هو" الخ. لكنكَ في السياسة تقول: "يرى حزبنا أن..."، "نعتقد أن..."، "لقد اتفقنا على الموقف التالي...". فأنت تنتقل من صيغة المفرد إلى صيغة الجمع، ومن المسؤولية الفردية إلى المسئولية الجماعية.

ليس من الجائز أن تجيب على السؤال قائلًا: "رأي الحزب هو... لكن رأيي الشخصي هو...". مثل هذه الردود تستدعي توبيخ الحزب لكَ على أقل تقدير، وفي أفضل الأحوال يعتبرونك شخصًا مصابًا بانفصام في الشخصية طالما تأرجحت بين المفرد والجمع. اعلم أن السياسي لا يمكنه أن يعرب عن رأي الحزب الرسمي في ساعات العمل الرسمية، ثم يعبر عن رأيه الشخصي بعد انتهاء العمل. فأنت سياسي على مدى أربع وعشرين ساعة يوميًا، فانس رأيكَ الشخصي حتى وأنت في السرير مع زوجتكَ.

الأفضل لكَ أن تعتاد السلطة. فالسلطة إدمان أكثر من إدمان السجائر. ويستغرق الأمر وقتًا طويلًا حتى تقلع عنها. إن الدولة تؤسس مراكز لعلاج مدمني المخدرات. أما مدمني السلطة فتتركهم الدولة لأقدارهم بعد أن تستنفذهم. إنه أمر معيب. فالمواطنون الذين أدمنوا السلطة يدفعون نفس الضرائب التي يدفعها من أدمن الكحول. والسياسي الذي لم يقلع عن إدمان السلطة قد يتسبب في مآسي لنفسه ولمن حوله. فهو يشترط على زوجته في البيت أن ستتحدث مع من يريد هو. يأمر أولاده أن ينكروا وجوده عند ظهور صحفيين متطفلين، ويخرج من الوزارات مرتديًا قبعة فوق رأسه. أما عتاة مدمني السلطة فيتصارعون على "المباول" أثناء استراحات مباريات كرة القدم، وهم يقولون: "ألا تعرف من أكون؟" وذلك

عندما لا يتعرف عليهم الناس، وهذا يتسبب لهم في أذىً كبير.

إن لـم تتمكـن مـن التخلـص مـن عاداتـكَ، فتعلـم أن تتعايـش معهـا. لا تنزعـج عندمـا تضـع الأشـياء المعدنيـة عنـد مدخـل أحـد المتاجـر، ثـم تدخـل إلـى المتجـر عبـر نافـذة اسـترجاع الزجاجـات اعتقـادًا منـكَ أنهـا كاشـف للمعـادن. لـو اسـتوقفك رجـل الشـرطة صدفـة بسـبب مخالفـة مروريـة فتظاهـر بأنـك نائـب فـي البرلمـان. رجـل الشـرطة لـن يعـرف إن كنـت نائبًـا أم لا، ولا يمكنـه أن يتأكـد مـن هـذا، لأنـه لـن يجـد أحـدًا في البرلمـان ليؤكـد لـه صحـة مـا تقولـه أو ينفيـه. لـو شـعرت بحاجـة إلـى إعجـاب النـاس بـكَ فقـف وقـت الـذروة فـي منتصـف تقاطـع مـروري، وارفـع يـدكَ لتحيـي السـائقين.

ظهـر تأثيـر قـوة العـادة لـدى رئيـس الحكومـة السـلوفاكية السـابق "ميـلان تشـيتش" عندمـا وصـف "ميكـولاش دزوريـنـدا" فـي أبريـل 2006 أثنـاء تبـادل وزراء الثقافـة، وقـال إنـه رئيـس حكومـة جمهوريـة سـلوفاكيا الاشـتراكية.

غيـر أن العـادة قـد تكـون عمـلاً تقدميًـا. ففـي السـبعينات كانـوا يضعـون الحليـب فـي أكيـاس بلاسـتيكية سـعة لتـر فـي دول الاتحـاد الاقتصـادي الأوربـي. وبعـد أقـل مـن عشـرة أعـوام تأكـدت أوربـا أنهـا ضـارة بالصحـة، فعـادت مـرة أخـرى إلـى القـارورة الزجاجيـة. ونحـن بحكـم العـادة كنـا نبيـع الحليـب فـي زجاجـات. وعندمـا صببـت وقتهـا لأحـد الصحفييـن الألمـان الحليـب مـن قـارورة زجاجيـة، أثنـى علـى تقدمنـا وقتهـا. ليـس مـن الضـروري أن تتسـرع فـي كل مـرة.

كيف تحصن نفسكَ ضد النقد

"أَكْثَر مَا يُشْعِر عَدُوّك بِالإِهَانَة هُوَ أَنْ تَتَسَامَح مَعَهُ"

أوسكار وايلد

أفضل طريقة للتخلص من النقد هو أن تتخلص من منتقديك. ولكي تفعل هذا يجب أن تكون حاكمًا، وتتمتع بالقوة المطلوبة كي ترسلهم إلى حبل المشنقة، أو تنفيهم في سيبيريا، أو تزج بهم في السجن. هذه الطريقة أثبتت نجاحها على مر التاريخ، وأكدها العديد من المنتقدين. بهذه الطريقة استطاع الأشخاص الموجه إليهم النقد أن يمنعوا كل ناقد، وبذلك عم الهدوء في البلاد. إلى أن ظهر منتقدون جدد آخرون، لم يتعلموا من تجارب الآخرين، فقاوموا بانتقاد الحاكم لأنه نشر الهدوء. التاريخ مليء بمحاولات تعكير صفو هذا الهدوء. حاول بعض الحكام أن يتخطى الله نفسه، وتمكن من ذلك. فقد أعلن القيصر الروماني (كاليجولا) في عام 41 بعد الميلاد نفسه إلهًا، وكان هذا أمرًا مبالغًا فيه، حتى من قِبَل حراسه الشخصيين. لا يمكن القول إنهم لم يسعدوا بكونهم حراس الرب، لكنهم ضاقوا به لأنه أضاف إليهم مزيدًا من الأعباء. فلو أن سفاحًا ما قتل القيصر لَحَلّ محله قيصر آخر. لكن مَن سيحل محل الآلهة، في وقت كان الموتى من القياصرة على يد القتَلة أكثر ممن يموت منهم بالسرطان؟ لقد حل حرس "كاليجولا" الشخصي المشكلة، فقتلوا أول وآخر قيصر أعلن نفسه إلهًا. وبهذا دخلوا التاريخ. ولم يتمكن أحد بعدهم من قتل الإله. لكن بعد موته أطلق المسيحيون الأقوياء عاصفة من النقد. واضطر القياصرة الذين تعاقبوا بعد "كاليجولا" إلى أن يفعلوا شيئًا حيال انتقادات المسيحيين. فنظموا عمليات إعدام جماعي لهم. وعندما أدرك خلفاء "كاليجولا" أنهم لم يخرسوا ألسنة المسيحيين، أعلنوا المسيحية ديانة رسمية.

لو لم تستطع التخلص من منتقديك جسديًا، فيمكنكَ مواجهة النقد بألا تلقي له بالًا. وسوف يتوقف المنتقدون، عاجلًا أم آجلًا، عن انتقاداتهم. النقاد لا ينتقدون إلا عندما يرون أن انتقاداتهم تزعجكَ. لو رماكَ أحدهم بالطماطم أو البيض فتظاهر أنهم يلقون عليكَ المنّ

أو بتلات الورود. سيجبرهم هذا على التراجع.

لـو لـم تتحكـم فـي نفسـكَ وأنـت تشـق طريقـكَ السياسـي وسـط بيضـات النقـاد المتطايـرة، فعليـكَ أن تعطـي انطباعًـا بأنـكَ شـخص فريـد مـن نوعـه. اصنـع مـن حولـك بطانـة مـن أنـاس، لولاهـم لتعرضـت البـلاد لكارثـة. وابـق، رغـم ذلـك، كريمًـا مـع المواطنيـن الذيـن يطيعـون كل حاكـم. ولا تلتفـت إلـى كلمـات المنتقديـن، طبعًـا. تقبـل النقـد بابتسـامة، وتفهـم، واثـن علـى كل ناقـد، وعدهـم بأنـكَ سـتفكر فيمـا يقولونـه. فـي نفـس الوقـت تذكـر جيـدًا كل مـن انتقـدكَ، وكل مـن دعمـه. بالطبـع لا يجـب أن تظهـر لـه أنـكَ تتذكـره. وسـيتولى المخلصـون مـن حلولـك تصفيتـه. إنهـم غالبًـا أعضـاء منظمـة الشـباب التابعـة لـكَ والتـي تديـن لـكَ بالـولاء. أسـهل طريقـة للتخلـص مـن أي ناقـد هـو تشـويه سـمعته علـى المـلأ فـي وسـائل الإعـلام. مـرر إلـى صحفـيّ تابـع لـكَ مـوادًا لتشـويه السـمعة بواسـطة أمنـاء الإعـلام، سـرًا بالطبـع.

لـو لـم تتمكـن مـن التخلـص مـن الانتقـادات، أو تشـويه سـمع الناقـد، أو التخلـص منـه، اجعـل منـه صديقًـا لـكَ. لا تخبـره أنـكَ تلاعبـه. ليـس مطلوبًـا بالضـرورة أن يثـق فيـكَ. لكـن عندمـا يصدقـك، عندهـا تحيـن اللحظـة المناسـبة للتخلـص منـه.

لا تخلـط بيـن النقـد والنـواح أو العويـل. حـاول أن تبنـي سـلطة مطلقـة، ثـم امنـع النقـد. لـو لـم تتمكـن مـن بنـاء نظـام شـموليّ فطبـق الديموقراطيـة بحذافيرهـا. الديموقراطيـة الفعليـة تتحقـق عندمـا تتزايـد الانتقـادات إلـى درجـة أن النـاس لا تأخذهـا علـى محمـل الجـد.

كيف تلفت الأنظار بعيدًا عن الأمور الهامة

"لَا أُرِيد أَنْ تَفْرِضَ الدّوْلَة رَقَابَة. لَا أُرِيد أَنْ تَكُونَ الدّوْلَةُ مَسْئُولَةً عَنْ تِلْكَ الحَمَاقَات الّتِي تَنْشُرُهَا الجَرَائِد"

نابليون بونابرت

إن صرف الأنظار بعيدًا عن الأمور الهامة أمر صعب للغاية، على عكس ما يبدو. يتحدثون علنًا في السياسة عن الأمور التافهة. أما الأمور الهامة فهي تلك التي يعلق عليها المتحدث باسم الحكومة أو الائتلاف الحاكم بعد كل الاجتماع قائلًا: "لقد قلت كل ما عندي بخصوص هذه القضية". ورغم أنه قد قال كل ما عنده إلا أن الصحفيين يرغبون في معرفة مصدر الأموال التي أسس بها ابن الرئيس شركة "إليكترو"، ومَن يمول حزبه، وأين اختفت المستندات السرية من خزينة الرئيس، وماذا وجد الرئيس في الصباح على مكتبه، ولماذا يسافر بالمواصلات العامة، ولماذا لا يركب المواصلات العامة، الخ. عادة ما يزعجون رجال السياسة بمثل هذه الأسئلة صحفيون ليس لديهم أية إجابات عن هذه الأسئلة.

إنها حيلة تقليدية أن تصرف الأنظار عن الأمور الهامة، وتُستخدم كثيرًا في مجال السياسة، فضلًا عن برامج "التوك شو". جوهر عملية صرف الأنظار هو اختلاق فضيحة أكبر من تلك التي بدأت تنتشر بين الناس. لذلك تظهر معظم الفضائح في سلوفاكيا عندما تتزايد وتيرة عمليات الخصخصة. فالناس تفضل متابعة الفضائح الجنسية للسياسيين، أو الحروب، أكثر من تبديد وسرقة أموال الدولة. فلو أنك سألت المواطنين اليوم عما يتذكروه من أيام حكومة "فلاديمير ميتشيار" فسوف سيتذكرون هجومه على أحد الصحفيين، أو فضائحه مع مستشاراته، أو زيارة "كلاوديا شيفر"، أو "جيرارد ديبارديو". قليل منهم يعرف كم عمليات الخصخصة التي تمت وقت هذه الفضائح.

عندما اندلعت فضيحة "بيل كلينتون" الجنسية مع "مونيكا لوينسكي" كان الأمريكيون يحكمون سيطرتهم على العراق. وفي وقت تصاعد الفضيحة الجنسية للرئيس الإسرائيلي "موشي كاساف" في فبراير 2006 كان الجيش الإسرائيلي يضرب جنوب لبنان. لو أمسكوا

بـكَ وأنـت تخـون زوجتـكَ، أو تجـري مناقصـة حكوميـة بالأمـر المباشـر فأعلـن الحـرب. ليـس مهـم ضـد مـن، المهـم أن تعلنهـا سـريعًا.

كيف تتظاهر بالتفاؤل

"أَنَا مُتَفَائِل، لَكِنّي أَحْمِل مَعِي مِظَلّة مَطَر مِنْ بَابِ الاِحْتِيَاط"

هارولد ويلسن

شكْل الشخص المتفائل لا يدعو إلى الثقة، أما المتشائم فهو جدير بها، ويوصف بالتعقل. من مزايا التشاؤم أنه لو لم ينجح الأمر فستكون على حق، ولو نجح فلن ينزعج أحد من أنك أخطأت، فالجميع سيكون سعيدًا. لذلك من المهم أن تتعلم إخفاء تفاؤلكَ. فلو شعرت بأنكَ أسعد إنسان في العالم، وترغب في أن تصرخ من السعادة ازرف الدموع، وتظاهر بأنك تعيش مأساة.

يكون الفرد في أحسن أحواله عندما تسوء أحواله، والعكس، يكون في أسوأها عندما تتحسن أحواله. فعندما تمر بأزمة، يراكَ الجميع، ويسعدون لذلك. ويحزن الناس عندما تأخذ أحوالك في التحسن. لكنك تريد أن يشعر الناس بالسعادة، لذلكَ لا يجب أن تظهر أن أحوالك تسير على ما يرام. ولا تُلمّح مطلقًا بأنكَ من المتفائلين. هذا ما يفعله غالبية البشر. كم شخص يجيبك على سؤال من قبيل: "كيف حالك؟"، ويقول لك: "رائع، لم أكن سعيدًا إلى هذا الحد قبل اليوم". الغالبية تشكو من نقص في الأموال، ومن تدهور حالتهم الصحية، ومن نقص السعادة. ثم يتوجه كثير منهم إلى الحانة كي ينفق آخر نقود في جيبه على شراب لابتلاع الألم...

التصرف الحكيم هو أن تؤكد بكل إصرار بأن الأمور لن تكون على ما يرام. هذه الطريقة مفيدة خاصة عند توقع نتائج مباريات فريق الهوكي السلوفاكي أو فريق كرة القدم مع الفرق التشيكية. ليس عليكَ أن تخجل من أنكَ متشائم. فالمتشائمون لهم نفس حقوق المتفائلين. ويحققون في حياتهم نتائج مذهلة.

لكل ولاية من الولايات الأمريكية صفة معينة. فولاية كارولينا الشمالية تسمى "ولاية الكعوب الفاحمة"، وكارولينا الجنوبية "ولاية أوراق النخيل"، وولاية داكوتا الشمالية "ولاية

الجديلة الخافقة"، وأوتاوا هي "ولاية المناحل". غير أن الولاية الرابعة والعشرين في الولايات المتحدة، وهي ميزوري، تعترف صراحة بفلسفتها - وهي التشاؤم، فتطلق على نفسها "ولاية التشاؤم".

لقد قامت عالمة النفس "شيلي تايلور" بدراسة تأثير التفاؤل على صحة الإنسان. قالت إن الغدة الكظرية النخامية تقوم بربط الجهاز العصبي بعملية إفراز الهرمونات، فتنظم عملية التخلص من هرمونات التوتر، ومنها الكورتيزول. ويعد نقص الكورتيزول لدى الأفراد العاديين أمر طبيعيّ. لكن الأمر ليس كذلك لدى السياسيين، حيث يجب أن يكون معدل الكورتيزول في أجسامهم مرتفعًا. لذلك لو انتابك شعور بالتفاؤل لمدة طويلة هاجر إلى ولاية ميزوري.

إخفاء التشاؤم هو نقيض إخفاء التفاؤل. فالتعمية على التشاؤم لها تقاليد تعود إلى زمن النبي محمد. فبعد موته صار العرب متشائمين. وظلوا هكذا إلى أن فكّر أحدهم في أن من أهداف الحج إلى مكة هو الصلاة والتضرع إلى الله بألا يلتقوا أثناء الحج بوجوه حزينة. ومن الواضح أن دعائهم قد استجيب له. فسحنتهم اليوم تبدو سعيدة. قارن بين وجوههم وملامح الحجاج في مدينة "مريانكا"، أو على جبل هذه المدينة، أو في منطقة "شاشتينا".

الأمريكيون أيضًا يشبهون العرب. إنهم يبتسمون بصورة رقيقة وعفوية، حتى عندما يبلغهم رئيسهم بأنه طردهم من العمل. يوجد في السياسة أيضًا متفائلون، رغم خبراتهم المؤلمة. إنهم أناس يبدؤون حياتهم السياسية، ولا يعرفون أنهم يومًا ما سيتأكدون أن تفاؤلهم لم يكن في محله.

كيف تتضرع إلى الله عندما تسوء الأحوال

"عِنْدَمَا تَنْفَجِر مَاسُورَة مِيَاه الشُّرْب يَوْمَ الأَحَد فَلَا تُضَيْع وَقْتَكَ فِي التّضَرُّعِ إلىَ اللَّه. واتّصِل بِالسّبّاك!"

وودي ألان

عـادة يكـون الوقـت قـد فـات عندمـا تتضـرع إلـى اللـه بعـد أن يحـدث مكـروه مـا. فيجـب أن تتضـرع إلـى اللـه قبـل أن تحـدث المصيبـة. يمكـن أنـكَ تقـع فـي ورطـة، وتكـون أنـت السـبب فيهـا، أو شـخص آخـر غيـركَ. فـي هـذا الفصـل سـوف أن أتنـاول فقـط الدعـاء عنـد وقـوع المصائـب التـي يتسـبب فيهـا السياسـيون. مـن الضـروري أثنـاء الصـلاة عنـد وقـوع المصائـب أن تعـرف لمـن تدعـو، لنفسـكَ، أم لأسـرتكَ، أم لأصدقائـكَ، أم للوطـن، أم للعالـم، أم للسياسـيين. عندمـا سـأل أحدهـم قِـس الكونجـرس الأمريكـي "إدوارد إيفريـت" إن كان يصلـي مـن أجـل أعضـاء الكونجـرس، أجـاب: "كلا! أنـا فقـط أسـتمع إليهـم، ثـم أصلـي مـن أجـل الولايـات المتحـدة الأمريكيـة". يجـب أن يأخـذ المواطـن مـن هـذا الموقـف النزيـه للسـيد القـس مثـالًا يحتـذى عندمـا يتعـرض لمصيبـة مـا. فمـن العبـث أن تصلـي مـن أجـل السياسـيين. كنـت أفعـل نفـس الشـيء أحيانًـا أثنـاء الاسـتماع إلـى بعـض النـواب الزمـلاء فـي البرمـان، وكانـت النتيجـة مفجعـة. بعـض مـن صليـت لأجلهـم شـاركوا فـي الحكومـة. فأدركـت مكـر اللـه، لكنـي لـم أغضـب.

مـن الصعـب التفرقـة بيـن المصائـب والنِّعَـم. إن الحـدود بينهمـا رقيقـة. فالأمـر يتوقـف علـى الزاويـة التـي تنظـر منهـا. فأحيانًـا يكـون الأمـر علـى درجـة مـن الصعوبـة بحيـث لا يمكـن تخيـل أن يحـدث أسـوأ منـه. فالرجـل الـذي تـزوج للمـرة الرابعـة يصلـي عبثًـا. بـلا طائـل. لأن اللـه لـن يسـاعد مـن لا يتعلـم مـن أخطائـه.

تعـرف السياسـي الـذي وقـع فـي مصيبـة عندمـا تـراه مسـتلقيًا فـوق قضبـان السـكة الحديـد ينتظر قـدوم القطـار. فـي هـذه الحالـة تعـرف أنـه وصـل إلـى درجـة متقدمـة مـن الفشـل. تابعـه! لـو كان يصلـي، فهـذا دليـل علـى أن المصائـب قـد بلغـت بـه مداهـا. لـو لـم يكـن يصلـي، فهـذا يعنـي

أنـه سـكران، وقـد غشـيه النـوم. فـلا توقظـه وهـو فـي هـذه الحالـة، لكـن اجلـس فـي مـكان آمـن بعيـدًا القضبـان، وصلـي مـن أجلـه. مـن المؤكـد أن لـن ينسـى لـكَ هـذا.

الصبر مفتاح الفرج

"لَيْتَ الصّبْر كَانَ مُفْتَاح شَيء ذِي قِيمَة"

ستانو راديتش

انتظـر الماركيـز "تشـارلز ديلاتيـر" مـع مسـاعديه بـكل شـغف ظهـور منافسـه الـذي كان علـى موعـد معـه ليباريـه". بينمـا جـاءه رسـول، وسـلمه رسـالة تقـول: "أعتـذر عـن التأخيـر. أنـا أفعـل كل مـا فـي وسـعي. مالـم أصـل خـلال خمـس دقائـق لا تنتظرنـي، وصـوّب! المخلـص "موريـس ديبويـوس". نظـر النبيـل "تشـارلز ديلاتيـر" إلـى سـاعة يـده، وبعـد خمـس دقائـق مـن الانتظـار أطلـق النـار فـي رأسـه. عندهـا أسـرع الماركيـز "موريـس ديبويـوس" فـوق حصانـه، ثـم نـزل، وقـال لـ "تشـالز" الـذي يلفـظ أنفاسـه الأخيـرة: "يـا لـكَ مـن متعجـل! لـو انتظـرتَ دقيقتيـن إضافيتيـن لمـا اسـتطعت أن أصيبـكَ".

يقـول المؤمنـون: "ننتظـر بفـارغ الصبـر قـدوم المُخَلِّـص". أمـا غيـر المؤمنيـن فـلا ينتظـرون أي مُخلّـص، لكنهـم يبنـون المنـازل، يمهـدون الطـرق، ويشـيدون الجسـور بفـارغ الصبـر، وهـم بذلـك يعجلـون مـن إقامـة ملكـة الـرب علـى الأرض.

لـو رأيـت أن منافسـكَ يهـددكَ، فبـادر بنصـب فـخ لـه. قـل لـه إن الوقـت يمـر، وأن الآخريـن يتجاوزونـه، ولـو تأخـر سـوف تفوتـه الفرصـة. سـيفقد أعصابـه، ويأتـي إليـك غيـر متأهـب.

لا تتعجـل وأنـتِ تشـق طريقـكَ المهنـي. لا تتلـكأ فـي نهايـة الصـف، ولا تتقـدم إلـى الأمـام، ولا تبالـغ فـي المحاولـة. فقـط افعـل كل مـا هـو ضـروري. لقـد أبلـغ المسـيح قبـل موتـه اليهـود برسـائل اللـه إليهـم. إحـدى هـذه الرسـائل تقـول: "افعلـوا مـا آمركـم بـه، فـلا تضيفـوا إليـه ولا تنقصـوه!". فلـو طلـب اللـه منـكَ ألا تكـن عجـولًا، فذلـك لأنـه يعـرف السـبب.

كيف تُبالِغ بطريقة مقنعة

"انْتَخِبُوا مَنْ يَبْخَلُ عَلَيْكُم بِالوُعُود كَيْ لَا تُحْبَطُوا كَثِيرًا"

باروخ

خاطب رئيس الوزراء الإيطالي "سيلفيو برلسكوني" في 28 فبراير 2006 الجماهير في أحد الاجتماعات قبل الانتخابات البرلمانية وهو يحاول كسب ودهم، فوعدهم بأنه سيتوقف عن العلاقات الجنسية قبيل الانتخابات. عقدت الانتخابات في التاسع من إبريل. ونظرًا لأنه قد بلغ عامه السبعين وقت أن وعدهم بذلك، لم يُسعد الجماهير بوعده هذا، بل أغضبهم. فقد فهموا وعده على أنه مبالغة غير منطقية. فلو كان عمر "سيلفيو" وقتها الثانية والخمسين لاعتبروه متصابيًا، لكنهم رأوه وقتها على أنه عجوز مُتبجح. لم تنفع "برلسكوني" مبالغته، حيث تجنبه الناخبون، واختاروا رجلاً أصغر منه سنًا وهو "برودي" الذي لم يعدهم بأية تحفظات جنسية. لو أن "برلسكوني" بالغ بطريقة مقنعة - بأن قال مثلاً إنه في الثامن والعشرين من فبراير سيحاول حتى التاسع من إبريل بأن يقيم علاقة عاطفية لمرة واحدة لبقيت له فرصة حقيقية في الفوز بالانتخابات.

لو أردت أن تدفع أحدهم إلى عمل ما فعليكَ أن تبالغ في الأمر، وتنشر حوله أخبارًا درامية. بهذا تدفع ذلك المسكين إلى الجنون. لا تحاول أن تفعل ما دمت لم تصل أنتَ نفسكَ إلى حافة الجنون. فعندما يبدأ ذلك الرجل الثائر في حشو بندقيته، أخبره باسم من نشر حوله الأخبار. لو لاحظت على وجهه علامات التردد فأخبره أيضًا بأن من ينشر عنه أخبار سيئة يحتقره. لا شيء يدفع الإنسان إلى اتخاذ موقف أكثر من شعوره بأن أحدهم يحتقره. ويكون الاحتقار أكثر تأثيرًا عندما تبالغ في أخبار هذا الاحتقار. يمكنكَ أن تسب إنسانًا، وتصفه بأنه قذر، وجبان، وغشاش، ومنافق، وكاذب، أو حتى قاتل. لكن لا شيء يدفعه إلى التحرك أكثر من أن تقول له بأنه شخص وضيع.

صائدو الأسماك والحيوانات يجيدون المبالغات المقنعة، وأيضًا الجنرالات بعد انتهاء الحروب. فصائد الأسماك يقول إنه لم يصطد سمكة صغيرة بل بربور كبير، وصائد

الحيوانات لم يصطد غزالًا من على بعد خمسة أمتار، بل مئة مترًا، والجنرال لم يسقط في الأسر لأنه لم يتمكن من امتطاء حصانه ليهرب فوقه نتيجة تفوق عدوه، بل لأن أعداد جنود عدوه فاقته بمئات المرات.

كيف تُحوّل الهزيمة إلى نصر

"لَوْ أَنّ الأَلْمَان لَمْ يَمْنَعُوا السّيْرَ فَوْقَ الحَشَائِش لاَنْتَصَرَت ثَوْرَة الطّبَقَةِ العَامِلَةِ"

جوزيف فيساريونوفيتش ستالين

توجه الجنرال العجوز نحو بيته متكًا على عصاه، فتقدمت منه مجموعة من شباب الجنود العابثة وهي تقفز في الهواء، كانت جنودًا من كتيبته. سألهم من أين جاءوا، فقال أحد الجنود مبتهجًا بأنهم قادمون من جلسة سمر مع فتيات. فرد عليه القائد الغاضب قالًا: "هل هذا هو المثال الذي قدمته لكم؟".

تعرفون جميعًا المواقف التي تبدو شديدة التشابه، لكن البعض يراها إيجابية، والبعض الآخر يراها سلبية. إنها القضية المعروفة بنصف الكأس الممتلئ ونصفه الفارغ. يمكنكَ أن تصف غزو الولايات المتحدة الأمريكية للعراق، أو السوفيتي لأفغانستان بأي شيء، إلا أن يكون انتصارًا لأي من القوتين. غير أن الدعاية الرسمية في واشنطن وموسكو عرضت بطولات شبابها في الحرب ضد أعداء الشيوعية أو ضد الحضارة الغربية. إن القدرة على تحويل النصر إلى هزيمة تعد من الصفات المحورية لأي سياسي. صاح "جوبلز" في مدينة برلين يوم استسلام الجيش الألماني السادس في "ستالينجراد" في 18 فبراير 1943، وقال: "لا يوجد اليوم ألماني واحد لا يفكر في النصر. إن روسيا هي الخطر الأكبر على أوربا. ومستقبل أوربا اليوم في أيدي الأمان. وإن "ستالينجراد" مجرد حجر عثرة موقت في سبيل تقدمنا!".

ضرب "فلاديمير ميتشيار" مثالًا على تحويل الهزيمة إلى نصر، وذلك بعد انتخابات 2006 وهزيمة حزب حركة سلوفاكيا الديموقراطية – حيث حصل على 8,79 في المئة، على عكس التوقعات بحصوله على عشرين في المئة-وكانت هذه أسوأ نتيجة يحققها هذا الحزب في الانتخابات على مدى تاريخه). ورغم ذلك شارك في الائتلاف الفائز في

الانتخابات. أما "دزوريندا" الذي حصل على أكثر من ذلك بمرتين انضم إلى المعارضة.

تعـود تقاليـد تحويـل الهزيمـة إلـى نصـر إلـى أيـام المسـيحية الأولـى. فقـد اسـتطاعت الكنيسـة تحويـل هزيمـة المسـيح - إعدامـه - إلـى نصـر عندمـا أعلنـت أن المسـيح عيسـى اعتبـر عمليـة صلبـه أوج عبـادة الـرب. اللافـت فـي الأمـر أنـه رغـم اعتبـار الكنيسـة إعـدام المسـيح ذروة العبـادة الإلهيـة إلا أن قليـلاً مـن كبـار رجـال الكنيسـة يعبـدون الـرب بنفـس الطريقـة. لكـن التاريـخ يخبرنـا عـن أنـاس كثيـرة اتخذهـم كبـار رجـال الكنيسـة وسـيلة لتمجيـد الـرب بهـذه الطريقـة.

قـرر كل مـن "خروتشـوف" و"كينيـدي" أثنـاء مباحثاتهـم فـي فيينـا فـي مطلـع السـبعينات بـأن يجـروا لمـدة مئـة متـرًا لتنشـيط بدنيهمـا. فـاز "كينـدي" الشـاب فـي السـباق. فكتبـت وسـائل الاعـلام الأمريكيـة فـي اليـوم التالـي: "جـاء كينيـدي فـي المركـز الأول فـي سـباق المئـة متـر، وخروتشـوف فـي المركـز الثانـي"، أمـا الصحافـة السـوفيتية فقالـت: "خروتشـوف فـي المركـز الثانـي وكينيـدي فـي المركـز قبـل الأخيـر".

فـي عـام 2006 هاجـم الإعـلام الإسـرائيلي بشـدة الرئيس الإسـرائيلي "موشـيه كاسـاف" لأنه، حسـب مـا تـردد، تحـرش، أو ربمـا اغتصـب زميلاتـه فـي العمـل. تقـول الألسـنة الخبيثـة أن الرئيـس دافـع عـن نفسـه بأنـه عاجـز جنسـيّا، فأطلـق معلومـات تفيـد بأنـه اغتصـب امـرأة واحـدة، ثـم ثـلاث سـيدات، إلـى أن وصـل إلـى عشـر سـيدات. تفـاءل السـيد الرئيـس مـن أن هـذا سـبب كاف لدعـم شـعبيته. لكـن ظهـرت أصـوات تشـكك فـي أن سياسـيًا فـي مثـل عمـره لا يمكنـه أن يمتلـك كل هـذه القـوة. وبمـا أن التشـكيك فـي رئيـس الدولـة قـد يهـدد صـورة الدولـة، فقـد أعلـن النائـب العـام الإسـرائيلي أن "لديـه الأدلـة الكافيـة" علـى أن الرئيـس كان قـادرًا علـى ذلـك بالفعـل. وبعـد هـذه الأخبـار أصبـح "كاسـاف" تقريبًـا بطـلاً قوميًـا، تجـاوز بطولـة الجنـرال العسـكري "موشـي ديـان" فـي حـرب أكتوبـر. وأعـرب الرئيـس الروسـي عـن إعجابـه بهـذا الأمـر قائـلاً: "لقـد أثبـت أنـه رجـل بمعنـى الكلمـة. لقـد أذهلنـا بقدرتـه علـى معاشـرة عشـر نسـاء مـرة واحـدة. نحـن جميعًـا نحسـده علـى مـا فعلـه. تحياتـي لهـذا الرجـل!"

الشـرط الأساسـي لتحويـل الزيمـة إلـى نصـر هـو ألا تشـغل بالـكَ بالهزيمـة. ولـن تهمـكَ كثيـرًا طالمـا اعتـدت عليهـا.

كيف تدبر المؤامرات على نحو صحيح

"إِذَا تَحَدّثَ السّياسِيّ بِطَرِيقَةٍ مَفْهُومَة، فَهَذَا يَعْنِي أَنّ ضَمِيرَهُ لَا يُؤنّبَه"

أندري مالراوكس

إن أهمية دور المؤامرة في العمل السياسي شأنه شأن أهمية الرياح لطواحين الهواء. فلا يتم العمل الساسي بدون مؤامرات. لذلك عليكَ أن تدرب نفسكَ في كل وقت ممكن. أثناء الانتظار في الطابور بمتجر "بيلا"، وأثناء الاستراحات أثناء العروض المسرحية، وأثناء ري الحديقة، وأثناء جلوسكَ على كرسي طبيب الأسنان، أو وأنت تحلق ذقنكَ. اعلم أن منافسيك يعملون ضدك ليل نهار. المؤامرات لا توجد في الطبيعة، كما توجد وسط البشر. لكن الطبيعة لا تحكمها السياسة. ولا أفهم كيف يمكن للطبيعة أن تحيا بدون مؤامرات.

هناك كثير من البشر مستعدون لتدبير المؤامرات لتكون في صالحك. كل ما عليكَ هو أن تختبرهم بصورة كافية. لكن لا تنس أن من يدبر مؤامرة لصالحكَ قادر على أن يحيكها ضدك.

يمكنك أن تتآمر عبر الهاتف، أو تلغرافيّا، أو بالفاكس، أو باللاسلكي، أو حتى بالمنظار المعظم. كان تدبير المؤامرات عن بعد في روما القديمة مستحيلًا، لأنهم كانوا يرسلون الأخبار، بأن تقوم جنود قوية الصوت بالصراخ من أماكن مرتفعة. واستطاع الكلتيون القدامى الصياح إلى مسافة مئتين وخمسين كيلوا مترًا. قد يكون من الغباء أن تصيح في مرتفع أمامكَ، وتقول: "سنقيل "بيشتا" غدًا، لكن لا تخبر أحدًا بذلكَ!!!".

يجب أن يكون لديكَ من يقوم بتدبير المؤامرات. ولن تؤتي المؤامرة أكلها لو أنكَ تحدثت عنها أمام من تتآمر ضده. أهمية المؤامرة تكمن في ألا يعرف بها من تتآمر ضده. فالمؤامرات التقليدية تحاك من خلف ظهر الشخص المستهدف. والمتآمر لا يجب أن يعرف من يتآمر ضده. فالهدف من المؤامرة أن يسعد بها المتآمر. وستتحقق سعادته عندما تنجح المؤامرة. أما لو فشلت فسيقع المتآمر في ورطة. لكنه يستحق ما قد يحدث له لأن المتآمر

الفاشـل يكـون مثـار سـخرية جميـع المتآمريـن الناجحيـن. المهـم أن تحافـظ علـى السـرية أثنـاء إجـراء المؤامـرة. فمـن الغبـاء أن تكتـب فـي الصحـف أن السياسـي "س" يتعـرض لمؤامـرة، ثـم توقـع المقـال باسـمك. لقـد ارتكبـت خطـأً كهـذا. فالزميـل الـذي قلـت إنـه تعـرض للمؤامـرة مـازال يتذكرنـي إلـى اليـوم. ويلومنـي علـى هـذا مـن تآمـروا ضـده. يلومونـي علـى أننـي أفصحـت عـن المؤامـرة. لأنـي خالفـت القاعـدة المعروفـة ضمنًـا فـي السياسـة بـأن المؤامـرات يعرفهـا كل إنسـان، لكـن لا يتحـدث عنهـا أحـد كـي تنجـح.

يطلقـون علـى المؤامـرات الجماعيـة كلمـة تآمـر. والتآمـر ينظمـه أفـراد يخافـون مـن أن يدخلـوا بمفردهـم فـي مؤامـرة. يتوقعـون أنـه، فـي حالـة انتشـار أخبارهـا، سـيكون هنـاك مـن يلقـون عليـه اللائمـة.

لقـد تعاونـت شـركة "مارتينـوس" لبيـع الكتـب عبـر الانترنـت مـع المتآمريـن المبتدئيـن، وأصـدرت لعبـة ورقيـة باسـم "المؤامـرات". صـدرت باللغـة التشـيكية. ثمنهـا بسـيط بالنسـبة للمتآمـر النهـم. تبـاع بسـعر 5,44 يـورو، لكنـكَ ستشـريها فـي "مارتينـوس" بخصـم 5 فـي المئـة.

هل تسحق خصمك المهزوم، أم تتجاهله؟

"لَا تَضْرِب خِصْمَكَ بِالنّظّارَة، اسْتَعْمِل شَيْئًا ثَقِيلًا!"

مؤلف مجهول

لا مفر من أن تهزم خصمكَ هزيمة منكرة. الغبي فقط هو من يعتقد أن خصمه سوف يتحسن، أو أنه سيأخذه في صفه. أن تسحق عدوك لا يعني أن تصفيه جسديّا في خلاط خرسانة ضخم، أو في مرجل به حمض الكبريتيك. بل تسحقه عندما تحول بينه وبين الاعلام.

التسامح أمر جيد من الناحية النظرية. لكن لا وجود له سوى في الإنجيل رغم ندرته. فالله نفسه لم يتردد عندما مسح سدوم وعمورة من على وجه الأرض. وكل سياسي مؤمن عليه أن يقتدي بالله، ولا يهزم عدوه بالتسامح. التسامح مع العدو المنهزم أكبر مصيبة قد تحدث له. فلو أنك عفوت عنه فلن يفكر إلا في الطريقة التي يثأر بها منكَ. الطريقة الوحيدة التي تتخلص بها نهائيّا من احتمالية الثأر هو أن تقضي على عدوك بصورة حاسمة. وخير وسيلة للقضاء عليه هو ألا يعرف أنكَ الفاعل. ستجد كثيرًا من الناس مستعدًا لأن يقوم بهذا نيابة عنكَ. لا تخشى كراهية حلفاء خصمكَ لكَ. فهؤلاء كانوا سيكرهونك في كل الأحوال. تقع سلوفاكيا في قائمة الدول على مستوى العالم في عدد السياسيين الذين يفارقون الحياة بطريقة غير طبيعية. فقد رحل عن العالم عشرة من أشهر السياسيين السلوفاك بطريقة غير طبيعية. وهم: "يوراي يانوشيك"، و"لودوفيت شتور"، و"ميلان راستسلاف شتيفانيك"، و"يوسف تيسو"، و"فلاديمير كلامنتس"، و"أليكسندر دوبتشك". لا يمكن مقارنة ذلك بالأمريكيين، أمثال "جون فيتسجيرالد كينيدي"، أو "مارتن لوثر كينج".

إن سحق الغريم له أهمية تربوية كبيرة. فالمنتصرون لا يعدمون الناس لأنهم قد يتسببوا في أعمال إجرامية، لكن كي يخيفون كل من يفكر في القيام بأية أعمال إجرامية. لا شيء يوهن من عزيمة الإنسان أكثر من النظر إلى إنسان آخر فوق حبل المشنقة.

"النّاسُ فِي السِّيَاسَةِ عَادَةً لَا يَخْتَارُون مِنْ بَيْنِ الحُلولِ السَيّئَة وَالحُلُولِ الطّيّبَة، لَكِن بَيْنَ السّيء وَالأَسْوَأ"

المؤلف

أسس الرئيس الأمريكي الثالث "توماس جيفرسون انديان" الولايات المتحدة الأمريكية. ووعد المواطنين في عام 1801 قائلاً: "يمكنكم دائمًا أن تعتمدوا على نصيحة ومساعدة الولايات المتحدة لكم. لن يأخذ أحد منكم أرضكم ولا وطنكم". وبالفعل لم يأخذ الرئيس "جيفرسون" ومن تبعه أراضي غالبية الهنود لأنه لم يبقى منهم من يأخذ منه أرضه. فقد قتلوا غالبيتهم. ووضعوا بضعة آلاف، نجت من القتل، في معسكرات. كان لدى محبوب الجماهير والبطل الأمريكي "جيفرسون" مئتي عبد، وكان يأمر بِعدّهم كل مساء. أحيانًا كان يصيح عندما يجد أن عبيده قد نقصوا عبدة أو عبدتان. لكنه كان يهدأ عندما ينبهونه إلى أنهما معه في الفراش. لو أن الهنود لم يخدعوه لما اضطر "جيفرسون" لإحصائهم.

لدينا على الأقل عشرين في المئة ممن يمارسون الخداع. وجهت وكالة "فوكاص" سؤالًا للمواطنين عام 1994 يقول: "ما رأيكم في انقسام جمهورية تشيكوسلوفاكيا الفيدرالية، وهل غيّر الانقسام من رأيكم؟" أجاب 22 في المئة منهم كالتالي: "كنت في البداية مع انقسام الفيدرالية التشيكوسلوفاكية، ولم يتغير رأيي بعد الانقسام". نفس السؤال وجهته وكالة" فوكاص" للمواطنين عام 2004، وجاءت الإجابة كالتالي: " كنت في البداية مع انقسام الفيدرالية التشيكوسلوفاكية، ولم يتغير رأيي بعد الانقسام". المشكلة هي أنه رغم رأي المواطنين الذي لم يتغير إلا أن النسبة كانت 12 في المئة. يمكن تفسير هذا الغموض بأن المسؤولين في وكالة "فوكاص" لم يلتقوا بنفس المواطنين، أو أنهم سألوا نفس المواطنين لكنهم ببساطة خدعوهم. لقد كانت استقصاء وكالة "فوكص" خير دليل على الخداع البين.

الخـداع الحقيقـي يجـب أن يتميـز بالاسـتمرارية كـي يعتـاد عليـه النـاس. والسياسـي الحـق هـو مـن يحـرص علـى ألا يثبـت أحـد عليـه أنـه مخـادع. والأمثلـة علـى أسـاليب الخـداع هـي:

- سـنبقى أوفيـاء (يمكـن تقديـم الدليـل علـى الخيانـة، أمـا الوفـاء فـلا. لذلـك مـن الأفضـل أن تكـون وفيّـا بـدلًا مـن أ ن تكـون خائنًـا).

- الحقيقة تنتصر. (يمكن تقديم الدليل على الكذب، أما الحقيقة فهي نسبية)

- الله معنا. (ومع الملحدين أيضًا؟)

- سلوفان[19]، واصل! (واصل ماذا؟)

- اللون الأزرق جيد (كيف يمكنك إثبات ذلك؟)

المثـال الأسـطوري للخـداع قدمـه "فلاديميـر ميتشـيار". لقـد قـدم نفسـه للـرأي العـام السـلوفاكي والأوربـي علـى أنـه ملاكـم. لكـن لـم يـر أحـد يومًـا صـورة واحـدة لـه تثبـت أنـه كان ملاكمًـا ذات يـوم. لكـن الثقـة تفعـل المعجـزات.

(19) فريق كرة سلوفاكي. المترجم

كيف تتأهب للمنصب

"مَوْتُ إِنْسَانٍ وَاحِد فَاجِعَة. أَمّا مَوْتُ المَلاَيِين فَهُوَ مُجَرّد أَرْقَام"

يوسف فيساريونوفيتش ستالين

قدم العديد من الحكام للعالم أمثلة على سنّ الأسنان تحسبًا للمنصب. أجمل الأمثلة قدمها "فيليس بيريتي"، وهو البابا المعروف باسم "سيكستوس الخامس". كان منذ صغره قاهرًا، وعنيدًا، ومتعال، وعاصفًا، ومتغطرسًا، وانتقاميًا، وخائنًا أيضًا. نشأ في بيئة فقيرة للغاية، وعمل وهو صبي راع للخنازير. كان منذ نعومة أظافرة يتوق لمنصب البابا. حمله شوقه الجارف ليكون بابا الفاتيكان إلى كرسي البابوية بالفعل. وقبل أن يصبح بابا الفاتيكان كان واحدًا من أعنف المحققين. احتفل بتوليه المنصب في إبريل عام 1585 بإعدام بعض المواطنين عقابًا لهم على طبائعهم الجنسية. طبق عقوبة الإعدام على المثليين، وعلى الخيانة الزوجية أيضًا. لم تذكر الوثائق التاريخية كيف سن "فيليس بيريتي" أسنانه لمنصب البابا.

لقد توفر لدى البابا "سيكستوس الخامس" شرط سن الأسنان للحصول على المنصب. إنه يتوفر لكل من تعرض للإذلال في طفولته. الإذلال على فترات طويلة يغرز فيكَ رغبة في الانتقام، وتوق جارف إلى "إظهار هذا أمام الجميع". لذلك لا تنزعج من أن تكون "نصف أبله"، ولم تكمل المدرسة الابتدائية، أو أنكَ تتبول على نفسكَ، أو تتلعثم في الحديث. إن نزعتكَ الجارفة للسلطة ستصلح كل شيء. كل ما عليكَ هو أن تنميها في نفسكَ، وألا تستمع إلى أقاويل السياسيين مثبطي العزائم الضعاف الذي لا يحققون أكثر من رئاسة إدارة في أحد الأقاليم. فلو أرادت مستقبلًا مهنيا فلا أقل من أن تكون بابا الفاتيكان، أو قيصرًا، أو في أسوأ الأحوال، رئيسّا للبلاد.

في استطاعت كل إنسان أن يشحذ أسنانه للمنصب، باستثناء من لا أسنان له. لأن هذا يتطلب بذل مجهود كبير جدّا، لكن هناك قاعدة تقول: الإرادة هي بداية الطريق. لكن انتبه! لأن الطريق بها حفر، وبسببها فقد أكثر من ساع للسلطة أسنانه. أثناء شحذ أسنانك

للمنصب يجب أن تعرف أي منصب تسعى إليه. تأكد ممن يسعى إلى نفس المنصب غيرك. فلو كان شقيق الرئيس أو زوجته أو شقيقة زوجته، أو حماته، فأنصحك أن تبحث عن منصب آخر لتسن له أسناكَ.

لا تشحذ أسنانكَ مطلقًا على مرأى ومسمع من الناس. ولا حتى لو اعتقدت أنه لا يوجد من هو مهتم بهذا المنصب. إن المناصب التي يبدو وكأن أحد لا يرغب فيها غالبًا ما تكون أكثر المناصب جذبًا للاهتمام. يمكنكَ أن تعطي انطباعًا جيدًا لو أنكَ، وأنتَ تسعى نحو المنصب، استخدمت عبارات مثل: "لازالت أشعر أني غير مؤهل لهذا الأمر"، "أنا مازالت صغيرًا، وقليل التجربة"، "ليس لدي خبرة في هذا العمل، ولا أملك التعليم المناسب"، الخ.

عندما تحصل على المنصب تعلق به بأسنانَ وأظافركَ، وأذنيكَ، وركبتيك، ويديكَ، ولو كان لكَ شعر، فبشعركَ أيضًا. عندما اختاروا "بينجامين دزرائيلي"، مؤسس حزب المحافظين البريطاني، رئيسًا للوزراء أول مرة، أجاب على تهنئهم له قائلًا: "لقد تسلقت حتى وصلت قمة عامود مدهون بالزيت". إن البقاء في السلطة يعني أن تصل إلى قمة ملوثة بالزيت. لا يعرف صعوبة البقاء فوق القمة إلا من تعرض لموقف مماثل.

الشعور بالذنب

"الشُّعُورُ بِالذّنْب لَيْسَ ثَقِيلًا حَتّى تُلْقِي بِتَبِعَاتِه عَلَى غَيْرِكَ"

شولتز

الشعور بالذنب في السياسة هو أحد الأمور الضرورية، فلا تفكر للحظة في أن تتخلص منه. فلو لم تشعر بالذنب فلن تكون نِدّا لمن يشعرون به من زملائكَ. ولن يستطيعوا أن يتمكنوا منكَ، لذلكَ سوف يعملون جاهدين كي يلفظونكَ من السياسة، عاجلاً أم آجلاً. فلو كنت تشعر بالذنب فلا تجهد نفسكَ في التفكير فيما يعرفه عنكَ زملاؤك. إن زميلكَ مثقل بالهموم، ومنشغل فيما تعرفه أنتَ عنه. اجتهد في أن يشعر كل من حولكَ بالذنب أيضًا. نظريًا يظل هناك احتمال بوجود سياسي لا يشعر بالذنب. هذا الموقف يمكن إصلاحه، ومن السهل اكتساب الشعور بالذنب. فلو لم تتحصل على أي شيء من "صندوق الأوقاف" فببساطة يمكنكَ أن تختلس، أو تسرق، أو تقبل رشوة، أو تعطي رشوة. ما لم تتمكن من هذا فاطلب أن تكون عضوًا في أمن الدولة. فالعاملون في معهد ذاكرة الوطن سيدلونكَ على الطريق.

يجب أن تتعامل مع الشعور بالذنب على أنه كنز ثمين. لأنه يفتح لكَ طريقًا إلى عالم السياسة. المهم هو أن تصل الأدلة على شعوركَ بالذنب، في أقرب وقت ممكن، إلى يد الأشخاص المؤثرة في حزبكَ أو في الحكومة، أو في البرلمان. ببساطة عليكَ أن تنضم إلى الأغلبية بأسرع وقت. النصيحة الأساسية هي: ما دمت لا تشعر ببطحة فوق رأسكَ فلا مستقبل لكَ في السياسة. إن السياسة في الأساس قائمة على الابتزاز المتبادل. لذلك لا يحدث أي شيء لكل من يعمل بها. فكل سياسي يعرف عن زملائه كل شيء. إن البطحة فوق الرأس تعد توابل، وملح، ومادة لاصقة، ودافع، وقوة محركة للعمل السياسي.

لا تدع أحد يخرج عن هدوئك، وانتبه لما يحدث من حولكَ

"لا تُصَدّق أَيّ شَيء قَبْلَ أَنّ يَتِمّ نَفْيُه رَسْمِيّا"

مؤلف مجهول

أفضل وسائل الحفاظ على هدوء النفس هي التشكك الدائم. لقد قلت أكثر من مرة أنه لا يمكنك الوثوق في السياسيين. لا يمكنكَ أن تصدق النجاح أو الفشل، ولا الجيد ولا الخبيث، ولا زوجتكَ ولا حماتكَ، ولا مساعدكَ ولا سكرتيرتكَ. لقد كان الملك الفرنسي "لويس الرابع عشر" مثالًا على إجادة فن التشكيك في كل شيء. فعندما انتشرت شائعات في كل أرجاء فرنسا بأن الكاردينال "مازارين" تُوفي، قال الملك باقتضاب: "البعض يقول تُوفي، والبعض الآخر يؤكد أنه على قيد الحياة. أنا لا أصدق هذا ولا ذاك". اتخذ ملك الشمس مثالًا لكَ، ولا تدع شيئًا يدهشكَ في عالم السياسة. لو شعرت بأن شيئًا أذهلك فلا تظهر هذا على الملأ. وبالطبع، لو أنكَ وقعت في الشرك، وأطلقوا عليكَ النار على حين غرة فلست مضطرًا إلى الإفراط في التظاهر. غالبية السياسيين الذين وقعوا في المصيدة، ولم يتمكنوا من إخفاء دهشتهم، ساءت أحوالهم.

إن سوء الظن أفضل بكثير من حسن الظن. فلو ارتاب فيكَ كل من تعرفه فعليكَ ألا تكذب، وقل الحقيقة بكل اطمئنان. قل إنكَ في البيت "سي السيد"، أو أنكَ لم تكن يومًا عضوًا في الحزب الشيوعيّ، أو أنكَ شاركت في الانتفاضة الشعبية، وأنكَ وقّعت على "ميثاق 77"، وأنكَ وقعت على "ميثاق معارض للميثاق"، أو أنكَ دمرت حاويات جمع الأوراق وأنت في الطلائع.

إن سوء الظن متبادل. فلو أنكَ ارتبت في أحد فسيرتاب فيكَ هو الآخر. لذلك عليكَ أن تنتبه إلى كل ما يقال. احمل معكَ مرآة في جيبكَ لتتأكد من أن عينيك مفتوحتين. أن تتجسس بنظركَ على ما يحدث من حولكَ أمر سهل. اخرج إلى الشارع في الصيف الحار، وارمق الفتيات الشقراوات اللواتي ترتدين أقمصة شفافة، بدون حمالة صدر من تحتها. غالبًا هذه هي اللحظة التي تخرج فيها عيناك من مقلتيها. لو لم يحدث فانظر إلى شريط مرتبك الشهري.

ماذا تفعل لو لم تُحقق هدفكَ؟

"وَصِيّتِي كَيْ تَنْجَح هِي: اسِتَيْقِظ مُبَكّرًا، واعْمَل كَثِيرًا، وَابْحَث عَنْ البِتْرول"

جان بول جيتي

المِعْـول فـي الأسـاس أداة عمـل تحولـت بالتدريـج إلـى أداة حـرب مـع تطـور البشـرية. كانت هذه الأداة تسـتعمل فـي بعـض البلـدان فـي البدايـة للحـرب عـن قـرب. فقـد قتـل الخميـر الحمـر فـي كمبوديـا ملاييـن المواطنيـن بالمعـاول بـكل نجـاح، حتـى صـارت المعـاول بليـدة نتيجـة اسـتخدامها المتكـرر. ويصعـب القتـل بمعـول بليـد. لذلـك قـام العلمـاء بتطويرهـا. وقـام الاتحـاد السـوفيتي، حسـب التقاريـر، بوضـع معـاول طائـرة علـى الحـدود مـع الصيـن، وكانـت معـاول بعيـدة المـدى، أو معـاول ذات خـط سـير مسـطح. غيـر أن هـذا النـوع الأخيـر كان بـه كثيـر الأعطـال. فقـام السـوفييت بحـل المشـكلة بـأن اعتـادوا علـى المعـاول التـي لا تصيـب الهـدف، والتـي ازداد عددهـا مـع الوقـت. فكانـوا يطلقـون المعـول، ويُدهشـون عندمـا ينطلـق. المعـول ينطلـق بصـورة مفاجئـة. وهـذه هـي طبيعـة المعـول. وإلا لمـا كان معـولًا، وصـار بندقيـة.

وصـف الشـاعر الاغريقـي "هوراتيـوس أحـد حفـاري الخشـب وهـو يصنـع أريكـة مـن جـذع شـجرة تيـن. اعتـادت الجـذوع الأمـر، وتظاهـرت بأنهـا جـزءًا مـن الأريكـة. ذات يـوم قـرر الحفـار، لسـبب غيـر معلـوم، أن يصنـع مـن جـذع شـجرة التيـن تمثـالًا لأحـد الآلهـة. كان الجـذع عصيّـا، ولـم ينتبـه إلـى الأمـر، ورغـم أنـه صـار إلهًـا إلا أنـه ظـل يتصـرف وكأنـه أريكـة. فغضـب الحفّـار، وصنـع مـن الإلـه أريكـة.

هـذا مثـال علـى نقـص التأهـب والاسـتعداد لضربـة المعـول. لـن تعـرف أبـدًا وأنـت فـي العمـل السياسـي متـى سـيقرر الرئيـس الالـه، أو الناخـب، أو القـدر خـلاف مـا تتوقـع. لـم يكـن السياسـي المغمـور "إيفـان هارمـان" يتوقـع، حتـى فـي أحلامـه، أن المعـول قـد ينطلـق فـي مدينـة "جيلينـا"، لكـن هـذا حـدث بالفعـل. فقـد هَـزم فـي الانتخابـات المحليـة فـي عـام 2006 السياسـي الشـهير "يـان سـلوتا". انزعـج "سـلوتا" كثيـرًا مـن الأمـر، وانزعـج "هارمـان أيضًـا عندمـا علـم بمـا خلفـه لـه "سـلوتا" فـي بلديـة مدينـة "جيلينـا".

المثـال التقليـدي للمعـاول التـي لا تعمـل فـي سـلوفاكيا هـو حـزب أنصـار الديموقراطيـة. فقـد أدرك حـزب اليسـار الديموقراطـي، وحـزب الحـوار الوطنـي، وحـزب تحالـف المواطـن الجديـد، أو حـزب اتحـاد العمـال السـلوفاكي أن المعـول لا يعمـل بالفعـل، فجمعـوا أغراضهـم، لكـن أعضـاء حزب أنصـار الديموقراطيـة لـم يفقـدوا الأمـل. ظلـوا دائمًـا متربصيـن للصـراع مـن أجـل الحصـول علـى مقاعـد فـي البرلمـان. إنهـم دائمًـا يخسـرون الانتخابـات، لكنهـم لـم يفقـدوا الأمـل يومًـا. نتمنـى أن يعلـم بوجودهـم أحـد فـي مدينـة "ترنافـا"، أو "نيتـرا"، ويسـاعدهم فـي الفـوز فـي الصـراع علـى دخـول الجنـة.

يمكنـكَ أن تتجنـب الدهشـة مـن انطـلاق المعـول بـأن تنضـم إلـى أقـرب منظمـة طلائـع. فالطلائع مسـتعدة دائمًا.

متى يفر السياسي هاربًا

"هَرَب وَكَأنّه فَقَد مَنْصِبَهُ"

ستانو راديتش

يفر السياسي هاربًا في المواقف التالية:

- لو شعر أن أحدهم يغويه إلى طريق الفضيلة

- لو لم يرُدّ رئيسه على الهاتف عندما يتصل به

- لو ظهرت دورية شرطة أمام البنك الذي ينوي سرقته

- لو حدث تسونامي

- أمام زملائه الشرفاء المتحمسين

- من باعة مجلة "نوتا بينا [20]"

- من الصحفيين

- مـن العامليـن بالصحـة، ومـن المدرسـين، وعمـال المناجـم، والموظفيـن، وسـائقي المركبـات، ومـن كل مـن يطالـب بزيـادة راتبـه

- من أصحاب المعاشات

- من رجال الشرطة الذين يحملون أنبوبة اختبار شرب الخمور

- من المواطنين الذين جاءوا يطالبون بأموالهم التي اقترضها منهم

يجـب أن تنصـرف هاربًـا مـن كل مـن يتحـدث عـن السـلام العالمـي، والرخـاء العـام، والعدالـة

(20)مجلة غير دورية تباع لدعم المشردين وأطفال الشوارع. المترجم

المطلقـة، والعدالـة الاجتماعيـة، وتسـاو فـرص أمـام الجميـع، وانعـدام البطالـة، والجنـة علـى الأرض، والعفـو العـام عـن الذنـوب، والـولادة بالـروح القـدس، والتحقيـق فـي اختطـاف رئيـس الجمهوريـة. المواقـف التـي يضـع رجـل السياسـة "ذيلـه فـي أسـنانه" ويفـر منهـا أكثـر بكثيـر مـن المواقـف التـي يسـير فيهـا علـى مهـل، دون خـوف.

لكـن لا تضـع ذيلـكَ فـي أسـنانكَ إلا فـي مواقـف طارئـة. حـاول فـي البدايـة أن تخـرج مـن الموقف بطريقـة أخـرى. فلـو قـرر رئيـس الحكومـة إقالتـكَ مـن منصبـكَ كوزيـر، مـازال فـي إمكانـكَ أن تحـول دون هـذا. تحجـج بالأخـلاق، سـافر سـريعًا فـي جولـة مكوكيـة، أو جمـد أنشـطتكَ لأسـباب علميـة. وتمنـى أن يكـون رئيسـك قـد تجـاوز الموقـف عندمـا يـزول الجليـد. اتفـق، مـن بـاب الاحتيـاط، مـع الخبـراء ألا يزيلـوا عنـك الجليـد إلا عنـدا يصيـر الرئيـس شـخصًا آخـر غيـر الشـخص الـذي أراد إقالتـكَ.

لـو لـم تتمكـن مـن أن تضـع ذيلـكَ فـي أسـنانك، فتماسـك، ولا تـدع أحـد يخرجـكَ عـن هـدوءك، تظاهـر وكأنـكَ بـلا قدميـن. وعندمـا يأتـي دورك اسـتغل مزايـا أن تكـون بـلا قدميـن، مثـلاً أن سـاقيكَ لا ترتعـدان أمـام أحـد، ولا يمكـن أن تتصـادم مـع أحـد، ولـن يسـقطكَ أحـد علـى الأرض، ولا يمكنـكَ أن توجـه ركلـة إلـى أحـد فـي مؤخرتـه، ولـن يـدوس لـكَ أحـد علـى طـرف، ولا يمكنـكَ أن تقـف علـى قدميـكَ. لكـن الأهـم ألا تضـع ذيلـكَ فـي اسـنانك وتدّعـي أنـكَ شـجاع.

نهاية العمل السياسي

"قِيمَة رَجُل السّيَاسَة لَيْسَت فِي أَنْ يَعْرِف مَتَى يَبْدَأ، بَلْ مَتَى يَنْتَهِي"

مؤلف مجهول

يمكـن أن تنتهـي الحيـاة المهنيـة بطريقتيـن. طوعًـا أو قصـرًا. ومـن أكثـر الأسـاليب القصريـة اسـتعمالاً هــي:

- الانتحـار (لديـكَ فرصـة فـي أن تدخـل التاريـخ لـو أنـكَ ألقيـت بنفسـكَ مـن الطابـق العاشـر فـي وجـود وسـائل الإعـلام)

- الهاراكيـري السياسـي (وهـو عندمـا تظهـر فـي التلفزيـون، ثـم بعدهـا يكـون الجميـع علـى قناعـة، إلا أنـتَ، بأنـكَ لا تصلـح للظهـور فـي الاعـلام)

- ألا تفـوز فـي انتخابـات المحليـات (سـتحتفظ بفرصتـكَ طالمـا اختـاركَ رئيـس الحـزب، رغـم أنـف الناخبيـن، لتحتـل مقعـدًا فـي البرلمان)

- أن يطلقـوا عليـكَ النـار (حـاول أن يطلقـوا عليـكَ النـار علـى منصـة الإعـدام، وليـس فـي حلبـة القتـال، حيـث لا يـراكَ أحـد)

- أن تموت موتة طبيعية (أنتَ رجل سياسة، ولن يصدقكَ إلا القليل)

- أن تدخـل الجنـة (حتـى الآن لـم يوفـق فـي ذلـكَ إلا رجـل واحـد، رغـم أنـه لا دليـل علـى أنـه دخلهـا)

- أن تنتقد رئيس الوزراء بدون داعٍ (ماذا سنفعل بكَ...)

- ألا تنتقد رئيس الوزراء عندما يكون انتقاده واجب (ماذا سنفعل بكَ...)

- أن يرسـلوك إلـى المنفـى (ليـس إلـى سـيبيريا بالضـرورة، يكفـي أن يرسـلوكَ ضمـن بعثـة

دبلوماسية)

- أن تمنعـكَ زوجتـكَ مـن ممارسـة الأنشـطة السياسـية (يمكنـكَ أن تحـول دون هـذا لـو أنـكَ أخـذت حماتـكَ إلـى صفـك)

لـو أردت أن تدخـل التاريـخ عليـكَ أن تنهـي حياتـكَ السياسـية فـي الوقـت المناسـب، وبإرادتـكَ. لا تنتظـر حتـى يطـردوك مـن عالـم السياسـة. ابـدأ فـي إعـداد كل مـن حولـكَ للحظـة رحيلـكَ الطوعـي.

إن مغـادرة العمـل السياسـي أصعـب مـن الرحيـل مـن العالـم نفسـه، لكـن عليـكَ أن تحـاول. مـا يسـهل عليـكَ الرحيـل ألا تكـون فـي قائمـة المرشـحين. عندهـا تشـرع فـي الإعـداد للرحيـل. وعليـكَ أن تبـدأ فـي الوقـت المناسـب. سـتعرف ضـرورة أن تـدق ناقـوس الرحيـل عندمـا يعطيـك رئيـس الحـزب موعـدًا للـرد علـى طلبـكَ بالبقـاء بعـد مـرور سـتة أشـهر مـن تقديمـكَ للطلـب. ورغـم ذلـك تظـل متذرعًـا بالأمـل. سـتتوقف عـن اسـتدعاء الأمـل عندمـا تتوقـف سـكرتيرة رئاسـة الحـزب عـن تقديـم القهـوة لـكَ وأنـتَ بهـو مكتبـه، ولا تدعـوكَ للجلـوس، وتتـركَ واقفًـا لأربـع سـاعات. إنهـا علامـة أكيـدة علـى أن رئيـس حزبـكَ قـد غيـر رأيـه فيـكَ. مـن المؤشـرات الواضحـة علـى نهايـة مسـتقبلكَ السياسـي هـو تلميـح رئيسـكَ بصـورة متكـررة إلـى نواقصـكَ، وكان عـدد مـن يلمحـون إلـى عيوبـكَ قـد بـدأ فـي التزايـد منـذ وقـت سـابق.

لـو حـدث هـذا فعليـكَ أن تراجـع طبيبـكَ، وتتفـق معـه علـى مـرض عضـال مناسـب، ظهـرت علاماتـه عليـكَ بصـورة ملحوظـة. ثـم ابـدأ فـي النـواح والعويـل مـن تدهـور حالتـكَ الصحيـة، وتحـدث مـع الصحافـة حـول هـذا الموضـوع. سـيثمن الرئيـس موقفـك، ويعـرض عليـكَ منصـب سـفير، أو وظيفـة فـي جهـة استشـارية تابعـة للدولـة (طالمـا كنـت فـي الحـزب الحاكـم). ربمـا يعـرض عليـكَ رئيـسُ حـزب معـارض أن تكـون ضمـن قائمـة المرشـحين للبرلمـان الأوربـي. لـو أردت أن تزعـج رؤسـاءك للمـرة الأخيـرة قبـل انصرافـكَ مـن العمـل السياسـي شـارك فـي أحـد المنتديـات أو اللقـاءات، أو المؤتمـرات أو مجلـس مركـزي. ابلـغ الرئيـس وإدارة الحـزب برأيـكَ فيهـم. لا تخجـل مـن ذلـكَ فهـم يتوقعونـه منـكَ. يجـب أن تكـون مشـاركتكَ مفعمـة بالوقـار. واعلـم أنهـا آخـر مـرة تتحـدث فيهـا.

إن العمـل السياسـي يشـبه التدخيـن. تعلـم أنـه يضـر بصحتـكَ، لكنـكَ لا تقـوى علـى الامتنـاع عنـه. قـل لنفسـكَ كل يوميـن إنـكَ سـتنهي عملـكَ السياسـي، لكـن يومًـا مـا! لذلـك علـق صـورًا

فوتوغرافيـة فـي أرجـاء الشـقة، عليهـا صـور رئتيـن دمرهمـا التدخيـن، وسياسـيين خربتهـم السياسـة. لـو لـم ينفـع هـذا الأمـر ابـدأ فـي التـردد علـى دورة للإيحـاء الذاتـي. هنـاك تزعـم أن السياسـة أسـوأ مـن الانهيـار الجليـدي، وتسـونامي، والإعصـار، والزلـزال، أو مـن مـرض الجـذام. لـن ينفـع شـيء مـن كل هـذا، وسـتفقد أعصابـكَ إلـى درجـة أنـكَ سـتبدأ فـي تدخيـن السـجائر. إنهـا أولـى خطـوات إنهـاء عملـكَ فـي السياسـة. التدخيـن الـذي يصاحبـه ضغـط ناتـج عـن عـدم القـدرة علـى التخلـي عـن السـلطة يعـد الطريـق الأكيـد إلـى النهايـة الحتميـة. وسـيأتيكَ ذات يـوم الخبـر السـعيد. سـيخبركَ طبيبـكَ أنـكَ مصـاب بالسـرطان، لـم يبـق لـكَ فـي الحيـاة سـوى بضعـة أشـهر. وبعـد بضعـة أشـهر يبقـى لـكَ بضعـة أيـام، وبعـد بضعـة أيـام بضـع دقائـق. سـيزورك منافسـوك السياسـيون بصـورة منتظمـة لدعمـكَ وأنـتَ فـي قسـم الأورام. لا يجـب أن تخـاف المـوت. إنـه الوسـيلة المثلـى لإنهـاء عملـكَ السياسـي بنجـاح. فضـلاً عـن أن أخبـاركَ سـتظهر فـي الصحـف.

لا تركـن فقـط إلـى المـوت السياسـي. فأنـت لسـت "نابليـون". فأخبـاره كانـت فـي كل الصحـف بعـد موتـه سياسـيًا فـي "ووترلـو". إلا أن الصحافـة لـم تنتبـه إلـى موتـه الحقيقـي. تقريبًـا. ركـز كل جهـودك علـى موتـكَ الفعلـي. سـدد ديونـكَ، وتخلـص مـن المعارضـة والمنافسـة، والصحفييـن، والجيـران، والنقـاد، وسـدد ضرائبـكَ، وكل الأشـياء غيـر المرغـوب فيهـا. لـو أبلغـكَ الأطبـاء أنـه لـم يبـق أمـكَ سـوى خمـس دقائـق علـى قيـد الحيـاة، أنصحـكَ أن تسـتغلها فـي عمـل الآتـي:

- اكتب وصيتكَ الأخيرة

- أكد للمرة الأخيرة على ولائكَ للرئيس

- تأهب بسعادة للقاء وشيكٍ بجدة جدتكِ

- اتصل بالكاهن، واشغل لحظات انتظاره بكتابة مذكراتكَ باختصار.

- لـو لـم تجـد فـي نفسـك الرغبـة فـي عمـل أي ممـا تقـدم، اطلـق النـار علـى نفسـكَ، فمـا العائـد مـن البقـاء علـى قيـد الحيـاة بـلا معنـى.

- لـو وُفّقْـت، ووافتـكَ المنيـة فأغلـب الظـن أنـكَ قـد أنهيـت حياتـك السياسـية. اعلـم أنـكَ لسـت "لينيـن"، أو "سـتالين"، أو "مـاو"، أو "كيـم"، أو "سـنووايت" كـي تعيـش أبـد الدهـر.

نهاية الكتاب والمؤلف

"الْأَخْلَاق بِالنّسْبَة لِلْمُوَاطِن احْتِمَال، وِللسّياسِي ضَرُورَة"

المؤلف

نهايـة الكتـاب تمثـل لحظـة حزينـة لأي مؤلـف. لكنهـا غيـر ذلـك عـادةً بالنسـبة للقـارئ. لقـد علمـت أن أحـد القـراء شـعر بالحـزن عندمـا انتهـى مـن قـراءة الكتـاب. وأنـا أيضًـا حزيـن. اثنـان شـعرا بالحـزن بعدمـا فرغـا مـن قـراءة الكتـاب. إنهـا نتيجـة ليسـت سـيئة. لقـد فكـرت فـي الرسـالة الأخلاقية لكتـاب "أغبيـاء فـي السياسـة"، ورغـم أن "فولتيـر" لـم يقـرأه إلا أنـه أصـاب عندمـا قـال: "الأخـلاق واحـده، شـأنها شـأن علـم الهندسـة. سـتقولون لـي إن غالبيـة النـاس لا تعرف الهندسـة الرياضيـة. نعم، هـذه حقيقـة، لكنهـم رغـم اهتمامهـم القليـل بهـا يتصرفـون بنفـس الطريقـة. الفلاحـون، والعمـال والفنانـون لـم يحضـروا يومًـا محاضـرات حـول علـم الأخـلاق، لـم يقـرؤوا كتـاب "نهايـة الخيـر والشـر" لـ"شيشـرون"، ولا "علـم الأخـلاق" لــ "أرسـطو"، لكـن بمجـرد أن يبـدأوا فـي التفكيـر يصبحـون، دون أن يـدروا، مـن تلامـذة "شيشـرون". إن صبـاغ الملابـس الهنـدي، والراعـي التاتـاري، والبحـار الإنجليـزي، كلعهـم يعرفـون العـدل والظلـم. لـم يصنـع "كونفشـيوس" نظـام الأخـلاق علـى أنـه نظامًـا فيزيائيّـا. لكنـه عثـر عليـه فـي قلـوب البشـر.

ليست الخرافة مكمنًا للأخلاق، ولا الطقوس، ولا علاقة للأخلاق بالعقائد.

سـنظل نؤكـد علـى الـدوام أن العقائـد مختلفـة، أمـا الأخـلاق فهـي ثابتـة لـدى كل البشـر الذيـن يعلـون مـن قيمـة عقولهـم. إن الأخـلاق، شـأنها شـأن النـور، تنبـع مـن اللـه. والضـوء واحـد بالنسـبة للرجـل السـوري، والصينـي، والفرنسـي أيضًـا. فلـو أن أحدكـم قابـل فقيـرًا مسـكينًا فـي "درب اللبانـة" وكان فـي مقـدوره أن يقـدم لـه المسـاعدة ولـم يفعـل، فقـد ارتكـب جرمًـا فـي حـق كل العوالـم. فرائـض القلـب واحـدة فـي كل مـكان. فكّـر مليّـا أيهـا القـارئ! تدبّـر هـذه الحقيقـة، واسـتخرج منهـا مـا ينفعـك!".

لقـد قلـت عنـد الحديـث عـن إلغـاء العفـو العـام الـذي منحـة "ميتشـيار" إن "قيمـة السياسـة

الوحيـدة تكمـن فـي البحـث عـن الحقيقـة". وبعـد التصويـت اسـتوقفني "فلاديميـر ميتشـيار"، وخاطبنـي معاتبًـا: "أنـت تتحـدث عـن الحقيقـة ورغـم ذلـك تصـوت علـى خلافهـا". وقـال "روبـرت فيتسـو": "لقـد كان العفـو قـذارة أخلاقيـة، وإلغـاؤه قـذارة عادلـة". إنـه مـأزق السياسـة. الحقيقـة، أم العدالـة؟ أو ليسـا مرادفيـن لبعضهمـا؟ الحقيقـة تكـون حقيقـة عندمـا تصبـح عادلـة، أمـا العـدل فهـو الحـق، لا غيـره. الحقيقـة بالنسـبة لصائـد الأسـماك هـي الصنـارة التـي يصيـد بهـا، لكـن بالنسـبة للسـمكة فالمـاء هـو الحقيقـة...

يقـول "سـقراط" عـن السياسـي المسـئول: "قليـل هـم مـن لديهـم مسـوغات الانتمـاء إلـى هـذا المجتمـع. السياسـي المسـئول يـرى كيـف أن السياسـة أمـر عـذب ورائـع، رغـم أنـه يـرى الأعمـال الخبيثـة للغالبيـة منهـم، ويـرى أنـه مـن النـادر أن يفعـل أحدهـم فـي السياسـة عمـلاً نافعًـا، وأنـه لا يوجـد حليـف يمكنـه بمسـاعدته أن يشـارك فـي عمـل عـادل، وأن ينجو بنفسـه دون فضيحة. سيشـعر بأنـه إنسـان وسـط حيوانـات ضاريـة لـو لـم يرغـب فـي أن يرتكـب مـع الآخريـن أفعـالاً ظالمـة، ولـن يجـد فـي نفسـه القـوة التـي يقـاوم بهـا ضـد ضـراوة الجميـع. سـيرى أنـه قضـى نحبـه سـدىً قبـل أن يفعـل شـيئًا لدولتـه ولأصدقائـه. وعندمـا يتدبـر كل هـذا سـيعيش فـي هـدوء، وسـيفعل مـا يمليـه عليـه ضميـره، سـيكون كمـن يـأوي إلـى مـكان آمـن أثنـاء العاصفـة خوفًـا مـن التـراب والمطـر الناتـج عـن ريـاح عاتيـة، وينظـر إلـى الآخريـن الذيـن يصارعـون مـن أجـل مخالفـة القانـون. سـيكون راضيًـا عندمـا يخـرج مـن هـذا الجـور، وهـذه الأعمـال المنحرفـة نظيفًـا، يعيـش حياتـه، وعندمـا يحيـن أجلـه يذهـب مطمئنًـا، مرتـاح البـال".

تقـول الأسـطورة السـريانية أن رجـل وامـرأة خلقـا فـي السـماء الرابعـة، ورغبا فـي رقائـق البطاطس بـدلًا مـن طعـام الآلهـة. كان طعـام الآلهـة، قوتهمـا الطبيعـي، يتحـول إلـى كـراث. لكنهمـا بعـد تنـاول رقائـق البطاطـس شـعرا برغبـة فـي التبـرز. توسـل الرجـل والمـرأة إلـى المـلاك أن يدلهمـا علـى مـكان الغائـط. "أتـران ذلـك الكوكـب الصغيـر بحجـم حبـة الـذرع؟ إنـه يبعـد عـن هنـا بسـتين مليـون عـام. إنـه غائـط هـذا الكـون، انصرفـا إليـه!". انصـرف الرجـل والمـرأة مـن السـماء الرابعـة، واسـتقرا فـي ذلـك الكوكـب الصغيـر. ومـن وقتهـا صـار عالمنـا علـى مـا هـو عليـه. امتـلأ بنسـل الرجـل والمـرأة الـذي عـاث فـي الكوكـب فسـادًا، ومـلأه خرابًـا. كان محقًّـا ذلـك المـلاك الـذي اعتبـر الأرض غائطًـا كونيّا.

يؤكـد الفلاسـفة والسياسـيون أن العالـم يسـير فـي الاتجـاه الصحيـح. أنـا أصدقهـم، رغـم أن "أبيقـور" فـي الفصـل الثالـث عشـر مـن كتابـه "الغضـب الإلهـي" يقـول: "إن الشـر عصيًـا علـى

اللـه نفسـه. فهـو إمـا أنـه راغـب فـي اجتـزاز الشـر مـن العالـم، وغيـر قـادر علـى هـذا، أم أنـه قـادر، لكنـه لا يريـد. أم أنـه غيـر قـادر، وغيـر راغـب فـي ذلـك، أم أنـه راغـب وقـادر. فلـو أنـه راغـب وغيـر قـادر فهـذا يُعَـدّ ضعفًـا، وهـو مـا يتنافـى مـع الطبيعـة الإلهيـة. ولـو أنـه غيـر راغـب، وغيـر قـادر، فهـذا مكـر وضعـف فـي آن واحـد، وهـو مـا يتعـارض مـع الطبيعـة الإلهيـة بشـكل مضاعـف. ولـو أنـه راغـب فـي ذلـك وقـادر عليـه، ورغـم ذلـكَ الشـر موجـود، فهـذا دليـل علـى أنـه عصيًـا عليـه". ورغـم هـذه النظريـة المتشـائمة أنـا واثـق مـن أن العالـم يسـير فـي الاتجـاه الصحيـح. رغـم أنـي لا أعـرف مـا هـو الاتجـاه الصحيـح، لكـن يكفينـي أن يكـون هنـاك بعـض البشـر الذيـن أحبهـم ويحبونـي.

نحـن جميعًـا سياسـيون. فـكل منـا مجبـول علـى الخيـر، والنزاهـة، والـود، والأمانـة، والحـب. لا أحد يعـرف السـبب فـي أننـا نفقـد الشـعور بالحـب، وتقـل فينـا الآمـال، والأحـلام، والمثـل العليـا كلمـا صرنـا كبـارًا. لا أحـد يعـرف السـبب فـي أننـا كلمـا ابتعدنـا عـن الطفولـة نمـا فينـا الحـزن، والغضـب، والحقـد، والاستسـلام. ننظـر إلـى آثـام السياسـة والسياسـيين، نغـرب وجهنـا عنهـم، ونبـرر صمتنـا بـأن كلهـم سواسـية، وأنهـم سـيبقون هكـذا أبـد الآبديـن. لا نرغـب فـي سـماع كلمـات الحكمـاء، بـأن كل موبقـات التاريـخ حدثـت بسـبب صمـت مـن كان عليهـم أن يرفعـوا أصواتهـم عاليـة. نلتـزم الصمـت عندمـا نـرى كفيفًـا يحـاول عبـور الطريـق بـكل يـأس، أو عندمـا نـرى مشـردًا يتجمـد مـن البـرد فـوق الأريكـة، أو عندمـا نـرى حفنـة مـن الجبنـاء يوسـعون شـخصًا وحيـدًا ضربًـا فـي الحافلـة، أو غريبًـا طريـدًا مـن وطنـه. نصمـت، وفـي الوقـت نفسـه نطالـب بالعدالـة بـدلًا مـن أن تقـف فـي وجـه الشـر أينمـا كان.

لـن أدافـع عـن السياسـيين، فقـد كنـت واحـدًا منهـم. لكـن السياسـيين شـأنهم شـأن المواطنيـن، عقـلاء وأغبيـاء، طيبـون وأشـرار، ودودون وحاقـدون، لصـوص وشـرفاء. إنهـم مـرآة للوطـن والمجتمـع الـذي أرسـلهم إلـى العمـل السياسـي. نرميهـم بالأحجـار ونتظاهـر أننـا بـلا ذنـب. نتطلـع خلفنـا، إلـى مـا ارتكبنـاه مـن آثـام، دون أن يكـون فـي أنفسـنا مـكان للمسـتقبل. نتـردد علـى الكنيسـة ونحـن غيـر مؤمنيـن، نقطـع علـى أنفسـنا الوعـود فـي كل يـوم، ونخفـق فـي الوفـاء بهـا، نطـوق إلـى الحقيقـة، بينمـا نعيـش فـي الوهـم، ندعـي الأخـلاق ونطالـب بهـا الآخريـن، لا أنفسـنا. نسـتنكر برامـج "التـوك شـو" الغبيـة، ونطـوق إلـى الحلقـات التاليـة. السياسـة جـزء لا يتجـزأ مـن برامـج "التـوك شـو"، والسياسـيون هـم نجـوم الاعـلام أصحـاب المجـد، ومتلقـو اللعنـات أيضًـا، دون غيرهـم. الصحفيـون مـن نفـس عينـة السياسـيين. يخفـون عيوبهـم بإظهـار

عيوب الآخرين.

فـي كل يـوم أتأمـل ألا آخـذ فقـط، بـل أعطـي، ألا أقـدح فقـط، بـل أمتـدح، ألا أتحـدث فقـط بـل أسـتمع، ألا أصـدر أحكامًـا فقـط، بـل أعفـو، ألا أكـرة فقـط، بـل أحـب أيضًـا. غـدًا سـأبدأ. غـدًا. اللهـم اعفـر لنـا ضعفنـا، وفَرَحَنـا بالأعـذار المبـررة. اللهـم اعفـوا عنـا يـوم تخاذَلنـا، واسـتر خطايانـا، فغـدًا سـنكون أفضـل. غـدًا سـأبدأ بنفسـي رغـم علمـي بـأن التـردد يعنـي النهايـة. لكنـي بالتأكيـد سـأبدأ. غدًا.





عندما يتعرف الإنسان على السياسة عن قرب يجد أمامه خيارين متباينين، البكاء أو الضحك. لم أجد في نفسي رغبة في البكاء، لذلك رحت أنظر إلى السياسة وإلى أهلها من ذلك الجانب المُضحك. في حياة كل منا العديد من الأحداث الدرامية التي تُكدّر عليه معيشته. لذلك ما الفائدة في أن أزيد الطين بله وأنت تقرأ هذا الكتاب، بينما أنا شخصيًا استمتعت وأنا أكتبه؟ وقد قررت أن أعالج ثنائية - السياسة والمأساة، والسياسة والتهريج، بالانحياز إلى النهج الساخر. أرى الآن اللغويين المتشددين وهم يتأففون من استعمال كلمة تهريج. في الواقع أن تاريخ التهريج يتشابه كثيرًا مع تاريخ السياسة. فكلنا نحب المزاح، رغم أن الغالبية لا تعرف معنى التهريج الحقيقي. كذلك أيضًا نحب الحديث في السياسة، رغم أن معظمنا لا يعرف ما هي السياسة في الواقع.

المؤلف



